[illegible]

[illegible] 635 [illegible]

[illegible]

كلام الحكمة حكمة الحكماء

حمد لمن انطق السنة الانسان فى الاعيان بالنصيحة

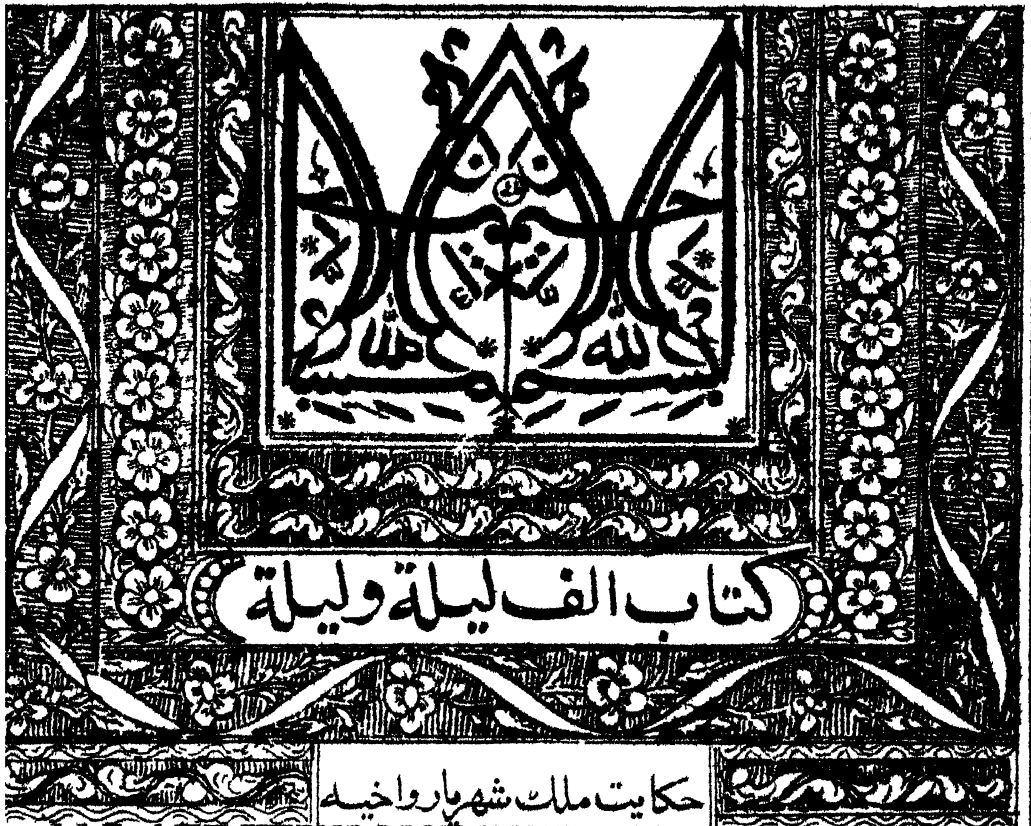
فمن جملتها هذا الكتاب المباح بالحكمة والموعظة



قد انطبع بحسن الانتظام لمراعات الشايقين العظام باهتمام

الراجى الى الله الاحد القاضى فتح محمد جناب ملا نور الدين بن جيوا خان مد ظله

فى مطبع الحيدرى الكائن فى محروسة المنبئى



حكايت ملك شهريار واخيه

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صلوة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين وبعد فان سير الاولين صارت عبرة للآخرين لكى يرى الانسان العبر التى حصلت لغيره فيعتبر ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة للقوم الآخرين فمن ذلك العبر الحكايات التى تسمى الف ليلة وليلة وما فيها من السير الجليلة والامثال فقد حكى والله اعلم بغيبه واحكم واعز واكرم والطف وارحم فيما مضى وتقدم وسلف من احاديث الامم انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك من ملوك بنى ساسان بجزائر الهند والصين صاحب جند واعوان وخدم وحشم وكان له ولدان احدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الاكبر افرس من الاصغر وقد ملك البلاد وحكم بالعدل فى الرعية واحبوه اهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان اخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزالا مستمرين فى بلادهما وكل واحد فى مملكته حاكم عادل فى رعيته مدة عشرين سنة فى غاية البسط والانشراح ولم يزالا

على هذه الحالة فعند ذلك اشتاق الملك الكبير الى اخيه الصغير فامر وزيره ان يسافر الى
عند اخيه ويحضر به فاجابه بالسمع والطاعة وسافر الى ان وصل بالسلامة ودخل
الى عند اخيه وبلغه السلام واعلمه ان اخاه مشتاق اليه وقصده ان يزوره فاجابه بالسمع
والطاعة وتجهز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه واقام وزيره
حاكما في بلاده وخرج طالبا بلاد اخيه فلما كان في نصف الليل تذكر حاجة نسيها في قصره
فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبد اسود من بعض العبيد
فلما راى هذا الامر اسودت الدنيا في وجهه وقال في نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت
المدينة فكيف حال هذه الملعونة لما اغيب عند اخي مدة ثم انه سحب سيفه وضرب الاثنين
وقتلهما في الفراش ورجع من وقته وساعته وامر بالرحيل وسار الى ان وصل الى مدينة
اخيه فلما قرب مدينته ارسل المبشرين الى اخيه بقدومه فخرج اليه ولاقاه وسلم عليه
وفرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث وينشرح فتذكر الملك شاه
زمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما راه اخوه
على هذه الحالة ظن في نفسه ان ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل
عن ذلك ثم انه في بعض الايام قال له يا اخي اني اراك قد ضعف جسمك واصفر لونك فقال
له يا اخي انا في باطني جرح ولم يخبره بما راى من زوجته فقال له اني اريد ان تسافر معي الى
الصيد والقنص لعل ان ينشرح خاطرك فابى ذلك فسافر اخوه وحده الى الصيد وكان
في قصر الملك شبابيك تطل على بستان اخيه فنظر واذا بباب القصر انفتح وخرج منه عشرون جارية
وعشرون عبدا وامراة اخيه تمشي بينهم وهي بديعة الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا
ثيابهم وجلسوا مع العبيد واذا بامراة الملك صاحت يا مسعود فجاءها عبد اسود فعانقها و
عانقته وواقعها وكذلك الجواري فعلوا مع العبيد ولم يزالوا في بوس وعناق ونيك ونحو ذلك
حتى ولى النهار فلما راى ذلك اخو الملك قال في نفسه والله ان بليتي اخف من هذه البلية وقد
انفك ما عنده من القهر والغم وقال هذا اعظم مما جرى لي ولم يزل في اكل وشرب وبعد هذا
جاء اخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى اخيه الملك شاه زمان وقد رد له
لونه واحمر وجهه وصار ياكل بشهيته بعد ما كان قليل الاكل فقال له اخوه الملك الكبير يا اخي
كنت اراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فاخبرني بحالك فقال له
اما تغير لوني فاذكره لك واعف عني من اخبارك برد لوني فقال له اخبرني اولا بتغير
لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا اخي اعلم اني لما ارسلت وزيرك الي يطلبني للحضور

بين يديك جهزت حالي وقد برزت برمدينتي ثم اني تذكرت الخرزة التي اعطيتها لك في قصري فرجعت الى قصري فوجدت زوجتي معها عبد اسود وهو نائم في فراشي فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر في هذا الامر فهذا سبب تغير لوني وضعفي واما رد لوني فاعف عني ان اذكره لك فلما سمع اخوه كلامه قال له اقسمت عليك بالله الا ما اخبرتني عن رد لونك فاخبره جميع ما رآه فقال شهريار لاخيه شاه زمان مرادي انظر بعيني فقال له اخوه شاه زمان اجعل انك مسافر للصيد والقنص واختف عندي وانت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس في الخيام وقال لغلمانه لا يدخل علي احد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذي فيه اخوه وجلس في الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان الا والجواري وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال اخوه الى اذان العصر قال فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من راسه وقال لاخيه شاه زمان قم بنا نسافر على حالنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر احد جرى له مثلنا والا موتنا خير من حياتنا قال ثم انهما خرجا من باب سر القصر مسافرين اياما ولياليا الى ان وصلا الى شجرة في وسط مرجة وعين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج وصعد منه عمود اسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا الى اعلى الشجرة وكانت عالية ينظران ما ذا يكون الخبر واذا بجني طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر وعلى راسه صندوق فطلع الى البر واتى الى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق واخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية بقامة هيفاء بهية كانها شمس مضيئة كما قال واحسن الشاعر عطية

أَشْرَقَتْ فِي الدُّجَى فَلَاحَ النَّهَارُ	وَأَنَارَتْ مِنْ فَوْقِهَا الْأَشْجَارُ
مِنْ سَنَاهَا الشُّمُوسُ تُشْرِقُ لَمَّا	تَتَجَلَّى وَتَبْدُو وَتَخْجَلُ الْأَقْمَارُ
تَسْجُدُ الْكَائِنَاتُ بَيْنَ يَدَيْهَا	حِينَ تَبْدُو وَتَنْهَتِكُ الْأَسْتَارُ
وَإِذَا أَوْمَضَتْ بُرُوقُ حِمَاهَا	أَهْطَلَتْ بِالْمَدَامِعِ الْأَمْطَارُ

قال فلما نظر اليها الجني قال يا ست الحرائر يا من قد اختطفتك ليلة عرسك اريد انام قليلا ثم ان الجني جعل راسه على ركبة الصبية ونام فرفعت الصبية راسها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فشالت راس الجني من على ركبتها

ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من
العفريت فقالا لها بالله عليك اعفي عنا من هذا الامر فقالت لهما ان لم تنزلا نبهت
عليكما العفريت يقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا
عنيفا والا انبه لكما العفريت فمن خوفه قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه زمان
يا اخي افعل ما امرتك به فقال لم افعل انعل انت قبلي واخذا يتغامزان على نيكها فقالت
لهما مالي اراكما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا نبهت لكما العفريت فمن خوفهما
من الجني استفقاها الاثنان فلما فرغا قالت لهما افيقا واخرجت لهما من جيبها
كيسا واخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعين خاتما فقالت لهما اتدرون
ما هؤلاء فقالا لا ندري فقالت لهما اصحاب الخواتم كلهم ناكوني على قرن هذا
العفريت فاعطياني خاتميكما الاثنين الاخوين فاعطاها من ايديهما خاتمين
فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة وجعل
العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال وجعلني في قاع البحر
العجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا ارادت شيئا لم يغلبها شيء كما

قال بعضهم

لا تأمنن على النساء	ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن وسخطهن	معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا	والغدر حشو ثيابهن
بحديث يوسف فاعتبر	ستجده بعض خدوعهن
أو ما ترى لابيك آدم	خروجه من اجلهن

وقال بعضهم

ويك ان الملام يقوي الملوما	ليس جرمي كما نشأت عظيما
ان اكن عاشقا فلم ات الا	ما اتته الرجال قبلي قديما
انما يكثر التعجب ممن	كان من فتنة النساء سليما

فلما سمعا الملكان منها هذا الكلام تعجبا غاية العجب وقال بعضهما لبعض اذا كان
هذا عفريتا وجرى له اعظم مما جرى علينا وهذا شيء لم يجر لاحد ثم انهما انصرفا من
ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهريار فدخل قصره ورمى عنق زوجته
والجواري والعبيد وكان الملك شهريار كل ليلة يأخذ بنتا بكرا يأخذ وجهها ثم

يقتلها مدة ثلث سنوات فضج الناس وهربوا ببناتهم ولم يبق فى تلك المدينة بنتا تحمل الوطى ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيه ببنت على جرى عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو مغبون مقهور خائف على نفسه من الملك قال وكان وزير الملك له بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضين قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها مالى اراك مغبونا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم فى المعنى

قُلْ لِمَنْ يَحْمِلُ هَمًّا	إِنَّ هَمًّا لَا يَدُومُ
مِثْلَ مَا تَفْنَى الْمَسَرَّه	هٰكَذَا تَفْنَى الْهُمُومُ

قال فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا ابت زوجنى هذا الملك فاما ان اعيش واما ان اكون فدى لاولاد المسلمين وخلاصهم من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطرى بنفسك ابدا فقالت له لابد من ذلك فقال اخشى عليك ان يتم لك ما تم على الحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما :

حكاية الثور مع الحمار

قال اعلمى يا ابنتى انه كان لبعض التجار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان الله تعالى اعطاه معرفة لغات السن الحيوانات والطيور وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده فى داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك انا تعبان وانت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمك وفى بعض الاوقات يركبك ويرجع وانا دائما للحرث والطحين فقال له الحمار لما تخرج الى الغيط ويجعلون على رقبتك النير فارقد ولو ضربوك لا تقم وتم وارقد ولما يرجعون بك ويضعون لك الفول فلا تأكله كانك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما او يومين او ثلثة

فتستريح

فتستريح من التعب والجهد قال وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق
الى الثور بعشاء اكل منه شيئا يسيرا فاصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث
فوجده ضعيفا فحزن عليه وقال هذا سبب انه ما قدر امس يشتغل ثم جاء
الى التاجر وقال له يا مولاى ان الثور مقصر لم ياكل هذه الليلة العلف ولا
ذاق منه شيئا وقد عرف التاجر الامر فقال امض وخذ الحمار وحرثه مكانه اليوم
كله قال فلما رجع اخر النهار بعد ما حرثه اليوم كله شكره الثور على تفضلاته
الذى اراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم شدة
الندم فلما كان ثانى يوم جاء الزراع واخذ الحمار وحرثه الى اخر النهار فلما
رجع الحمار الا مسلوخ الرقبة ميتا من التعب فتامله الثور فشكره ومدحه فقال
له الحمار كنت قاعدا بطولى فما خلانى فضولى ثم قال اعلم انى لك ناصح وقد سمعت
استاذنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه اعطوه للجزار يذبحه ويعمل جلده
قطعا وانا خائف عليك وقد نصحتك والسلام قال فلما سمع الثور كلام الحمار
شكره وقال بكره اسرح معهم ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المذود
بلسانه وكل ذلك وصاحبهم يسمع كلامهم فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته
الى دار البقر وجلسا فجاء السواق واخذ الثور وخرج فلما رأى الثور استاذه طرطر
ذيله وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من اى
شئ تضحك فقال لها سر رأيته وسمعته ولا اقدر ابوح به فاموت فقالت له لابد ان
تخبرنى به وبسبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان ابيح به خوفا من الموت
فقالت له انت ما تضحك الا على ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج عليه الى ان غلب منها
وضجر فاحضر اولاده وارسل احضر القاضى والشهود واراد ان يوصى ثم يبيح لها بالسر
ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة وهى بنت عمه وام اولاده وقد كان عمر من العمر
مائة وعشرين سنة ثم انه ارسل احضر جميع اهلها واهل حارته وقال لهم على
حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع من حضرها بالله عليك
اتركى هذا الامر لئلا يموت زوجك ابو اولادك فقالت لهم ما ارجع عنه حتى
يقول لى وادعه يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار
الدواب يتوضأ ويرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك وتحته خمسون
دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادى ويسب الديك

ويقول له انت فرحان واستاذنا رائح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر
فاعاد الكلب على الديك القصة فقال الديك والله ان استاذنا قليل العقل ان لي
خمسين زوجة ارضي هذه واصالح هذه واستاذنا ماله الا فرد زوجة ولا يعرف
يسوس امره معها ماله ما يأخذ لها من عيدان التوت ويدخل الى خزانتها ويضربها حتى
تموت او تتوب ولا تعود تسأله عن شيء قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب
الكلب قال الوزير لابنته شهرزاد افعل معك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له
وما فعل قال دخل بها الى الخزانة ثم بعد ما قطع عليها من عيدان التوت وخبأهم
داخل الخزانة دخل الخزانة وقال لها تعالى حتى اقول لك داخل الخزانة واموت
ولا ينظرني احد فدخلت معه ثم انه قفل باب الخزانة عليها ونزل عليها بالضرب
الى ان اغمي عليها فقالت له تبت ثم انها باست يديه ورجليه وتابت وخرجت هي
واياه وفرحوا الجماعة واهلها وقعدوا في اسر الاحوال الى الممات قال فلما سمعت
ابنة الوزير مقالة ابيها قالت له لابد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهريار
وكانت قد اوصيت اختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت عند الملك ارسلت اطلبك
فاذا جئت الى عندي ورايت الملك قضى حاجته مني تقولي يا اختي حدثيني
حديثا وكلاما نقطع به الليل والسهر وانا احدثك حديثا يكون فيه ان شاء الله
تعالى الخلاص ثم ان اباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه فرح وقال اتيت
بحاجتي فقال نعم واراد ان يدخل عليها فبكت فقال لها مالك فقالت ايها
الملك ان لي اختا صغيرة واريد ان اودعها فارسل الملك اليها فجاءت الى
اختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك واخذ بكارتها وجلسوا
يتحدثون فقالت لها اختها الصغيرة بالله عليك يا اختي حدثينا حديثا نقطع
به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك المهذب فلما سمع الملك
منهما ذلك وكان قلقا فرح لسماع الحديث فاذن لها ❊

حكاية التاجر والجني

الليلة الاولى قالت شهرزاد حكي ايها الملك السعيد انه كان تاجر من
بعض التجار وكان كثير المال والمعاملات في البلاد فركب يوما وخرج يطالب
في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده

في خرجه فاخرج كسرة وتمرة فاكل الكسرة والتمرة فلما فرغ من اكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف مسلول فدنى من التاجر وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما اكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي وكان ماشي فمات من ساعته فقال التاجر انا لله وانا اليه راجعون لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ان كنت قتلته ما قتلته الا خطا مني اريد ان تعفو عني فقال الجني لا بد لي من قتلك ثم انه جذبه وبطحه على الارض ورفع السيف ليضربه فبكى التاجر وقال فوضت امري الى الله وانشد يقول

الدهر يومان ذا امن وذا حذر ... والعيش شطران ذا صفو وذا كدر
قل للذي بصروف الدهر عيرنا ... هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى الريح ان هبت عواصفها ... فليس تعصف الا ما هو الشجر
وما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن عبثت ايدي الزمان بنا ... ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمر
وكم على الارض من خضراء ويابسة ... وليس يرجم الا ما له ثمر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف سوء ما ياتي به القدر

فلما فرغ التاجر من شعره قال له الجني اقصر كلامك والله لا بد لي من قتلك فقال التاجر اعلم ايها العفريت ان علي دين ولي مال كثير واولاد وزوجة ورهون فدعني اروح الى بيتي واوصل كل ذي حق حقه واعود اليك على راس سنة ولك علي عهد الله وميثاقه اني اعود اليك تفعل بي ما تريد والله على ما اقول وكيل فاستوثق منه الجني واطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم انه قام وتوضا واخذ كفنه تحت ابطه وودع اهله وجيرانه وجميع اقاربه وخرج رغما عن انفه فاقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم راس السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما جرى له واذا قد اقبل عليه شيخ كبير ومعه غزالة مسلسلة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وانت منفرد وهو ماوى الجان فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله

يا اخي ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس الى جانبه وقال والله يا اخي لا ابرح من عندك حتى انظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده فهم في الحديث واذا قد ادرك ذلك التاجر الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا قد اقبل عليهما شيخ ثان معه كلبان فسلم عليهما والكلبان بلونين من الكلاب السلوقية فسألهم بعد السلام عليهم واستخبرهم وقال لهم ما سبب جلوسكم في هذا المكان وهو مأوى الجان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها فما استقر بهم الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن جلوسهم في ذلك المكان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة يا سادة فجلس عندهم واذا بغبرة قد اقبلت وزوبعة عظيمة من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا به ذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فاتى اليهم وجذب ذلك التاجر بيده من بينهم وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي ثم انتحب ذلك التاجر وبكى وقامت الشيوخ الثلاثة بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له ايها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لي ثلث دم هذا التاجر فقال نعم ايها الشيخ اذا حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال الشيخ اعلم ايها العفريت ان هذه الغزالة هي بنت عمي ولحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن واقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم ارزق منها بولد فاخذت لي سرية فرزقت منها بولد ذكر كانه البدر اذا بدا بعيون وحواجب كاملة فكبر الى ان صار ابن خمسة عشر سنة فعرضت لي سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية امه بقرة وسلمتهم الى الراعي وجئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وامه فقالت لي امرأتك ماتت وابنك هرب ولم اعلم اين راح فجلست مدة سنة وانا حزين القلب باكي العين الى ان جاء عيد الله الاكبر فارسلت للراعي وامرته ان يحضر لي بقرة سمينة فاحضر بقرة سمينة وهي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت اذيالي واخذت السكين بيدي واردت ان اذبحها

فصاحت وولولت وبكت فتعجبت انا منه واخذتني الرافة فوقفت عنها وقلت للراعي ايتني بغيرها فصاحت ابنة عمي هذه اذبحها فما عندي احسن ولا اسمن منها فتقدمت اليها لاذبحها فصاحت فقمت وامرت ذلك الراعي بذبحها وسلخها فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم واعطيتها للراعي وقلت له ايتني بعجل سمين فاتاني بولدي فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ علي وولول وبكى فاخذتني الرافة عليه فقلت للراعي ايتني ببقرة ودع هذا فصاحت علي بنت عمي هذه الغزالة وقالت لا بد لك من ذبح هذا العجل في هذا اليوم فانه يوم شريف مبارك لا يذبح فيه الا الشيء المليح وليس عندنا بين العجول اسمن منه ولا احسن منه فقلت لها انظري كيف كان حال البقرة التي ذبحت بامرك فها نحن طلعنا منها خائبين وما انتفعنا منها بشيء اصلا وندمت غاية الندم على ذبحها والآن لا اقبل منك كلاما في ذبح هذا العجل هذه المرة فقالت لي والله العظيم الرحمن الرحيم لا بد لك من ذبحه في هذا اليوم الشريف وان لم تذبحه فما انت زوجي ولا انا زوجتك فلما سمعت منها هذا الكلام الصعب ولم اعلم بمقصدها تقدمت الى العجل واخذت بيدي السكين فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يامر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب وانفض الديوان ودخل الملك شهريار القصر

فلما كانت الليلة الثانية قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتمي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك فقال الملك احكي فقالت بلغني ايها الملك السعيد والراي الرشيد انه لما اراد ذبح العجل حن قلبه وقال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والشيخ يحكي للجني والجني يتعجب من ذلك الكلام العجيب قال صاحب الغزالة يا سيدي ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن علي ان اذبحه وامرت الراعي ان يأخذه فاخذه وتوجه

به ففي ثاني اليوم انا جالس واذا بالراعي مقبل الى عندي وقال ياسيدي اقول لك شيئا تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال ايها التاجر ان لي بنتا وكانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كان بالامس واعطيتني العجل دخلت عليها فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا ابت بخس قدري عندك حتى انك تدخل علي الرجال الاجانب فقلت لها واين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لي ان هذا العجل الذي معك ابن استاذنا وهو مسحور وقد سحرته زوجة ابيه هو وامه فهذا سبب ضحكي واما سبب بكائي فمن اجل امه كيف ذبحها ابوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك اعلمك فلما سمعت ايها الجني هذا الكلام من الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان اتيت الى داره فترحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان العجل جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي احق ما تقوليه عن ذلك العجل قالت نعم ياسيدي انه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها ايتها الصبية ان انت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد ابيك من المواشي والاموال فتبسمت وقالت ياسيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين الاول ان تزوجني به والثاني ان اسحر من سحرته واحبسها والا فلست امنا من مكرها فلما سمعت ايها الجني كلام بنت الراعي فقلت ولك فوق ما طلبت جميع ما تحت يد ابيك من الانعام والاموال واما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي اخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها عزمت عليها ورشت به العجل وقالت له ان كنت عجلا وانت على خلقه الله تعالى دم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض وصار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك علي ما صنعت بك بنت عمي وبامك فحكى علي ما جرى لهما فقلت ياولدي قد بعث الله لك من خلصك وخلص حقك ثم اني ايها الجني زوجت ابنة الراعي به ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وقالت لي هذه صورة جميلة ليست بصورة وحشية يكره النظر اليها ثم ان بنت الراعي اقامت عندنا اياما وليالي وايام حتى اختارها الله اليه وبعد ان توفيت سافر ابني الى بلاد الهند وهي بلاد هذا الرجل الذي جرى لك معه ما جرى فعند ذلك اخذت الغزالة بنت عمي وسرت بها من بلد الى بلد ابحث عن خبر ولدي حتى ساقتني المقادير الى هذا المكان

ورأيت التاجر جالسا يبكي وهلا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ الثاني صاحب الكلبين السلوقيين وقال للجني ان حكيت لك ماجرى لي مع اخوي هذين الكلبين ورأيتها اغرب حكاية واعجب تهب لي ثلث ذنبه فقال له ان كانت حكايتك اعجب واغرب فلك ذلك فقال له الشيخ اعلم ياسيد ملوك الجان ان هذين الكلبين اخوتي وانا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت انا دكانا ابيع فيه واشتري وكذلك الاخوان كل واحد فتح دكانا فما قعدت كثيرا الا واخي الكبير احد هؤلاء الكلبين باع متاع دكانه بالف دينار واشترى بضائع ومتجرا وسافر فغاب عنا سنة كاملة وانا يوما في دكاني اذ وقف علي سائل فقلت يفتح الله فقال لي وقد بكى مابقيت تعرفني فحققته واذا به اخي فقمت ورحبت به وطلعت به الى الدكان فسألته عن حاله فاجابني لاتسأل لان المال مال والحال حال فقمت ادخلته الحمام والبسته بدلة من ملابسي واطلعته عندي ثم كشفت حسابي وبيع دكاني فوجدت قد كسبت الف دينار وراس مالي الفي دينار فقسمته بين اخي وبيني وقلت له احسب انك ماسافرت ولا تغربت فاخذها وهو فرحان وفتح له دكانا وقعت ايامًا وليالي ثم بعد ذلك قام اخي الثاني وهو الكلب الاخر باع ماكان عنده وجميع ماله واراد السفر فمنعناه فلم يمتنع فاشترى تجارة وسافر مع الاسفار وغاب عنا سنة كاملة ثم انه اتاني كما اتى اخوه الكبير فقلت له يا اخي اما نصحتك بان لاتسافر فبكى وقال يا اخي هذا مقدور وها انا فقير لم املك الدرهم الفرد عريان ماعلي القميص فاخذته ايها الجني وادخلته الحمام والبسته بدلة جديدة من ملابسي وجئت به الى دكاني فاكلنا وشربنا وبعده قلت له يا اخي اعمل حساب دكاني في كل راس سنة مرة والذي اراه زائدا هو بيني وبينك فقمت ايها العفريت وعملت حساب دكاني فرأيت الفي دينار فحمدت الباري سبحانه وتعالى فاعطيت اخي الفا وبقي معي الف فقام اخي وفتح دكانا وقعدنا جملة ايام ثم بعد مدة قاموا علي اخوتي وارادوا ان اسافر وياهم فلم افعل وقلت لهم ايش كسبتم انتم في سفركم حتى اكسب انا فلما سمعت منهم واقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري وهم يعرضون علي السفر كل سنة وانا لا ارضى حتى مضت لنا ستة سنين فانعمت لهم بالسفر وقلت لهم يا اخوتي هانا اسافر معكم ولكن هاتوا لكي ننظر ايش معكم من المال فلم اجد معهم

شيأ بل ودروا كل شيء لانهم كانوا متعكفين على الاكل والشرب والملذذات فما كلمتهم ولا قلت لهم شيأ بل قمت عملت حساب دكاني وخليت ما عندي من المال وكل ما كان عندي من البضائع فوجدت معي ستة آلاف دينار ففرحت وقمت قسمتها نصفين وقلت لهم هذه ثلثة الاف دينار لي ولكم لكي نتاجر بها وقمت دفنت الثلثة آلاف دينار الاخرى احتما الاان يجري على ما جرى عليهم فاجيء ابقى ثلثة الاف دينار نفتح بها دكاكيننا وارتضوا كلهم فاعطيت كل واحد الف دينار وبقي لي مثلهم الف دينار فتحوجنا البضائع الواجبة وجهزنا للسفر واكرينا مركبا ونقلنا فيه حوايجنا وسافرنا اول يوم وثاني يوم مدة شهر كامل فقد خلنا مدينة ومعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير واردنا نسافر فوجدنا على شاطي البحر جارية عليها خلقة مقطعة فقبلت يدي وقالت ياسيدي هل فيك حسنة ومعروف اجازيك عليهما قلت نعم اني احب الحسنة والمعروف وان لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوجني وخذني بلادك فاني قد وهبت نفسي لك فافعل معي معروفا واما انا ممن يفعل معه المعروف والحسنة واجازيك عليهما ولا يغرنك حالي فلما سمعت كلامها حن لها قلبي لامر يريده الله عز وجل فاخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشا حسنا واقبلت عليها واكرمتها وسافرنا وقد احبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا افارقها ليلا ولانهارا واشتغلت بها عن اخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرة بضاعتي فسهرت عيونهم في المال جميعه فتحدثوا في قتلي واخذ مالي وقالوا نقتل اخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان اعمالهم وخلوني وانا نائم بجانب زوجتي حملوني وزوجتي ورمونا في البحر فلما استيقظت زوجتي وقد انتفضت فصارت عفريتة وحملتني وطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلا وعادت عند الصباح وقالت ها انا جاريتك انا التي حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم اني جنية رأيتك فحبك قلبي لله وانا مومنة بالله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فجئتك بالذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها انا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولا بد ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتي فلا ثم حكيت لها على ما جرى لي معهم من اول الزمان الى اخره فلما عرفت قالت انا في هذه الليلة اطير اليهم واغرق مركبهم واهلكهم

فقلت لها بالله عليك لاتفعلي فان المثل يقال يا محسن لمن اساء كفي المسيء فعله
وهما اخوتي على كل حال قالت والله لابد لي من قتلهم ثم نزلت خلت عليها ثم انها حملتني
وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب واخرجت الذي خبيته تحت
الارض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان العشاء
رجعت الى بيتي فوجدت هذين الكلبين مربوطين في داري فلما رأني قاموا
الي وبكوا وتعلقوا بي فلم اشعر الا وزوجتي قالت هولاء اخوتك فقلت ومن فعل
بهم هذا الفعل قالت انا ارسلت الى اختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصوا الا بعد
عشر سنوات فجئت وانا سائر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات في هذه الحال
فرأيت هذا الفتى فاخبرني بما جرى له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجري
بينك وبينه وهذه قصتي فقال الجني انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه
وجنايته قال الشيخ الثالث صاحب البغلة انا احكي لك حكاية اعجب من الاثنين و
تهب لي باقي دمه وجنايته ايها الجني قال نعم فقال الشيخ ايها السلطان ورئيس
الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي فسافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت
سفري وجئت اليها في الليل فرأيت عبدا اسود راقدا معها في الفراش وهم في كلام
وغنج وضحك وبوس وهراش فلما رأتني عجلت وقامت الي بكوز فيه ماء فتكلمت
عليه ورشتني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت في الحال
كلبا فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم ازل اسير حتى وصلت الى
دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رأني صاحب الدكان اخذني
ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني وقالت تجيئ لنا برجل
وتدخل به علينا فقال ابوها اين الرجل قالت هذا الكلب رجل سحرته امرأته
وانا اقدر اخلصه فلما سمع ابوها كلامها قال بالله عليك يا بنتي خلصيه فاخذت
كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة
الى صورتك الاولى فعدت الى صورتي الاولى فقبلت يدها وقلت لها اريد
ان تسحري زوجتي كما سحرتني فاعطتني قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة
فرش هذا الماء عليها وتكلم معها بكلام اريته فانها تصير كما انت طالب فاخذت
الماء ودخلت الى زوجتي فوجدتها نائمة فرشيت عليها الماء وقلت اخرجي من
هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها

بعينك ايها السلطان ورئيس الملوك الجان وقال لها صحيح فهزت راسها وقالت بالاشارة يعني اي والله هذا حديثي وما جرى لي فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له ثلث دمه فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احلى حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك محل حكمه وطلع العسكر والوزير واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وامر الى اخر النهار فانفض الديوان فدخل الملك شهريار الى قصره فلما اقبل الليل قضى حاجته من بنت الوزير

فلما كانت الليلة الثالثة

قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتمي لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ الثالث قال للجني حكاية اعجب من الحكايتين فتعجب الجني غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقي جنايته واطلقته لكم فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذا باعجب من حكاية الصياد

حكاية الصياد

قال وكيف ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان رجلا صيادا وكان طاعنا في السن وله زوجة وثلثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته انه يرمي شبكته كل يوم اربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من بعض الايام في وقت الظهر واتى الى شاطي البحر وحط مقطفه وشمر قميصه وخاض في البحر وطرح شبكته وصبر الى ان استقرت في الماء وجمع خيطانها فوجدها ثقلت فجذبها فلم يقدر على ذلك فجاء بالطرف للبر ودق وتدا وربطها وتعرى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى اطلعها ففرح وطلع ولبس ثيابه واتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا وقد خرق الشبكة فلما راى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الصياد قال ان هذا الرزق

عجيب وانشد يقول

يا خائضاً في ظلام الليل والهلكة … أقصر عناك فليس الرزق بالحركة
أما ترى البحر والصياد منتصباً … لرزقه ونجوم الليل محتبكة
قد خاض في وسطه والموج يلطمه … وعينه لم تزل في كلكل الشبكة
حتى إذا بات مسروراً بليلته … بالحوت قد شق سفود الردى حنكه
ابتاعه منه من قد بات ليلته … سالم من البرد في خير من البركة
سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا … هذا يصيد وهذا يأكل السمكة

ثم قال هيا لابد من كرامه ان شاء الله تعالى وانشد يقول

وإذا ابتليت بعسرة فالبس لها … صبر الكريم فإن ذلك أحزم
لا تشكون إلى العباد فإنما … تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

ثم خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وخاض البحر وقال بسم الله وطرحها وصبر عليها حتى استقرت فثقلت ورسخت أكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس الى ان خلصها وعالجها الى ان اطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وانشد يقول

يا حرقة الدهر كفي … إن لم تكفي فعفي
خرجت أطلب رزقي … وجدت رزقي توفي
كم جاهل في الثريا … وعالم في الثرى مختفي

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله تعالى وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافا وقوارير وعظاما فاغتاظ جدا وبكى وانشد يقول

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط … ولا أدب يعطيك رزقاً ولا خط
ولا الحظ والأرزاق إلا مقسم … فأرض بها خصب وأرض بها قحط
تحط صروف الدهر كل مهذب … وترفع من لا يستحق له الحظ
فيا موت زر إن الحيوة ذميمة … إذا انحطت البازات وارتفع البط
فلا عجباً إن كنت عاينت فاضلاً … تقيراً وذا نقص بدولته يسطو
فطير يطوف الأرض شرقاً ومغرباً … وآخر يعطى الطيبات ولا يخطو

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم اني لم ارم شبكتي كل يوم الا اربع

مرات وقد رميت ثلاثا ولم يأتني شيء فارزقني اللهم في هذه المرة برزقي ثم انه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر الى ان استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت في الارض فقال لا حول ولا قوة الا بالله ثم انشد

أُفٍّ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذَا	أَنَا فِيهَا فِي بَلَاءٍ وَأَذَى
إِنْ صَفَا عَيْشُ امْرِئٍ فِي صُبْحِهَا	جَرَّعَتْهُ مُمْسِيًا كَاسَ الرَّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ	أَنْعَمُ الْعَالَمِ عَيْشًا قِيلَ ذَا

وتعرى وغطس عليها وصار يحاهد فيها الى ان طلعت على البر وفتح الشبكة فوجد فيها قمقم نحاس اصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فلما رآه الصياد فرح وقال هذا ابيعه في سوق النحاس فانه يساوي عشرة دنانير ذهب ثم انه حركه فوجده ثقيلا ووجده مسدودا فقال في نفسه يا ترى ايش في هذا القمقم افتحه وانظر ما فيه وبعده ابيعه ثم انه اخرج سكينا وعالج في الرصاص الى ان فكه من القمقم وحطه الى جانب الارض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شيء فتعجب غاية العجب ثم انه خرج من القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع والتم وانتفض فصار عفريتا راسه في السحاب ورجلاه في التراب براس كالقبة بايد كالمداري برجلين كالسواري بفم كالمغار واسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كانهما سراجين اعبس اغلس فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت اسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فاني لا عدت اخالف لك قولا ولا اعصي لك امرا فقال له الصياد ايها المارد تقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة الف وثمان مائة سنة ونحن في اخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم قال فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله ابشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة شر قتله قال الصياد تستاهل على هذه البشارة يا قيم العفاريت بزوال الستر عنك يا بعيد لاي شيء تقتلني واي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعتك الى البر فقال العفريت تمن علي اي موتة

تموت بها واي قتلة تقتلني بها فقال الصياد ما ذنبي وما جزائي منك قال العفريت
اسمع حكايتي يا صياد قال الصياد قل واوجز في الكلام فان روحي وصلت الى
انفي فقال اعلم يا صياد اني من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود
عليهما السلام انا وصخر الجني فارسل لي وزيره آصف بن برخيا فاتى بي كرها وقادني
وانا ذليل على رغم انفي واوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني
واعرض علي الايمان والدخول تحت طاعته فابيت فدعا بهذا القمقم وحبسني
فيه وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجن فاحتملوني والقوني
في وسط البحر فاقمت مائة عام وقلت في قلبي كل من خلصني اغنيته الى الابد
فمرت مائة عام ولم يخلصني احد ودخلت علي مائة اخرى فقلت كل من
خلصني فتحت له كنوز الارض فما خلصني احد فمر علي اربع مائة عام اخر
فقلت كل من خلصني اقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني احد فغضبت غضبا
شديدا وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته ومنيته كيف
يموت وها انت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت
قال يا الله العجب انا ما جئت اخلصك الا في هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت
اعف عن قتلي يعف الله عن قتلك ولا تهلكني يسلط الله عليك من يهلكك فقال
المارد لا بد من قتلك فتمن علي اي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد
راجع العفريت وقال اعف عني اكراما لما اعتقتك فقال العفريت وانا ما اقتلك
الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت اصنع معك مليحا
تقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال هذا الشعر

فعلنا جميلا قابلونا بضده	وهذا لعمري من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير اهله	يجازى كما جوزي مجير ام عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلا بد من موتك فقال الصياد
هذا جني وانا انسي وقد اعطاني الله عقلا كاملا وها انا ادبر في هلاكه
بحيلتي وبعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت لا بد من قتلي قال
نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام
اسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر
الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له سل واوجز فقال له انت كنت

في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وانت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا اصدقك ابدا حتى انظرك بعيني فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة قالت لها اختها اتممي لنا حديثك ان كنت غير نائمة فقالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لا اصدقك ابدا حتى انظرك بعيني فى قمقم فانتفض العفريت وصار دخانا على البحر واجتمع ودخل القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد اسرع واخذ سدادة الرصاص المختومة وطبعها على فم القمقم ونادى على العفريت وقال له تمن علي اي موتة تموتها والله لارمينك في هذا البحر وابني لي هنا بيتا وكل من اتى هنا امنعه ان يصطاد واقول له هنا عفريت كل من طلع به يمنيه كيف يموت وكيف يقتله فلما سمع العفريت كلام الصياد ورأى نفسه محبوسا واراد الخروج فلم يقدر ومنعه خاتم سليمان وعلم ان الصياد تحايل عليه فقال انا كنت امزح معك فقال له الصياد تكذب يا احقر العفاريت واقذرها واصغرها ثم ان الصياد اخذ القمقم الى جانب البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد اي اي ورقق المارد كلامه وتخضع وقال ما تريد تصنع بي يا صياد قال القيك في البحر ان كنت اقمت فيه الفا وثمانمائة سنة فانا اخليك تمكث فيه الى ان تقوم الساعة أنا ما قلت لك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فابيت قولي وما اردت الا ان تغدرني فارماك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى احسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون انا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم دوبان فقال العفريت وما وزير الملك يونان والحكيم دوبان وما قصتهما فقال الصياد اعلم ايها العفريت

حكاية وزير الملك يونان

انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في مدينة الفرس وارض رومان ملك يقال له يونان وكان ذو مال وجنود وهيبة واعوان من سائر

الاجناس وكان في جسده برص وقد اعيى الاطباء والحكماء فيه وشرب ادوية وسفوفا ودهانا فلم ينفعه من ذلك شيء وما احد من الاطباء قدر ان يبرئه وكان قد دخل الى مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم دوبان وكان قد قرأ الكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعلم تاسيس حكمتها وقواعد امورها ومنفعتها ومضرتها وعلم جميع النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة وعلم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها اياما قلائل سمع خبر الملك وما جرى له في بدنه من البرص الذي ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء واهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح لبس الحكيم افخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبّل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال ايها الملك بلغني ما اعتراك من هذا الذي في جسدك وان كثيرا من الاطباء ما عرفوا الحيلة في ذهابه وها انا اداويك ايها الملك ولا اسقيك دواء ولا ادهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان ابرأتني اغنيك لولد الولد وانعم عليك وكلما تمنيته فهو لك وتكون نديمي وحبيبي ثم انه اخلع عليه واحسن اليه وقال له تبرئني من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم ابرئك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له ايها الحكيم الذي ذكرته لي يكون في اي الاوقات واي الايام فاسرع يا ولدي قال له سمعا وطاعة يكون غدا ثم نزل الى المدينة واكرى له بيتا وحط فيه كتبه وادويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعله جوكانا وجوفه وعمل له قبضة وصنع له اكرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك في اليوم الثاني ودخل عليه وقبّل الارض بين يديه وامره ان يركب الى الميدان وان يلعب بالاكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب والوزراء وارباب الدولة فما استقر به الجلوس في الميدان حتى دخل عليه الحكيم دوبان وناوله الجوكان وقال له خذ هذا الجوكان واقبض عليه مثل هذه القبضة وسوق في الميدان وتمطا جيدا واضرب

الاكرة حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسري في جسدك فاذا فرغت وحاق الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك اخذ الملك يونان الجوكان من الحكيم ومسكه بيده وركب الجواد ورمى الاكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وقد قبض كفه على قبضة الجوكان ومازال يضرب الاكرة ويسوق خلفها ويضربها حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى الدواء من القبضة وعرف الحكيم دوبان ان الدواء سرى في جسده فامره بالرجوع الى قصره ودخول الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وامر ان يخلوا له الحمام فاخلوه له وتسارعت اليه الفراشين وتسابقت المماليك وعبوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه من داخل الحمام وخرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من امر الملك يونان واما ما كان من امر الحكيم دوبان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك واستاذن عليه فامره بالدخول فدخل وقبل الارض بين يديه واشار الى الملك بهذه الابيات وانشد مترنما يقول

سمت الفضائل اذ دعيت لها ابا	واذا دعى يوما سواك لها ابى
يا صاحب الوجه الذي انواره	تمحو من الخطب الجسيم غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا	اذ لم يزل وجه الزمان مقطبا
اوليتني من فضلك المنن التي	فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
ورميت مالك بالندى في مهلك	حتى بلغت من المعالي ما ربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه واعتنقه واجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية وكان الملك لما خرج من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيئا من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضاء ففرح الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما اصبح الصباح ودخل الى الديوان وجلس على سرير ملكه قامت اليه الحجاب واكابر الدولة ودخل عليه الحكيم دوبان فلما رآه قام اليه مسرعا واجلسه بجانبه واذا بموائد الطعام الفاخرة وضعت فاكل صحبته ومازال عنده ينادمه

طول نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم دوبان الفين دينارا غير الخلع و
الانعام واركبه جواده فانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه
ويقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولا دهنني بدهان فوالله ما هذه
الا حكمة بالغة فيجب لهذا الرجل الانعام والاكرام وان اتخذه جليسا وانيسا
مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحانا بصحة جسمه وخلاصه
من مرضه فلما اصبح خرج الملك يونان وجلس على كرسيه ووقفت ارباب دولته
وجلست الامراء والوزراء عن يمينه ويساره فعند ذلك طلب الملك يونان
الحكيم دوبان فدخل عليه وقبّل الارض بين يديه فقام له الملك واجلسه
بجانبه واكل معه وحياه واخلع عليه واعطاه ولم يزل يحدثه الى ان
اقبل الليل فرسم له بخمس خلع والف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو
شاكر من الملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد احدقت به
الامراء والوزراء والحجاب قال الراوي وكان للملك وزير بشع المنظر نحس
لئيم بخيل حسود وهو يحب الحسد فلما رأي الوزير الملك قرب الحكيم دوبان
واعطاه هذا الانعام حسده الوزير واضمر له الشر كما قيل في المعنى ما خلا
جسد من حسد وقالوا الظلم كمين في النفس القوة تظهره والضعف يخفيه ثم
ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبّل الارض بين يديه وقال له يا ملك
العصر والاوان انت الذي نشأت في احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان
اخفيتها منك اكون ابن زنا فان امرتني ان ابديها ابديتها لك فقال
الملك وقد ازعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قالت
القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك
على غير صواب وقد انعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد
احسن اليه واكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وانا اخشى على الملك فقال
له الملك وقد انزعج وتغير لونه عمن تزعم والى من تشير قال له الوزير
ان كنت نائما استيقظ فانا اشير الى الحكيم دوبان فقال المـ[illegible]ـلك هذا
صديقي وهو اعز الناس عندي لانه داواني بشيء قبضته بيدي وابرأني
من مرضي الذي عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان
ولا في الدنيا غربا ولا شرقا وانت تقول عنه هذا المقال وانا من

اليوم ارتب له الرواتب والجرايات واعمل له في كل شهر الف دينار ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا وما اظن انك تقول ذلك الاحسدا كما بلغني عن الملك السندباد فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة

قالت لها اختها اتمي لنا حديثك ان كنت غير نائمة فقالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره ايها الوزير انت داخلك الحسد من اجل هذا الحكيم وتريد قتله بعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد على قتل الباز فقال الوزير العفو يا ملك الزمان وكيف كان ذلك فقال الملك

حكاية الملك السندباد

حكي والله اعلم انه كان ملك من ملوك الفرس وكان يحب الفرج والتنزه والصيد والقنص وكان مربي باز لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكان طول الليل شائله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وعامل له طاسة من الذهب معلقة في رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بامير الوخشة يقول يا ملك الزمان هذا اوان الخروج للصيد فامر الملك بالخروج واخذ الباز على ايده وساروا الى ان وصلوا الى واد وضربوا حلقة الصيد واذا بغزالة وقعت في حلقة الصيد فقال الملك كل من نطت الغزالة فوق دماغه قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة دخلت لبيت الملك وثبتت على رجليها وحطت يديها على صدرها كانها تبوس الارض للملك فطاطا الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت للبر فظل الملك رأى العسكر يتغامزون عليه فقال يا وزير ماذا يقول العسكر فقال يقولون انك قلت كل من نطت الغزالة فوق راسه يقتل فقال الملك وحياة راسي لاتبعها حتى اجي بها فطلع الملك تابع الغزالة ولم يزل وراءها الى جبل من الجبال فارادت ان تعبر الغار فسيب الباز وراءها فصار يلطشها في عينيها الى ان اعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها قلبها ونزل ذبحها وسلخها وعلقها في قربوس السرج وكانت

ساعة قيالة وكانت الغابة مقفرة لم يوجد فيها ماء فعطش الملك وعطش الحصان فدور الملك فرأى شجرة نازلا منها ماء مثل السمن وكان الملك لابس كفوف من جلد السرادق فاخذ الطاسة من رقبة البازو ملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالباز لطس الطاسة قلبها فاخذ الطاسة ثانيا واخذ النقط النازلة حتى ملاءها وظن ان الباز عطشان فوضعها قدامه فلطسها قلبها فانقبض الملك من الباز وقام ثالث مرة وملاء الطاسة وقدمها للحصان فقلبها الباز بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا ايشم الطيور احرمتني من الشرب واحرمت نفسك واحرمت الحصان وضرب الباز بالسيف رمى اجنحته فصار الطير يقيم راسهُ ويقول بالاشارة انظر الذي فوق الشجرة فقام الملك عينيه فرأى فوق الشجرة فرخ افعة وهذا سمها فندم الملك على قص اجنحة الباز وقام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة الى ان وصل الى الوطاق بمتاعه فاعطى الغزالة الى الطباخ وقال له خذ شوها و جلس الملك على الكرسي والباز على يده ففهق الباز مات فصرخ الملك حزنا واسفا على قتل الباز وكونه خلصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له ايها الملك العظيم الشان وما الذي نعله من الضرورة ولا رأيت منه سؤا وانما افعل هذا شفقة عليك ولاجل ان تعلم صحة ذلك والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك قال الملك يونان وكيف كان ذلك ❊

حكاية الوزير المحتال

فقال الوزير اعلم ايها الملك ان وزيرا كان لبعض الملوك وكان له ولد مولع بالصيد والقنص وكان معه وزير لابيه قد امره ابوه الملك ان يكون معه اينما توجه وقد كان يوما من بعض الايام خرج الولد الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فسار واجميعا فنظروا الى وحشي كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحشي فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب منه الوحشي في البرية لا يعرف اين يروح ولا اين يسير واذا بجارية على راس الطريق وهي تبكي فقال لها ابن الملك من انت قالت انا بنت ملك من ملوك الهند وكنت في البرية فادركني النعاس فوقعت من على

الدابة ولم اعلم بنفسي نصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته واردفها وسار حتى مر بخرابة فقالت له الجارية يا سيدي اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى الخرابة فعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهو لا يعلم بها فاذا هي غولة وهي تقول لاولادها يا اولادي قد اتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ايتينا به يا امنا حتى نرعاه في بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشي على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائف فقال ان لي عدوا وانا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن ملك قال لها نعم قالت له ما لك لا تدفع لعدوك شيئاً من المال ترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال الا بالروح وانا خائف منه وانا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم استعن بالله فانه يكفيك شره وشر ما تخاف منه فرفع ابن الملك راسه الى السماء وقال يا من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء اللهم انصرني على عدوي واصرفه عني انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى ابيه وحدثه بحديث الوزير فادعى الملك بالوزير وقتله وانت ايها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك شر القتلات الذي قد احسنت اليه وقربته منك يعمل على هلاكك اما ترى انه ابرأك من المرض من ظاهر الجسد بشيء مسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيء تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت يا وزير وقد يكون كما ذكرت ايها الوزير الناصح وان هذا الحكيم اتى جاسوسا في طلب هلاكي وان يكن ابرأني بشيء مسكته بيدي يقدر ان يهلكني بشيء اشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره ايها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل خلفه في هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه واغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقت ايها الوزير ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى

يا خائفا من دهره كن آمنا	سلم امورك للذي مد الثرى
ان المقدر كائن يا سيدي	فلك الامان من الذي ما قدرا

فلما دخل الحكيم على الملك انشد يقول

إذا لم أقم في بعض حقك بالشكر ... فقل لي لمن أعددت نظمي أو نثري
لقد جدت لي قبل السؤال بأنعم ... أتتني بلا مطل لديك ولا عذر
فمالي لا أعطي ثناءك حقه ... وأثني على جدواك في السر والجهر
سأذكر ما أوليتني من صنائع ... يخف بها همي وإن أثقلت ظهري

وايضا في المعنى

كن عن همومك معرضا ... وكل الأمور إلى القضا
وابشر بخير عاجل ... تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر متعب ... لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا

وقال ايضا في المعنى

سلم أمورك للطيف العالم ... وأرح فؤادك من جميع العالم
واعلم بأن الأمر ليس كما تشا ... بل ما يشاء الله أحكم حاكم

وقال ايضا في المعنى

طب وانشرح وانس الهموم جميعها ... إن الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا ... فاتركه تسلم في نعيم دائم

فقال الملك للحكيم دوبان أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب إلا الله تعالى فقال له الملك أحضرتك لأقتلك وأعدم روحك فتعجب الحكيم دوبان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلني وأي ذنب بدأ مني فقال له الملك قد قيل لي انك جاسوس وقد أتيت تقتلني وها أنا أقتلك قبل أن تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وارحنا من شره فقال الحكيم للملك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ما قلت لك ايها العفريت وانت لا تدعني الا تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم دوبان اني لا آمن الا ان اقتلك فانك ابرأتني بشيء مسكته بيدي فلا آمن ان تقتلني بشيء اشمه او غير ذلك فقال الحكيم ايها الملك هذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لا بد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قال في المعنى

إِنَّ مَيْمُونَةَ لَا عَقْلَ لَهَا تُقِهِ مَا مَشَى فِي يَابِسٍ أَوْ زَلَقْ	وَأَبُوهَا مِنْ ذَوِي الْعَقْلِ خُلُقْ مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرِ الْأَزَلِقْ

وبعد ذلك تقدم السياف وعصب عينيه واشهر سيفه وقال اذن والحكيم يبكي ويقول للملك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله وانشد يقول

نَصَحْتُ فَلَمْ أُفْلِحْ وَخَانُوا فَأَفْلَحُوا فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَنْصَحْ وَإِنْ مِتُّ فَانْعُوا	وَأَوْرَثَنِي نُصْحِي لِدَارِ هَوَانِ ذَوِي النُّصْحِ مِنْ بَعْدِي بِكُلِّ لِسَانِ

ثم ان الحكيم قال للملك هذا جزائي منك تجازيني مجازاة التمساح فقال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني ان اقولها وانا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال ايها الملك هب لي دم هذا الحكيم لاننا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رايناه الا ابرأك من مرضك الذي اعيى الاطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي هذا الحكيم وذلك لاني ان ابقيته فانا هالك لا محالة ومن ابرأني من المرض الذي كان بي بشيء مسكته بيدي فيمكن ان يقتلني بشيء اشمه فانا اخاف ان يقتلني ويأخذ على البرطيل لانه جاسوس وما جاء الا ليقتلني فلا بد من قتله وبعد ذلك امن على نفسي فقال الحكيم ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له ايها الملك ان كان ولا بد من قتلي فامهلني ان انزل الى داري واوصي اهلي وجيراني يدفنوني وابرئ نفسي واهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص اهديه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وما في ذلك الكتاب قال فيه شيء لا يحصى واقل ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت راسي وفتحت ثلاث ورقات وتقرأ ثلاثة اسطر من الصفحة التي على يسارك فان الراس يكلمك ويجاوبك بجميع ما سالته عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له ايها الحكيم اذا قطعت راسك تكلمني قال نعم ايها الملك فقال الملك هذا امر عجيب ثم ان الملك ارسله في الترسيم فنزل الحكيم الى داره وقضى اشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم طلع للديوان ووقف قدام الملك في الترسيم ومعه كتاب عتيق

ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فاتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال ايها الملك خذ هذا الكتاب ولا تفتحه حتى تقطع رأسي فاذا قطعته فاجعله في ذلك الطبق وامر بكبسه على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمه ينقطع ثم افتح الكتاب ثم ان الملك امر بضرب رقبته فاخذ الكتاب منه وقام السياف وضرب رقبته فطاح الراس في وسط الطبق وكبسه على الذرور فانقطع دمه ففتح الحكيم دوبان عينيه وقال افتح الكتاب ايها الملك ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحط اصبعه في فمه وبله بريقه وفتح اول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ستة اوراق ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايها الحكيم ما فيه شيء مكتوب فقال الحكيم افتح زيادة على ذلك ففتح ثلثة اخر فما كان الا قليل من الزمان الا والدواء حاق فيه لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزعزع الملك وصاح وقال حاق في الدواء وانشد الحكيم دوبان يقول

تحكموا واستطالوا في تحكمهم	وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى	عليهم الدهر بالآفات والمحن
واصبحوا ولسان الحال ينشدهم	هذا بذاك ولا عتب على الزمن

قال فلما فرغ راس الحكيم كلامه سقط الملك من وقته ميتا فاعلم ايها العفريت انه لو ابقى الملك يونان الحكيم دوبان لابقاه الله ولكن ابى وطلب قتله فقتله الله وانت ايها العفريت لو ابقيتني لابقاك الله فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة

قالت لها اختها دنيازاد اتممي لنا حديثك فقالت ان اذن لي الملك فقال لها قولي قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصياد قال للعفريت لو ابقيتني كنت ابقيتك لكن ما اردت الا قتلي فها انا اقتلك بحبسك في هذا القمقم والقيك في هذا البحر فصرخ المارد وقال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل وابقيني انت ولا تواخذني بعملي فاذا كنت انا مسيئا كن

انت محسنا وفي الامثال السائرة يا محسن لمن اساء كفى المسئ فعله ولا تعمل كما عملت امامة مع عاتكة فقال الصياد وما عملت امامة مع عاتكة فقال العفريت ما هذا وقت حديث وانا في هذا السجن حتى تطلقني وانا احدثك به فقال الصياد خل عنك هذا الكلام لا بد من القائك في البحر ولا سبيل الى اخراجك ابدا فاني كنت اتدخل عليك واتضرع اليك وانت لا تريد الا قتلي بغير ذنب استوجبه منك ولا فعلت معك سوأ ابدا واني ما فعلت معك الاخيرا لكوني اخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمت انك ردي الفعل واعلم اني اذا رميتك في هذا البحر لاجل كل من طلعك يرميك ثاني مرة اخبره بما جرى لي معك و احذره وتقيم في هذا البحر الى آخر الزمان حتى تهلك قال له العفريت اطلقني فهذا وقت المروءة وانا اعاهدك لم اعص عليك ابدا وانفعك بشئ يغنيك قال فاخذ عليه الصياد العهد انه اذا اطلقه لا يوذيه الا انه يعمل معه الجميل فلما استوثق منه وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد القمقم فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا سويا فرفص القمقم رماه في البحر فلما راه الصياد رمى القمقم في البحر ايقن بالهلاك وشرشر في ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوي قلبه وقال ايها العفريت قال الله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ وانت قد عاهدتني وحلفت انك لم تغدر بي يغدرك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وانا قلت لك مثل ما قال الحكيم دوبان للملك يونان ابقني يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال ايها الصياد اتبعني فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة ومشى الى ان خرجوا الى ظاهر المدينة وطلع الى الجبل ونزل الى برية متسعة واذا هما ببركة ماء فنزل في وسطها وقال للصياد اتبعني فتبعه الى وسط البركة فوقف العفريت وامر الصياد ان يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة فرأى فيها السمك الملون الابيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه اخرج شبكته وطرحها وجذبها فوجد فيها اربع سمكات كل بلون فلما رآهم الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بهم الى السلطان وقدمهم اليه فانه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذري فانني في هذا الوقت لم اعرف طريقا وانا في هذا البحر مدة الف وثمانمائة عام

مارأيت ظاهر الدنيا الا في هذه الساعة ولاتصطادمن هذه البركة الامرة واحدة كل يوم وودعه وقال له لاتوحشني الله ثم دق الارض برجله فانشقت الارض وبلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مماجرى له مع العفريت وكيف كان ثم اخذ السمك ودخل الى منزله واخذ ماجورا ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور في الماء وحمل الماجور فوق راسه وقصد به قصر الملك كما امره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك وقدم له السمك فتعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذي قدمه الصياد ولاراى في عمره صفته ولاشكله فقال الملك اعطوا هذه السمك للجارية الطباخة قال وكانت هذه الجارية اهداها له ملك الروم منذ ثلثة ايام وهو لم يجربها في طبيخ فامر الوزير ان تقليهم فقال لها ياجارية الملك يقول لك ما نبتليك يادمعتي الا لشدتي فرجينا اليوم على صنعتك وحسن طبيخك وان السلطان اتى له واحد بهدية ورجع الوزير بعد ما اوصاها وامره ان يعطي الصياد اربع ماية دينار فاعطاه الوزير اياها فاخذها في حجره وراح يجري الى بيته وهو يقع ويقوم ويعثر ويظن ان ذلك مناما ثم اشترى لعياله مايحتاجون اليه ودخل على زوجته وهو فرحان مسرور هذا ماكان من امر الصياد واما ماكان من امر الجارية فانها اخذت السمك ونظفتها ونصبت الطاجن ثم انها ارخت السمك فما هو الا استوى وجهه وقلبته على الوجه الثاني واذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منه صبية مليحة القد اسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف وهي لابسة كوفية حرير بهداب ازرق وفي اذنيها حلق وفي معاصمها زوج اساور وفي اصابعها خواتم بالفصوص الجواهر الثمينة وفي يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب في الطاجن وقالت ياسمك انت على العهد مقيم فلما رأت الجارية ذلك غشي عليها والصبية اعادت القول ثانيا وثالثا والسمك شالوا روسهم من الطاجن وقالوا بلسان فصيح نعم نعم ثم انشد يقول

إِنْ عُدتِ عُدنَا وَإِنْ وَافَيتِ وَافَينَا	وَإِنْ هَجَرتِي فَإِنَّا قَد تَكَافَينَا

فعند ذلك اقلبت الصبية الطاجن وخرجت من موضع ما اتت والتحم الحائط كما كان ثم افاقت الجارية من غشوتها فرأت الاربع سمكات محروقين مثل الفحم الاسود فقالت من اول غزواته انكسرت عصاته ووقعت على الارض مغشيا عليها وفيما هي على هذا الحال اذا جاء الوزير فراها الدربيس لا تعرف السبت من الخميس فحركها برجله فافاقت وبكت واعلمت الوزير بالقصه وبالذي جرى فتعجب الوزير وقال ما هذا الا امر عجيب ثم انه ارسل خلف الصياد فاتوا به فصرخ عليه الوزير وقال له ايها الصياد جي لنا باربع سمكات مثل الذي جئت بها فخرج الصياد الى البركة وطرح الشبكة وجذبها واذا باربع سمكات مثلهم فاخذهم وجابهم الى الوزير فدخل بهم الوزير الى الجارية وقال لها قومي اقليهم قدامي حتى أري هذه القضية فقامت الجارية واصلحتهم وعلقت الطاجن وطرحتهم فيه فما استقر السمك في الطاجن الا والحائط قد انشق والصبية ظهرت وهي في هيئتها الاولى وفي يدها القضيب فغرزته في الطاجن وقالت يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيم واذا بالسمك الجميع قد شالوا رؤسهم وقالوا هذا البيت السابق وهو

ان عُدتَ عُدنا وان وافيتَ وافينا	وان هجرتم فانّا قد تكافينا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما تكلم السمك وقلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من موضع ما جاءت والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا امر لا يجب اخفاؤه على الملك ثم انه تقدم الى الملك واخبره بالقصة وبما شاهده قدامه فقال الملك لا بد اني انظر بعيني فارسل خلف الصياد وامره ان ياتي باربع سمكات مثل الاول ثم انه رسم عليه ثلثة ثم ان الصياد نزل واتى له بالسمك في الحال فامر الملك ان يعطوه اربع مائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له قم انت واقل السمك هنا قدامي فقال الوزير سمعا وطاعة فاحضر الطاجن وهيا السمك

وركب الطاجن على النار ورمى فيه السمك واذا بالحائط قد انشق وخرج منه عبد اسود كانه طود من الاطواد او من بقية قوم عاد وفي يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام مزعج يا سمك يا سمك انتم على العهد القديم مقيمين والسمك شالوا رؤسهم من الطاجن وقالوا نعم نعم نحن على العهد

إِنْ عُدتَ عُدْنَا وَإِنْ وَافَيتَ وَافَيْنَا	وَإِنْ هَجَرْتُمْ فَإِنَّا قَدْ تَكَافَيْنَا

واقبل العبد على الطاجن وقلبه بالغصن الذي في يده وخرج من موضع ما اتى فنظر الوزير والملك الى السمك فرأوه صار مثل الفحم فاندهل الملك وقال هذا امر لا يمكن السكوت عنه وان هذا السمك له شان فامر الملك باحضار الصياد فلما حضر قال له الملك ويلك من اين هذا السمك فقال له من بركة بين اربع جبال تحت هذا الجبل الذي بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وامر بخروج العسكر وركوب الجيش من وقته والصياد معه قدامه يلعن العفريت الى ان طلعوا الجبل ونزلوا الى برية متسعة لم يروها مدة عمرهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون فنظروا تلك البرية والبركة في وسطها بين اربع جبال والسمك فيها اربعة الوان احمر وابيض واصفر وازرق فوقف الملك وتعجب وقال للعسكر ولمن حضر هل احد منكم رأى هذه البركة فقالوا لا ابدا يا ملك الزمان مدة عمرنا فسألوا من الطاعنين في السن فقالوا عمرنا ما رأينا هذه البركة في هذا المكان فقال الملك والله لا ادخل مدينتي ولا اجلس على تخت ملكي حتى اعرف امر هذه البركة وهذا السمك ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبال ثم دعى بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فحضر بين يديه فقال له اني احببت ان اعمل شيئا واخبرك به وخطر ببالي ان انفرد بنفسي في هذه الليلة وابحث عن خبر هذه البركة وهذا السمك فاجلس انت على باب خيمتي وقل للامراء والوزراء والحجاب والنواب وكل من سأل عني ان السلطان متوعك وامرني ان لا اعطي احدا دستورا بالدخول عليه ولا تعلم احدا بقصدي فما قدر الوزير ان يخالفه ثم ان الملك غير حليته وتقلد بسيفه وتسلق من على واحد من الجبال ومشى بقية ليلة الى الصباح ثم مشى يومه كله وقد اشتد عليه الحر بمشيه يومه وليلته ثم مشى الليلة

الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعيد ففرح وقال لعلي اجد من يخبرني بقضية البركة والسمك فتقرب فوجد قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد وبابه فردة مفتوحة وفردة مغلوقة ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق دقا مزعجا فلم يجبه احد فقال لا شك انه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليز وصرخ وقال يا اهل القصر رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شيء من الزاد واعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى نفسه وثبت جنانه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه احدا غير انه مفروش بالحرير والانطاع المكوكبة والستائر المرخاة وفي وسط القصر رحبة واربعة اواوين ومصطبة وايوان قبال ايوان وشاذروان وفسقية عليها اربع سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من افواهها كالدر والجوهر ودائر القصر طيور وعلى القصر شبكة من الذهب تمنعهم من الطلوع ولم ير احدا فتعجب الملك وتاسف لكونه لم ير احدا يستخبر منه عن تلك البرية والبركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بانين من كبد حزين وهو يترنم ويقول شعر

أَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ مِنْكِ وَقَدْ ظَهَرْ ... وَالنَّوْمُ مِنْ عَيْنِي تَبَدَّلَ بِالسَّهَرْ

يَا دَهْرُ لَا تُبْقِي عَلَيَّ وَلَا تَذَرْ ... هَا مُهْجَتِي بَيْنَ الْمَشَقَّةِ وَالْخَطَرْ

مَا تَرْحَمُونَ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ فِي ... شَرْعِ الْهَوَى وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرْ

كُنَّا نَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمُ ... لَكِنْ إِذَا نَزَلَ الْقَضَا عَمِيَ الْبَصَرْ

مَا حِيلَةُ الرَّامِي إِذَا الْتَقَتِ الْعِدَا ... وَأَرَادَ يَرْمِي السَّهْمَ فَانْقَطَعَ الْوَتَرْ

وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَى الْفَتَى ... أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنَ الْقَضَا وَمِنَ الْقَدَرْ

فلما سمع السلطان الانين نهض قائما وتبع الحس فوجد سترا مرخى على باب مجلس فشال الستر فرأى خلفه شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان فصيح وجبين ازهر وخد احمر

وشامة على كرسي خده كقرص عنبر كما قال الشاعر

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ	تُمْسِي الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ	كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

ففرح الملك حين رآه وسلم عليه والصبي جالس وعليه قباء حرير بطرائز من الذهب المصري وفوق راسه تاج مكلل بالجواهر ولكنه عليه اثر الحزن فسلم عليه الملك فرد عليه باحسن سلام وقال يا سيدي انت اعز من القيام ولي المعذرة فقال الملك قد عذرتك ايها الفتى وانا ضيف عندك واتيتك في حاجة مهمة اريد تخبرني عن هذه البركه وعن هذا السمك وعن هذا القصر وعن سبب وحدتك فيه وسبب بكاك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خدوده وبكى بكاء اشديدا حتى غرق صدره ثم انشد يقول

قُولُوا لِمَنْ نَامَ وَالْأَيَّامُ لَهُ رَامَتْ	كَمْ اَقْعَدَتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ كَمْ قَامَتْ
إِنْ كُنْتَ نِمْتَ فَعَيْنُ اللّٰهِ مَا نَامَتْ	لِمَنْ صَفَا الْوَقْتُ وَالدُّنْيَا لِمَنْ دَامَتْ

ثم تنفس الصعداء وانشد

سَلِّمِ الْأَمْرَ اِلَى رَبِّ الْبَشَرْ	وَاتْرُكِ الْهَمَّ وَدَعْ عَنْكَ الْفِكَرْ
لَا تَقُلْ فِيمَا جَرَى كَيْفَ جَرَى	كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ

فتعجب الملك وقال له ما يبكيك ايها الشاب فقال كيف لا ابكى وهذه حالتي ومد يده الى اذياله فرفعها واذا هو نصفه التحتاني حجر الى قدميه ومن سرته الى شعر راسه بشر فلما رأى الملك الشاب بهذه الحالة حزن حزنا عظيما وتأسف وتأوه وقال يا فتى لقد زدتني هما على همي كنت اطلب السمك وخبره وصرت الآن اسأل من خبره وخبرك فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عجل علي يا فتى بثبت الحديث فقال اعطني سمعك وبصرك فقال الملك ان سمعي وبصري حاضر فقال الشاب ان لهذا السمك ولي امر عجيب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الملك

وكيف ذلك فقال يا سيدي اعلم ان والدي كان ملك هذه المدينة وكان
اسمه محمود صاحب الجزائر السود وهو في هذه الجبال الاربعة فاقام في الملك
سبعين عاما ثم توفي والدي وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمي وكانت
تحبني محبة عظيمة بحيث اني اذا غبت عنها لا تاكل ولا تشرب حتى تراني
عندها فقعدت في صحبتي خمس سنين الى يوم من بعض الايام راحت الى
الحمام فامرت الطباخ ان يسرع لنا في شيء ويجهز لنا عشاء وطعاما ثم دخلت
هذا القصر ونمت موضع ما ننام وامرت جاريتين ان تجلس عندي واحدة
على راسي والثانية عند رجلاي وقد تشوشت لغيابها ولم ياخذني نوم
غير ان عيني مغمضة ونفسي يقظانة فسمعت الجارية التي عند راسي تقول
للتي عند رجلاي يا مسعودة مسكين سيدنا شبابه ويا خسارته مع ستنا الملعونة
القحبة فقالت لها نعم لعن الله النساء الخائنات الزانيات ولكن مثل سيدنا
وشبابه لا يصلح لهذه القحبة كل ليلة تنام برا فقالت التي عند راسي سيدنا
ابكم مطعوم لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك هو سيدنا عنده علم او هي
تخليه في اختياره الا تعمل له في قدح الشراب الذي تشربه كل ليلة قبل المنام
وتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجري ولم يعلم اين تذهب ولا اين تروح
فبعد ما تسقيه الشراب تلبس اثوابها وتعطرت وتخرج من عنده تغيب الى
الفجر وتاتي اليه وتبخر عند انفه بشيء فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام
الجواري صار الضياء في وجهي ظلاما وما صدقت ان الليل اقبل فجاءت
بنت عمي من الحمام فمدينا السماط واكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم
كالعادة ثم دعت بالشراب الذي اشربه عند المنام فناولتني الكاس فامرقتها
وجعلت اني اشربه مثل عادتي ودلقته في جيبي ورقدت في الوقت والساعة
وصرت اخطر كاني نائم واذا هي قالت نم ليلتك لا تقم ابدا والله كرهتك
وكرهت صورتك وملت نفسي من عشرتك ولا ادري متى يقبض الله روحك
ثم قامت ولبست افخر ثيابها وتبخرت واخذت سيفي وتقلدت به وفتحت
ابواب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت في اسواق
المدينة الى ان انتهت الى باب المدينة فتكلمت بكلام لا افهمه فتساقطت
الاقفال وانفتح الباب وخرجت وانا خلفها وهي لا تشعر حتى انتهت الى بين

الكيمان وانت الى الخص فيه قبة مبنية بطوب ولها باب فدخلت وتسلقت انا على سطح القبة واشرفت عليهم واذا ابنت عمي قد دخلت على عبد اسود له شفة كالقطاو شفة كالوطا وشفة تلقط الرمل على الحصا وهو مبتلى وراقد على قش قصب لابس هدمة وشراميط خلقة فقبلت الارض بين يديه فشال ذلك العبد راسه اليها وقال لها ويلكي ايش كان قعادك الى هذه الساعة كانوا عندنا بنوا اعمامنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بصبيته وانا ما رضيت اشرب من شانك فقالت يا سيدي وحبيبي وقرة عيني ما تعلم اني متزوجة بابن عمي وانا اكره صورته وابغض صحبته ولولا اني اخشى على خاطرك ما كنت تركت الشمس تطلع الا ومدينته خراب يزعق فيها البوم والغراب وياويها الثعالب والديابة وانقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبي يا ملعونة وانا احلف وحق فتوة السودان ولا تكون مروتنا مروة البيضان ان من هذا اليوم ان بقيتي تقعدي الى هذا الوقت لا اصاحبك ولا الزق جسدي على جسدك يا ملعونة تلعبي بنا شقف لكف نحن على شهوتك يا منتنة يا كلبة يا اخس البضيان قال فلما سمعت كلامه وانا انظر واري واسمع ما جرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما وما عرفت روحي في اي موضع انا وبنت عمي واقفة تبكي عليه وتتذلل له وتقول للعبد يا حبيبي وثمرة فوادي اذا غضبت علي من يبقيني واذا طردتني من يوويني يا حبيبي يا نور عيني وما زالت تبكي وتتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت وقلعت ثيابها ولباسها وقالت يا سيدي ما عندك ما تاكل جاريتك فقال لها اكشفي اللقن تحته عظام فيران مطبوخة فكليها وقومي لهذه القوارة فيها تقيلة مزر فاشربيها فقامت واكلت وشربت وغسلت يديها وفمها وجاءت رقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التى فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من على القبة ودخلت واخذت السيف الذي جاءت به بنت عمي وهممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضى عليه وادرك

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاجل ان اقطع رأسه لم اقطع الوريدين بل قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت اني قتلته فشخر شخيرًا عاليا فتحركت بنت عمي فرجعت الى خلفي ورديت السيف الى موضعه واتيت الى المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي الى الصباح واذا ابنت عمي جاءت ونبهتني واذا بها قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمي لا تعارضني فيما افعل فانه بلغني ان والدتي توفيت وان والدي قتل في الجهاد واخوتي احدهم مات ملسوعا والآخر مات مرتديا فيحق لي ان ابكي واحزن فلما سمعت كلامها سكتت عنها وقلت افعلي ما بدا لك فاني لم اخالفك فقعدت في حزن وبكى وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لي اريد ان تبني لي في قصرك مدفنا مثل القبة وافرده للحزن واسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلي ما بدا لك فبنت لها بيتا للحزن وبنت في وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وانزلته فيه وهو بقي لا ينفعها ابدا بنافعة لكن يشرب الشراب ومن يوم جرحته ما تكلم الا ان اجله ما فرغ وصارت كل يوم تاتيه بكرة وعشيا تنزل الى القبة وتبكي وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق بكرة وعشية ولم تزل على هذا الحال الى ثاني سنة وانا اطول روحي عليها ولا التفت اليها الى يوم من الايام دخلت عليها على غفلة منها فوجدتها تبكي وتقول لما تغيبت عن ناظري يا نزهة خاطري حدثني يا روحي كلمني ياحبيبي وانشدت تقول شعر

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوَى اِنْ سَلَوْتُمْ	فُؤَادِي وَقَلْبِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمْ
خُذُوا اَعْظُمِي وَالرُّوحَ اَيْنَ سَرَيْتُمْ	وَاَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفِنُونِي حِذَاكُمْ
وَنَادُوا بِاِسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ	اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ اِصْغَا صَدَاكُمْ

ثم انشدت وهي تبكي

فيَوْمُ الأَمَانِي يَوْمُ فَوْزِي بِقُرْبِكُمْ	وَيَوْمُ المَنَايَا يَوْمُ إعْرَاضِكُمْ عَنِّي
إذَا بِتُّ مَرْعُوبًا أُهَدَّدُ بِالرَّدَى	فَوَصْلُكُمُ عِنْدِي أَلَذُّ مِنَ الأَمْنِ

ثم قالت وانشدت

لَوْ أَنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ	وَكَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا وَمُلْكُ الأَكَاسِرَةْ
لَمَا سَوِيَتْ عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	إذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَةْ

قال صاحب الحديث فلما فرغت من كلامها وبكائها قلت لها يا بنت عمي يكفيكي من الحزن فما يغنيكي من البكاء ما بقي ينفع قالت لاتتعرض لي فيما اعمله وان اعترضت لي قتلت نفسي فسكتت عنها وسلمت اليها حالها فلم تزل في حزن وبكاء وتعديد سنة اخرى وبعد السنة الثالثة دخلت يوما من الايام وانا مغتاظ لحادث عرض لى وقد طال بي هذ العناء الشديد فوجدتها نحو الضريح داخل القبة وهي تقول يا سيدي لا اسمع منك ولا كلمة واحدة يا سيدي لما لا ترد علي جوابا ثم انشدت تقول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ	أَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ المَنْظَرُ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا أَنْتَ لِي أَرْضٌ وَلَا فَلَكٌ	فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيكَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ

فلما سمعت كلامها وشعرها ازددت غيظا على غيظى وقلت اواه الى كم ذا الحزن وانشدت اقول

يَا قَبْرُ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَسَاخِمُهُ	أَمْ زَالَ مِنْكَ ضِيَاكَ المَنْظَرُ القَذِرُ
يَا قَبْرُ مَا أَنْتَ لَا حَوْضٌ وَلَا قَذَرٌ	فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيكَ الفَحْمُ وَالكَدَرُ

فلما سمعت كلامي وثبت قائمة وقالت ويلك يا كلب انت الذي فعلت معي هذا الفعل وجرحت معشوق قلبي واوجعتني وشبابه وله ثلث سنين لا هو ميت ولا هو حي فقلت لها يا اقذر القحبات واوسخ المنيوكات العشاقات العبيد المبرطلات نعم انا فعلت ذلك ثم اني اخذت سيفي وجردته في كفى وصوبت عليها لاقتلها فلما سمعت كلامي ورأتني مصمما على قتلها ضحكت

وقالت تخسأ يا كلب هيهات ان يرجع ما فات او تحيي الاموات لقد امكنني الله ممن فعل بي هذا وكانت في قلبي منه نار لا تطفأ ولهيب لا يخفى ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا افهمه وقالت اخرج بسحري نصفك حجر ونصفك بشر ثم اني صرت كما تري وبقيت لا اقوم ولا اقعد ولا انا ميت ولا انا حي فلما صرت هكذا اسحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا اربعة صنوف مسلمين ونصارى ويهود ومجوس فسحرتهم سمكا فالابيض المسلمون والاحمر المجوس والازرق النصارى والاصفر اليهود وسحرت الجزائر الاربع اربعة جبال محيطة بالبركة ثم انها كل يوم تضربني وتعذبني بالسوط مائة ضربة حتى يسيل دمي وتنهري اكتافي ثم تلبسني ثوب شعر صفة اللباس على نصفي الفوقاني وتلبسني هذه الثياب الفاخرة من فوق ثم ان الشاب بكى وانشد يقول

صبراً لحكمك يا إلهي والقضا	انا صابر إن كان فيه لك الرضا
جاروا علينا واعتدوا وتجبروا	فلعلني الفردوس ان نتعوضا
قد ضقت بالأمر الذي قد نالني	فتوسلتي بالمصطفى والمرتضى

قال فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال ايها الشاب زدتني هما على همي بعد ان فرجت عني غمي ولكن يا فتى اين هي واين المدفن الذي فيه العبد المجروح فقال الشاب ان العبد في القبة في مدفنه راقد وهي في ذلك المجلس الذي يحاذي الباب تجيء مرة في كل يوم عند ما تطلع الشمس فاول ما تجيء تاتي الي وتجردني من ثوابي وتضربني بالسوط مائة جلدة وانا ابكي واصيح ولا لي حركة ادفعها عن نفسي ثم بعد ان تعاقبني تنزل للعبد بالشراب والمسلوقة تسقيه وغدا من باكر تجيء قال الملك والله يا فتى لافعلن معك معروفا اذكر به ويورخونه الى اخر الزمان ثم جلس الملك يحدثه معه الى ان اقبل الليل وناما فقام الملك في وقت السحر وتجرد من اثوابه وسل سيفه ونهض الى المحل الذي فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل والبخورات والادهان وسار يقصد العبد حتى اتاه

وضربه ضربة فقتله وحمله على ظهره ورماه في بئر كانت في القصر ثم نزل والتف باثواب العبد ورقد داخل الضريح والسيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة اتت الملعونة الساحرة فاول ما دخلت جردت ابن عمها من ثيابه واخذت سوطا وضربته فقال اواه يكفيني ما انا فيه يا بنت عمي ارحميني يا بنت عمي فقالت كنت انت رحمتني وابقيت لي معشوقي وضربت تعبت وسال الدم من جنوبه ثم البسته اللباس الشعراني والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة مسلوقة ونزلت في القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني وانشدت تقول هذه الابيات

حتى متى هذا الصدود وذا الجفا	أو ما جرى من ادمعي ما قد كفا
فلكم تطيل الهجر لي متعمدا	ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت يا سيدي كلمني وحدثني والملك خفض صوته وعقد لسانه وتكلم بكلام السودان وقال اواه اواه لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها ثم انها استفاقت وقالت يا سيدي هو صحيح والملك اضعف صوته وقال يا ملعونة انتي تستاهلي من يكلمك ويحدثك قالت ما سببه قال سببه انك بطول النهار تعاقبي زوجك وهو يستغيث واحرمني النوم من العشا الى الصباح ويتضرع ويدعو علي وعليكي وقد اقلقني واضرني ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه وريحينا فقالت سمعا وطاعة وقامت وخرجت من القبة الى القصر واخذت طاسة وملأتها ماء وتكلمت عليها بكلام فغلت الطاسة وبقبقت وصارت تغلي كما يغلي القدر على النار ورشته بها وقالت بحق ما تلوته وقلته ان كنت صرت هكذا بسحري ومكري فاخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى واذا بالشاب انتفض وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت في وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة ونزلت وقالت يا سيدي اخرج لي حتى انظر الى صورتك الجميلة فقال لها الملك بكلام ضعيف ايش عملتي ارحتيني من الفرع ولم تريحيني من الاصل فقالت يا حبيبي يا سويدي ما هو الاصل قال ويلك يا ملعونة اهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل تشيل السمك رؤسها وتستغيث وتدعو عليّ وعليكِ فهو سبب منع عافيتي فروحي خلصيهم عاجلا وتعالى خذي بيدي واقيميني فقد توجهت لي العافية فلما سمعت كلام الملك وهي تظنه العبد وهي فرحانة فقالت يا سيدي على راسي وعيني بسم الله ثم نهضت وقامت وهي مسرورة تجري وخرجت الى البركة واخذت من مائها قليلا فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية الساحرة لما اخذت من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تراقصت السمك وشالت رؤسها وقامت في الحال وانفك عن اهل المدينة السحر وصارت المدينة عامرة والبياعون تبيع وتشتري وصار كل واحد في صناعته ورجعت الجزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة جاءت الى الملك في الحال وقالت له يا حبيبي ناولني يدك الكريمة وقم فقال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت حتى التصقت والملك شل سيفه في يده وضربها في صدرها فخرج السيف يلمع من ظهرها ثم ضربها شقها نصفين ورماها على الارض شطرين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا في انتظاره فهناه بالسلامة وقبل يده وشكره فقال له الملك انت تقعد في مدينتك او تجي معي الى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان اتدري ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب ايها الملك ان كنت نائما استيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة كاملة للمجد المسافر وما اتيت في يومين ونصف الا لان المدينة كانت مسحورة وانا ايها الملك لا افارقك لحظة عين ففرح الملك ثم قال الحمد

لله الذي من علي بك وانت ولدي لاني طول عمري لم ارزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر وامر الملك الذي كان مسحورا ارباب دولته ان يتجهزوا للسفر ويهيوا اسبابه وجميع ما يحتاج اليه الحال فشرعوا بالتجهيز مدة عشرة ايام وخرج هو والسلطان وقلبه ملتهب على مدينته كيف يغيب عنها ثم انهم سافروا ومعه خمسين مملوكا وهدايا عظيمة وما زالوا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة وكتب الله لهم بالسلامة حتى وصلوا الى المدينة وارسلوا اعلموا الوزير بوصول السلطان وسلامته فخرج الوزير والعساكر بعد ما قطعوا الاياس من الملك فاقبل العسكر وقبلوا الارض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسي فاقبل الوزير عليه فاعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة واستقر الحال فانعم السلطان على ناس كثير وقال الملك للوزير علي بالصياد الذي كان اتانا بالسمك فارسل الى الصياد الذي كان سبب الخلاص اهل المدينة فاحضر واخلع عليه وسأله عن حاله وهل له اولاد فاخبره ان له بنتين وولد فارسل الملك احضرهم وتزوج ببنت واعطى الشاب البنت الاخرى وجعل الولد خازندار ثم قلد الوزير وارسله سلطانا الى المدينة الشاب التي هي الجزائر السود وارسل معه خمسين مملوكا الذين جاؤا معه واعطاه من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج وسافر في وقته وساعته واستقر السلطان والشاب والصياد قد صار اغنى اهل زمانه واولاده صارت زوجات الملوك الى ان اتاهم الممات وما هذا باعجب مما جرى للحمال

حكايت الحمال والثلث بنات

فانه كان رجل من الحمالين في مدينة بغداد وكان عزبا فبينما هو في بعض الايام واقف في السوق متكيا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفتة بازار موصلي بحرير مخف مزركش بحاشية قصب وبشريط لاعب فوقفت وشالت شعريتها فبان من تحتها عيون سود بهدب اجفان ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف فالتفتت الى الحمال وقالت بكلام عذب فصيح هات قفصك واتبعني

فما صدق الحمال في الكلام حتى اخذ القفص واسرع وقال يا نهار السعادة يا نهار التوفيق وتبعها الى ان وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني فاعطته دينارا واخذت منه مروقة زيتونية فحطتها في القفص وقالت شل واتبعني فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ونهار سعيد بالقبول فشال القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهاني واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا ونوفرا شاميا وخيارا اقلاميا وليمونا مرابيا ونارنجا سلطانيا ومرسينا ريحانيا وتمرحنا واقحوانا وشقايق النعمان وبنفسجا وجلنارا ونسرينا وحطت الجميع في قفص الحمال وقالت شل فشال وتبعها فوقفت على الجزار وقالت له اقطع عشرة ارطال لحم فقطع لها واعطته الثمن ولفته في قرطاس موز وجعلته في القفص وقالت شل يا حمال فشال وتبعها فاتت الصبية ووقفت على النقلي واخذت منه قلب فستق ما يصلح للنقل وزبيب تهامي وقلب لوز وقالت للحمال شل واتبعني فشال القفص وتبعها الى ان وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقا وعبت فيه من جميع ما عنده من مشبك وقطايف بالمسك ومحشية وصابونية واقراص ليمونية ومموونية وامشاط زينب واصابع ولقيمات القاضي واخذت من جميع اصناف الحلاوة في طبق وحطته في القفص فقال لها الحمال كنتي اعلميني لاتيت معي الكريش تحمل عليه هذه الخوشكات فتبسمت وضربت بيدها على قفاه وقالت له اسرع في مشيئك وخل عنك الكلام الكثير واجرك حاصل ان شاء الله تعالى ثم وقفت على العطار واخذت منه عشرة امواه ماء ورد وماء زهر وماء نوفر وماء خلاف واخذت ابلوجين سكر واخذت قزيزة ماء ورد ممسك وحصا لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا واخذت شمعا اسكندرانيا وحطت الجميع في القفص وقالت شل قفصك واتبعني فشال القفص وتبعها به الى ان اتت الى دار مليحة وقدامها رحبة فسيحة عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بدرفتين من الابنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب وادارت النقاب عن وجهها ودقت دقا لطيفا والحمال واقف وراءها وهو لم يزل يتفكر في حسنها وجمالها واذا بالباب قد انفتح وتشرعت الدرفتين فنظر الحمال الى من فتح لها الباب واذا بها خماسية القد بارزة النهد ذات حسن وجمال وبهاء وكمال

وكمال قدّ واعتدال بجبين ازهر وخد احمر وعيون تحاكي المها والغزلان وحواجب مثل قوس هلال شعبان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان وشفيهات حمر كالمرجان وسنينات كاللؤلو المنضد والاقحوان وعنق كانه للغزلان وصدر كانه شاذروان ونهدين كانهما نخلتي رمان وبطن مدبج وسرة تسع اوقية من دهن البان كما قال فيه الشاعر

أُنْظُرْ إِلَى شَمْسِ الْقُصُورِ وَبَدْرِهَا	وَإِلَى خَزَامَتِهَا وَبَهْجَةِ زَهْرِهَا
لَمْ تَلْقَ عَيْنُكَ أَبْيَضًا فِي أَسْوَدٍ	جَمَعَ الْجَمَالَ كَوَجْهِهَا مَعَ شَعْرِهَا
مُحْمَرَّةَ الْوَجَنَاتِ يُخْبِرُ حُسْنُهَا	عَنْ إِسْمِهَا إِنْ لَمْ يُحِطْ بِخَبَرِهَا
وَتَمَايَلَتْ فَضَحِكْتُ مِنْ أَرْدَافِهَا	عَجَبًا وَلَكِنِّي بَكَيْتُ لِخَصْرِهَا

قال فلما نظر الحمال اليها سلب عقله ولبه وكاد القفص ان يقع من على راسه ثم قال ما رأيت عمري ابرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للخوشكاشة ادخلي من الباب وحطي عن هذا الحمال المسكين فدخلت الخوشكاشة ووراءها البوابة والحمال ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مهندسية مليحة ذات تراكيب وعقودات وكشك وسدلات وخرسانات وخزائن عليها ستور مرخيات وفي وسط القاعة بركة كبيرة ملآنة ماء اوفيها فسقية وفي صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالجوهر مرخي عليه ناموسية اطلس احمر ازرارها لؤلؤ قدر البندق واكبر وبرزت من داخلها صبية بطلعة مضيئة وبهجة رضيه واخلاق فيلسوفيه بخلقة قمرية وعيون بابلية وقسي حواجب محنية وقامة الفية ونكهت عنبرية وشفيفات عقيقية سكرية ووجه يخجل بنوره الشمس المضيئة وهي كانها بعض الكواكب العلوية او قبة من الذهب مبنية اوعروسة مجلية اولية عربية كما قال فيها الشاعر حيث قال

كَأَنَّمَا تَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ	مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحِ
وَطُرَّةٍ كَاللَّيْلِ مَسْدُولَةٍ	وَبَهْجَةٍ تُخْجِلُ ضَوْءَ الصَّبَاحِ

قال فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت مهلا الى ان صارت صارت في وسط القاعة عند اخواتها وقالت ما وقوفكم حطوا عن راس هذا المسكين الحمال فجاءت الخوشكاشة من قدام والبوابة من خلفه وساعدتهم الثالثة وحطوا القفص عن الحمال وافرغوا ما في القفص ووضعوا كل شيء في محله واعطوا الحمال دينارين وقالوا له توجه يا حمال فنظر الى الصبايا وما هم فيه من الحسن والطبايع الحسان فما نظر احسن منهم وما عندهم رجال ونظر ما عندهم من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب وتوقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لم لا تروح انت كانك استقليت الاجرة ثم التفتت الى اختها وقالت لها اعطيه دينارا اخر فقال الحمال والله يا ستي ما استقليت الاجرة واجرتي ما تساوي درهمين وانما اشتغل قلبي وسري بكم وكيف انتم وحدكم ما عندكم رجال ولا احد يونسكم وانتم تعرفون ان المادية لا تقف الا على اربعة وما لكم رابع وما يطيب لعب النساء الا بالرجال كما قيل شعر

اما ترى اربعا للهو قد جمعت	جنك وعود وقانون ومزمار
ووافقتها من المشموم اربعة	ورد واس ومنثور ونوار
وليس يحسن ذا الا باربعة	خمر وروض ومعشوق ودينار

وانتم ثلثة وتحتاجون الى رابع ويكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فلما سمعوا كلامه اعجبهم وضحكوا عليه وقالوا ومن لنا بذلك ونحن بنات نخاف نودع السر لمن لا يحفظه وقد قرأنا في بعض الاخبار ما قاله ابن التمام شعر

صن السر جهدك ولا تودعه	فمن اودع السر قد ضيعه
فصدرك بسرك ان لم يسع	فكيف يسع صدر مستودعه

وفيه قال ابو نواس واجاد

من اطلع الناس على سره	استوجب الكية في جبهته

فقال الحمال فلما سمع كلامهم وحياتكم اني رجل عاقل امين قرأت الكتب وطالعت التواريخ اظهر الجميل واخفي القبيح والشاعر يقول في كلامه وانشد

مَا يَكْتُمُ السِّرَّ إلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ	وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ
السِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ	ضَاعَتْ مَفَاتِيحُهُ وَالْبَابُ مَخْتُومُ

فلما سمعوا البنات الشعر والنظام وما ابداه قلن له انت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازفنا به فنحن ما ندعك تجلس عندنا وتصير نديمنا وتشرف على وجوهنا الصباح الملاح حتى تورن جملة من المال اما سمعت صاحب المثل وقد قال محبة بلا حبه ما تساوي حبه فقالت البوابة معك شيء ياحبيبي انت شيء ما معك شيء روح بلا شيء فقالت الخوشكاشة يا اخوتي كفوا عنه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه معنا ومهما جاء عليه انا اوزنه عنه ففرح الحمال وقبل الارض وشكر فقالت صاحبة السرير والله ما ندعك تجلس عندنا الا بشرط وهو ان لا يسأل عما لا يعنيه وان تفاضل يضرب فقال الحمال رضيت ياستي على الراس والعين وها انا بلا لسان فقامت الخوشكاشة وشدت وسطها وصفت القناني وروقت المدام وعملت الخضرة على جانب الجرة واحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هي واختاها وجلس الحمال بينهن وهو يظن انه فى المنام ثم قدمت باطية المدام وملأت اول قدح وشربته والثاني والثالث ثم ملأت وناولت اختها الاخرى ثم ملأت وناولت الحمال وقالت

إشْرَبْ هَنِيئًا مُمَتَّعًا بِالْعَوَافِي	إنَّ هَذَا الشَّرَبَ لِلدَّاءِ شَافِي

فاخذ الكاس بيده وخدم وشكر وانشد يقول شعر

مَا تَشْرَبُ الْكَاسَ إلَّا مَعَ أَخِي ثِقَةٍ	وَطَاهِرِ الْأَصْلِ مَنْسُوبًا إلَى السَّلَفِ
فَالرَّاحُ كَالرِّيحِ إنْ هَبَّتْ عَلَى عَطِرٍ	طَابَتْ وَتُنْتِنُ إنْ مَرَّتْ عَلَى الْجِيَفِ

ثم قال

لَا تَشْرَبِ الرَّاحَ إلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَإٍ	يَحْكِيكَ فِي رِقَّةِ الْمَعْنَى وَيَحْكِيهَا

ثم انه بعد انشاده قبل ايديهم وشرب وسكر وتمايل وانشد يقول

شعر

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ	شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعُنْقُودِ
فَاسْقِنِيهَا فَدَتْكَ لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي	مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي

ثم ملأت القدح وناولتها لاختها الوسطى فاخذتها من يدها وشكرتها وشربت ثم ملأت وناولت لصاحبة السرير وملأت كاسا اخرى وناولتها الحمال فقبل الارض بين يديها وشكر وشرب وانشد يقول شعر

هاتها بالله هات من كؤس مترعات
واسقني منها بكاس انها ماء الحياة

ثم تقدم الى صاحبة المحل وقال ياستي انا عبدك ومملوكك وخدامك وانشد يقول

على الباب عبد من عبيدك واقف ... بجودك والاحسان مازال معترف
ايدخل ياذات المحاسن كي يرى ... جمالك اني والهوى غير منصرف

فقالت له طب نفسا واشرب هنيا وعافية تجري مجاري الصحة فاخذ الكاس وقبل يدها وترنم وانشد يقول

ناولتها شبه خديها معتقة ... صرفا كأن سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة ... فكيف تسقي خدود الناس للناس
قلت اشربي فهي من دمعي وحمرتها ... دمي وطابخها في الكاس انفاسي

فقالت مجيبة عليه شعر

ان كنت ياصاح من اجلي بكيت دما ... هات اسقنيها على العينين والراس

قال فاخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند اختها ومازالوا يشربون والحمال في وسطهم وهم في رقص وضحك وغناء واشعار وموشحات وصار الحمال معهم في هراش وبوس وعض وفرك وجس ولمس وخراع وهذه تلقمه وهذه تلكمه وهذه تلطمه وهذه بالمشموم تنزهه وهو معهم في الذ عيش كانه قاعد في الجنة بين حور العين ولم يزالوا كذلك حتى لعبت الخمرة في رؤسهم وعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من اثوابها وصارت عريانة وارخت شعرها عليها سترا وارمت نفسها في البحرة ولعبت في الماء وبطبطت وتفلت واخذت الماء في فمها ومجت على الحمال ثم غسلت اعضاها وبين افخاذها ثم طلعت

من الماء ورمت روحها في حجر الحمال وقالت له ياسيدي ياحبيبي ايش اسم
هذا واشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك فقالت ايه اما تستحي ومسكته
من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فصكته ثانيا على قفاه وقالت واي
واقبح ما تستحي فقال كسك فقالت ايه انت ما تستحي على عرضك ثم لكمته بيدها
وضربته فقال الحمال زنبورك فنزلت عليه الكبرى بالضرب وقالت له لا تقل
كذا فصار الحمال كلما قال باسم زادوه ضربا ولم يكن الا ان ذاب قفاه من الصك
وجعلوه اضحوكة بينهم الى ان قال وما اسمه عندكن فقالت حبق الجسور
فقال الحمال الحمد لله على السلامة طيب ياحبق الجسور ثم انهم دوروا الكاس و
والطاس وقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في حجر الحمال واومت
الى حرها وقالت يانور عيني ما اسم هذا قال فرجك قالت اما يقبح عليك وصكته
ضربة رنت بها القاعة فقالت له يوه يوه اما تستحي فقال حبق الجسور فقالت لا
والضرب والصك على قفاه وهو يقول رحمك كسك فرجك ندولك وهن يقلن لا
لا فقال حبق الجسور فالثلاثة ضحكوا حتى تلقوا على قفاهم ونزلوا سكا في رقبته
وقلن لا ما هو اسمه كذا قال يا اخوتي ما اسمه قلن السمسم المقشور ثم لبست
الجارية قماشها وجلسوا يتنادمون والحمال يتاوه من رقبته واكتافه فدارت
الكاس بينهم ساعة ثم قامت الكبيرة مليحتهم وتجردت من ثيابها فمسك الحمال
رقبته بيده ومرجها وقال في سبيل الله رقبتي واكتافي ثم تعرت الصبية والقت
نفسها في البركة ثم غطست ولعبت واغتسلت فنظر الحمال اليها عريانة كانها
فلقة قمر بوجه كالبدر اذا بدر او الصبح اذا اسفر ونظر الى قدها ونهدها
والى تلك الارداف الثقال التي تترجرج وهي عريانة كما خلقها ربها فقال اه اه
وانشد يخاطبها

ان قست قدك بالغصن الرطيب فقد	حملت قلبي اوزارا وعدوانا
فالغصن احسن ما نلقاه مكتسيا	وانت احسن ما نلقاك عريانا

فلما سمعت الصبية الابيات طلعت من البركه وجاءت وقعدت في حجره
واشارت الى هنها وقالت يا سويدي ايش اسم هذا قال حبق الجسور قالت
ده ده قال سمسم المقشور قالت اوه قال رحمك قالت يو يو ما تستحي وسكته في

قفاه وصار كلما قال لها اسمه كذا تسكه وتقول لا لا الى ان قال يا اخوتي وما
اسمه فقالت خان ابو منصور فقال الحمد لله على السلامة ها ها يا خان ابو منصور
وقامت الصبية ولبست ثيابها وعادوا الى ما كانوا عليه فدارت الكاس بينهم
ساعة ثم قام الحمال وخلع ثيابه ونزل في البحرة ورأوه عائما في الماء وغسل تحت
لحيته وابطه مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه في حجر البيست ورمى ذراعيه في
حجر البوابة ورمى رجليه وسيقانه في حجر الخشكاشة ثم اومى الى ذكره وقال
يا ستاتي ما اسم هذا فضحكوا الكل على كلامه حتى انقلبوا على قفاهم وقالت
الواحدة زبك قال لا واخذ من كل واحدة عضة قالوا ايرك قال لا واخذ من
كل واحدة حضنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة

قالت لها اختها دنيازاد اتمي لنا حديثك قالت حبا وكرامة بلغني ايها الملك
السعيد ان البنات ما زالوا يقولون للحمال زبك ايرك خازوقك وهو يبوس
ويعض ويعنق الى ان اشتفى قلبه منهن وهم يتضاحكون الى ان قالوا له يا اخينا
ما اسمه قال ما تعرفون ما اسمه قلن لا قال هذا البغل الكسور يرعى
حبق الجسور ويسف السمسم المقشور ويبات في خان ابو منصور فضحكوا حتى انقلبوا
على قفاهم وعادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل عليهم
فقالوا للحمال بسم الله يا سيدي قم والبس زرموجتك وتوجه وأورينا عرض
اكتافك فقال الحمال والله خروج الروح اهون من خروجي من عندكم دعونا
نصل الليل بالنهار وغداة كل منا يروح الى حال سبيله فقالت الخشكاشة
بحياتي عليكم دعوه ينام عندنا نضحك عليه فمن بقي يعيش حتى نجتمع على مثل
هذا فانه خليع ظريف فقالوا ما تبات عندنا الا بشرط ان تدخل تحت الحكم
ومهما رأيت لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقالوا قم واقرأ
الكتابة الذي على الباب فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب
من يتكلم فيما لا يعنيه يسمع ما لا يرضيه فقال الحمال اشهدوا على اني لا
اتكلم فيما لا يعنيني ثم قامت الخوشكاشة وجهزت لهم ماكولا فاكلوا ثم
اوقدوا الشموع والقناديل وغرسوا في الشموع العنبر والعود وقعدوا

على الشراب بمذاكرة الاحباب وقد غير واذ لك المقام بغيره وصفوا فاكهة طرية وكذلك المشروب ولازالوا في اكل وشرب ومنادمة ونقل وضحك و خداع ساعة من الزمان واذاهم بالباب يدق فلم يخرم نظامهم واذا بواحدة منهم انفردت على الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفانا في تلك الليلة قالوا وما ذلك قالت على الباب ثلثة اعجام قرندلية محلوقين الذقون والرؤس والحواجب وهم الثلثه عور بالعين الشمال وهذا من اعجب الاتفاق وهم كما قد حضروا من السفر الان وحالة السفر ظاهرة عليهم وقد وصلوا الى بغداد وهذا اول دخولهم بلدنا واما سبب دق الباب فانهم لم يجدوا موضعا يباتوا فيه فقالوا عسى صاحب هذه الدار يعطينا مفتاح الاسطبل اوخرابة نبات فيها الليلة فقد ادركهم المسا وهم غرباء ما يعرفون احدا يلتجئون اليه ويا اخوتي لكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فلم تزل تتلطف بهم حتى قالوا لها دعيهم يدخلوا واشرطي عليهم لايتكلموا فيما لايعنيهم فيسمعوا مالا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلثة عور محلقين الذقون والشوارب فسلموا وخدموا وتاخروا فقاموا لهم البنات ورحبوا وهنؤا بالسلامة وقعدوهم فنظروا القرندلية الى محل ظريف ومقام نظيف منظوم بخضرة وشموع توقد وبخور تصاعد ونقل وفواكه ومدام وثلث بنات ابكار فقالوا جميعهم والله طيب ثم التفتوا الى الحمال فوجدوه جدلان تعبان سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم وقالوا هو قرندلي مثلنا وهو غريب او عرب فلما سمع الحمال هذه الكلام قام وحملق عينيه لهم وقال لهم اقعدوا بلافضول اما قرأتم ما على الباب وما بالفقراء انتم كما وردتم علينا تطلقوا لسانكم فينا قالوا نحن نقول نستغفر الله يا فقير راسنا بين يديك فضحكوا البنات وقاموا اصلحوا بين القرندلية والحمال وقدموا للقرندلية الاكل فاكلوا ثم جلسوا ايتنادمون والبوابة تسقيهم ودار الكاس بينهم فقال الحمال للقرندلية وانتم يا اخواتنا ما معكم حكاية اونادرة تحكوها لنا فدبت عندهم الحرارة وطلبوا الات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا وعودا وجنكا عجميا فقاموا القرندلية فاصلحوا الآلات واخذ واحد منهم الدف والاخر العود والآخر الجنك وضربوا بها وغنوا والبنات صرخت حتى صار لهم حس عال

فهم كذلك واذا بالباب يطرق فقامت البوابة تبصر خبر الباب قالت شهرزاد
ايها الملك وكان السبب لدق الباب ان تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد
يتفرج ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته
وكان من عادته يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة وشق المدينة جاءت
طريقهم على تلك الدار فسمعوا الآلات والغنا فقال الخليفة لجعفر اشتهي ان
ندخل الى هذه الدار ونسمع هذه الاصوات ونرى اصحابها فقال جعفر يا
امير المؤمنين هولاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى ان يصيبنا منهم شر فقال
لا بد من دخولي واريد ك ان تحتال حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا و
وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فتقدم
جعفر وقبل الارض وقال يا ستي نحن ناس تجار من طبريه ولنا في بغداد عشرة
ايام وبعنا تجارتنا ونحن نازلين في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه
الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما فاكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة فاذن
لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي نحن فيه فلعل
من صدقاتكم ان تدخلونا هذه الليلة عندكم تبات ولكم الثواب فنظرت
البوابة اليهم وهم متقمشين كالتجار وعليهم الحشمة فدخلت لاخوتها وقالت
بحديث جعفر ونأسفوا عليهم وقالوا لها دعيهم يدخلون فردت وفتحت لهم
الباب فقالوا لها ندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر
ومسرور فلما راوهم البنات قاموا لهم واجلسوهم وخدموهم وقالوا
مرحبا واهلا بالضيوف ولنا عليكم شرط فقالوا وما هو قالوا لا تتكلموا
فيما لا يعنيكم تسمعوا ما لا يرضيكم فقالوا نعم ثم انهم جلسوا للشراب والمنادمة
فنظر الخليفة الى الثلثة القرندلية فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب من
ذلك ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واخذوا
في المنادمة والحديث فقالوا للخليفة اشرب فقال انا عازم على الحج فقامت
البوابة وقدمت شفرة مزركشة وانعدت عليها باطية صينية وقلبت فيها ماء
خلاف وادخلت فيها جمة ثلج وابلوج سكر فشكرها الخليفة وقال في نفسه
والله لاجزيها في غداة غد على فعلها من الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما
تحكم الشراب قامت الست وخدمتهم واخذت بيد الخشكاشة وقالت يا اختي

قومي نقضي ديننا فقالت الاختان نعم فعند ذلك قامت البوابة فدامهم وذلك بعد ان عزلت المقام ورمت القشور وغيرت البخور وعزلت وسط القاعة واطلعت القرندلية الى جانب الايوان على صفة واخذت الخليفة وجعفرا ومسرورا الى جانب القصر على صفة وصرخت على الحمال وقالت ما قل مودتك انت ما انت غريب انت من اهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ما تريدي فقالت تف مكانك ثم قامت الخشكاشة ونصبت في وسط القاعة كرسيا وفتحت خوشكانة وقالت للحمال ساعدني فرأى كلبتين سودا في رقابهم جنازير فقالت للحمال خذهم فاخذهم الحمال وخرج بهم الى وسط القاعة فقامت الصبية صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها واخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهم فقدمها وجرها في الجنزير والكلبة تبكي وتحركت راسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على راسها والكلبة تصرخ ولا زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها وضمت الكلبة لصدرها ومسحت دموع الكلبة بيدها وباست راسها ثم قالت للحمال خذها وهات الثانية فجابها وفعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وعيي صبره ليعرف خبر هذين الكلبين فغمز جعفرا فالتفت له وقال بالاشارة اسكت ثم التفت الصبية للبوابة فقالت لها قومي اقضي ما عليكي فقالت نعم ثم انها قامت وصعدت على السرير وهو من العرعر مصفح بصفائح الذهب والفضة ثم قالت للبوابة والخشكاشة هاتوا ما عندكم فقامت وجلست على كرسي بجانبها واما الخشكاشة فانها دخلت مخدعا وخرجت ومعها كيس اطلس بشراريط خضر وبشمستين ذهب ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس فاخرجت منه عود غناء فاصلحت اوتاره وشدت ملاويه واصلحته اصلاحا جيدا وانشدت تقول

هذه الابيات

انتم مرادي وقصدي	ووصلكم يا احبتي
فيه النعيم الدائم	والبعد عنكم نار
بكم جنوني وفيكم	تولهي طول الزمان

وَمَا عَلَيَّ إِذَا مَا أَحْبَبْتُكُمْ مِنْ عَارْ
تَهَتَّكَتْ أَسْتَارِي لَمَّا انْشَغَفْتُ بِحُبِّكُمْ
وَالحُبُّ مَا زَالَ يَهْتِكُ وَيَفْضَحُ الأَسْتَارْ
ثَوْبُ الضَّنَا قَدْ لَبِسْتُهُ فَبَانَ عُذْرِي وَانْفَضَحْ
مِنْ أَجْلِ ذَا فِي غَرَامِي قَلْبِي بِكُمْ يَخْتَارْ
جَرَتْ دُمُوعِي تَجْرِي فَبَانَ سِرِّي وَاشْتَهَرْ
لَمَّا فَشَتْ أَسْرَارِي بِدَمْعِيَ المِهْدَارْ
دَاوُوا اشْدَائِدَ أَمْرَاضِي وَأَنْتُمُ الدَّاءَ وَالدَّوَا
وَمَنْ دَوَاهُ مَعَكُمْ دَامَتْ بِهِ الأَضْرَارْ
ضِيَا جُفُونِكَ ضَنَى لِي قَتْلِي بِسَيْفِ صَبَابَتِي
وَكَمْ بِسَيْفِ المَحَبَّةِ قَدْ مَاتَتِ الأَخْيَارْ
لَا أَنْتَهِي عَنْ غَرَامِي وَلَا أَمِيلُ لِسَلْوَتِي
فَالحُبُّ طِبِّي شَرْعِي زَيْنِي فِي السِّرِّ وَالإِجْهَارْ
يَا سَعْدَ عَيْنٍ تَمَلَّتْ مِنْكُمْ وَفَازَتْ بِالنَّظَرْ
نَعَمْ وَقَدْ صَارَ قَلْبِي مُولَهًا مُحْتَارْ

قال فلما سمعت الصبية ذلك القصيد الرباعي قالت اه اه اه ثم شقت اثوابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فرأى الخليفة ضرب المقارع والكسارات فتعجب غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء عليها واتت لها ببدلة سنية والبستها فلما عاينوا الجماعة ذلك تكدر خاطرهم ولم يعلموا القصة ولا الخبر فعند ذلك قال الخليفة لجعفر ما تنظر الى هذه الصبية وكيف عليها وهذا الضرب فانا لا اقدر اسكت الان وقفت على

حقيقة الحال وخبر هذه الصبية وخبر الكلبتين السود فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا اننا لم نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قالت بالله يا اختي اوفيني واتيني فقالت الخوشكاشة حبا وكرامة واخذت العود واسندته الى نهديها وجسته بانا ملها وانشدت تقول

إِنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَمَاذَا نَقُولُ … أَوْ بَلَغْنَا شَوْقًا فَأَيْنَ السَّبِيلُ
أَوْ بَعَثْنَا رُسُلًا تُتَرْجِمُ عَنَّا … مَا يُؤَدِّي شَكْوَى الْمُحِبِّ رَسُولُ
أَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِيَ الْمُحِبُّ … بَعْدَ فَقْدِ الْأَحْبَابِ إِلَّا قَلِيلُ
لَيْسَ إِلَّا تَأَسُّفًا ثُمَّ حُزْنًا … وَدُمُوعًا عَلَى الْخُدُودِ تَسِيلُ
أَيُّهَا الْغَائِبِينَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِي … وَهُمُ فِي الْفُؤَادِ مِنِّي حُلُولُ
أَتَرَاكُمْ فَهَلْ عَلِمْتُمْ بِعَهْدِي … فَهُوَ طُولُ الْمَاءِ الْيَسِيرِ يَطُولُ
أَمْ تَنَاسَيْتُمُ عَلَى الْعَبْدِ صَبًّا … يَشْتَفِي فِيكُمُ الْبُكَاءُ وَالنُّحُولُ
أَهْ إِنْ ضَمَّنَا وَإِيَّاكُمُ الْحُبُّ … فَلِي مَعَكُمْ عِتَابٌ يَطُولُ

قال فلما سمعت القصيدة الثانية صرخت وقالت والله طيب وحطت يدها وشقت اثوابها كما فعلت الاولى ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فقامت الخشكاشة والبستها بدلة ثانية بعد ان رشت عليها الماء فقامت وجلست ثم قالت لاختها الخشكاشة زيديني واوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فاحضرت الخشكاشة العود وانشدت تقول هذه الابيات شعر

حَتَّى مَتَى هَذَا الصُّدُودُ وَذَا الْجَفَا … أَفَمَا جَرَى مِنْ أَدْمُعِي مَا قَدْ كَفَا
وَلَكَمْ تُطِيلُ الْهَجْرَ لِي مُتَعَمِّدًا … إِنْ كَانَ قَصْدُكَ حَاسِدِي فَقَدِ اشْتَفَى
لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ لِعَاشِقٍ … مَا بَاتَ سَهْرًا فِي هَوَاهَا مُذْ نَقَا
رِفْقًا عَلَيَّ فَقَدْ أَضَرَّ بِيَ الْجَفَا … يَا مَالِكِي مَا آنَ أَنْ تَتَعَطَّفَا

فلمن أبح صبابتي يا قاتلي ... يا خيبة الشاكي إذا قل الوفا
ويزيد وجدي فيكم وعبرتي ... ويطول أيام الصدود فخلفا
يا مسلمين خذوا بثار متيم ... ألف السهاد وربع صبره قد عفا
أيحل في شرع الهوى يا منيتي ... بعدي وغيري بالوصال مشرفا
ولاي دعة بالجوار تلذذا ... كم جهد من اهواه ان تتكلفا

قال فلما سمعت الصبية الثالثة قصيدتها صرخت وحطت يدها في اثوابها وشقتها الى الذيل ووقعت على الارض مغشيا عليها ثالث مرة فبان ضرب القارع فقالت القرندلية ليتنا لما دخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان فقد تعكر مقامنا بشيء يقطع القلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة ما انتم من هذا البيت قالوا لا ولا راينا هذا الموضع الا في هذه الساعة فتعجب وقال فيكون الرجل الذي عندكم يعرف خبرهم ثم غمز الحمال وسأله عن الاحوال فقال الحمال والله العظيم كلنا بالهوى سوي وانا نشوا ببغداد وعمري ما دخلت هذه الدار الا في هذا النهار وكان قعادي عندهم عجب فقالوا والله حسبنا انك منهم والان نراك نظيرنا ثم ان الخليفة قال نحن سبعة رجال وهم ثلثة نساء ليس لهم رابع فاسألوهم عن حالهم فان لم يجيبونا طوعا اجابونا كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأي دعوهم فنحن ضيوف عندهم وشرطوا علينا شرطا وقد قبلنا شرطهم كما علمتم فالاولى سكاتنا عن هذا الامر وقد بقي من الليل القليل وكل منا يمضي الى حال سبيله ثم غمز الخليفة وقال له ما بقي الا ساعة وفي غد نحضرهم بين يديك وتسألهم عن قصتهم فرفع الخليفة راسه وصرخ مغضبا وقال ما بقي لي صبر عن خبرهم فدع القرندلية يسألوهم فقال جعفر ما هذا رأيي فتفاوضوا في الكلام وكثر بينهم القال والقيل فيمن يسألهم قبل قالوا الحمال فقالت لهما الصبية يا جماعة لاي شيء تفوشوا فقام الحمال لصاحبة البيت وقال

لها ياستي ان هولاء الجماعة يحبون ان تحدثيهم بخبر الكلبتين وماقصتهم و
كيف انت تعاقبيهم وتعودي تبكي وتبوسهم واخبرهم عن اختك وضربها بالمقارع
مثل الرجال وهذا اسوالهم لك والسلام فقالت الصبية صاحبة المكان
للضيوف صحيح مايقول عنكم فقالوا الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية
كلامهم قالت والله لقد اذيتموني ياضيوفنا الاذية البالغة وتقدم لنا اننا
شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لايعنيه سمع مالا يرضيه وماكفاكم اننا ادخلناكم
منزلنا واطعمناكم زادنا وما لكم ذنب الذنب لمن اوصلكم الينا ثم شمرت
عن معصمها وضربت الارض ثلث ضربات وقالت عجلوا واذا بباب خرستانة
قد فتح وخرج منه سبع عبيد وبايديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا
هولاء الكثيرين الكلام واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا ايها المخدرة
ارسمي لنا بضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم
قبل ضرب رقابهم فقال الحمال ياستي الله ياستي لاتقتليني بذنب غيري
والجميع اخطؤا ودخلوا في الذنب الا انا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا
من هولاء القرندلية الذين لودخلوا مدينة عامرة اخربوها ثم يقول شعر

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ	لَاسِيَّمَا مِنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرِ
بِحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا	لَاتُفْسِدِ الْأَوَّلَ بِالْآخِرِ

فلما فرغ الحمال من شعره ضحكت الصبية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت من غيظها اقبلت على
الجماعة وقالت اخبروني بخبركم فما بقي من اعماركم الا ساعة ولولا انتم
عزيزين او اكابر قوم اوحكاما لما كنتم تجاريتم فقال الخليفة ويلك
ياجعفر اخبرها بنا والا قتلنا غلطا وحسن لها القول قبل ان يحل بنا المكروه

فقال جعفر من بعض ما تسنا هل فزعق عليه الخليفة وقال الهذل له وقت والجد له وقت هذا والصبية اقبلت على القرندلية وقالت لهم انتم اخوة قالوا لا والله ما نحن الا فقراء واعجام فقالت لواحد منهم انت ولدت اعور قال لا والله انا قد جرى لي حديث عجيب وامر غريب لما قلعت عيني ولي حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لصارت عبرة لمن اعتبر قال في سألت الثاني والثالث فقالوا مثل الاول وقالوا والله يا مولاتنا كل واحد منا من بلد وابن ملك وحاكم على بلاد وعباد فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكي على حكايته وما سبب مجيئه الى عندنا يملس على راسه ويروح الى حال سبيله فاول ما تقدم الحمال **فقال** ياستي انا رجل حمال حملتني هذه الخوشكاشة وجاءت بي من بيت النباذ الى دكان الجزار ومن دكان الجزار الى الفاكهاني ومن عنده الى النقلي ومن النقلي الى الحلواني والعطار ومنه الى هنا وجرى لي معكم ما جرى وهذا حديثي والسلام فضحكت الصبية وقالت له ملس على راسك وروح فقال والله ما اروح حتى اسمع حديث رفقائي فتقدم القرندلي الاول **وقال لها** ياستي اعلمي ان سبب حلق ذقني وقلع عيني ان والدي كان ملك وله اخ وكان اخوه ملك في مدينة اخرى واتفق ان امي ولدتني وولد ابن عمي في يوم واحد ومضت سنين واعوام وايام حتى كبرنا وكنت ازور عمي في كل قليل واقعد عنده اشهرا عديدة فاكرمني ابن عمي غاية الاكرام وذبح لي الاغنام وروق لي المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب منا قال لي ابن عمي يا ابن عمي لي اليك حاجة مهمة واريد ان لا تخالفني فيما اريد ان افعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق مني بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا وعاد وخلفه امراة متزرة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوي مبلغا عظيما فالتفت الي والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقني على الجبانة الفلانية ووصفها لي فعرفتها وقال لي ادخل بها الى التربة وانتظرني هناك فلم يمكنني المخالفة ولم اقدر ارد سؤاله لاجل اليمين الذي حلفته فاخذت المراة وسرت الى ان دخلت التربة انا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم انه اخذ القدوم وجاء الى

تبر في وسط التربة ففكه ونقل احجاره الى ناحية التربة ثم بحث بالقدوم في
ارض القبر ثم انكشف عن طابق حديد قدر الباب الصغير في الارض فشاله
فبان من تحته سلم معقود ثم التفت الى المراة وقال لها دونك وما تختاري
فنزلت المرأة من ذلك السلم فالتفت الي وقال يا ابن عمي تمام المعروف اذا
نزلت انا في ذلك الموضع رد الطابق ورد عليه التراب كما كان على الطابق
وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذي في الكيس وهذا الماء الذي في
الطاسة اعجن به الجبس ولبس القبر كما كان اولا في دائر الاحجار حتى لايراها
احد ويقول هذا فتح جديد وبطنه عتيق لان لي سنة كاملة وانا اعمل فيه
وما يعلم بي الا الله وهذه حاجتي اليك ثم قال لي لا اوحش الله منك يا ابن
عمي ثم نزل في السلم فلما غاب عن عيني قمت ورديت الطابق وفعلت ما
امرني به وبقي القبر كما كان وانا في خمار سكران ورجعت الى قصر عمي
وكان عمي في الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما اصبح الصباح تفكرت
الليلة الماضية وماجرى فيها على ابن عمي وندمت حيث لاينفع الندم
على ما فعلت معه وطاوعته فظننت انه كان مناما فاخذت اسأل عن ابن
عمي فما كان احد يجيبني عنه فخرجت الى المقابر والجبانة وفتشت على التربة
فلم اعرفها ولم ازل ادور تربة تربة وقبرا قبرا حتى اقبل الليل ولم اهتد عليها
فرجعت الى القصر ولم اكل ولم اشرب وقد اشتغل خاطري بابن عمي بحيث لا
اعلم له حالا فاغتممت غما شديدا فنمت ليلتي وبت مهموما الى الصباح
فجئت ثانيا الى الجبانة وانا افتكر فيما فعله ابن عمي وندمت على سماعي منه
وقد درت في الترب جميعا فلم اعرف تلك التربة وذلك القبر فدمت على
ذلك ودمت على هذا الحال سبعة ايام فلم اعرف لها طريقا فزادبي الوسواس
حتى كدت ان اجن فلم اجد فرجا دون ان سافرت ورجعت الى ابي فساعة
وصولي الى مدينة ابي نهض جماعة على باب المدينة وكتفوني فتعجبت كل العجب
وانا ابن سلطان المدينة وهم خدم ابي وغلماني فلحقني منهم خوف زائد
فقلت في نفسي يا ترى ماجرى على والدي واسأل الذين مسكوني عن سبب
ذلك فلم يردوا علي جوابا فبعد حين قال لي بعضهم وكان خادما عندي ان
اباك قد غدر به الزمان وخامر عليه العساكر وقتله الوزير وقعد مكانه

ونحن نترقب لك بامره فاخذوني وانا غائب عن الدنيا من هذه الاخبار التي سمعتها عن ابي فلما تمثلت بين يديه وكان بيني وبين الوزير عداوة قديمة وسبب تلك العداوة كنت مولعا بضرب قوس البندق واذا انا يوما من الايام واقف على سطح قصري واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا فاردت ان اضرب الطير واذا بالبندقة اخطأت وحطت في عين الوزير قلعتها بالقضاء والقدر كما قيل في بعض الامثال الماضية شعر

مَشَيْنَاهَا خُطًا كُتِبَتْ عَلَيْنَا	وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًا مَشَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ	فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

قال القرندلي فلما انقلعت عين الوزير لم يقدر يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بيني وبينه فلما وقفت قدامه وانا مكتف امر بضرب عنقي فقلت له باي ذنب تقتلني فقال اي ذنب اعظم من هذا واشار الى عينه المقلوعة فقلت له هذا فعلته خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فانا افعله عمدا ثم قال قدموه فقدموني بين يديه فمد اصبعه في عيني اليمنى قلعها فصرت من ذلك الوقت اعور كما تروني ثم كتفني وحطني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به الى بر المدينة واقتله ودع الوحوش والطيور تاكله فخرج بي السياف وسار حتى خرج من المدينة الى وسط البرية واخرجني من الصندوق وانا مكتف اليدين مغلول الرجلين واراد ان يعصب عيني ويقتلني بعد ذلك فبكيت بكاء شديدا حتى ابكيته ونظرت اليه وانشدت اقول هذه الابيات شعر

حَسِبْتُكُمْ دِرْعًا حَصِينًا لِتَمْنَعُوا	سِهَامَ الْعِدَا عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
وَكُنْتُ أُرَجِّيكُمْ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ	إِذَا أَعْوَزَتْ أَيْدِي الْيَمِينِ شِمَالَهَا
دَعُوا قِصَّةَ الْعُذَّالِ عَنِّي بِمَعْزِلٍ	وَخَلُّوا الْعِدَا يَرْمُوا عَلَيَّ نِبَالَهَا
إِذَا أَنْتُمُ لَمْ تَحْرُسُونِي مِنَ الْعِدَا	فَكُونُوا سُكُوتًا لَا عَلَيَّ وَلَا لَهَا

وقال

وقال ايضا شعر

وَاِخْوَانٌ حَسِبْتُهُمُ دُرُوعًا	فَكَانُوهَا وَلٰكِنْ لِلْاَعَادِي
وَخِلْتُهُمُ سِهَامًا صَائِبَاتٍ	فَكَانُوهَا وَلٰكِنْ فِي فُؤَادِي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف ابي ولي عليه الاحسان قال ياسيدي كيف افعل وانا عبد مامور ثم قال لي فز بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكني معك كما قال بعضهم شعر

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا اِنْ خِفْتَ ضَيْمًا	وَخَلِّي الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَاِنَّكَ وَاجِدٌ اَرْضًا بِاَرْضٍ	وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يَعِيشُ بِدَارِ ذُلٍّ	وَاَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةٌ فَلَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ	فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ خَلَاهَا
وَمَا غَلُظَتْ رِقَابُ الْاُسْدِ حَتّٰى	بِاَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مِنْ عَنَاهَا

فقبلت يديه وما صدقت بالنجاة وهان علي قلع عيني بنجاتي من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمي فدخلت عليه واعلمته بما جرى على والدي وبما جرى لي من قلع عيني فبكى بكاء اشديدا وقال لقد زدتني هما على همي وغما على غمي فان ابن عمك قد عدم ولا اعلم ما جرى عليه منذ ايام ولم يخبرني احد بخبره وبكى حتى اغمي عليه فحزنت عليه حزنا شديدا فاراد ان يحط على عيني دواء فراها صارت جوزة فارغة فقال يا ولدي بعينك ولا بروحك قال ولم يمكنني السكوت على ابن عمي الذي هو ولده فاعلمته بالذي جرى كله ففرح عمي بالذي قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال تمار في التربة فقلت والله ياعمي لم اعرف مكانها لاني رحت بعد ذلك مرارا وفتشت عليها فلم اعرف مكانها ثم اتيت انا وعمي الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت انا وعمي فرحا شديدا

ودخلت انا واياه التربة وشلنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت انا وعمي قدر خمسين درجة فلما وصلنا الى اخر سلم واذا بدخان طلع علينا حتى غشى ابصارنا فقال عمي كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ملآنة دقيقا ومن الحبوب والماكول وغير ذلك ورأينا في وسط القاعة بشخانة مرخاة على سرير فنظر عمي الى السرير فوجد ابنه والمرأة التي قد نزلت معه صارا فحما اسود وهما متعانقين كأنهما القيا في جب من نار فلما نظر عمي ذلك بزق في وجهه وقال تستاهل يا خنزير هذا عذاب الدنيا وبقي عذاب الاخرة اشد واقوى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي قال للصبية والجماعة يسمعون وجعفر والخليفة ثم ان القرندلي قال ان عمي ضرب ولده بالزربون وهو راقد فحم سود فتعجبت من فعله وحزنت على ابن عمي وكيف صار هو والصبية فحما اسود فقلت بالله يا عمي زول عن قلبك غصة لقد اشتغل سري وخاطري واغتميت بما قد جرى على ولدك وكيف بقي فحما اسود هو والصبية وما كفاهم ماهم فيه ضربته بالزربون فقال يا ابن اخي هذا ولدي من صغره مولع بحب اخته وكنت انهاه عنها واقول دول صغار فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم اصدق فمسكته وزجرته زجرا بليغا وقالوا له الخدام الحذر من هذه الفعال القبيحة التي ما فعلها احد قبلك ولا بعدك وتبقى بين الملوك بالمعيرة والنقصان الى اخر الزمان وتشيع اخبارنا مع الركبان واياك ان تصدر منك هذه الفعال فاني اسخط عليك واقتلك وحجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الملعونة تحبه محبة عظيمة وقد تحكم الشيطان وزين لهما اعمالهما فلما راني حجبته فعل هذه المكان الذي تحت الارض وسواه ونقل فيه الماكول كما تراه واستغفلني لما خرجت الى الصيد واتى هذا المكان فغار عليه الحق وعليها

واحرقهما وعذاب الآخرة اشد واقوى ثم بكى وبكيت معه ونظر الي وقال انت ولدي عوض عنه وتفكرت ساعة في الدنيا وحوادثها وكيف قتل الوزير والدي وجلس مكانه وقلع عيني وما تم على ولد عمي من الحوادث الغريبة ثم بكيت وبكى عمي معي ثم اننا صعدنا وردينا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا حس طبول وبوقات وكوسات ورمح ابطال وزمجر رجال وقعقعة اللجم وصهيل خيل وانطبقت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسألنا عن الخبر فقيل ان الوزير الذي اخذ مملكة ابيك جهز العساكر وجمع الجيوش واستخدم العربان وجاء نا بعساكر كعدد الرمال لا يحصى لهم عدد ولا يقوى لهم احد وقد هجموا المدينة على غفلة واهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه المدينة فقتل عمي وهربت انا بجانب المدينة وقلت انا متى وقعت في يده قتلني وتجددت علي الاحزان وتذكرت الحوادث التي جرت لابي وعمي وكيف العمل فان ظهرت عرفوني اهل المدينة وعسكر ابي فيكون قتلي وهلاكي فما وجدت شيئاً انجو به الا حلق ذقني وشواربي فحلقتهما وغيرت اثوابي وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة لعل احدا يوصلني الى امير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى احكي له وابث قصتي وما جرى لي فوصلت هذه المدينة الليلة فوقفت حائراً اين امضي واذا بهذا القرندلي واقف فسلمت عليه وقلت له غريب فقال وانا غريب فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاء الينا وسلم علينا وقال لنا غريب فقلنا له ونحن غرباء فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر الى عندكم وهذا سبب حلق ذقني وشواربي وقلع عيني فقالت الصبية ملس على راسك ورح فقال لها لا اروح حتى اسمع خبر غيري فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله ما رأيت ولا سمعت مثل الذي جرى لهذا القرندلي ثم تقدم القرندلي الثاني وقبل الارض **وقال** يا ستي انا ما ولدت اعور ولي حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وهي اني كنت ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب وعرضتها على مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت في

سائر العلوم حتى فقت اهل زماني وفاق خطي على سائر الكتبة وشاع ذكري في سائر الاقاليم والبلدان وعند سائر الملوك فسمع بي ملك الهند فارسل الى ابي يطلبني وارسل لابي هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزني ابي في ستة مراكب وسرنا في البحر مدة شهر كامل فوصلنا الى البر واخرجنا خيلا كانت معنا في المركب وشدينا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا واذا انا بغبار قد علا وثار حتى سد الاقطار وبعد ساعة من النهار انكشف الغبار وبان من تحته خمسون فارسا ليوث عوابس بحديد لوابس فتاملناهم واذاهم عرب قطاع طريق فلما رأونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة احمال هدايا لملك الهند دهجموا علينا وقدموا السنان بين ايدينا فاشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا في ارضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت انا بعد ان انجرحت جرحا بليغا واشتغلت عني العرب بالمال والهدايا التي كانت معنا فصرت لا ادري اين اذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا وسرت الى ان اتيت راس الجبل فاويت الى مغارة الى ان طلع النهار ولم ازل كذلك حتى وصلت الى مدينة امينة حصينة وقد ولى عنها الشتاء ببرده واقبل عليها الربيع بورده واطلعت ازهارها وتدفقت انهارها وتغردت اطيارها كما قال فيها الشاعر حيث وصفها

مَدِينَةٌ مَا بِهَا لِسَاكِنِهَا	مُرَوَّعٌ وَالْأَمَانُ صَاحِبُهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ	لِأَهْلِهَا قَدْ بَدَتْ عَجَائِبُهَا

قال ففرحت بوصولي اليها وقد تعبت من المشي وعلاني الهم والاصفرار فتغيرت حالتي ولا ادري اين اسلك فاجتزت خياطا في دكان فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي وانبسط معي وآنسني وسألني عن سبب غربتي فاخبرته بما جرى لي من اوله الى آخره فاغتم لاجلي وقال يا فتى لا تظهر ما عندك فاني اخاف عليك من ملك هذه المدينة وانه اكبر اعداء ابيك وله عنده ثار ثم احضر لي ماكولا ومشروبا فاكلت واكل معي وتحادثت

معه في الليل وافرد لي محلا الى جانب حانوتة وآتاني بما احتاج اليه من فراش ولحاف فاقمت عنده ثلثة ايام فقال لي ما تعرف صنعة تكتسب منها فقلت له اني فقيه عالم كاتب حاسب خطاط فقال صنعتك كاسدة في بلادنا وما في مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير الكسب فقلت والله لا ادري شيئا غير الذي ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فاسا وحبلا واحتطب من البرية حطبا تتقوت به الى ان يفرج الله عنك ولا تعرفهم بنفسك يقتلوك ثم اشترى لي فاسا وحبلا وسلمني الى بعض الحطابين واوصاهم علي فخرجت معهم واحتطبت نهاري كله فاتيت بحمل على راسي فبعته بنصف دينار فاكلت ببعضه وابقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة فبعد السنة اتيت يوما على عادتي الى البرية واستفرقت فيها فوجدت غوطة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الغوطة فوجدت اصل شجرة غليظة فحفرت حولها وازلت التراب عنها فعثرت الفاس في حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هي في طابق خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى اسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا من احسن البنيان مشيدة الاركان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفي عن القلب كل هم وغم وبلية كلامها يشفي المكروب ويترك العاقل اللبيب مسلوب خماسية القد قاعدة النهد ناعمة الخد مشرقة اللون مليحة الكون وقد اشرق وجهها في ليل الذوائب ولمع ثغرها على صفحات الترائب كما قال فيها الشاعر

دُجُوجِيَّةُ الفَرْعَيْنِ مَهْضُومَةُ الحَشَا ... كَثِيبِيَّةُ الأَرْدَافِ بَانِيَّةُ القَدِّ

وايضا

اَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعَتْ قَطُّ اِذَا ... اِلَّا عَلَى مُهْجَتِي وَسَفْكَ دَمِي

ضَوْءُ جَبِينٍ وَلَيْلُ طُرَّتِهِ ... وَوَرْدُ خَدٍّ وَضَوْءُ جِسْمٍ

فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما ابدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الي وقالت لي انت من تكون انسي ام جني فقلت لها انسي فقالت ومن اوصلك الى هذا المكان الذي لي فيه خمسة وعشرين سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا

فقلت وقد وجدت لكلامها عذوبة وقد اخذ بمجامع قلبي ياسيدتي اتاني منازلي لذهاب همي وغمي وحكيت لها ما جرى لي من الاول الى الآخر فصعب عليها حالي وبكت وقالت انا الاخرى اعلمك بقصتي اعلم اني بنت ملك افيتاموس صاحب جزيرة الابنوس وكان قد زوجني بابن عمي فليلة زفافي ختطفني عفريت اسمه جرجيس بن رجموس ابن خالة ابليس فطار بي ونزل في هذ المكان ونقل فيه كل ما احتاج اليه من الحلل والحلي والقماش والمتاع و الطعام والشراب وغير ذلك وفي كل عشرة ايام ياتيني مرة ينام هنا ليلة ثم يروح لحال سبيله لانه قد اخذني بغير رضىً من اهله وعاهدني اذا عرض لي حاجة ليلا او نهارا ان المس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة فما اشيل يدي الا واراه عندي وله اليوم اربعة ايام وبقى له ستة ايام حتى ياتي فهل لك ان تقيم عندي خمسة ايام وتنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ياحبذا ان صحت الاحلام ففرحت ونهضت على اقدامها فمسكتني من يدي وادخلتني من باب مقنطر وانتهت بي الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته قلعت ثيابي وقلعت ثيابها فغسلت وخرجت فجلست على مرتبة واجلستني الى جانبها واتت بسكر ممسك وسقتني ثم قدمت لي ماكولا فاكلنا وتحادثنا ثم قالت لي نم واسترح فانك تعبان فنمت ياسيدتي وقد نسيت ما جرى لي وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلي فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة فقالت والله كنت ضيقة الصدر وانا تحت الارض وحدي ولم اجد من يحدثني خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذي ارسلك لي ثم قالت يا فتى هل لك في الشراب فقلت افعلي فعمدت الى خزانة واخرجت شرابا عتيقا مختوما ونصبت خضرة فاخذت وانشدت تقول شعر

لو علمنا قدومكم لنثرنا	مهجة القلب او سواد العيون
وفرشنا خدودنا للقاكم	ليكون المسير فوق الجفون

فلما فرغت من شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها وقد ذهب همي وغمي وجلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري واصبحنا نتصل السرور بالسرور الى وسط النهار فسكرت سكرا حتى غبت عن الوجود فقمت متمائل

يمينا وشمالا وقلت لها يامليحة قومي اطلعك من تحت الارض واريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع واسكت ففي كل عشرة ايام يوم للعفريت وتسعة ايام لك فقلت وقد غلب علي السكر انا الساعة اكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب ودعي العفريت يجيء حتى اقتله فاني معود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي اصفرت لونها وقالت لي بالله لا تفعل وانشدت

إِنَّ شَيْئًا هَلَاكُ نَفْسِكَ فِيهِ	يَنْبَغِي أَنْ تَصُونَ نَفْسَكَ عَنْهُ

ثم انشدت تقول شعر

يَا طَالِبًا لِلْفِرَاقِ مَهْلًا اِصْبِرْ فَطَبْعُ الزَّمَانِ غَدْرُ	بِحِيلَةٍ سَابِقًا عِتَاقُ وَآخِرُ الصُّحْبَةِ الْفِرَاقُ

فلما فرغت من شعرها ولم التفت لكلامها وقد رفصت القبة رفصا قويا و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القرندلي الثاني قال الصبية ياسيدتي لما رفصت القبة رفصا قويا الا والاقطار قد اظلمت وارعدت وابرقت وهزهزت الارض واطبقت الدنيا فطار الكسر من راسي وقلت لها ما الخبر قالت العفريت قد وصل الينا ماحذرتك من هذا والله لقد آذيتني انج بنفسك واطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت مركوبي وفاسي فلما طلعت درجتين والتفت لانظر واذا بالارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ماهذه الزعجة التي ازعجتني بها مامصيبتك فقالت ما اصابني شيء غير ان صدري ضاق فاردت ان اشرب شرابا يشرح صدري فاستعملت قليلا واردت ان اقضي شغلا فثقلت على راسي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبي يا قحبة ونظر في القصر يمينا وشمالا فرأى المركوب والفاس فقال لها ما هذا الا لبس الانس من جاء الى عندك فقالت

ما نظرت هذا الا الساعة كانهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال ما ينطلي علي يا كورة ثم انه عراها وشبحها بين اربع سكك وجعل يعاقبها ويقررها فما كان ولا هان علي ان اسمع بكاها فطلعت من السلم وانا من الخوف ارجف فلما وصلت الى اعلا الموضع ورديت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وكيف لها خمسة وعشرون سنة وما جرى لها بسببي وافتكرت ابي ومملكته وكيف صرت حطابا وبعد ان صفا الوقت رجع تكدر عيشي فبكيت وقلت هذا البيت شعر

اِذَا مَا أَتَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ	فَيَوْمًا تَرَى يُسْرًا وَيَوْمًا تَرَى عُسْرًا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي لنار وهو لي في الانتظار فقال اني بت البارحة قلبي عندك وخفت عليك من وحش وغيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علي وقد خلت خلوتي وجعلت اتفكر فيما جرى لي ولمت نفسي على كثرة فضولي ورفصي هذه القبة وانا في هذا الحساب واذا بصديقي الخياط دخل علي وقال لي يا فتى برا شيخ عجمي يطلبك ومعه فاسك ومركوب رجلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم انا خرجت وقت اذان المؤذن الى صلوة الفجر فعثرت بهما ولم اعلم لمن هما دلوني على صاحبهما فدلوه الخياطين عليك وقد عرفوا فاسك وهو قاعد في دكاني فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك وترجيلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لوني وتغير كوني فبينما انا كذلك واذا بارض خلوتي انشقت وطلع منها العجمي واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فاخذ الفاس والترجيل وقال لها ان كنت جرجيس من ذرية ابليس فانا اجيء بصاحب هذا الفاس والترجيل ثم جاء في هذه الحيلة الى الحطابين ودخل علي ولم يمهلني بل اختطفني وطار وعلا بي ونزل وغاص في الارض وانا لا اعلم بنفسي ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه فرأيت الصبية عريانة مشبوحة والدم يسيل من اجنابها فذرفت عيناي بالدمع فاخذها العفريت وقال لها يا كورة اما هذا هو عشيقك فنظرت الي وقالت له لا اعرف هذا ولا رأيته الا في

هذه الساعة فقال لها العفريت وهذه العقوبة ولم تقري فقالت ما رأيته عمري وما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنتي لم تعرفيه خذي هذا السيف واضربي عنقه فاخذت السيف وجاءتني ووقفت على راسي فاشرت لها بحاجبي ودمعي يجري على وجنتي ففهمت اشارتي وغمزتني وقالت فعلت بنا كل هذا فاشرت لها ان هذا وقت العفو ولساني حالي يقول

يُتَرْجِمُ طَرْفِي عَنْ لِسَانِي نَتَعَلَّمُوا	وَيُبْدِي الْهَوَى مَا فِي ضَمِيرِي أَكْتُمُ
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَالدُّمُوعُ سَوَاجِمُ	خَرِسْتُ وَطَرْفِي عَنْكُمُ يَتَكَلَّمُ
تُشِيرُ فَأَدْرِي مَا تَقُولُ بِطَرْفِهَا	وَأُومِي إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ فَتَفْهَمُ
حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الْحَوَائِجَ بَيْنَنَا	وَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ

قال فلما فرغت من الشعر ياسيدتي رمت الصبية السيف من يدها وقالت كيف اضرب عنق من لا اعرفه ولا اساء علي ما يحل هذا في ديني وتاخرت فقال العفريت ما يهون عليك قتل محبوبك كونه نام معك ليلة تقاسي هذه العقوبة ولا تقري عليه وبعد هذا لا يحن على الجنس الا الجنس ثم التفت الي العفريت وقال يا انسي وانت ما تعرف هذه فقلت ومن تكون هذه وما رايتها قط الا في هذه الساعة قال فخذ هذا السيف واضرب عنقها وانا اطلقك تروح ولا انكد عليك واني اتحقق انك لا تعرفها ابدا فقلت نعم واخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدي فقالت لي بحاجبها اي ما قصرت معك اهكذا تقابلني ففهمت ما قالت واشرت اليها بعيني اني سافديك بروحي فكتب لسان حالنا حيث يقول

كَمْ عَاشِقٍ حَدَّثَ بِأَجْفَانِهِ	مَعْشُوقَهُ بِالَّذِي أَضْمَرَا
أَوْحَى إِلَيْهِ لَحْظُهُ بِالْعَيْنِ	إِنِّي عَلِمْتُ الَّذِي قَدْ جَرَى
فَمَا أَحْسَنَ اللَّحْظَ فِي وَجْهِهِ	وَمَا أَرْشَقَ الطَّرْفَ إِذْ عَبَّرَا
فَهَذَا بِأَجْفَانِهِ كَاتِبٌ	وَذَاكَ بِمُقْلَتِهِ قَدْ قَرَا

قال فهملت عيناي بالدموع ورميت السيف من يدي وقلت ايها العفريت

الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين ما استحلت ضرب عنقي فكيف يحل لي ان اضرب عنقها ولم ارها عمري فلا افعل ذلك ابدا ولو سقيت كاس الموت والردي فقال العفريت انتما تعرفا صنيعة بينكما انا اريكما عاقبة فعالكما فاخذ العفريت السيف وضرب يد الصبية قطعها ثم ضرب الثانية قطعها فقطع اربعتها باربع ضربات وانا انظر وايقنت بالموت وقد اشارت الي بعينها كالمودع ثم ان العفريت قال لها زنيتي بعينك وضربها طير راسها ثم التفت الي وقال يا انسي نحن في شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية خطفتها ليلة عرسها وهي بنت اثني عشر سنة ولم تعرف احدا غيري وكنت اجئ عندها في كل عشرة ايام ليلة واحدة وكنت اجيئها في زي رجل عجمي فلما تحققت انها خانتني قتلتها واما انت فلم اتحقق انك خنتني فيها ولكن لابد اني ما اخليك في عافية فتمن علي ففرحت يا سيدتي غاية الفرح وقلت وما اتمناه عليك قال تمن علي اي صورة اسحرك فيها اما صورة كلب او حمار او قرد فقلت وقد طمعت انه يعفو عني والله ان عفوت عني يعف الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يوذك وتضرعت غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له انا مظلوم فقال لا تطل علي الكلام ما بعد علي قتلك ولكن اخيرك فقلت ايها العفريت ان العفو عني هو اليق بك فاعف عني كما عفا المحسود عن الحاسد فقال العفريت وكيف كان ذلك فقلت

زعموا ايها العفريت انه كان رجلان في المدينة ساكنين في بيتين بحائط واحد ملصقين وكان واحدهما يحسد الآخر ويصيبه بعينه ويبالغ في اذيته وكل وقت يحسده وزاد به حسده حتى انه قلل في طعامه ولذيذ منامه والمحسود لا يزداد الا خيرا وكلما تغلب فيه زاد ونما وذكا فبلغ المحسود حسد جاره له واذيته له فرحل من جواره وابعد عن ارضه وقال والله لاهجرن الدنيا لاجله وسكن في مدينة اخرى واشترى له فيها ارضا وكان في تلك الارض بئر ساقية قديمة وعمر له بها زاوية واشترى له كل ما يحتاج اليها وعبد الله تعالى فيها واخلص عبادته وجاءته الفقراء والمساكين من كل جانب وشاع خبره في تلك المدينة ثم اتصل خبره بجاره الحاسد له بما وصل اليه من الخير وساروا

ايقصدون اليه اكابر المدينة فدخل الزاوية فتلقاه الجار المحسود بالرحب والسعة واكرمه غاية الإكرام فقال له الحاسد لي معك كلام وهو سبب سفري اليك واريد ابشرك فقم وامش معي في زاويتك فقام المحسود واخذ بيد الحاسد وتمشوا الى آخر الزاوية فقال الحاسد قل لفقرائك يدخلون الى خلواتهم فانا ما اقول لك الاسر بحيث لا احد يسمعنا فقال المحسود لفقرائه ادخلوا الى خلواتكم ففعلوا كما امرهم به ومشى به قليلا الى ان وصل به الى البئر القديم فدفع الحاسد المحسود فالقاه في البئر ولم يعلم به احد وخرج وراح في سبيله وظن انه قتله وكان البئر مسكونا من الجن فالتقوه قليلا قليلا واقعدوه على الصخرة وقال بعضهم لبعض تعرفون من هذا قالوا لا قال قائل منهم هذا الرجل المحسود الذي هرب من حاسده وسكن مدينتنا وانشأ هذه الزاوية وآنسنا بذكره وقراءته وقد سافر له الحاسد حتى اجتمع به وتحيل عليه حتى رماه عندكم وقد اتصل خبره في هذه الليلة الى سلطان هذه المدينة وعزم على زيارته في غداة لاجل بنته فقال بعضهم وما الذي بابنته قال بها جنون وقد تولع بها جنون ميمون بن دمدم ولو عرف دواءها لكان ابرأها ودواؤها اهون ما يكون قال بعضهم وما دواؤها قال القط الاسود الذي عنده في الزاوية في آخر ذنبه نقطة بيضاء بقدر الدرهم يأخذ منها سبع شعرات من الشعر الابيض فيبخرها بها فيروح المارد من على راسها ولا يعود اليها ابدا وتبرى لوقتها أيها العفريت هذا كله جرى والمحسود يسمع فلما اصبح الصباح وطلع الفجر ولاح جاء الفقراء الى الشيخ فوجدوه طالعا من البئر فعظم في اعينهم ولم يكن للمحسود دواء الا القط الاسود فاخذ من النقطة البيضاء التي في ذنبه سبع شعرات وشالهم معه وما طلعت الشمس الا والملك قد جاء في عسكره فتدخل هو واكابر دولته وامر بقية عسكره بالوقوف فلما دخل الملك على المحسود رحب به وقربه وقال له اكاشفك على ما جئتنه به قال نعم قال انك جئت تزورني وفي نفسك تسئلني عن ابنتك فقال الملك نعم ايها الشيخ الصالح فقال المحسود ارسل من يأتي بها وارجو ان شاء الله تعالى تبرأ في هذه الساعة ففرح الملك وارسل خلف ابنته وجاؤا بها وهي مكتفة مغللة فاجلسها المحسود وستر عليها

سترا واخرج الشعر وبخرها به فصاح الذي كان على راسها ومضى عنها و عقلت البنت على نفسها وسترت وجهها فقالت ما هذه الاحوال ومن جاء بي الى هذا المكان وفرح السلطان فرحا ما عليه من مزيد وقبل عينيها وقبل يدي الشيخ المحسود ثم انه التفت الى اكابر دولته وقال ماذا تقولون ما يستأهل من شفا ابنتي قالوا يتزوج بها قال صدقتم ثم زوجه بها وصار المحسود صهر الملك وبعد قليل مات الوزير فقال من نعمل وزيرا فقالوا صهرك فعملوا المحسود وزيرا وبعد قليل مات السلطان قالوا من نعمل ملكا قالوا الوزير فعملوا الوزير سلطانا وصار ملكا حاكما ففي يوم من الايام ركب مركبه وكان الحاسد مارا في طريقه واذا بالمحسود بدست مملكته بين امرائه ووزرائه وارباب دولته فوقعت عينه على حاسده فالتفت الى بعض وزرائه فقال ايتني بذلك الرجل ولا ترجفه فغاب واتاه بالحاسد جاره فقال اعطوه الف مثقال من خزانتي وعبوا له عشرين حملا من المتجر وأرسلوا معه حارسا يوصله الى بلده ثم انه ودعه وانصرف عنه ولا عاقبه على ما فعل به انظر ايها العفريت الى عفو المحسود الى الحاسد وكيف حسده في البداية ثم اذاه وسافر له ثم بلغ به الى ان رماه في البئر واراد قتله ولم يقابله على اذاه بل صفح عنه وعفا له ثم بكيت ايتها السيدة بين يديه البكاء الشديد الذي ما عليه من مزيد وانشدت

وَهَبِ الْجُنَاةَ فَلَمْ تَزَلْ أَهْلُ النُّهَى	يَهَبُونَ لِلْجَانِينَ مَا يَجْنُونَهُ
فَلَقَدْ حَوَيْتَ عَلَى الذُّنُوبِ بِأَسْرِهَا	فَاعْفُ مِنَ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ فُنُونَهُ
مَنِ ابْتَغَى عَفْوَ الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ	فَلْيَعْفُ عَنْ ذَنْبِ الَّذِي هُوَ دُونَهُ

فقال العفريت اما ان اقتلك واما العفو عنك فلا ولابد ان اسحرك ثم اقتلع بي من الارض وطار بي الى الجو حتى نظرت الى الدنيا تحتي كانها قصعة في وسط الماء ثم حطني على جبل واخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وعزم وطرشني به وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن ماية سنة فلما رايت نفسي في هذه

الصورة القبيحة بكيت على نفسي وصبرت على جور الزمان وعلمت ان الزمان ليس لاحد وقد انحدرت من على الجبل الى اسفل فوجدت براً متسعاً فسافرت مدة الشهر فانتهى بي السير الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا انا بمركب في وسط البحر وقد طاب ريحه وهو طالب البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البر وصبرت الى ان اتى المركب فنزلت فيه فقال واحد من الركاب اخرجوا هذا المشوم عنا فقال الرئيس نقتله وقال الآخر اقتله بهذا السيف فمسكت ذيل الرئيس وبكيت وسالت دموعي فحن علي الرئيس وقال يا تجار هذا القرد قد استجار بي وقد اجرته وهو في ذمامي فلا احد يعكر عليه ولا يشوش عليه ثم ان الرئيس صار يحسن الي ومهما تكلم به افهمه واقضي حوائجه كلها واخدمه في المركب فحبني ثم ان المركب طاب له الريح مدة خمسين يوماً فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم عظيم لا يحصي عددهم الا الله فساعة وصولنا وقف مركبنا واذا قد جاءت لنا مماليك من جهة ملك المدينة فطلعوا الى مركبنا وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد ارسل اليكم هذا الدرج الورق وكل واحد منكم يكتب فيه سطراً واحداً فان الملك كان له وزير خطاط وقد مات واقسم السلطان وحلف الايمان العظام بان لا يوزر الا من يكتب مثل خطه ثم ناول التجار درج ورق طوله عشرة اذرع في عرض ذراع فكتب كل من كان يعرف الكتابة الى اخرهم فقمت وانا في صورة القرد وخطفت الدرج من ايديهم فخافوا اني اقطعه فنهروني فاشرت اليهم اني اكتب فاشار لهم الرئيس خلوه يكتب وان خبط طردناه عنا وان احسن الكتابة اتخذته ولداً فاني ما رأيت قرداً افهم منه ثم اني مسكت القلم واستمديت من الدواة حبراً وكتبت بقلم الرقاعي هذين البيتين شعر

لَقَدْ كَتَبَ الدَّهْرُ فَضْلَ الْكِرَامِ	وَفَضْلُكَ لِلْآنِ لَا يُكْتَتَبْ
فَلَا أَيْتَمَ اللهُ مِنْكَ الْوَرَى	لِأَنَّكَ لِلْفَضْلِ أُمٌّ وَأَبْ

وكتب بقلم الريحان شعر

لَهُ قَلَمٌ عَمَّ الْأَقَالِيمَ نَفْعُهُ	وَعَمَّ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ مَنَافِعُ
فَمَا نِيلُ مِصْرٍ مِثْلَ نَائِلِكَ الَّذِي	يَمُدُّ إِلَى الْأَمْصَارِ خَمْسُ أَصَابِعُ

وكتبت بقلم الثلث شعر

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى ... وَيُبْقِي الدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ
فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ إِنْ تَرَاهُ

وكتبت بقلم النسخ

وَلَمَّا نُبِينَا بِالْفِرَاقِ وَحُكِمَتْ ... فِينَا بِذَاكَ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
غُدْوَنَا لِأَفْوَاهِ الْمَحَابِرِ تَشْتَكِي ... أَلَمَ الْفِرَاقِ بِأَلْسُنِ الْأَقْلَامِ

وكتبت بقلم الطومار

إِنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَدُومُ لِوَاحِدٍ ... إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ ذَا فَأَيْنَ الْأَوَّلُ
اِغْرِسْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ غَرَائِسًا ... فَإِذَا عُزِلْتَ فَإِنَّهَا لَا تُعْزَلُ

وكتبت بقلم المحقق شعر

إِذَا فُتِحَتْ دَوَاةُ الْعِزِّ وَالنِّعَمِ ... فَاجْعَلْ مِدَادَكَ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَاكْتُبْ بِخَيْرٍ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَقَدْ نُسِبْتَ بِهَذَا النَّسَبِ وَالْقَلَمِ

ثم ناولتهم الدرج وكتبوا كل واحد سطرا ثم اخذوه وطلعوا به الى الملك فلما نظر الملك الى الدرج فلم يعجبه خط احد الاخطي فقال للجماعة توجهوا الى صاحب هذا الخط واركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة والبسوه بدلة سنية و احضروه الى عندي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب الملك منهم وقال يا ملاعين اقول لكم على امر تضحكون علي فقالوا ايها الملك ان لضحكنا سببا فقال وما هو فقالوا ايها الملك انت تأمرنا اننا نحضر لك الذي كتب هذا الخط والحال ان الذي كتبه قرد وليس هو آدمي وهو مع رئس المركب فقال احقا ما تقولون قالوا ايوا وحق نعمتك فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال اريد ان اشتري هذا القرد من الرئس ثم بعث رسولا الى المركب ومعه البغلة والبدلة والنوبة وقال لابد ان تلبسوه هذه البدلة وتركبوه البغلة وتجيئوبه في المركب وتاتوا به فساروا الى المركب واخذوني

من الرأس و البسوني البدلة واركبوني البغلة فانذهش الخلائق وانقلبت المدينة لاجلي وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ولاقاني قبلت الارض بين يديه ثلث مرات ثم امرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الخلائق الحاضرين من ادبي وكان اكثرهم تعجبا الملك ثم امر الملك الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا انا وحضرة الملك والطواشي ومملوك صغير ثم امر الملك فقدموا سفرة الطعام وفيها ماهش وطار وتناكح في الاوكار من القطا والسماني وسائر اصناف الطيور فاشار الملك الى ان اكل معه فقمت وقبلت الارض بين يديه وجلست اكلت معه وقد انشالت السفرة فغسلت يدي سبع مرات واخذت الدواة والقلم وكتبت اقول هذه الابيات شعر

عُجْ بِالْفَرَارِيجِ فِي رَبْعِ السَّكَارِيجِ	وَابْكِ لِفَقْدِ الْقَلَايَا وَالطَّبَاهِيجِ
وَانْدُبْ بَنَاتِ الْقَطَا مَازِلْتُ اَنْدُبُهَا	مَعَ الْفِرَاخِ الْمُطَجَّنِ وَالطَّبَاهِيجِ
يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى لَوْنَيْنِ مِنْ سَمَكٍ	عَلَى رَغِيفٍ مِنَ الْخُبْزِ الْمَعَارِيجِ
لِلّٰهِ دَرُّ الشِّوَا مَا كَانَ اَطْيَبَهُ	وَالدُّهْنُ يَغْمِسُ فِي خَلِّ الْمَكَارِيجِ
مَا هَزَّنِي الْجُوعُ الْاَبَتُّ مُعْتَكِفًا	عَلَى الْهَرِيسَةِ فِي ضَوْءِ الدَّمَالِيجِ
بِنُهْتِهُ عِنْدَ اَكْلِي فِي فُكَاهَتِهِ	عَلَى الْمَوَائِدِ اَصْنَافُ الدَّيَابِيجِ
يَا نَفْسُ صَبْرًا فَاِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ	اِنْ ضَاقَ يَوْمًا اَتَانَا بِالتَّفَارِيجِ

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال يا للعجب قرد ويكون عنده هذه الفصاحة والخط والله ان هذا من اعجب العجب ثم قدم للملك مشروب خاص في زجاج فشرب الملك ثم ناولني فقبلت الارض وشربت وكتبت عليه

اَحْرَقُونِي بِالنَّارِ يَسْتَنْطِقُونِي	وَجَدُونِي عَلَى الْبَلَاءِ صَبُورَا
لِاَجْلِ هٰذَا حُمِلْتُ فَوْقَ الْاَيَادِي	وَلَثَمْتُ مِنَ الْمِلَاحِ الثُّغُورَا

وايضا

هَتَفَ الصُّبحُ بِالدُّجى فَاسقِنيها	خَمرَةً تَترُكُ الحَليمَ سَفيهـا
لَستُ اَدري لِرِقَّةٍ وَصَفاءٍ	هِيَ في كَاسِهَا اَم الكَاسُ فيها

قال فقراء الملك الشعر فتحسر وقال لو كان هذا الادب في انسان لفاق اهل عصره وزمانه ثم قدم الملك رقعة شطرنج وقال هل لك ان تلعب معي فاشرت براسي نعم وتقدمت ووضعت الشطرنج ولعبت معه مرتين وانا اغلبه فحار عقل الملك ثم واخذت الدواة والقلم وكتبت على الرقعة هذين البيتين

جَيشَانِ يَقتَتِلانِ طُولَ نَهارِهِم	وَقِتالُهُم في كُلِّ وَقتٍ زَائِدُ
حَتّى اِذَا جَنَّ الظَّلامُ عَلَيهِمُ	نَامَا جَميعًا في فِراشٍ وَاحِدُ

قال فلما قرأ الملك هذين البيتين عجب وطرب ولحقه الانبهار وقال لخادمه امض الى ستك ست الحسن وقل لها كلمي الملك حتى تجي تتفرج على هذا القرد العجيب فغاب الطواشي وعاد ومعه الست فلما نظرت الي غطت وجهها وقالت يا ابي كيف طاب على قلبك ان ترسل خلفي تفرجني على الرجال فقال يا ست الحسن ما عندي سوى المملوك الصغير والمقدم الذي رباكى وانا ابوكي فمن من تغطي وجهك فقالت ان هذا القرد شاب ابن ملك وابوه اسمه افتيماروس صاحب جزائر ابنوس وهو مسحور سحره العفريت جرجيس الذي هو من ذرية ابليس وقتل زوجته بنت ملك افتاموس وهذا الذي تزعم انه قرد هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الي وقال احق ما تقول عنك فقلت براسي نعم وبكيت فقال لها الملك من اين عرفتي انه مسحور فقالت يا ابت كان عندي وانا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة فعلمتني السحر وصناعته وقد حفظته واتقنته وحفظت منه مائة وسبعين بابا من ابوابه اقل باب فيه انقل حجارة مدينتك خلف جبل قاف واجعلها لجة بحر واجعل اهلها سمكا في وسطها فقال ابوها يا بنتي بحياتي خلصي لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيري لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم اخذت بيدها سكينا وعملت دائرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفرند لي للصبية ياسيدي ثم ان بنت الملك اخذت بيدها سكينا مكتوب عليها بالاسماء العبرانية وخطت بها دائرة وسط القصر وكتبت عليها اسماء وطلسمات وعزمت وقرات بكلام يفهم وكلام لا يفهم فبعد ساعة اظلمت علينا الدنيا واذا بالعفريت قد تدلى علينا في صفته وهيئته له ايد كالمداري وارجل كالسواري وعينين مثل شعل النار ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا اهلا بك ولا سهلا فانقلب العفريت في صورة اسد وقال لها يا خائنة نقضت العهد واليمين اما تحالفنا بان لا احد منا يتعرض للآخر فقالت له يا لعين ومثلك له عندي يمين فقال العفريت خذي ما جاك ثم فتح الاسد فمه وهجم على الصبية فاسرعت واخذت شعرة من شعرها وهزتها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت به ذلك الاسد فصار نصفين وانقلبت راسه عقربا فانقلبت الصبية صارت حية عظيمة وهمت على هذا اللعين وهو في صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلبت العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب وطلبته ساعة زمانية فانقلبت العقاب قطا اسود فانقلبت الصبية ذيبا ابلق فتقاتلا في القصر ساعة زمانية فرأى القط نفسه مغلوبا فانقلبت وصار رمانة حمرة كبيرة وقعدت الرمانة في وسط فسقية القصر فجاء اليها الذيب فارتفعت في الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت ارض القصر حب رمان فانتفض الذيب وصار ديكا والتقط ذلك الحب حتى لم يترك ولا حبة فبالامر المقدر ندارت حبة في جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف باجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول وصرخ علينا صرخة تخيل لنا ان القصر قد انقلبت علينا ودار في ارض القصر كله فرأى الحبة التي تدارت في جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة زرقت في وسط الماء الذي في الفسقية صارت سمكة وغارت في قعر الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل خلفها وغاب ساعة

واذا قد سمعنا صراخا عاليا وعياطا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة
نار يفتح فمه يخرج منه نار ومن عينيه وانفه نار ودخان وخرجت الصبية
وهي جمرة نار عظيمة فتقاتلا هي واياه ساعة حتى انعقدت عليهما النيران
وانحبس الدخان في القصر فخفنا واردنا ان نغطس في الماء وخفنا على انفسنا
من الحريق والهلاك فقال الملك لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم
انا لله وانا اليه راجعون يا ليتنا ما كلفناها بذلك في خلاص هذا القرد
حتى اننا اتعبناها هذا التعب العظيم مع هذا العفريت الملعون الذي ما تقدر
عليه كل هذه العفاريت الموجودين في الدنيا ويا ليتنا ما عرفنا هذا القرد
لا بارك الله فيه ولا في ساعته قصدنا ان نعمل معه جميلا لوجه الله تعالى
ونخلصه من السحر فابتلينا بتعب القلب وانا باسني مربوط اللسان لم اقدر
ان اتكلم معه بشئ ثم ما شعرنا الا والعفريت قد صرخ من تحت النيران و
صار عندنا في الايوان ونفخ في وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت في
وجهه فاصابنا الشرار منها ومنه فاما شرارها فلم يوذنا واما شراره فلحقني
في عيني شرارة فاطمستها وانا في صورة القرد ولحق الملك شرارة منه في
وجهه احرقت نصف وجهه وذقنه وحنكه التحتاني واوقعت صف اسنانه
التحتانية ووقعت شرارة في صدر الطواشي فاحترق ومات من وقته
وساعته فايقنا بالهلاك وايسنا من الحيوة فبينما نحن كذلك واذا بقائل
يقول الله اكبر الله اكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد القمر واذا بها
بنت الملك قد احرقت العفريت واذا به قد صار كوم رماد وجاءت الصبية
الينا وقالت الحقوني بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه
ثم طرشتني بالماء وقالت اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك
الاولى قال فانتفضت فاذا انا بشر كما كنت ولكن راحت عيني فقالت الصبية
النار النار يا والدي ما بقيت اعيش وما انا معودة بقتال الجن ولو كان من
الانس تقتله من زمان وما تعبت الا وقت فرط الرمانة ولقطتها ونسيت
الحبة التي فيها روح الجني فلو لقطتها لمات من ساعته ولكن ما علمت بالقضا
والقدر فاذا هو قد اتى وجرى لي معه حرب شديد تحت الارض وفي الهواء
والماء وكلما افتح عليه بابا يفتح علي بابا الى ان فتح علي باب النار وقليل من

يفتح عليه باب النار وهو ينجو منه وانما ساعدني عليه القدر حتى احرقته قبلي وكنت اعهد منه بدين الاسلام واما انا ميتة فخليفتي الله عليكم ثم انها استغاثت ولم تزل تستغيث من النار فاذا اشرار اسود قد طلع الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها واذا بها كوم رماد الى جانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها ولا اري ذلك الوجه المليح الذي يعمل في هذا الخير يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما راى الملك ابنته صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق اثوابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها فجاؤا الحجاب وارباب الدولة فوجدوا السلطان في حالة العدم وكومين رماد فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجواري واقاموا العزاء سبعة ايام وقام الملك وامران يبني على رماد ابنته قبة عظيمة واوقدوا فيها الشموع والقناديل واما رماد العفريت فانهم ذروه في الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا اشرف منه على الموت ومدة مرضه شهر واتت اليه العافية ونبتت لحيته فطلبني وقال لي يا فتى قد قضينا زماننا في اهنى عيش آمنين من نوائب الزمان حتى اقبلت علينا يا ليتنا ما كنا رأيناك ولا رأينا يوم طلعتك القبيحة فاحتاصرنا في حالة العدم بسببك الاول عدمت ابنتي التي كانت تساوي مائة رجل والثاني جرى لي من الحريق ما جرى وعدمت اضراسي ومات خادمي وقبل ذلك وبعده ما رأينا منك شيئا بل الكل من الله عليك وعلينا والحمد لله وانت الذي خلصتك ابنتي واهلكت نفسها فاخرج يا ولدي من بلدي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام وان عدت رايتك قتلتك وصرخ علي فخرجت يا سيدي من عنده وما اصدق بالنجاة ولا ادري اين اتوجه وخطر على قلبي ما جرى لي وكيف يخلوني في الطريق وسلامتي منهم ومشيت شهرا ودخلت في المدينة غريبا واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الارض وخلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي وما عبر قلبي من المبتدأ والمنتهى فحمدت الله وقلت بعيني ولا بروحي ودخلت الحمام

قبل ان اخرج من المدينة وحلقت ذقني ولبست مسحا اسود وجبت على راسي ياسيدتي وفي كل يوم ابكي وانفكر المصائب التي جرت علي وقلع عيني وكل ما افتكر ما جرى لي ابكي وانشد واقول هذه الابيات

تحيّرتُ والرحمنُ لاشكَّ في امري ۞ وحاطت بي الاحزانُ من حيث لا ادري
ساصبرُ حتى يعجزَ الصبرُ من صبري ۞ واصبرُ حتى يقضيَ اللهُ من امري
ساصبرُ مغلوباً ولم اتوجّعُ ۞ كما يصبرُ الظمآنُ في الوادي الحرّ
ساصبرُ حتى يعلمَ الصبرُ انّني ۞ صبرتُ على شيءٍ امرَّ من الصبرِ
ولاشيءَ مثلَ الصبرِ مرٌّ وانّما ۞ امرُّ من الامرينِ ان خانني صبري
سرائرُ سرّي ترجمانُ سريرتي ۞ اذا كان سرُّ السرِّ سرّكَ في سرّي
ولو انَّ ما بي بالجبالِ لهدّمت ۞ وبالنارِ اطفاها وبالريحِ لم تسرِ
ومن قالَ انَّ الدهرَ فيهِ حلاوةٌ ۞ فلا بدَّ من يومٍ امرَّ من الصبرِ

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلي اتوصل الى امير المؤمنين واخبره بما جرى لي فوصلت بغداد هذه الليلة فوجدت اخي هذا الاول واقفا حائرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا باخينا الثالث قد اقبل علينا وقال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له ونحن غرباء وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فتمشينا نحن الثلاثة وما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا اليكم وهذا سبب خلق ذقني وشواربي وقلع عيني فقالت ان حكايتك غريبة ملس على راسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى اسمع حديث رفقتي فتقدم القرندلي الثالث **وقال** ايها الست الجليلة ما قصتي مثل قصتهم بل قصتي اعجب واغرب وهي سبب لحلق ذقني وقلع عيني ان هولاء جاءهم القضا والقدر وانا جلبت القضاء بيدي والهم لروحي

وذلك اني كنت ملكا ابن ملك ومات والدي واخذت الملك من بعده و
حكمت وعدلت واحسنت للرعية وكان لي محبة في السفر في المركب فى البحر
وكانت مدينتي على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر كثيرة عظيمة في وسط البحر
وكان لي في البحر خمسون مركبا للمتجر وخمسون مركبا اصغر للفرجة ومائة و
خمسون قطعة معدة للحرب والجهاد فاردت ان انفرج على الجزائر فنزلت في عشرة
مراكب واخذت معي زاد شهر كامل وسافرت عشرين يوما فلما كانت ليلة من
الليالي هبت علينا رياح مختلفة وهاج البحر علينا هيجان عظيمة وتلاطمت
الامواج فايسنا من الحيوة ونزلت علينا ظلمة شديدة وقلت ليس المخاطر
بمحمود ولو سلم فدعونا الله تعالى وابتهلنا اليه ولا زالت الارياح تختلف و
والامواج تلتطم الى ان انفجر الفجر فهدت الريح وصفا البحر وبعده اشرقت الشمس
ثم اننا اشرفنا على جزيرة وطلعنا على البر وطبخنا شيئا ناكله فاكلنا ثم اخذنا
راحة يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الرئس و
صغريب الرئس البحر فقلنا للناظور اكتشف البحر واطلع البطية فطلع للساري ثم نظر
...ناظور وقال للرئس يا رئس رايت عن يميني سمك على وجه الماء ونظرت
... وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح ساعة اسود وساعة ابيض فلما
سمع الرئس كلام الناظور ضرب عمامته في الارض ونتف لحيته وقال للـ... ابشروا
بهلاكنا نحن الجميع ولم يسلم منا احد وشرع يبكى ونحن الجميع نبكى على انفسنا فقلت
ايها الرئس اخبرنا بما راى الناظور فقال يا سيدي اعلم اننا تهنا في يوم هاجت
علينا الارياح ولا هدي الريح الا بكرة النهار واقمنا يومين وتهنا في البحر ولنا
تائهين احدى عشر يوما من تلك الليلة ولا لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدين
واخر النهار غدا نصل الى جبل حجر اسود وهو يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا
الى تحته فتنفخ المركب ويروح كل مسمار في المركب الى الجبل ويلتصق اليه لان الله تعالى
ركب في حجر المغناطيس سرا وهو ان جميع الحديد يذهب اليه وفي ذلك الجبل
حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة
على ذلك الجبل ومما يلي البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة وفوق
القبة فارس وفرس من النحاس وفي يد ذلك الفارس رمح من النحاس معلق
في صدره لوح من رصاص منقوش عليه اسماء وطلاسم فقال لي ايها الملك

مغناطيس
مغناطيس

ما يهلك الناس الا الراكب على هذه الفرس وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من على تلك الفرس ثم انه يا سيدتى بكى الرئيس بكاء شديدًا فتحققنا اننا هالكين لا محالة وكل منا ودع صاحبه ووصى اخيه الا ان يسلم فلم ننم تلك الليلة فلما جاء الصباح قربنا الى ذلك الجبل وساقتنا المياه غصبًا اليه فلما صارت المراكب تحته انفتحت وطلعت المسامير وكل حديد فيها طالب حجر المغناطيس واشتبك فيه وعند اخر النهار درنا حوله فمنا من غرق ومنا من نجا واكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا بعضهم بعضا وانما توهنتم الامواج واختلاف الرياح واما انا يا سيدتي فنجاني الله تعالى لما يريده من شقاوتي وعذابي بلوتي فطلعت على لوح من الالواح فضربته الريح فالتصق الى الجبل فاصبت طريقا متطرقا الى اعلاه كهيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القرندلى الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وتعلقت فى النقر الذي فى الجبل وقد تسلقت فى الجبل قليلا فاذن الله ان نسكت الريح في تلك الساعة واعانني على الطلوع فسلمت وطلعت على الجبل فلم يكن لي درب الا القبة وفرحت بسلامتي غاية الفرح فدخلت القبة وتوضأت وصليت ركعتين شكرا لله على سلامتي ثم اني نمت تحت القبة فسمعت في منامى قائلا يقول يا ابن خضيب اذا انتبهت من منامك احفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاثة نشابات من رصاص منقوشات عليها طلسمات فخذ القوس والنشاب وارم الفارس الذي على القبة وارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع في البحر والقوس يقع عندك فخذ القوس وادفنه في موضع القوس فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص نحاس غير الذي رميته يجيء اليك وفي يده مقذاف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يقذف ويسافر بك مدة عشرة ايام الى ان

يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك فهذا يتم
لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومي وقمت بنشاط وفعلت مثل ما قال الهاتف
وضربت الفارس ارميته فوقع في البحر ووقع القوس مني فاخذت القوس
ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل وساواني فلم البث غير ساعة حتى رأيت
زورقا في وسط البحر قاصدا إلي فحمدت الله تعالى فلما وصل إلي الزورق فوجدت
فيه شخصا من النحاس في صدره لوحا من الرصاص منقوش باسماء وطلسمات
فطلعت في الزورق وانا ساكت ولا اتكلم فقذف الشخص اول يوم والثاني والثالث
الى تمام العشرة ايام فنظرت ورأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة
فرحي ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفني الزورق في
البحر ثم رجع وانقلب في البحر فكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل فخذلت
سواعدي وكلت اكتافي وتعبت بقيت في الهلكات ثم تشهدت وايقنت بالموت
فهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتني وقذفتني قذفة
صرت فوق البر بما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابي ونشفتها ونشرتها
على الارض وبت فلما اصبحت لبست اثوابي وقمت انظر اين امشي فوجدت
غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذي انا فيه جزيرة صغيرة
البحر محيط بها فقلت كلما اخلص من بلية اقع في اعظم منها فبينما انا متفكر
في امري وانا اتمنى الموت واذا انظرت من بعيد مركبا فيه ناس قاصد الى
الجزيرة التي انا فيها فقمت وقعدت على شجرة واذا بالمركب قد التصق وطلع
الى البر منه عشرة عبيد ومعهم مساحي ومشوا الى ان وصلوا الى وسط
الجزيرة فحفروا في الارض وكشفوا عن طابق فشالوا الطابق وفتحوا بابه ثم
عادوا الى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا واغناما والات
ما يحتاج الساكن والعبيد طالعين نازلين الى المركب وهم يحولون من المركب
وينزلون الى ان نقلوا جميع ما في المركب الى الحفرة ثم بعد ذلك طلع العبيد
معهم ثياب احسن ما يكون وفي وسطهم شيخ كبير قد ابقى ما بقي وعركه
الدهر واستبقى كانه مفني ملقى في خرقة زرقة تمر فيها الارياح
غربا وشرقا كما قال

فيه الشاعر

قد ارعش الدهر اي رعش | والدهر ذو قوة بطش
قد كنت امشي ولست اعمى | واليوم اعمى ولست امشي

وبيد الشيخ في يد صبي وهو قد افرغ في قالب الجمال والبهاء والكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال وهو كالقضيب الرطيب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بدلاله كما قال فيه الشاعر حيث يقول

جئ بالحسن كي يقايسه | فنكس الحسن رأسه خجلا
فقيل يا حسن هل رأيت كذا | فقال اما كذا رأيت فلا

فيا سيدتي لم يزالوا ماشين حتى اتوا الى الطابق ونزلوا الجميع في الطابق وغابوا ساعة او اكثر ثم طلعوا العبيد والشيخ ولم يطلع الصبي معهم ثم ردوا باب الطابق كما كان ونزلوا في المركب وغابوا عن عيني فلما توجهوا قمت ونزلت من على الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وطولت روحي حتى شلت جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب وسع فلقة حجر الطاحون فشلتها فبان من تحتها سلم حجر عقد فتعجبت لذلك ونزلت في السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت بنيانا نظيفا مفروشا بانواع البسط والحرير والصبي جالس على مرتبة عالية متكئ على مدورة في يده مروحة وبين يديه مشموم ورياحين وهو وحده فلما رآني اصفر لونه فسلمت عليه وقلت له طمن روحك وهدّ روعك لا باس عليك انا انسي مثلك ابن ملك ساقتني المقادير اليك اؤنسك على وحدتك فما قصتك وما حكايتك حتى سكنت تحت الارض وحدك فلما تحقق اني من جنسه فرح ورد لونه وقربني اليه وقال يا اخي قصتي عجيبة وذلك ان والدي تاجر جوهري له تجارة وعبيد ومماليك تجار يسافرون له في المراكب بالتجارات الى اقصى البلاد ولهم جمالات واموال متسعة ولم يرزق ولدا قط فرأى في منامه انه يرزق ولدا في عمره قصر فاصبح والدي في صريخ وبكاء فلما كانت الليلة القابلة علقت والدتي بي فارخ تاريخ حبلها وانقضت

ايا مها فولدتني ففرح والدي واولم الولائم واطعم الفقراء والمساكين لكونه رزق بي في اخر عمره فجمع المنجمين واهل التقاويم وحكماء الزمن واصحاب التواريخ والمواليد فكشفوا الى ميلادي وقالوا له ولدك يعيش خمسة عشر سنة وعليه قطع فيها ان سلم منها عاش زمانا طويلا وسبب موته ان في بحر الهلكات جبل المغناطيس عليه فارس وفرس من نحاس والفارس في صدره لوح من رصاص متى وقع الفارس من على فرسه بعد خمسين يوما يموت ولدك وقاتله هو الذي يرمي الفارس ملك اسمه عجيب بن خضيب فاغتم ابي غما شديدا ثم انه رباني واحسن تربيتي الى ان بلغت خمسة عشر سنة ومن مدة عشرة ايام جاء لابي الخبران الفارس وقع في البحر والذي رماه اسمه عجيب بن الملك خضيب فخاف علي ابي من القتل فنقلني الى هذا المكان وهذه قصتي وسبب وحدتي فلما سمعت قصته تعجبت وقلت في نفسي انا الذي عملت هذا كله وانا والله لا اقتله ابدا ثم قلت يا مولاي نفيت الداء والردي وان شاء الله تعالى لا ترى هما ولا غما ولا تشويشا وانا اقعد عندك واخدمك وارجع الى حال سبيلي بعد ان اونسك في هذه الايام توصلني الى بعض المماليك اسافر معهم الى بلادي وجلست احدثه الى الليل فقمت واوقدت شمعة كبيرة وعمرت القناديل وجلسنا بعد ان مدينا شيئا من الاكل فاكلنا وقمت مديت شيئا من الحلاوة فتحلينا وجلسنا نتحدث بعضنا حتى ذهب من الليل اكثره فنام فغطيته وقمت انا نمت فلما اصبحت قمت وسخنت قليلا من الماء ونبهته برفق فاستيقظ فاتيته بالماء المسخن فغسل وجهه وقال جزيت خيرا يا فتى والله متى سلمت من الذي انا فيه ومن الذي اسمه عجيب بن خضيب خليت ابي يكافئك واما اذا مت فالسلام مني عليك فقلت له لا كان يوما يصيبك فيه شر وجعل الله يومي قبل يومك ثم قدمت شيئا من الاكل فاكلنا وعملت له بخورا فطاب وصنعت له منقلة ولعبت انا واياه ثم اكلنا شيئا من الحلاوة ولعبنا الى الليل فقمت اوقدت المصابيح وقدمت شيئا من الاكل وقعدت احدثه الى ان بقي شيء قليل من الليل فنام وغطيته ونمت ولم ازل ياسيدتي ايا ما ولياليَ وبقي له في قلبي محبة وسلوت همي وقلت في نفسي كذب المنجمون والله لا اقتله ولم ازل اخدمه

وانا ادمه واحادثه الى تسعة وثلثين يوما وليلة الاربعين فرح الصبي وقال يا اخي الحمد لله الذي نجاني من الموت وهذا ببركتك وبركة قدومك و اسال الله ان يردك الى بلدك ولكن يا اخي اريد ان تسخن لي ماء اغتسل واغسل جسدي فقلت حبا وكرامة وسخنت له ماء بكثرة ودخلت به عليه و غسلت جسده غسلا جيدا بد قاق ودلكته وخدمته وغيرت له اثوابه وفرشت تحته فرشا عاليا فجاء الصبي واستلقى عليه ونام من الاستحمام وقال يا اخي اقطع لنا بطيخة وذوب بها سكر نبات فدخلت الخزانة فلقيت بطيخة مليحة و وجدتها في طبق فكلمته وقلت يا سيدي ماعندك سكين فقال ها هي فوق رأسي على هذه الصفة العالية فقمت وانا مستعجل فاخذت السكين ومسكتها من نصالها ورجعت الى خلفي فعثرت رجلي وانبطشت على الصبي والسكين في يدي فاسرعت السكين بما كتب فى الازل وانغرزت في قلب الصبي فمات من ساعته فلما قضى نحبه وعلمت اني قتلته صرخت صرخة عظيمة ولطمت على وجهي وشققت اثوابي وقلت انا لله وانا اليه راجعون يا مسلمون هذا الصبي بقي له من القطع الذي خبر وابه المنجمون والحكماء الى الاربعين يوما ليلة واحدة وكان اجل هذا المليح على يدي فيا ليتني من قبل لم اقطع هذه البطيخة ما هذا الا مصائب وغصص ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر

قال بلغني ايها الملك السعيد ان عجيب قال للصبية فلما تيقنت اني قتلته قمت وطلعت من السلم ورديت التراب ونظرت بعيني الى البحر فرأيت المركب تشق البحر طالبة البر فخفت وقلت الساعة يجيئون يصيبون ولدهم مقتولا فيعرفون اني قتلته فيقتلوني لامحالة فعمدت الى شجرة عالية وطلعتها واستترت باوراقها فما استقريت فوق الشجرة الا وقد طلع العبيد وطلع معهم الشيخ الكبير ابو الصبي فجاؤا الى الموضع وازالوا التراب

فوجدوا الطابق فنزلوا فوجدوا الصبي نائما ووجهه يضيء من اثر الحمام وهو لابس ثيابا نظافا والسكين مغروزة في صدره فصرخوا وبكوا ولطموا على وجوههم ودعوا بالويل والثبور وغشي على الشيخ ساعة طويلة ثم ان العبيد ظنوا ان الشيخ بعد ولده لا يعش ولفوا الصبي في اثوابه وارخوا عليه ملاءة من الحرير وطلعوا الى المركب وطلع الشيخ خلفهم فنظر ولده ممدودا فوقع على الارض واخذ التراب على رأسه ولطم وجهه ونتف لحيته وتفكر في قتل ولده فزاد بكاؤه وغشي فطلع عبد منهم فجاء بمقطع حرير ومدوا الشيخ على المقعد وجلسوا عند رأسه هذا كله وانا في الشجرة فوق رؤسهم انظر ما يجري وقد شاب قلبي قبل ان يشيب رأسي بما قاسيت من الهموم والاحزان وانشدت اقول

وكم لله من لطف خفي	يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم امر تساء به صباحا	فتأتيك المسرة بالعشي
وكم يسر اتى من بعد عسر	ففرج كربة القلب الشجي

يا سيدتي ولم يزل الشيخ في غشوته الى ان قرب المغرب ثم استفاق ونظر الى ولده وما جرى له والذي خاف منه وقع فيه ولطم وجهه ورأسه وانشد هذه

الابيات

القلب من فرقة الاحباب منصدع	اما دموعي من الآماق تنهمل
ط المرام بهم بعدا فوا اسفي	ما حيلتي فيهم ما القول ما العمل
فليتني ما كنت نظرتهم ابدا	ما حيلتي سادتي ضاقت بي السبل
كيف السلو بسلوان وقد لعبت	نار الهوى بفؤادي وهي تشتعل
يا ليت لو يممت ذات المنون بهم	بيني وبينهم ما ليس ينفصل
سألتك الله يا واشي فكن مهلا	فجمع شملي بهم ما زال مشتمل

ماكان احسننا والدار تجمعنا ونحن في غبطة والعيش متصل
حتى رمينا بسهم البين فرقنا من ذا الذي لسهام البين يحتمل
اذ صابنا في عزيز القوم صايبة فريد عصر غدا بالحسن مكتمل
انشدته ولسان الحال يسبقني يا ليت يا ولدي ماقد اتى الاجل
كيف السبيل الى لقياك من عجل نفديك يا ولدي بالروح لو قبل
ان قلت شمس فان الشمس غاربة او قلت بدر فان البدر قد افل
لهفي عليك من الايام يا اسفي ماعنك بد فمن ذا عنك يشتغل
ابوك اضحى به شوقا اليك وما حل الممات بكم ضاقت بي الحيل
عين الحواسد فينا اليوم قد وقعت يلقون ماصنعوا يا بئس ما فعلوا

ثم شهق شهقة فارقت روحه جسده فصرخوا العبيد واسيداه واخذوا التراب على رؤسهم وزادوا في البكاء وطلعوا لسيدهم في المركب الى جانب ولده وارخوا قلع المركب نغابوا عن عيني فنزلت من فوق الشجرة ونزلت الطابق وتفكرت الشاب فرأيت بعض حوائجه فانشدت اقول شعر

اري آثارهم فاذوب شوقا واسكب في مواطنهم دموعي
واسأل من قضى بالبعد عنهم يمن علي يوما بالرجوع

ثم اني ياسيدي خرجت من الطابق وكنت بالنهار اطوف في الجزيرة وبالليل انزل القاعة فاقمت على ذلك شهرا وانا انظر الى طرف الجزيرة التي من ناحية الغرب وهو كل ما مر يوم من الايام ينشف البحر الى ان قل الماء من جهة الغرب والقطع تياره فلما كمل الشهر نشف البحر من تلك الناحية ففرحت وايقنت بالسلامة وقمت خضت ما بقي من البحر وطلعت الى البر الاصيل فلقيت كيمان رمل تغوص رجل الجمل فيها الى الركب فقويت روحي وقطعت الرمل واذا انا بنار تلوح من بعيد وهي تشتغل اشتعالا

قويا فقصدتها لعلي اجد فرجا وانشدت اقول شعرا

عسى ولعل الدهر يلوي عنانه	ويأتي بخير والزمان غيور
ويسعف آمالي ويقضي حوائجي	ويحدث من بعد الامور امور

ثم اني قصدت النار فلما قربت اليها واذا بقصر بابه من النحاس الاصفر فلما اشرقت عليه الشمس اضاء من بعيد يرى كأنه نار ففرحت برؤيته وجلست مقابل بابه فلم يستقر لي الجلوس حتى اقبل عشرة شباب لابسين الاثواب المفتخرة ومعهم شيخ كبير الا ان الشباب عور بالعين اليمنى فتعجبت بصفتهم واتفاقهم في عورهم فلما رأوني سلموا علي وسألوني عن حالي وقصتي فحكيت لهم على ما جرى لي وما تم لي من المصائب فتعجبوا لحديثي واخذوني وادخلوني القصر فرأيت في دائر القصر عشرة تخوت وكل تخت فراشه ولحافه ازرق وفي وسط تلك التخوت تخت صغير وهو مثلهم كلما عليه ازرق فلما دخلنا طلع كل شاب على تخته وطلع الشيخ على ذلك التخت الصغير الذي في وسط التخوت وقال يا فتى اجلس في هذا القصر ولا تسأل عن احوالنا ولا عن عور اعيننا ثم قام الشيخ وقدم لكل واحد طعاما في اناء وشرابا في اناء وقدم لي كذلك وبعد ذلك جلسوا يسألوني عن احوالي وما جرى لي وانا اخبرهم الى ان ذهب اكثر الليل فقال الشباب ايها الشيخ ما تقدم لنا راتبنا فقد جاء وقته فقال حبا وكرامة ثم قام ودخل الى مخدع في القصر وغاب . وعلى رأسه عشرة اطباق كل واحد مغطى بغطاء ازرق فقدم لكل شاب طبقا ثم اوقد عشرة شموع واغرز على كل طبق شمعة ثم كشف الاغطية فبان من تحتها في الاطباق رماد ودق فحم وسواد القدر فشمر الجميع عن سواعدهم وبكوا وانتحبوا وشحموا وجوههم ولطخوا اثوابهم ولطموا على وجوههم ودقوا على صدورهم وصاروا يقولون كنا قاعدين بطولنا ما خلانا فضولنا ولم يزالوا على هذا الى قرب الصبح فقام الشيخ وسخن لهم ماء فغسلوا وجوههم ولبسوا اثوابا غير الاول فلما رأيت ذلك يا ستاه ذهب عقلي وحار فكري واشتغل سري ونسيت ما جرى علي ولم استطع السكوت دون

اني كلمتهم وسألتهم وقلت لهم ايش اوجب هذا بعد انشراحنا وتعبنا وانتم بحمد الله تعالى فيكم عقل تام وهذه الافعال لا يفعلها غير المجانين فاسألكم باعز الاشياء عليكم الا ما قلتم بي خبركم وسبب قلع اعينكم وسخامة وجوهكم بالرماد والسواد فالتفتوا وقالوا لي يا فتى لا يغرك شبابك واعدل عن سوألك ثم قاموا وقمت معهم فقدم الشيخ شيئاً من الماكول فبعد ما اكلنا وانشالت الاواني قعدوا يتحدثون الى ان اقبل الليل فقام الشيخ واوقد الشموع والقناديل وقدم لنا الاكل والشرب فلما فرغنا قعدنا للمحادثة والمنادمة الى نصف الليل فقال الشباب للشيخ هات لنا راتبنا فقد جاء وقت النوم فقام الشيخ واتى بالاطباق وفيهم الرمل الاسود ففعلوا مثل ما فعلوا اول ليلة وانا قاعد عندهم على هذا الحال مدة شهر وهم كل ليلة يسخمون وجوههم بالرماد ويغسلون وجوههم ويغيرون اثوابهم وانا اتعجب من ذلك وازداد وسواسي بحيث اني امتنعت من الاكل والشرب فقلت لهم ايها الفتيان ان لم تزيلوا همي وتخبروني عن سبب تسخيم وجوهكم فقالوا كتمان سرنا اصلح فبقيت متحيرا في امورهم وانا امتنع من الاكل والشرب فقلت لهم لا بد ان تخبروني ما سبب ذلك فقالوا هذا فيه مشقة عليك لانك تبقى مثلنا فقال لابد من ذلك والا دعوني اسافر من عندكم الى اهلي واستريح من نظري من هذه الاحوال والمثل يقول بعادي عنكم اجمل واحسن عين لا تنظر قلب لا يحزن فعمدوا الى كبش ذبحوه وسلخوه وقالوا لي خذ هذا الجلد معك وادخل في هذا الجلد وخيطه عليك فانه يأتيك طير اسمه الرخ ويشيلك ويحطك على جبل فشق الجلد وتخرج منه فيخاف منك الطير فيروح ويخليك فامش نصف نهار تلقى قدامك قصرا غريب الصفة فادخل فيه وقد بلغت مناك فدخولنا الى القصر هو سبب سخامة وجوهنا وقلع عيوننا واما نحن اذا حكينا لك يطول شرحنا فان كل واحد منا جرت له حكاية في قلع عينه اليمنى ففرحت بذلك ثم فعلوا بي ما قالوا وحملني الطير وحط بي على الجبل فخرجت من الجلد ومشيت حتى دخلت القصر واذا فيه اربعون جارية كالاقمار لا يشبع من ينظر اليهم فلما رأوني قالوا كلهم اهلا وسهلا بك ومرحبا يا مولانا ونحن لنا شهر في انتظارك فالحمد لله الذي اتانا لما يستحقنا ونستحقه ثم انهم

اجلسوني على مرتبة عالية وقالوا انت اليوم سيدنا والحاكم علينا ونحن جوارك وتحت طاعتك فأمرفينا بحكمك فعجبت من احوالهن واتوني بطعام فاكلت انا واياهم وقدموا الي الشراب واجتمعن حولي وقاموا خمسة فرشوا حصيرة و رصوا حولها من المشموم والفواكه والنقل اشياء كثيرة واحضروا اليه المدام فجلسنا للشراب واخذوا عودا وغنوا عليه ودارت الكؤس والطاسات بيننا فدخل علي من الفرح ما انساني هموم الدنيا جميعها وقلت هذا هو العيش ولازلت معهم حتى اتى وقت المنام فقالوا اخذ معك ما تختار منا تنام عندك فاخذت واحدة منهن مليحة الوجه كحيلة الطرف دعجة الشعر فليجة الثغر كاملة الفنون بحاجب مقرون كأنها خوطان او قضيب ريحان تدهش وتحير الخاطر كما قال فيها الشاعر

نشبه بالغصن الرطيب جهالة	وحاشا معاينها نشبه بالظبى
من اين للظبي العزيز قوامها	وشربها المعسول طابت مشربا
واعينها النجل القواتل في الهوى	سبين القتيل المستهام المعذبا
صبوت اليها صبوة جاهلية	ولا عجب [illegible] نف الصب ان صبا

وانشدتها قول القائل

عيني لغير جمالكم لا تنظر	وسواكم في خاطري لا يخطر
وجميع فكري في هواكم سادتي	وعلى محبتكم اموت واحشر

فقمت ونمت ليلة معها ما رأيت احسن منها فلما اصبحت دخلن بي الحمام فغسلوني والبسوني من افخر الثياب وقدموا لنا الاكل فاكلنا والشراب فشربنا ودارت الكؤس بيننا الى الليل ثم اخترت منهن واحدة مليحة الاوصاف لينة الاعطاف كما قال فيها الشاعر حيث يقول

رأيت في صدرها حقان قد ختما	بمسكة تمنع العشاق ضمهما
تحرسهما بسهام من لواحظها	من يعتدي بها اصابته بسهمهما

فنمت عندها باجمل ليلة الى الصباح وبالاختصار يا سيداتاه اقمت عندهن في ارغد عيش مدة سنة كاملة وفي رأس السنة قلن لي ليتنا ما عرفناك فان سمعت منا كان فيه صلاح حالك وصاروا يبكون فتعجبت وقلت لهم ما الخبر فقالوا اننا نحن بنات ملوك ونحن مجتمعين هنا مدة سنين نغيب اربعين يوما ونقعد سنة نأكل ونشرب ونلذ ونطرب ثم نغيب وهذا دابنا ونخشي انك تخالفنا بعد ان نغيب عنك فيما نامرك به فها نحن نسلم اليك مفاتيح القصر وفيه اربعون خزانة فانت تفتح هذه التسعة وثلثين بابا واحذر ان تفتح الباب الاربعين فتفارقنا فقلت لهم لا افتحه ان كان فيه مفارقتكم ثم تقدمت منهن واحدة وعانقتني وبكت وقالت شعر

لئن ضمنا بعد التنائي تقرب	تبسم وجه الدهر بعد قطوبه
وان كحلت عيناي منكم بنظرة	غفرت لدهري سالفات ذنوبه

ايضا وانشدت

ولما تدانت للفراق وقلبها	حليفان يوما للصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعي	عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

فلما رأيت بكاها قلت والله لا افتحه ابدا وودعتها وخرجوا ثم طاروا وقعدت في القصر وحدي ولما قرب المساء فتحت الخزانة الاولى ودخلتها فوجدت فيها بيتا كأنه الجنة وفيه بستان اشجاره مخضرة وثماره يانعة واطياره صادحة ومياهه متدفقة فارتاح بها خاطري وتمشيت بين الاشجار وشممت روائح الازهار وسمعت غناء الاطيار وهي تسبح الواحد القهار ورأيت لون التفاح بين احمرار واصفرار كما قال الشاعر

تفاحة جمعت لونين خلقتها	خد الحبيب ولون الهائم الوجل

ثم نظرت الى السفرجل واستروحت عرفه المزري برائحة المسك والعنبر وهو كما قال الشاعر واخبر شعر

حاز السفرجل لذات الورى فغدا	على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما ونشر المسك رائحة	والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

ثم نظرت الى برقوق يروق العين حسنه كأنه ياقوت مخلوق ثم خرجت من ذلك المكان واغلقت باب الخزانة كما كان ولما كان الغد فتحت خزانة اخرى ودخلتها فوجدت فيها ميدانا كبيرا وفيه نخل كبير ونهر جار واشجار الورد والياسمين والبردقوش والنسرين والنرجس والمنثور مفروشة بحافته وقد هبت الرياح على تلك الرياحين فانتشر ذلك الطيب يمينا وشمالا وحصل لي من ذلك الحبور التام ثم خرجت من ذلك المكان واغلقت باب الخزانة كما كان ثم فتحت باب الخزانة الثالثة فرأيت فيه قاعة كبيرة مفروشة بالرخام الملون والمعادن المثمنة والاحجار الفاخرة وفيها اقفاص من الصندل والعود فيها طيور تغني مثل الهزار والمطوق والشحرور والقمري والنوبي المغرد فطاب قلبي من ذلك وانفرج همي ونمت في ذلك المكان الى الصباح ثم فتحت باب الخزانة الرابعة فوجدت فيها بيتا كبيرا وفي ذلك البيت اربعين خزانة مفتحة الابواب فدخلت فيهم فرأيت من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والزمرد والجواهر النفيسة ما لا يوصف بلسان فاندهش عقلي من ذلك وقلت هذه الاشياء اظن انها لا توجد في خزانة ملك من الملوك وانشرح حينئذ خاطري وزال همي فقلت انا الآن ملك عصري وهذه الاموال من فضل الله عندي واربعون جارية تحت يدي وما عندهم احد غيري ولم ازل اتفرج من موضع الى موضع حتى مضت تسعة وثلثون يوما وقد فتحت في هذه المدة الخزائن كلها الا الخزانة التي منعوني عن فتح بابها فبقي خاطري يا سيدتي مشتغلا بتلك الخزانة التي هي تمام اربعين وحكم على الشيطان لاجل شقاوتي بان افتحها فلم اجد صبرا عن ذلك ولم يبق من الميعاد الا يوم واحد فقمت الى الخزانة المذكورة وفتحت بابها ودخلت فوجدت فيها رائحة ذكية لم استروح مثلها وخامرت عقلي تلك الرائحة فوقعت مغشيا على مقدار ساعة ثم قويت قلبي ودخلت الخزانة فرأيت ارضها مفروشة بالزعفران وقناديل

من ذهب ومشموما يضوع نشر المسك والعنبر منها وهي تتقد نورا ورأيت مبخرتين عظيمتين كل واحدة منهما مملوءة من العود والعنبر والمعسل وقد تعطر المكان من عرفهما ونظرت يا سيدتي جوادا ادهم كسواد الليل اذا اظلم وقدامه معلف من البلار الابيض فيه سمسم مقشور ومعلف آخر مثله فيه ماء ورد ممسك والجواد مشدود ملجم وسرجه من الذهب الاحمر فلما رأيته تعجبت منه وقلت في نفسي ان هذا لابد له من شان عظيم واضلني الشيطان فاخرجته وركبته فلم يبرح من مكانه فرفسته فلم يتحرك فاخذت المقرعة وضربته بها فلما احس بالضربة صهل صهيلا بصوت كالرعد القاصف وفتح له جناحين فطار بي وغاب عن الابصار في جو السماء ساعة ثم حطني على سطح وانزلني ونشني بذيله على وجهي قلع عيني اليمنى وسيلها على خدي وذهب عني فنزلت من على السطح فوجدت العشرة شباب العور فقالوا لي لا مرحبا بك ولا اهلا فقلت لهم ها انا قد صرت واحدا مثلكم واشتهي تعطوني طبقة السواد اسخم بها وجهي وتقبلوني اجلس عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا واخرج من هنا فلما طردوني وضاق بي الامر وافتكرت على ما جرى على ناصيتي خرجت من عندهم حزين القلب باكي العين وقلت خفيفة كنت قاعدا بطولي فما خلاني فضولي فحلقت ذقني وشواربي وطفت في بلاد الله وكتب الله لي السلامة حتى وصلت الى بغداد في مساء هذه الليلة فاجد هؤلاء الاثنين الواقفين حائرين فسلمت عليهم وقلت انا غريب فقالوا ونحن ايضا غرباء واتفقنا نحن الثلاثة القرندلية عور من اليمين وهذا يا سيدتي سبب حلق ذقني وقلع عيني فقالت له ملس على رأسك ورح فقال والله لا اروح حتى اسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم احكوا لي على خبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التي قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبتكم لبعضكم فخرجوا الى ان صاروا في الزقاق فقال الخليفة للقرندلية يا جماعة اين انتم قاصدين الآن والفجر ما لاح فقالوا والله يا سيدنا لا ندري الى اين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وباتوا عندنا وقال لجعفر خذهم واحضرهم لي غدا انورخ ما جرى فامتثل جعفر ما امره الخليفة

ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يعتره منام في تلك الليلة فلما اصبح الصباح جلس على كرسي المملكة والتفت الى جعفر بعد ان طلع ارباب الدولة وقال ائتني بالثلثة صبايا والكلبتين والقرندلية فنهض جعفر واحضرهم بين يديه فادخل الصبايا تحت الاستار والتفت لهم جعفر وقال لهم قد عفونا عنكم بما اسلفتم من الاحسان الينا ولم تعرفونا فها انا اعرفكم انتم بين يدي الخامس من بني العباس الهارون الرشيد اخ موسي الهادي بن المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور بن محمد اخ السفاح بن محمد فلا تخبروه الا حقا فلما سمعت الصبايا كلام جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا امير المؤمنين لي حديث لو كتب بالابر على اماق البصر لصار عبرة لمن اعتبر ونصيحة لمن ينتصح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها لما تقدمت بين يدي امير المؤمنين قالت لي حديث عجيب وهو ان هاتين الكلبتين السود اخواتي ونحن كنا ثلث اخوات شقائق من ام واب وان هاتين البنتين الواحدة التي عليها اثر الضرب والاخرى الخوشكاشية من ام اخرى فلما مات والدنا اخذت كل واحدة حصتها من الميراث وبعد ايام توفيت والدتي وخلفت لنا ثلثة الآف دينار فاخذت كل بنت ميراثها الف دينار وكنت انا اصغرهم سنا فتجهزوا اخواتي وتزوجت كل واحدة برجل وقعد وامدة ثم ان كل واحد غني متجرا واخذ كل واحد من زوجته الف دينار وسافر وامع بعضهم وتركوني فغابوا خمس سنين وضيع ازواجهم المال وانكسروا وتركوهم في بلاد الناس فبعد خمس سنين جاءتني الكبيرة في صفة شحاذة وعليها ثياب مشرمطة وازار وسخ قديم وهي في انحس الاحوال فلما رأيتها ذهلت عنها ولم اعرفها ثم اني لما عرفتها قلت لها ما هذا الحال فقالت يا اختنا ما بقي الكلام يفيد وجرى القلم بما حكم فارسلتها الى الحمام والبستها

بدلة وقلت لها يا اختي انت عوض ابي وامي والارث الذي نابني معكم قد جعل الله فيه البركة وانا از كي عليه واحوالي جليلة وانا وانتم سواء واحسنت لها غاية الاحسان فقعدت عندي مدة سنة كاملة وقد اشتغل خاطرنا على اختنا الاخرى فما كان قليلا الا وجاءت بزي انجس ما جاءت به الاخت الكبيرة فعملت معها اكثر ما عملت مع الاولى وبقي لهما مال من مالي ثم انهما بعد مدة قالتا لي يا اختاه انا نريد الزواج اذ ليس لنا صبر على القعود بلا زوج فقلت لهم يا عيوني ما بقي في ازدواج خير والان الرجل الجيد عزيز الوجود ولم ار فيما ذكرتم صلاحا وانتم جربتم الزواج فلم يقبلوا كلامي وتزوجوا بغير رضائي فجهزتهم من مالي وسترتهم ومضوا مع ازواجهم فقعد وامدة يسيرة ولعبوا عليهم ازواجهم واخذوا ما كان معهم وسافروا وتركوهم فجاؤا عندي وهم خزايا واعتذروا وقالوا لا تواخذينا فانت اصغرمنا سنا واكمل عقلا وما بقينا نذكر الازواج ابدا فاتخذينا جواري عندك ناكل لقمتنا فقلت مرحبا بكم يا اخواتي ما عندي اعز منكم وقبلتهم وزدتهم اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فاردت ان اجهز لي مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرا وحملت فيها البضائع والمتاجر وما نحتاج اليه في المركب وقلت يا اخواتي هل لكم ان تقعدوا في المنزل حتى اسافر وارجع او تأتوا معي فقالوا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فاخذتهما وكنت قسمت مالي نصفين اخذت النصف والنصف الثاني اودعته وقلت ربما يصيب المركب شيئ ويكون في العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيئا ينفعنا وسافرنا اياما ولیالي فتاهت بنا المركب وغفل الرئيس عن الطريق ودخل المركب بحرا غير البحر الذي نريده ولم نعلم ذلك مدة وطابت لنا الريح عشرة ايام وبعد عشرة طلع الناطور بينظر فقال البشارة ونزل وهو فرحان وقال رأيت صفة مدينة وهي مثل الحمامة ففرحنا وما مرت علينا ساعة من النهار الا وقد لاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للرئيس ما اسم هذه المدينة التي اشرفنا عليها فقال والله لا اعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمري هذا البحر ولكن جاء امر بسلامة فما بقي الا ان

تدخلوا هذه المدينة وانظروا بضائعكم فان حصل لكم بيع بيعوا وتسوقوا مهما كان فيها وان لم يحصل لكم بيع نرتاح يومين ونتزود ونسافر فدخلنا المدينة وطلع الرئيس اليها وغاب ساعة واتى الينا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا في صنع الله في خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فلما اتيت الباب رأيت اناسا بايديهم عصيّ على باب المدينة فدنوت منهم واذا هم مسخوطين وقد صاروا احجارا فدخلنا المدينة فوجدنا كل من فيها مسخوطا احجارا سودا الا فيها ديار ولا نافخ نار فاندهشنا من ذلك فشقينا الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقية على حالها ففرحنا وقلنا لعل ان يكون لهذا اشان نتفرقنا في شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بالكسب والمال والقماش واما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاواني من الذهب والفضة فعند ذلك رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شئ يحير فيه الفكر فلما قدمت الى الملك وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر والجوهر عليه بدلة من الذهب وفيه كل جوهرة تضئ مثل النجمة وواقف حوله خمسون مملوكا لابسين انواع الحرير وفي ايديهم السيوف مجردة فلما نظرت ذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير منقوشة بقضبان الذهب ووجدت الملكة نائمة وعليها بدلة من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بانواع الفصوص وفي عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ على حاله وهي مسخوطة حجرا اسود ووجدت بابا مفتوحا فصعدت اليه وهو مكان بسبع درج فوجدته موضع مرخم مفروش بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من العرعر مرصع بالدر والجوهر ورمانتين من الزمرد وعليه بشخانة مرخية منظومة باللؤلؤ ونظرت نورا خارجا من باب البشخانة فطلعت فوقه فوجدت جوهرة قدر بيضة الاوزة في صدر البشخانة على كرسي صغير وهو يوقد كالشمعة ونورها ساطع ومفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت ذلك تعجبت ورأيت في ذلك المكان شموعا موقدة

فقلت لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم اني مشيت ودخلت الى موضع غيره وصرت افتش وادور في الاماكن ونسيت نفسي مما لحقني من العجب من تلك الاحوال وغرقت في فكري الى ان دخل الليل فاردت الخروج فلم اعرف الباب وتهت فعدت الى البشخانة التي فيها الشمع موقود وجلست على السرير وتغطيت باللحاف بعد ان قرأت شيئا من القرآن واردت النوم فلم استطع ولحقني القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن لكنه ضعيف الصوت ففرحت وتبعت الصوت الى ان جئت الى مخدع فرأيت بابه مردودا ففتحت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد ومحراب وفيه قناديل معلقة موقودة وشمعتان وفيه سجادة مفروشة وعليها شاب جالس حسن المنظر وقدامه ختمة مكرسة وهو يقرأ فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد علي السلام فقلت له اسألك بحق ما تلوته من كتاب الله الا ما اجبتني عن سؤالي والشاب ينظر الي ويتبسم وقال ايتها الامة اخبريني انت عن سبب دخولك هذا المكان وانا اخبرك بما جرى علي وعلى اهل هذه المدينة وسبب خلاصي فاخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم اني سألته عن خبر اهل هذه المدينة فقال امهليني يا اختي ثم طبق الختمة وشالها في كيس اطلس واجلسني الى جانبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر اذا ابدر حسن الاوصاف لين الاعطاف حسن المنظر كأنه قالب سكر معتدل القوام كما قيل فيه هذه الابيات

رصد المنجم ليلة فبدا له	قد المليح يلوح في برديه
واقامه زحل السواد بشعره	وحباه لون المسك في صدغيه
وجري من المريخ حمرة خده	والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد اعطاه فرط ذكائه	وابى السها نظر الوشاة اليه
فبقي المنجم حائرا لما رأى	والبدر باس الارض بين يديه

وقد البسه الله تعالى حلة الكمال وطرزها من عذاره بالبها والجمال

كما قال فيه الشاعر

قسما بنشوة جفنه وبخصره	وباسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه	وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب منع الكرى عن ناظري	وسطا على بنهيه وبامره
وبورد خديه وآس عذاره	وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبجيده وبحسن قامته التي	قد اطلعت رمانها في صدره
وبردفه المرتج في حركاته	وسكونه وبرقة في خصره
وحرير ملمسه وخفة روحه	وبما حواه من الجمال باسره
وبجود راحته وصدق لسانه	وبطيب مولده وعالي قدره
ما المسك ان عرفوه الا عرفه	والريح عنبر نشرها من نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه	مما حكته قلامة من ظفره

فنظرت له نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبته فقلت له يا مولاي اخبرني عن ما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلمي يا امة الله ان هذه المدينة مدينة والدي وهو الملك الذي نظرتيه على الكرسي وهو حجر اسود مسخوطا عليه واما الملكة التي قد نظرتيها في البشخانة فهي امي وجميع اهلها مجوس يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور وكان ابي ليس له ولد ورزق بي في آخر عمره فرباني حتى نشأت وقد سبقت لي السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة في السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله في الباطن وتوافق اهلي في الظاهر وكان ابي يعتقد فيها بما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد في اكرامها وكان يعتقد انها في دينه فلما كبرت سلمني ابي اليها

وقال خذ يه ربيه وعليه احوال ديننا واحسني تربيته وقومي بخدمته فاخذتني العجوز وعلمتني دين الاسلام من الوضوء وفرائض الوضوء والصلوة وحفظتني القرآن وقالت لا تعبد سوى الله تعالى فلما تمت ذلك قالت لي يا ولدي اكتم هذا الامر عن ابيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم ازل على هذا الحال مدة ايام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد اهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا مناديا ينادي باعلى صوته مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النيران واعبدوا الله الملك الرحمن فحصل عند اهل المدينة فزع واجتمعوا عند ابي وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذي سمعناه فادهشنا من شدة فزعه فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يخوفكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابي ولم يزالوا مكبين على عبادة النار وزادوا في طغيانهم الى مدة سنة لميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه وثالثا على ثلث سنين في كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فسخطوا احجارا سودا ودوابهم وانعامهم ولم يسلم من اهل هذه المدينة غيري ومن يوم جرت هذه الحركة وانا على هذه الحالة في صلوة وصيام وتلاوة قرآن وقد عيل صبري من الوحدة وما عندي من يونسني فعند ذلك قلت له وقد سلب لبي يا هذا الشاب هل لك ان تروح معي الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والفقهاء وتزداد علما وفهما وفقها واعلم ان الجارية التي قدامك سيدة قومها وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندي مركب موثوق بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان سببا في اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب في اجتماعنا ولم ازل احسن له التوجه والاطفه واتحايل عليه حتى قبل وانعم به وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى قال لي نعم فبت تلك الليلة تحت رجليه وانا لا اصدق ما انا فيه من الفرح فلما اصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن واخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والرئيس وهم يفتشون علي فلما راوني فرحوا واخبرتهم بما رايت وحكيت لهم على قصة الشاب وسبب سخط هذه المدينة وما جرا لهم فتعجبوا من ذلك ولما راوني اخواتي هاتين الكلبتين ومعي ذلك الشاب حسدوني عليه وصاروا في غيظ واضمروا المكر ثم طلعنا المركب فرحين ونحن طائرين من الفرح بالكسب واما فرحي اكثر كان بالشاب واقمنا ننتظر الريح فطاب لنا الريح فانفردنا القلوع وسافرنا فقعدت اخواتي عندنا وصرنا نتحدث فقالتا لي يا اختنا ما تصنعين مع هذا الشاب الحسن فقلت لهم قصدي اتخذه بعلا ثم التفت اليه واقبلت عليه وقلت يا سيدي قصدي اقول لك شيئا لا تخالفني فيه وهو انه اذا وصلنا الى بغداد مدينتنا فانا اقدم نفسي لك جارية برسم الحرم وتكون لي بعلا واكون انا لك اهلا فقال سمعا وطاعة والتفت الى اخواتي وقلت لهم يكفيني هذا الشاب وكل من كسب شيئا فهوله فقلن لي نعم ما فعلت لكنهم اضمروا لي الشر ولم نزل سائرين وطاب لنا الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا الامان وسافرنا اياما قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا اسوارها فادركنا المساء فلما اخذنا النوم قامت اخواتي وحملوني بفراشي ورموني في البحر وكذلك فعلوا بالشاب وكان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء واما انا ليتني كنت غرقت معه ولكن قدر الله اني كنت من السالمين فلما استقريت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتها وضربتني الامواج الى ان رمتني على ساحل جزيرة فلم ازل امشي في الجزيرة باقي ليلتي ولما اصبح الصباح رأيت طريقا مشى على قدر قدم ابن آدم متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت اثوابي في الشمس واكلت من ثمار الجزيرة وشربت من مائها وسرت في الطريق ولم ازل سائرة الى ان قربت من البر وقد بقي بيني وبين المدينة ساعتين واذا انا بحية عامدة

عَلَيَّ وهي في غلط النخلة تسعى سعيا مسرعا وقد اقبلت نحوي فرأيتها تاخذ يمينا وشمالا حتى وصلت عندي فاذا بلسانها قد تدلى على الارض مقدار شبر وتجرف التراب بطولها وخلفها ثعبان طاردها وهو طويل رقيق طول رمح وهي هاربة منه وتلتفت يمينا وشمالا وقد قبض ذنبها وسالت دمعها وقد تدلى لسانها من شدة الهرب فاخذتني الشفقة عليها فعمدت الى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته ففتحت الحية جناحين وطارت فى الجو حتى غابت من عيني وجلست اتعجب من ذلك وقد تعب ولحقني النعاس فنمت موضعي ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلي جارية ومعها كلبتان وهي تكبس رجلي فاستحييت منها وقعدت جالسا وقلت لها يا اختي من تكوني فقالت ما اسرع ما نسيتني انا الذي عملت معي الجميل وزرعتِ المعروف وقتلتِ عدوي فانا الحية التي خلصتني من الثعبان فاني جنية وهذا الثعبان جني وهو عدوي وما نجاتي منه الا بك فلما نجيتني منه طرت فى الريح ورحت الى المركب التى رموك منها اخواتك فنقلت جميع ما فيها الى بيتك وغرقتها واما اخواتك فجعلتهما كلبتين سودا فاني عرفت جميع ما جرى لك معهم واما الشاب فانه غرق ثم حملتني والكلبتين ورمتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال في وسط بيتي ولم يضع منه شيء ثم ان الحية قالت لي وحق النقش الذي على خاتم سيدنا سليمان عليه السلام اذا لم تضربي كل واحدة منهن كل يوم ثلثمائة سوط جئت وجعلتك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب واشفق عليهما وهما يعرفان ان ما لي ذنب في ضربهما ويقبلان عذري وهذه قصتي وحكايتي قال صاحب الحكاية فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وانت ما سبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا امير المؤمنين اني كان لي والد فتوفي وخلف مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل اسعد اهل زمانه فاقمت معه سنة ومات فورثت منه ثمانين الف دينار ذهب وهي حصتي بالفريضة الشرعية وفقت فى السعادة وشاع خبري فعملت عشر بدلات كل بدلة بالف دينار فبينما انا جالسة

في يوم من الايام اذ دخلت عليَّ عجوز بخدٍ مشموط وحاجب ممقوط وعيون مفجرة واسنان مكسرة ووجه انمش ولحظ اعمش وراس مجصص وشعر اشهب وجسم اجرب وقد مائل ولون حائل ومخاط سائل كما قال فيها القائل

شعر

عجوز النحس لا يرحم صباها	ولا يغفر لها يوما تموت
تقود من السياسة الف بغل	اذا نفروا بخيط العنكبوت

فلما دخلت العجوز سلمت علي وباست الارض بين يدي وقالت لي عندي بنت يتيمة والليلة عملت عرسها وجلاها ونحن غرباء في هذه المدينة ولا نعرف احدا من اهلها وقد انكسرت قلوبنا فارجي الاجر والثواب بانك تحضري جلاها حتى تسمعوا استات مدينتنا بانك حضرتي فيحضرن فتكوني جبرة خاطرها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى وبكت وقبلت رجلي وجعلت تقول هذه الابيات

حضوركم لنا شرف	ونحن بذاك نعترف
فان غبتم عنا فلا	عوض لنا ولا خلف

فاخذتني الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة وقلت لها انا اعمل معها شيئ مع مشيئة الله تعالى وما اجليها الا بحللي ومصاغي وتراكيبي ففرحت العجوز وطأطأت على رجلي تقبلهم وقالت الله يجازيك خيرا ويجبر قلبك مثل ما جبرت قلبي ولكن سيدتي لا تكلفي خدمتك من هذا الوقت ولكن تجهزي للعشاء حتى اجي اخذك وباست يدي وذهبت فقمت عدلت نفسي وحالي واذا بالعجوز قد اقبلت وقالت يا سيدتي ان ستات البلد قد حضرن واخبرتهم بحضورك ففرحوا وهم في انتظارك متطلعين قدومك وتارزت فقمت واخذت جواري معي وسرت حتى اتينا الى زقاق مكنوس مرشوش هب فيه النسيم وراق فقدمنا الى باب مقنطر بقبة من الرخام شديدة البنيان على باب القصر قد قام من التراب

وتعلق بالسحاب مكتوب على الباب هذه الابيات شعر

انا دار بنيت للافراح	طول دهري للبسط والانشراح
وبوسطي فسقية تتدفق	بمياه تزيل بالانشراح
وعليها من الشقيق زهور	ورد آس ونرجس واقاح

فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط ومعلق فيه قناديل موقودة وشموع مصفوفة فيها الجواهر والمعادن فمشينا من الدهليز الى ان دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلق فيها القناديل موقودة والشموع صفين وفي صدر القاعة سرير من العرعر مرصع بالدر والجوهر وعليه بشخانة اطلس مزرر ولم نشعر حتى خرجت صبية من البشخانة فنظرت اليها يا امير المؤمنين فاذا هي اكمل من البدر اذا بدر بجبين ازهر كالصبح اذا اسفر كما قال الشاعر حيث يقول

انت على القصرات القيصريات	خود من الخفرات الكسرويات
تبدو د لائل خديها موردة	ياحسن تلك الخدود العندميات
هيفاء فاترة الالحاظ ناعسة	حازت من الحسن انواع الملاحات
كأن طرتها من فوق غرتها	ليل الهموم على صبح المسرات

فنزلت الصبية من البشخانة وقالت لي مرحبا واهلا وسهلا بالاخت العزيزة الجليلة والف مرحبا ثم انشدت تقول هذه الابيات

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت	واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانشدت بلسان الحال قائلة	اهلا وسهلا باهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت لي يا اختي ان لي اخا وقد رآك في بعض الافراح والمواسم وهو شاب احسن مني وقد حبك قلبه حبا شديدا لانك حزت

من الحسن والجمال او في نصيب وسمع انك سيدة قومك وهو ابضا سيد قومه فاراد ان يصل حبله بحبالك واعطي هذه الحيلة لاجل اجتماعي بك ويريد يتزوج بك بسنة الله ورسوله وما في الحلال من عيب قالت فلما سمعت كلامها ورأيت نفسي قد تجوبت في الدار قلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت على يديها وفتحت بابا وخرج منه شاب مليح الشباب نقي الاثواب بقد اعتدال وحسن وجمال وبهاء وكمال ورخيم الدلال بحاجب كقوس نبال وعيون تختلس القلوب بالسحر الحلال كما قال فيه بعض واصفيه شعر

له وجه كوجه الهلال	واثار السعادة كاللآلي

وايضا لله در قائله شعر

تبارك بحسن تبارك الله	جل الذي صاغه وسواه
قد حاز كل الجمال منفردا	كل الورى في جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته	اشهد ان لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبي له وحببته فجلس بجانبي وتحدثت معه ساعة ثم صفقت الصبية ثاني مرة واذا بخرستان قد انفتح وخرج منه قاض ومعه اربع شهود فسلموا وجلسوا وكتبت الكتاب على الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب اليّ وقال لي ليلة مباركة ثم قال يا سيدتي اشرط عليك شرطا فقلت يا سيدي وما الشرط فقام واحضر لي مصحفا وقال احلفي انك لا تنظري احدا غيري ولا تميلي اليه فحلفت على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقني فاخذت محبته بمجامع قلبي وقدموا لنا السماط فاكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا فاخذني ودخل الى الفراش ولم يزل في بوس وعناق الى الصباح ولم يزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن في هنا وسرور وبعد الشهر استاذنته في اني اسير الى السوق واشتري بعض قماش فاذن لي في الرواح فتزيرت واخذت العجوز معي وجارية ونزلت الى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لي هذا ولد صغير مات ابوه وخلف له مالا كثيرا وعنده متجر عظيم وما طلبته تجده وما عند احد في

السوق احسن من قماشه ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا وطاعة فشكرت فيه العجوز فقلت ما لنا حاجة بشكرك فيه ومرادنا ناخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ما طلبناه واخرجنا له الدراهم فابى ان ياخذ شيئا وقال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقالت العجوز ان لم تاخذ الدراهم والا اعطيه قماشه فقال والله لا اخذ منك شيئا والجميع هدية من عندي في بوسة واحدة فانها عندي احسن من جميع ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من البوسة ثم قالت يا بنتي سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك اذا اخذ منك بوسة وتاخذي ما تطلبيه فقلت لها انت ما تعرفي اني حالفة فقالت خليه يبوسك وانت ساكتة ولا عليك شئ وتاخذي هذه الدراهم ولا زالت تحسن لي هذا الامر حتى ادخلت راسي الجراب ورضيت بذلك ثم اني غطيت عيني وداريت بطرف ازاري من الناس وحط فمه تحت ازاري على خدي فلما باسني عضني عضة قوية قطع من خدي اللحمة فغشي علي ثم اخذتني العجوز في حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لي الحزن وتقول دفع الله ما كان اعظم ثم قالت لي قومي بنا الى البيت وشدي روحك لئلا تنفضحي فاذا وصلت الى البيت ارقدي وتضاعفي روحك مريضة وارمي عليك الغطا وانا اجي لك بدواء تداوي به هذه العضة فتبرئ سريعا فبعد ساعة قمت من مكاني وانا في غاية الفكر واشتد بي الخوف ومشيت قليلا قليلا حتى وصلت البيت وصرت في حالة المرض فلما دخل الليل واذا بزوجي دخل وقال ما الذي اصابك يا سيدتي في هذه الخرجة فقلت له ما انا طيبة وجع في راسي فنظر الي واوقد شمعة وقرب مني وقال ما هذا الجرح الذي في خدك وهو في المكان الناعم فقلت اني لما استاذنتك وخرجت في هذا النهار اشتري القماش زاحمني جمل حطب فشرمط نقابي وجرح خدي كما ترى فان المكان ضيق في هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم واقول له يشنق كل حطاب في المدينة فقلت بالله عليك لا تحمل خطيئة احد فاني ركبت حمارا فعثر بي فنزلت على الارض فصادفني عود خدش خدي وجرحني فقال غدا اطلع لجعفر البرمكي واحكي له الحكاية فيقتل كل حمار في هذه المدينة فقلت انت تضيع الناس كلهم بسببي وهذا الذي جرى لي بقضاء الله وقدره فقال لابد

من ذلك ولم علي بالكلام ونهض قائما فنفرت منه واغلظت كلامي عليه فعند
ذلك يا امير المؤمنين علم بحالي وقال خنتني اليمين وصاح صيحة عظيمة فانفتح
الباب وطلع منه سبع عبيد سود وامرهم فسحبوني من فرشي ورموني وسط
الدار وامر عبدا منهم ان يمسكني من اكتافي ويجلس على راسي وامر الثاني
ان يجلس على ركبتي ويمسك رجلي وجاء الثالث وفي يده سيف فقال له يا سيدي
اضربها بالسيف اقسمها نصفين وكل واحد ياخذ قطعة يرميها في بحر الدجلة
يأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الايمان والمودة واشتد غضبه وانشد

يقول هذه الابيات

ان كان لي فيمن احب مشاركا	منعت الهوى روحي ولو اتلفه وجدي
وقلت لها يا نفس موتي كريمة	فلا خير في حب يكون على ضد

ثم قال للعبد اضربها يا سعد فلما تحقق العبد جلس علي وقال يا سيدتي اذكري
الشهادة وما كان لك من الحوائج اخبرينا به فان هذا آخر حيوتك فقلت له
يا عبد الخير تمهل علي قليلا حتى اوصيك فرفعت راسي ونظرت الى حالي وكيف
صرت في الذل بعد العز فجرت عبرتي وبكيت بكاء شديدا فنظر الي بعين

الغضب وانشد يقول

قل لمن مل وصلنا وجفانا	وارتضى في الهوى خليلا سوانا
بسنا منك قبل يبسك منا	الذي كان بيننا قد كفانا

فلما سمعته يا امير المؤمنين بكيت ونظرت اليه وانشدت اقول هذه الابيات شعر

اقمتم فراقي في الهوى وقعدتم	واسهرتم جفني القريح ونمتم
والفيتم بين السهاد وناظري	فلا القلب يسلاكم ولا الدمع يكتم
وعاهدتموني انكم تحسنوا الوفا	فلما تملكتم فوادي غدرتم
عشقتكم طفلا فلم ادر ما الهوى	فلا تقتلوني انني متعلم
سالتكموا بالله ان مت فاكتبوا	على لوح قبري ان هذا متيم

لعل شجيا عارفا لوعة الهوى ... يمر على قلب المحب فيرحم

فلما فرغت من شعري بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكائي ازداد غيظا على غيظة وانشد يقول

تركت حبيب القلب لا عن ملالة ... ولكن جنى ذنبا يؤدي الى الترك
اراد شريكا في المحبة بيننا ... وايمان قلبي لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت وتضرعت له وقلت في نفسي اخدعيه بالكلام لعله يعتقني من القتل ولو كان ياخذ جميع ما املك ثم شكوت اليه ما اجده وانشدت اقول هذه الابيات

وحقك لو انصفتني ما قتلتني ... ولكن حكم البين ما فيه منصف
وحملتني ثقل الغرام واننى ... لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما عجبي اتلاف روحي وانما ... عجبت لجسمي بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعري بكيت فنظرني ونهرني وشتمني وانشد يقول هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... واظهرتم الهجران ما هكذا كنا
ساتركم من حيث ما قد تركتموا ... ونصبر عنكم مثل صبركم عنا
ونشغل عنكم مذ شغلتم بغيرنا ... ونجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له وسطها وريحنا منها فليس لنا فيها فائدة فبينما نحن يا امير المؤمنين نتشاجر بالاشعار وقد تحققت بالموت وايست من الحيوة وسلمت امري لله تعالى واذا بالعجوز دخلت ورمت نفسها على اقدام الشاب وباستهم وبكت وقالت يا ولدي بحق تربيتي لك وخدمتي تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك و انت شاب صغير اخاف عليك ان تدخل في اثمها وقد قيل كل قاتل مقتول وايش هذه الوسخة اتركها عنك وعن بالك وقلبك ثم بكت ولم تزل تلح عليه حتى رضي وقال عفوت عنها لكن لا بد ان اعمل اثرا يصير عليها بقية

عمرها ثم امر العبيد فجذبوني ومدوني بعد ما جردوني من اثوابي وجلست العبيد على وقام الغلام واحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدي بالضرب ولم يزل يضربني على ظهري واجنابي حتى غبت عن الوجود من شدة الضرب وقد ايست من حياتي فامر العبيد انه اذا دخل الليل يحملوني وياخذوا العجوز معهم تدلهم على البيت ويرموني في بيتي الذي كنت فيه سابقا ففعلوا ما امرهم به سيدهم ورموني في بيتي وراحوا ولا زلت انا في غشوتي الا والصباح قد لاح فلاطفت حالي في المراهم والادوية وداويت جسمي وبقيت اضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى ورقدت ضعيفة طريحة الفراش اداوي روحي اربعة اشهر حتى استفقت وشفيت وجئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر فوجدتها خرابا والزقاق مهدود من اوله الى اخره وصارت الدار كيما نا ولم اعلم خبرها فجئت الى اختي هذه التي من ابي فوجدت عندها هاتين الكلبتين السود فسلمت عليها واخبرتها بخبري وجميع حديثي فقالت لي يا اختي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذي جاء الامر بسلامة وجعلت تقول

وما الدهر الا هكذا فاصطبر به	اذا رزيت بمال او فراق حبيب

ثم اخبرتني بخبرها وما جرى لها مع اخواتها وما قد صاروا اليه فقعدت انا وهي لا نذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الحوشكاشة في كل يوم تخرج تشتري لنا ما نحتاج اليه من المصالح في يومنا وليلتنا و صرنا على هذه الحالة الى هذه الليلة التي مضت فخرجت اختنا تشتري لنا شيئا على جري عادتها فوقع لنا ما وقع بمجيء الحمال وهؤلاء الثلاثة القرندلية فتحادثنا معهم وادخلناهم عندنا واكرمناهم ولم يذهب من الليل برهة حتى اجتمعنا بثلاثة تجار محتشمين من الموصل وحكوا حكايتهم وتحادثنا معهم وكنا شرطنا عليهم شرطا فخالفونا فيه فاننا قابلناهم على مخالفتهم و استخبرناهم عما جرى لهم فحكوا لنا حكايتهم وما جرى لهم فعفونا عنهم وانفصلوا عنا وما نشعر اليوم حتى حضرنا بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة منها وجعل لها تاريخا في خزانته وادرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة امران تكتب هذه القصة في الدواوين ويجعلوها في خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندك خبر من العفريتة التي سحرت اخواتك قالت يا امير المؤمنين انها اعطتني شيئا من شعرها وقالت متى اردت حضوري فاحرقي من هذا الشعر شعرة فاحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضري لي الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة وحرقه فلما ظهرت رائحة اهتز القصر وسمعوا دويا وقرقعة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معي جميلا ولا اقدر اكافيها عليه وهي انقذتني من الموت وقتلت عدوي ورأيت ما فعلت معها اخواتها فما رأيت الا اني انتقم منهم واسحرهم كلابا بعد ان اردت قتلهم فخشيت ان يصعب عليها والآن ان اردت خلاصهم يا امير المؤمنين اخلصهم كرامة لك ولها فاني من المسلمين فقال لها خلصيهم وبعد ذلك نشرع في امر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لي صدقها اخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا امير المومنين ها انا اخلصهم وادلك على من فعل بهذه الصبية وظلمها واخذ مالها وهو اقرب الناس اليك ثم ان العفريتة اخذت طاسة من الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلام لا افهم ورشت وجه الكلبتين وقالت لهم عودوا الى صورتكم الاولى البشرية فعادوا الى صورتهم التي كانوا عليها ثم قالت العفريتة يا امير المؤمنين ان الذي ضرب الصبية ولدك الامين اخ المامون فانه كان يسمع بحسنها وجمالها ونصب عليها حيلة وتزوجها بالحلال وهو ما له ذنب في ضربها فانه اشترط عليها وحلفها ايمانا عظيمة ان لا تفعل شيئا وقد خانت اليمين فاراد قتلها فخاب الله تعالى فضربها هذا الضرب واعادها الى مكانها وهذه

قصة البنت الثانية والله اعلم فلما سمع الخليفة ذلك من كلام العفريتة وعلم
ضرب الصبية تعجب كل العجب وقال سبحان الله العلي العظيم الذي من
عليّ بهذا وتخلص البنتين من السحر والعذاب ومن علي بخبر هذه الصبية
والله لاعملن عملا يكتب بعدي ثم احضر ولده الامين بين يديه وسأله
عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق ثم احضر القضاة والشهود
واحضر القرندلية الثلثة واحضر الصبية الاولى واخواتها اللتين كانتا
مسحورتين وزوج الثلث للثلثة القرندلية الذين اخبروا انهم كانوا
ملوكا وعملهم حجابا عنده واعطاهم ما يحتاجون اليه واجري لهم جرايات
وانزلهم في قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الامين وجدد كتابه
واعطاها مالا كثيرا وامر ان تبنى الدار احسن ما كانت واما الخليفة فقد
تزوج بالخشكاشة ورقد في تلك الليلة معها فلما اصبح افرد لها بيتا وجواري
لخدمتها ورتب لها رواتب وجعل لها بيتا بسراريه فتعجب الناس من كرم
الخليفة وسماحة نفسه وحكمته ثم امر الخليفة ان يؤرخوا قصص هؤلاء
جميعهم قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختاه والله هذه قصة جميلة لطيفة
لا يسمع مثلها قط ولكن احكي لي قصة اخري لنقضي ما بقي من سهر ليلتنا
هذا قالت حبا وكرامة ان اذن لي الملك فقال الملك قصي قصتك واعجلي
فقالت زعموا يا ملك الزمان وصاحب العصر والاوان ان الخليفة هارون
الرشيد احضر ليلة من الليالي وزيره جعفرا وقال له اريد ان انزل
المدينة ونسأل العامة عن احوال الحكام المتولين وكل من شكوا منه
عزلناه ومن شكروا منه اوليناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل
الخليفة وجعفر ومسرور وشقوا في المدينة ومشوا في الاسواق والشوارع
فاجتازوا على زقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفي يده
عصا وهو ماش على مهلة ينشد ويقول

يقولون لي انت بين الورى	بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعوني من اقوالكم	فلا علم الا مع المقدره
فلو رهنوني وعلمي معي	وكل الدفاتر والمحبره

على قوت يوم فـرد الرهان ... وارموا الى القصة المحقـرة
فاما الفقير وحال الفقير ... وعيش الفقير فما اكـدره
وفى الصيف يعجز عن قوتـه ... وفى البرد يد في على المجمره
تقوم عليه كلاب الطريق ... وكل لئيم بـذا ينهـره
اذا ما شكى حاله لامـرئ ... فما في البرية من يعذره
اذا كان هذا حيوة الفقـير ... فاصلح ما كان فى المقبـره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير وانظر هـذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم الخليفة تقدم اليه وقال له يـاشيخ ما صنعتك فقال يا سيدي انا صياد وعندي عيلة وخرجت من بـيتي من نصف النهار الى هذا الوقت لم يقسم الله شيئا اقوت به عيالي وقـد كرهت نفسي وتمنيت الموت فقال الخليفة هل لك ان ترجع معنا البحـر و تقف على شاطئ الدجلة وترمي شبكتك على بختي ومهما طلع اشتريـه منك بمائة دينار ففرح لما سمع هذا الكلام وقال على رأسي ارجع معكم ثم ان الصياد رجع معهم الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب الخيط وجر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فاعطى للصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور مع الخليفة وطلعوا به الى القصر واوقدوا الشموع والصندوق بين يدي الخليفه فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بخيط صوف احمر فقطعوا القفة فرأوا فيها فردة بساط فشالوا الفردة فوجدوا ازارا ووجدوا فيه صبية كأنها سبيكة فضة مقتولة مقطعة فلما نظرها الخليفة تاسف وجرت دموعـه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب الوزراتقتل القتلى في زمني ويرموهم فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتي يوم القيامة والله لابد ان آخذ حق هذه الصبية ممن قتلها ولاقتلنه شر قتلة وقال لجعفر وحق اتصال

نسبي بالخليفة من بني العباس ان لم تاتني بالذي قتل هذه لانصفها منه شنقتك
على باب قصري واربعين من بني عمك واغتاظ الخليفة غيظا شديدا فخرج
جعفر من بين يديه وقال له امهلني ثلثة ايام قال امهلتك فنزل جعفر
المدينة وهو حزين وقال في نفسه من اين اعرف من قتل هذه الصبية حتى
اني احضره للخليفة وان احضرت له غيره يصير متعلقا في ذمتي ولا ادري ما
اصنع ثم ان جعفرا جلس في بيته ثلثة ايام وفي اليوم الرابع ارسل الخليفة
وراءه بعض الحجاب يطلبه فطلع اليه فقال الخليفة له اين قاتل الصبية قال
جعفر يا امير المؤمنين انا كنت عريف القتلى حتى اعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة
وامر بشنقه تحت قصره وامر مناديا ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة
على شنق جعفر البرمكي وزير الخليفة وشنق اربعين برمكيا من اولاد عمه على
باب قصر الخليفة فليخرج يتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات يتفرجون
على شنق جعفر واولاد عمه ولم يعلموا سبب شنقهم ونصبوا الخشب واوقفوهم
تحته لاجل الشنق وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وكانت الاشارة
هكذا وصار الخلق يتباكون على جعفر واولاد عمه فبينما هم كذلك واذا
بشاب حسن الوجه نقي الاثواب بوجه اقمر وطرف احور وجبين ازهر وخد
احمر وعذار اخضر وشامة كأنه قرص عنبر ومازال يفسح الناس الى ان
وقف بين يدي جعفر فقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء
وكهف الفقراء الذي قتل القتيلة التي وجدتموها في الصندوق انا فاشنقني
عنها وخذ حقها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب وما ابداه من الخطاب
فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم في الكلام واذا بشيخ كبير
طاعن في السن يفسح الناس ويشق بين الخلائق الى ان وصل الى جعفر و
والشاب فسلم عليهما فقال ايها الوزير والسيد الخطير لا تصدق كلام هذا
الشاب فيما يقول فانه ما قتل الصبية الا انا فخذ حقها مني او اطالبك
بين يدي الله تعالى ان لم تفعل فقال الشاب ايها الوزير هذا شيخ كبير
خرفان لا يدري ما يقول وانا الذي قتلتها فخذ حقها مني فقال الشيخ
يا ولدي انت صغير تشتهي الدنيا وانا كبير شبعت من الدنيا وانا افديك
بروحي وافدي الوزير وبني عمه وما قتل الصبية الا انا فبالله عليك عجل

بشنقي فلا جبوة لي بعدها فلما نظر الوزير الى ذلك تعجب واخذ الشاب والشيخ و
طلع بهما الى الخليفة وقبل الارض وقال يا امير المؤمنين قد احضرنا قاتل الصبية
فقال الخليفة اين هو فقال ان هذا الشاب يقول انه هو القاتل وهذا الشيخ
يكذبه ويقول هو القاتل وها هما بين يديك فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب
وقال من فيكم قتل هذه الصبية فقال الشاب انا وقال الشيخ ما قتلها الا انا
فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واشنقهما فقال جعفر اذا كان احدهما
قتل فشنق الثاني ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الارض انا
الذي قتلت الصبية وادي امارة قتلتها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق
عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب الخليفة من قصتهما وقال
ما سبب قتلك لهذه الصبية بغير حق وايش سبب اقرارك بالقتل من غير
ضرب ومجيئك بنفسك في هذا وتقول خذوا حقها مني فقال الشاب
اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي وبنت عمي وهذا الشيخ ابوها
وهو عمي وتزوجت بها وهي بكر فرزقني الله منها ثلثة اولاد ذكور وكانت
تحبني وتخدمني ولم ار عليها سوءا وكنت انا ايضا احبها حبا عظيما الى ان
كان اول هذا الشهر فمرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء فتوجهت
لها العافية قليلا قليلا فاردت ان ادخلها الحمام فقالت اني اريد شيئا
قبل دخول الحمام فقد اشتهيته فقلت لها سمعا وطاعة وما هو فقالت اني
اشتهي تفاحة اشمها واعض منها عضة فدخلت من ساعتي المدينة وفتشت
على التفاح فلم اجده ولو كانت الواحدة بدينار لاشتريتها فشق علي ذلك و
طلعت الى البيت وقلت لها يا بنت عمي والله ما لقيت شيئا فتشوشت وهي
ضعيفة وزاد عليها الضعف تلك الليلة كثيرا فبت وانا متفكر فلما اصبح الصباح
خرجت من بيتي ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم اجد فيها تفاحا فلقيني
خولي كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل ان يوجد وهو
معدوم ولا يوجد الا في بستان امير المؤمنين الذي في البصرة وهو عند
الخولي يدخره للخليفة فجئت الى البيت وقد حملتني محبتي لها ومودتي
على ان سافرت وهيأت لي نفسي وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا
في الذهاب والاياب وجئت لها بثلث تفاحات اشتريتهم من خولي البصرة

بثلثة دنانير ودخلت وناولتهم لها فلم تفرح بهم وتركتهم عن جانبها وكان قد زاد بها الضعف والحمى ولم تزل في ضعفها الى ان مضي لها عشرة ايام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني وجلست في بيعي و شرائي فبينما انا جالس وسط النهار واذا بعبد اسود قائمت علي وفي يدة تفاحة من تلك التفاحات الثلث يلعب بها فقلت له يا عبد الخير من اين اخذت هذه التفاحة حتى اخذ مثلها فضحك وقال اخذ تها من حبيبتي وانا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلث تفاحات قالت لي ان زوجي القرنان سافر من شانهم البصرة اشتراهم بثلثة دنانير فاخذت منهم هذه التفاحة فلما سمعت يا امير المؤمنين كلام العبد اسودت الدنيا في وجهي وقمت فقفلت دكاني وجئت الى البيت وانا عادم العقل من شدة الغيظ ونظرت الى التفاح فلم احد الاثنين فقلت لها اين الثالثة فقالت لا ادري ولا اعرف فتحققت قول العبد فقمت واخذت سكينا وجئت من خلفها وما كلمتها حتى ركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وحطيتها فى القفة بسرعة وغطيتها بالازار وخيطتها وحطيت عليها شقة من البساط وانزلتها الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها فى الدجلة بيدي فبالله عليك يا امير المؤمنين عجل بشنقي فاني خائف من مطالبتها لي يوم القيمة فاني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها احد رجعت الى البيت وجدت ولدى الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في امه فقلت له ما يبكيك يا ولدي فقال اني اخذت تفاحة من التفاح الذي عند امي ونزلت بها الى الزقاق العب مع اخوتي واذا بعبد اسود طويل خطفها مني وقال لي هذه جاءتك من اين فقلت له هذه سافر لها ابي وجاء بها من البصرة من اجل امي وهي ضعيفة واشترى ثلث تفاحات بثلثة دنانير ثم اخذها ولم يلتفت الي فعدت له القول ثانيا وثالثا ولم يلتفت الي وضربني وراح بها فخفت من امي تضربني من شان التفاحة فغبت انا واخوتي من خوفها الى ظاهر المدينة وقد امسى المسأ علينا وانا خائف منها فبالله يا ابي لا تقل لها شيئا تزداد ضعفا على ضعفها فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت انها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا واذا بهذا

الشيخ وهو عمي والدها قد اقبل فاخبرته بما كان فجلس يجانبي وبكى ولم نزل نبكي الى نصف الليل واقمنا العزا خمسة ايام لهذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها ظلما وكل ذلك كان من تحت رأس العبد وهذا سبب قتلها فبحرمة اجدادك عجل بقتلي فلا حيوة لي بعدها وخذ حقها مني فلما سمع الخليفه كلام الشاب تعجب وقال والله لا اشنق الا العبد الملعون ولأعمل عملا يشفي العليل ويرضى الملك الجليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة حلف انه لايشنق الا العبد فان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له احضر لي هذا العبد الملعون الذي جرت منه هذه القضية وان لم تحضره فانت عوضه فنزل جعفر يبكي ويقول حضر لي موتتين ولا كل مرة تسلم الجرة وليس في هذا الامر حيلة والذي سلمني في الاول يسلمني في الثاني والله ما بقيت اخرج من بيتي ثلثة ايام والحق يفعل ما يشاء ثم اقام في بيته ثلثة ايام وفي اليوم الرابع احضر القضاة والشهود وودع اولاده وهو يبكي واذا برسول الخليفة اتى اليه وقال له ان امير المؤمنين في اشد ما يكون من الغضب وارسل بطلبك وحلف انه لا يمر هذا النهار الا وانت مشنوق فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكوا اولاده وعبيده مع كل من في الدار فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها اكثر من اولاده جميعا فضمها الى صدره وباسها وبكى على فراقها فوجد في جيبها شيئا مكببا فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا ابت تفاحة مكتوب عليها اسم مولانا الخليفة جاء بها عبدنا ريحان ولها معي اربعة ايام وما اعطاها لي حتى اخذ مني دينارين فلما سمع جعفر بذلك العبد والتفاحة فرح وحط يده في جيب ابنته واخرج التفاحة فعرفها وقال يا قريب الفرج ثم انه امر باحضار العبد فحضر فقال له ويلك ريحان من اين لك هذه التفاحة فقال العبد والله يا سيدي ان كان الكذب انجا فالصدق انجا وانجا هذه

التفاحة ما سرقتها لا من قصرك ولا من قصر الحضرة ولا من بستان امير المؤمنين وانما هذه من مدة خمسة ايام مشيت فدخلت الى بعض ازقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال يا فتى هذه لامي وهي مريضة وقد اشتهت على ابي التفاحة فسافر الى البصرة وجاء لها ثلث تفاحات بثلثة دنانير فسرقت منهم واحدة العب بها ثم بكي فلم التفت اليه واخذتها وجئت هنا فاخذتها ستي الصغيرة بدينارين ذهب وهذه حكايتي فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون ان الفتنه وقتل الصبية من عبده وحزن لنسبة العبد له وفرح لخلاص نفسه ثم انشد يقول شعرا

إِذَا جَاءَ الْمُصِيبَةُ فِي غُلَامٍ	فَتَجْعَلُهُ لِنَفْسِكَ مِنْ فِدَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ خَدَمًا كَثِيرًا	وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

ثم انه مسك بيد العبد وطلع به للخليفة وحكى له قصته من اولها الى آخرها فتعجب الخليفة كل العجب وضحك حتى انقلب وامر ان تورخ هذه الحكاية وتجعل سيرا بين الناس فقال لا تعجب يا امير المؤمنين من هذه القصة فما هي اعجب من حديث الوزير نور الدين علي المصري ❊

حكاية الوزير نور الدين واخيه

وشمس الدين محمد اخيه فقال الخليفة هات وما التي اعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا امير المؤمنين لا احدثك الا بشرط ان تعتق عبدي من القتل فقال ان كان اعجب مما اتفق لنا وهبت دمه لك وان لم يكن باعجب قتلت عبدك فقال جعفر اعلم يا امير المؤمنين انه كان في سالف الزمان بارض مصر سلطان صاحب عدل وامان يحب الفقراء ويجالس العلماء وله وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران لم ير مثلهما في الحسن والجمال وكان اسم الكبير شمس الدين محمد واسم الصغير نور الدين علي وكان الصغير اميز من الكبير

في الصباحة والملاحة حتى ان في بعض البلدان تسامعوا به فسافروا الى بلاده لاجل رؤية جماله فاتفق ان والدهم مات فحزن عليه السلطان واقبل على الولدين وقربهما واخلع عليهما وقال لهما انتم في مرتبة ابيكم فلا تكدروا خواطركم ففرحوا وقبلوا الارض بين يديه وعملوا العزا لابيهم الى تمام شهر ثم دخلوا في الوزارة وصار الحكم بايديهما كما كان بيد ابيهما وكان اذا اراد السلطان السفر يسافر بواحد منهما فاتفق في ليلة من الليالي وكانت سفر الكبير مع السلطان فبينما هم يتحدثون اذ قال الكبير للصغير يا اخي قصدي ان اتزوج انا وانت في ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا اخي ما تريد فاني موافقك على ما تقول فاتفقوا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا في ليلة واحدة ووضعتا في يوم واحد واراد الله وجاءت زوجتك بصبي وجاءت زوجتي ببنت نزوجهما لبعضهما ويصيرا اولاد عم فقال نور الدين يا اخي ما تاخذ من ولدي في مهر بنتك فقال اخذ من ولدك لبنتي ثلثة الاف دينار وثلث بساتين وثلث ضياع وان كتب الشاب بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذي شرطته على ولدي اما تعلم اننا اخوة ونحن الاثنان بفضل الله وزراء ونحن في مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدي من غير مهر وان كان لا بد من مهر فتجعل شيئا معلوما ليظهر للناس فانك تعلم ان الذكر افضل من الانثى وولدي ذكر ويذكر به بخلاف ابنتك فقال وما لها فقال لا نذكر بها بين الامراء ولكن انت تريد ان تفعل معي كما فعل بعضهم قيل ان بعض الناس قدم على بعض اصحابه فقصده في حاجة فقال بسم الله نقضي حاجتك ولكن غدا فانشد في الجواب شعرا

اِذَا كَانَ فِي الْحَاجَاتِ مَهْلًا اِلَى غَدٍ	فَذَاكَ يَكُونُ طَرْدًا لِمَنْ كَانَ عَارِفَا

فقال له شمس الدين اراك تقصر وتعمل بنتك افضل من ابني لا شك انك ناقص عقل ولا لك اخلاق تذكر شركة الوزارة وانا ما ادخلتك معي في الوزارة الا شفقة عليك وتبقى تساعدني وتكون لي معينا ولا اكسر بخاطرك وحيثما هذا القول قولك والله لا ازوج بنتي لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما

سمع

سمع نور الدين كلام اخيه اغتاظ وقال وانا ما بقيت ازوج ابني ابنتك فقال
شمس الدين انا لا ارضاه لها بعلا ولولا اني في السفر لكنت عملت معك العبر
ولكن لما ارجع من سفري فرج اريك ما تقتضي مروتي فلما سمع نور الدين من
اخيه ذلك الكلام امتلا غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد في
ناحية فلما اصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدا في الجيزة وقصد الاهرام
وصحبه الوزير شمس الدين واما ما كان من امر اخيه نور الدين فبات تلك
الليلة في اشد ما يكون من الغيظ فلما اصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى
خزانته واخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول اخيه وحقارته
عنده فانشد وجعل يقول هذه الابيات

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ ... وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
مَا فِي الْمَقَرِّ أَرَى عِزًّا وَلَا أَرَبًا ... سِوَى الْعَنَا فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْبَدْرُ لَوْلَا أُفُولٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ ... إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنُ مُرْتَقِبِ
وَالْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْغَابِ مَا افْتَرَسَتْ ... وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالتِّبْرُ كَالتُّرْبِ مُلْقًى فِي مَعَادِنِهِ ... وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا زَادَ فِي الذَّهَبِ

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشد له بغلة النوبة بسرجها المضرب
وهي بغلة زرزورية عالية الظهر كأنها قبة مبنية سرجها ذهب وركاباتها
هندية عليها عباءة كسروية وهي كأنها عروسة مجلية وامره ان يجعل عليها
بساطا حريرا وسجادة وجعل الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد
قصدي اتفرج خارج المدينة واروح نواحي القليوبية وابات ثلاث
ليال فلا احد منكم يتبعني فان عندي ضيق صدر واسرع وركب البغلة
واخذ معه شيئا قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء

عليه الظهر حتى دخل على مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وريح
البغلة واخذ شيئا من الزاد فاكله واخذ من بلبيس ما يأكله وما يعلفه
على بغلته واستقبل البر فما جاء عليه الليل حتى دخل بلدا يقال لها السعدية
فبات بها واخرج شيئا اكله وحط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام
في مكان البرية والغيظ غالب عليه ثم انه بات في ذلك المكان فلما اصبح
الصباح ركب وسار يسوق البغلة الى ان وصل الى مدينة حلب فنزل في
بعض الخانات واقام ثلثة ايام حتى استراح وريح البغلة وشم الهواء ثم عزم
على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا لا يدري اين يذهب ولم يزل سائرا
الى ان اقبل على مدينة البصرة ولم يشعر بذلك حتى نزل الى الخان فانزل الخرج
عن البغلة وفرش السجادة واعطى البغلة بعدتها للبواب يسيرها فاخذها
وسيرها فاتفق ان وزير البصرة جالس في شباك قصره فنظر الى البغلة
ونظر ما عليها من العدة المثمنة فظنها بغلة موكب ومركوب وزراء او
ملوك فتفكر في ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتني بهذا البواب
فذهب الغلام واتى بالبواب للوزير فتقدم البواب وباس الارض وكان
الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من يكن صاحب هذه البغلة وما صفاته
فقال البواب يا سيدي صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل
عليه هيبة ووقار من اولاد التجار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على
حيله وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما راى نور الدين الوزير
قادم عليه قام على حيله ولاقاه وسلم عليه فرحب به الوزير ونزل من
على جواده واحتضنه واجلسه عنده وقال له يا ولدي من اين اقبلت وما
ذا تريد فقال نور الدين يا مولاي اني قدمت من مدينة مصر وكنت
ابن وزير فيها وقد انتقل ابي الى رحمة الله تعالى واخبره بما جرى له
من المبتدا الى المنتهى قال وقد عزمت على نفسي اني لا اعود ابدا حتى
اشق جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له ولدي لا تطاوع
النفس فترميك في الهلاك فان البلاد خراب وانا اخاف عليك من عواقب
الزمان ثم انه حمل خرجه على بغلته واخذ البساط والسجادة واخذ نور الدين
معه الى بيته وانزله في مكان ظريف واكرمه واحسن اليه وحبه حبا

شديد وقال له يا ولدي انا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لي ولد ذكر وقد رزقني الله بنتا تعادلك في الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرا وقد وقع حبك في قلبي فهل لك ان تقبل ابنتي جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع بك الى سلطان البصرة واقول له انه ولد اخي واوصلك الى ان اجعلك وزيره مكاني والزم انا بيتي فاني بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة اطرق برأسه وقال سمعا وطاعة ففرح الوزير وامر غلمانه ان يصنعوا له طعاما وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة التي ترسم فيها اعراس الامراء ثم جمع اصحابه ودعا اكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه فقال لهم اني كان لي اخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وانا كما تعلمون رزقني الله بنتا وكان اخي اوصاني اني ازوج بنتي لاحد اولاده فاجبته لذلك فلما استحق الزواج ارسل الي احد اولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءني جئت ان اكتب كتابه على بنتي ويدخل بها عندي وهو اولى من الغريب وبعد ذلك ان شاء يقعد عندي وان شاء للسفر سيرته هو وزوجته الى ابيه فقالوا جميعا نعم ما رأيت ونظروا الى الشاب فلما رأوه اعجبهم فاحضر الوزير الشهود والقضاة وكتبوا الكتاب واطلقوا البخور وشربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا واما الوزير فامر غلمانه ان يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام واعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وارسل له المناشف والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج ولبس البدلة صار كالبدر اذا بدر ليلة اربعة عشر فلما خرج من الحمام ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يديه ورحب به وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد اطلع بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من امر

نور الدين واما ما كان من امر اخيه فانه غاب مع السلطان مدة في السفر ورجع فلم يجد اخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال انا رائح ناحية القليوبية اغيب يوما او يومين فان صدري ضاق ولا احد يتبعني ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش شمس الدين على فراق اخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال في نفسه ما هو الا مما نهرته في تلك الليلة اخذ على خاطره وخرج مسافرا فلا بد ان ارسل خلفه ثم طلع واعلم السلطان وكتب بطاقات وارسل البريد الى نوابه في جميع البلاد ونور الدين في مدة العشرين يوما التي غاب وها قطع بلادا بعيدة ففتشوا ولم يقعوا له على خبر فرجعوا وايس شمس الدين من اخيه وقال لقد فرطت في اخي بكلامي له على زواج الاولاد قل ذلك ان يكون وما كان ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان كما قالاه وحملوا النساء منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى في مصر احسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لا يرى في زمانه احسن منه كما قال فيه الشاعر شعرا

وَمُهَفْهَفٍ مِنْ شَعْرِهِ وَجَبِينِهِ	تَغْدُو الْوَرَى فِي ظُلْمَةٍ وَضِيَاءِ
لَا تُنْكِرُوا الْخَالَ الَّذِي فِي خَدِّهِ	كُلُّ الشَّقِيقِ بِنُقْطَةٍ سَوْدَاءِ

وقال آخر شعرا

إِنْ جِيءَ بِالْحُسْنِ كَيْ يُقَاسُ بِهِ	يُنَكِّسُ الْحُسْنُ رَأْسَهُ خَجَلاً
أَوْ قِيلَ يَا حُسْنُ هَلْ رَأَيْتَ كَذَا	فَقَالَ أَمَّا كَذَا رَأَيْتُ فَلَا

فسماه بدر الدين حسن وفرح به جده وزير البصرة وصنع الولائم وعمل اسمطا تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما اقبل قدامه قبل الارض بين يديه وكان فصيح اللسان

ثابت الجنان صاحب حسن ولسان وانشد يقول شعرا

دَامَتْ لَكَ الْاِنْعَامُ يَاسَيِّدِي	وَدُمْتَ مَادَامَ الدُّجَا وَالْفَجْرُ
يَامَنْ اِذَا مَا ذُكِرَتْ هِمَّتُهُ	رَقَصَ الزَّمَانُ وَصَفَّقَ الدَّهْرُ

فقام لهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فقال له الوزير قصته من اولها الى اخرها وقال له هذا ابن اخي فقال له وكيف يكون ابن اخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لي اخ وزيرا بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس مكان والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندي وحلفت اني لا ازوج بنتي الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وانا بقيت شيخا كبيرا وقل سمعي وعجز تدبيري والقصد من مولانا السلطان ان يجعله في مرتبتي فانه ابن اخي وزوج ابنتي وهو اهل للوزارة لانه صاحب رأي وتدبير فنظر السلطان اليه فلاق بخاطره فانعم عليه بما اراده الوزير وقدمه في الوزارة وامر له بخلعة عظيمة وامر له السلطان ببغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهم في غاية الفرح وقالوا هذا بكعب المولود حسن ثم ان نور الدين توجه ثاني يوم عند الملك وقبل الارض وانشد يقول

سَعَادَاتٌ تُجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ	وَاِقْبَالٌ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ
فَمَا زَالَتْ لَكَ الْاَيَّامُ بِيضٌ	وَاَيَّامُ الَّذِي عَادَاكَ سُودُ

فامره السلطان بالجلوس في مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى امور خدمته ونظر بين الناس في امورهم واحكامهم كما جرت عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من امره وعقله وتدبيره وتصريفه فحبه وقربه اليه ولما انصرف الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ما وقع ففرح ولم يزل نور الدين في الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان لا في ليل ولا في نهار وزاد له الجوامك والجرايات الى ان اتسع له الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وصار له عبيد ومماليك وعمر املاكا كثيرة ودوالب

وبساتين وصار عمر ولده حسن اربع سنين فتوفي الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه في التراب ثم اشتغل نور الدين بتربية ولده فلما اشتد وصار له من العمر سبع سنين احضر له فقيها يقرئه في بيته واوصاه بتعليمه وادبه وحسن تربيته فقرأه وحفظه فوائد في العلم وعاد القرآن في مدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالا وقدا واعتدالا

كما قيل شعر

قَمَرٌ تَكَامَلَ فِي سَمَاءِ جَمَالِهِ	وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ مِنْ شَقَائِقِ خَدِّهِ
مَلَكَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَكَأَنَّمَا	حُسْنُ الْبَرِيَّةِ كُلُّهَا مِنْ عِنْدِهِ

وقد رباه الفقيه في قصر ابيه ومن حين نشأ لم يخرج من قصر الوزارة ففي يوم من بعض الايام اخذه والده الوزير نور الدين والبسه بدلة من افخر ملبوسه وركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك بدر الدين حسن ابن الوزير نور الدين فاعجبه وحبه واما اهل المملكة لما مر عليهم اول مرة وهو طالع مع ابيه الى الملك فابهتوا من حسنه وجلسوا في طريقه ينتظرون عوده عليهم ليتفرجوا عليه وعلى حسنه وجماله وقده واعتداله كما قيل فيه هذه الابيات شعر

رَصَدَ الْمُنَجِّمُ لَيْلَةً فَبَدَا لَهُ	قَدُّ الْمَلِيحِ يَتِيهُ فِي بُرْدَيْهِ
وَتَأَمَّلَ الْجَوْزَاءُ إِذْ نَشَرَتْ لَهُ	حُسْنُ الْجَمَالِ يَلُوحُ مِنْ عِطْفَيْهِ
وَأَتَى لَهُ زُحَلُ السَّوَادَ بِشَعْرِهِ	وَحَبَاهُ لَوْنُ الْمِسْكِ فِي صُدْغَيْهِ
أَهْدَى لَهُ الْمِرِّيخُ حُمْرَةَ خَدِّهِ	وَالْقَوْسُ يَرْمِي النَّبْلَ مِنْ جَفْنَيْهِ
وَعُطَارِدٌ أَعْطَاهُ فَرْطَ ذَكَائِهِ	وَأَبَا السُّهَا نَظَرَ الْوُشَاةِ إِلَيْهِ
فَبَقِي الْمُنَجِّمُ حَائِرًا مِمَّا رَأَى	وَسَعَى وَبَاسَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ

فلما رآه السلطان انعم عليه وحبه وقال لابيه يا وزير لازم ولابد انك

دائماً تحضره معك فقال السمع والطاعة وعاد الوزير بولده الى منزله ومازال كل يوم يطلع به الى السلطان الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر سنة فضعف والده نور الدين الوزير فاحضر ولده وقال يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء واريد ان اوصيك بعض وصايا فافهم ما اقول لك واصغ ذهنك اليه وصار يوصيه على حسن عشرة الناس والتدبير ثم ان نور الدين تذكر اخاه واوطانه وبلاده فبكى على فرقة الاحباب وسح دموعه

وانشد يقول شعرا

إنْ شَكَوْنَا بُعْدًا فَمَا ذَا نَقُوْلُ	أَوْ بَلَغْنَا شَوْقًا فَكَيْفَ السَّبِيْلُ
أَوْ بَعَثْنَا رَسُوْلًا يُتَرْجِمُ عَنَّا	مَا يُؤَدِّي شَكْوَى الْحِبِّ رَسُوْلُ
أَوْ صَبَرْنَا فَمَا بَقِيْ لِمُحِبٍّ	بَعْدَ فَقْدِ الْاَحْبَابِ إِلَّا قَلِيْلُ
لَيْسَ الْآنَ إِلَّا تَأَسُّفًا وَحَنِيْنًا	وَدُمُوْعًا عَلَى الْخَدِّ تَسِيْلُ
أَيَا غَائِبِيْنَ عَنْ شَخْصِ عَيْنِيْ	وَطَرْفِيْ وَهُمْ فِيْ فُؤَادِيْ حُلُوْلُ
أَتَرَا كُمْ أَنْتُمْ أَنَّ عَهْدِيْ	عَلَى طُوْلِ الصُّدُوْدِ لَا يَحُوْلُ
أَمْ تَنَاسَيْتُمْ عَلَى الْبُعْدِ صَبًّا	شَفَّهُ فِيْكُمُ الْبُكَاءُ وَالنُّحُوْلُ
إِنَّا وَإِنْ ضَمَّنَا وَإِيَّاكُمُ الْحَيُّ	لِيْ مَعَكُمْ هُنَاكَ عِتَابٌ يَطُوْلُ

فلما فرغ من انشاده وبكائه التفت الى ولده وقال له اعلم قبل ما اوصيك ان لك عم وهو وزير مصر فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد انك تأخذ درجا وتكتب فيه ما اقول لك فاخذ بدر الدين حسن درجا من الورق وصار يكتب فيه كما قال ابوه فاملاه ما جرى له من الاول الى الآخر وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيره وان عمره دون الاربعين من يوم النزاع وهذا كتابي اليه والله خليفتي من بعد ذلك عليه ثم طواها وختمها وقال يا ولدي

حسن احفظ الوصية فان الرقعة فيها اصلك وحسبك ونسبك فان اصابك شيئ من الامور فاعمد الى مصر واسأل على عمك واستدل عليه واعلمه اني مت غريبا مشتاقا فاخذ بدرالدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظهارة ولف عليها شاشة وهو يبكي على ابيه وعلى فراقه وهو صغير وقال نور الدين اني اوصيك بخمسة وصايا اولها ان لا تعاشر احدا تسلم من شره فان السلامة في العزلة ولا تخالطه ولا تباشره فاني سمعت الشاعر يقول

مَا فِي زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ	وَلَا صَدِيقَ إِذَا جَارَ الزَّمَانُ وَفَى
فَعِشْ فَرِيدًا وَلَا تَرْكَنْ إِلَى أَحَدٍ	فَقَدْ نَصَحْتُكَ فِيمَا قُلْتُهُ وَكَفَى

الثانية يا ولدي لا تجور على احد يجور عليك الدهر فالدهر يوم لك ويوم عليك الدنيا قرض بوفاء ولقد سمعت الشاعر يقول

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِأَمْرٍ تُرِيدُهُ	وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُدْعَى بِرَاحِمِ
فَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا	وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

الوصية الثالثة الزم الصمت واشتغل بعيبك عن عيوب الناس فقد قيل من لزم الصمت نجا وسمعت الشاعر يقول شعرا

الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ	فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِهْذَارَا
فَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً	فَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارَا

الرابعة يا ولدي احذرك من شرب الخمر فان الخمر رأس كل فتنة والخمر مذهب العقول الحذر الحذر من شرب الخمر لاني سمعت الشاعر يقول

تَرَكْتُ النَّبِيذَ وَشُرَّابَهُ	وَصِرْتُ حَدِيثًا لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ سَبِيلَ الْهُدَى	وَيَفْتَحُ لِلشَّرِّ أَبْوَابَهُ

والخامسة يا ولدي صن مالك يصونك احفظ مالك يحفظك ولا تفرط

في مالك تحتاج الى اقل الناس من الدراهم فهي المراهم لاني سمعت بعضهم يقول

إِنْ قَلَّ مَالِي فَلَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِي	وَإِنْ زَادَ مَالِي فَكُلُّ النَّاسِ خُلَّانِي
فَكَمْ صَدِيقٍ لِبَذْلِ الْمَالِ صَاحَبَنِي	وَصَاحِبِي عِنْدَ فَقْدِ الْمَالِ خَلَّانِي

ومازال نور الدين يوصي بدر الدين حسن حتى طلعت روحه واقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزل بدر الدين على والده في حزن مدة شهرين وهو لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان فاغتاظ السلطان عليه فاقام مكانه بعض الحجاب واجلسه وزيرا وامره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله وعمارته واملاكه فنزل الوزير الجديد يختم عليه ويقبض على ولده بدر الدين حسن ويطلع به الى السلطان يعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير المتوفي فلما سمع بهذه القضية ساق جواده واتى مسرعا الى بدر الدين حسن فوجده جالسا على باب داره وهو منكس الرأس حزين منكسر القلب فترجل له المملوك وقبلت يده وقال له ياسيدي وابن سيدي العجل العجل قبل حلول الاجل فارتجف حسن وقال ما الخبر قال السلطان غضب عليك ورسم بالحوطة عليك والبلاء يجي من خلفي اليك ففر بنفسك فقال له هل في الامر شيء حتى ادخل الى بيتي اصحب شيئا من الدنيا استعين به على الغربة فقال المملوك ياسيدي قم الآن وخل عنك الدار فنهض وهو يقول شعرا

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا اِنْ خِفْتَ ضَيْمًا	وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
فَاِنَّكَ وَاجِدٌ اَرْضًا بِاَرْضٍ	وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
وَلَا تَبْعَثْ رَسُولَكَ فِي مُهِمٍّ	فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا
وَمَا غَلُظَتْ رِقَابُ الْاُسْدِ حَتَّى	بِاَنْفُسِهَا تَوَلَّتْ مَا عَنَاهَا

فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج يمشي الى ان صار خارج

المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى يختم على ماله واماكنه ويقبض على ولده بدر الدين حسن وطلع به الى السلطان ليقتله فتاسف الناس على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج على رأسه ولم يعلم اين يذهب ولم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير على تربة والده فدخل المقبرة وشق بين القبور الى ان جلس الى قبر ابيه وارخى ذيل فرجيته من فوق راسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوبا عليها هذه الابيات

يَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ شَرِيقٌ	يَحْكِي الْكَوَاكِبَ وَالنَّدَا
لَا زَالَ عِزُّكَ دَائِمًا	وَعُلُوُّ مَجْدِكَ سَرْمَدَا

فبينما هو عند تربة ابيه اذ قدم عليه يهودي كانه صيرفي ومعه خرج فيه ذهب كثير فتقدم اليهودي الى حسن البصري وقال له ياسيدي مالي اراك متغيرا فقال له اني كنت نائما في هذه الساعة فرايت ابي يعاتبني على عدم زيارتي له فقمت وانا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولم ازره فيكون صعبا عليّ فقال له اليهودي ياسيدي اباك كان ارسل مراكب للتجارة وقدم منها البعض ومرادي اشتري منك وسق اول مركب قدم هذا الالف دينار ذهب في عدمنه واخرج اليهودي ملآن من دينار الذهب واعطاها الى حسن بن الوزير فقال اليهودي اكتب لي ورقة واختمها فاخذ حسن بن الوزير ورقة وكتب فيها كاتبها حسن بن الوزير باع لاسحاق اليهودي جميع وسق اول مركب ابيه يدخل بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودي الورقة وصار حسن يبكي ويتذكر ما كان فيه من العز وينشد ويقول شعرا

مَا بِالدَّارِ مُذْ غِبْتُمْ يَا سَادَتِي دَارُ	كَلَّا وَلَا الْجَارُ مُذْ غِبْتُمْ لَنَا جَارُ
وَلَا الْأَنِيسُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ	بِهَا أَنِيسِي وَلَا الْأَقْمَارُ أَقْمَارُ
غِبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِبُعْدِكُمْ	وَأَظْلَمَتْ بَعْدَكُمْ رَحْبًا وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفُرْقَتِنَا	يُعْرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ

فَقَدْ قَلَّ صَبْرِي وَاَضْنَى بُعْدَكُمْ جَسَدِي	وَكَمْ تَهَتَّكَ يَوْمَ الْبَيْنِ اَسْتَارُ
تُرَى تَعُودُ لَيَالِينَا الَّتِي سَلَفَتْ	كَمَا عَهِدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

ثم بكى بكاء شديدا فدخل عليه الليل واسند رأسه على قبر ابيه فادركه النوم ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع في القمر وكانت المقبرة عامرة من الجان المؤمنين فخرجت جنية فنظرت حسن نائما فلما راته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنه من ولدان الجنة ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلم عليها فقالت له من اين انت قادم فقال من هنا فقالت له هل لك ان تروح معي حتى تنظر الى حسن هذا الشاب النائم في التربة فقال لها نعم فسارا واحتى نزلوا على القبر فقالت هل رايت في عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا اختي ان اردت ان احدثك بما رايت قالت وما هو فقال لها اني رايت مثل هذا الشاب في اقليم مصر وهي بنت الوزير شمس الدين وعمرها قريب من عشرين سنة ولها حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال فلما جاوزت هذا السن سمع بها السلطان بمصر فاحضر الوزير اباها وقال له اعلم ايها الوزير انه بلغني ان لك بنتا وانا اريد اخطبها منك فقال له الوزير يا مولانا السلطان اقبل عذري وارحم عبرتي فانك تعرف ان اخي نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكي في الوزارة واصل خروجه غضبان لاني جلست واياه وحدثته على سبب الزواج والاولاد فكان سببا لغيظه وانا حالف لا ازوج بنتي الا لابن اخي من يوم ولدتها امها نحو ثمانية عشر سنة ومن مدة قريبة سمعت ان اخي تزوج بنت الوزير بتاع البصرة وجأ منها ولدا ولا ازوج بنتي الا له كرامة لاخي وارخت زواجي وحمل زوجتي وولادة هذه البنت وهي على اسم ابن عمها والبنات لمولانا السلطان كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال مثلي من يخطب من مثلك بنتا تمنها وتحتج بحجة باردة وحيوة رأسي لا ازوجها الا لاقل خدمي رغما عن انفك وكان عند الملك سائس احدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فامر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وامر ان يدخل عليها في هذه الليلة ويعمل له زفة وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم واقدون الشموع حوله ويتمسخرون عليه على باب الحمام واما بنت الوزير جالسة تبكي بين الدايات والمواشط وهي اشبه الناس بهذا الشاب وقد رسموا على ابيها حتى انه لا يحضرها وما رايت يا اختي اوحش من هذا الاحدب واما الصبية فهي

احسن من هذا الشاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجني لما حكي للجنية ان الملك كتب كتابها على السائس الاحدب وهي في غاية الحزن ولم اجد شبيها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه فردها العفريت وقال والله يا اختي ان الصبية احسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما اخوات واولاد عم يا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له يا اخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عنها وننظر من هو احسن فيهما فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب ولا هناك احسن من هذا الراي الذي تقوليه انا احمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى ان نزل به الى مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة فنظر يمينا وشمالا لا يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يعيط فوكزه العفريت وكان العفريت قد اتى له بحلة فاخرة والبسه اياها واوقد له شمعة وقال له اعلم اني جئتك وانا رائح اعمل معك شيئا لله فخذ هذه الشمعة وامش الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزال تمشي معهم الى ان تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولم تخش احدا وانت مثل ما دخلت فقف فوق يمين العريس الاحدب وكل ما جاءك المواشط والمغاني والدايات حط يدك في جيبك تجده ملآن ذهب فاكبش وارم لهم ولا تتوهم انك لا تدخل يدك الا تجده ملآن ذهب فنقط كل من اتى اليك بالحفنة ولا تخش من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك بل هذا بامر الله فلما سمع بدر الدين حسن من العفريت هذا الكلام قال ياترى ايش تكون هذه الصبية وما سبب الاحسان ثم مشى واوقد الشمعة وجاء الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل بدر الدين حسن بين الناس وهو على تلك الحالة والصورة الحسنة وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغاني والناس ينقط ويحط يده في جيبه يلقاه ملآن ذهب فيكبش ويرمي في الطار الذي للمغنية فيملأ الطار دنانير فاخترعت عقول المغاني وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزالوا على هذا الحال حتى وصلوا البيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغاني والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه عمرنا باحسانه ولا نجلي العروسة الا وهو

حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح واجلسوه فوق عين العريس الاحدب
واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة
موقودة ضاربة لثام وهن صفوف يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الايوان
الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظرت النساء بدر الدين حسن
وما عليه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه الهلال فملن جميع النساء اليه
فقالت المغاني للنساء الحاضرات اعلمن ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر
فلا تقصرن في خدمته واطعنه فيما يقول قال فازدحمت النساء عليه بالشمع ونظرن
الى جماله وحسدنه على حسنه وصارت كل واحدة منهن تود ان تكون في حضنه ساعة
او سنة فارخين ما كان على وجوههن لما غاب عنهن الالباب وقلن هنيأ لمن كان له
او عليه ذلك الشاب ثم دعون على ذلك السائس الاحدب ومن كان له سببا في زواجه
هذه المليحة وصرن كلما دعون لبدر الدين حسن دعون على ذلك الاحدب ثم
ان المغاني ضربن بالدفوف وزعقن بالمواصل واقبلت المواشط وبنت الوزير
بينهن وقد طيبوها وعطروها وحسنوا شعرها وبخروها والبسوها الحلي والحلل من
لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور
الوحوش والطيور وهو مسبول عليها من فوق حوائجها وقلدوها بعقد يمني يساوي
الالوف وقد حوى كل فص جوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر والعروسة كانها البدر
اذا بدا في الليلة اربعة عشر ولما اقبلت كانت كانها حورية فسبحان من خلقها بهية
واحدقوا بها النساء فصرن كالنجوم وهو بينهن كالقمر اذا انجلا عند الغيم وكان
بدر الدين حسن البصري جالسا والناس ناظرون اليه فخطرت العروسة واقبلت
وتمايلت فقام اليها السائس الاحدب ليقبلها فاعرضت عنه وانفتلت حتى صارت قدام
حسن ابن عمها فضحكت الناس فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين ضجت الناس
وصرخت المغاني فحط يده في جيبه وكمش ورمى في طيران المغاني ففرحوا وقالوا
كنا نشتهي ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كلهم احدقوا به وبقي السائس
الاحدب وحده كانه قرد وكلما اوقدوا له الشمعة فلا يقدر ولا بقي له صوت و
صار قاعدا في الظلام وينظر في نفسه واما بدر الدين حسن فانه صار قدامه
شموع في ايدي الناس فلما نظر حسن الى العريس وحده في الظلام ونظر في نفسه
وهؤلاء الناس محدقين به وهذه الشموع الموقودة تحير وتعجب فلما راى بدر الدين
حسن ابنت عمه فرح واستبشر وقد نظر الى وجهها وقد اشرق بالنور وازهر لاسيما
وعليها تلك البدلة الاطلس الاحمر فجلوها المواشط اول خلعة واخذ حسن الطلعة

فتعاجبت وتمايلت من الدلال واذهلت عقول النساء والرجال فكانت كما قال فيها الشاعر المفضال شعرا

وَشَمْسٍ فِي قَضِيبٍ فِي كَثِيبٍ	تَبَدَّتْ فِي قَمِيصٍ جُلَّنَارِ
سَقَتْنِي رِيقَ خَمْرَتِهَا وَجَادَتْ	بِوَجْنَتِهَا فَأَطْفَتْ جُلَّ نَارِ

وغيروا تلك البدلة والبسوها ثوبا ازرق فطلعت كالبدر اذا اشرق ذات شعر فاحم وخد ناعم وثغر باسم ونهد قائم وهي رابية الاطرف والمعاصم وجلوها الخلعة الثانية وكانت كما قال فيها اصحاب الهمم العاليه شعر

أَقْبَلَتْ فِي غُلَالَةٍ زُرْقَةٍ	لَازَوَرْدِيَّةٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ
فَتَأَمَّلْتُ فِي الْغُلَالَةِ مِنْهَا	قَمَرَ الصَّيْفِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

قال ثم غيروا تلك البدلة ببدلة غيرها ولثموها بفاضل شعرها وارخوا ذوائبها السود الطوال فاشبه سوادها وطولها ما اعتكر من الليالي ورمت القلوب بسهام الحدق النافثة وجلوها الخلعة الثالثة كما قال فيها القائل شعر

وَمُلَثَّمٍ بِالشَّعْرِ مِنْ فَوْقِ وَجْنَتِهِ	غَدَتْ فِتْنَةً شَبَّهْتُهَا بِحُمَاتِ
فَقُلْتُ سَتَرْتَ الصُّبْحَ بِاللَّيْلِ قَالَ لَا	لَكِنْ سَتَرْتُ الْبَدْرَ بِالظُّلُمَاتِ

وجلوها الخلعة الرابعة فاقبلت كالشمس الطالعة وتمايلت من الدلال وتلفتت كتلفة الغزلان ورشقت القلوب من اجفانها بنبال كما قال فيها الواصف شعر

وَشَمْسُ حُسْنٍ بَدَتْ لِلنَّاسِ تَنْظُرُهَا	تَزْهُو بِحُسْنِ دَلَالٍ زَانَهُ خَفَرُ
مُذْ وَاجَهَتْ بِمُحَيَّاهَا وَمَبْسِمِهَا	شَمْسَ النَّهَارِ غَدَتْ بِالْغَيْمِ تَسْتَتِرُ

قال وطلعت فى الخلعة الخامسة كالصبية الانيسة كانها قضيب بان او غزال عطشان وقد دبت عقاربها وابدت عجائبها وهزت اردافها واشهرت سوالفها كما قال فيها واصفها شعر

تَبَدَّتْ كَبَدْرِ التِّمِّ فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ	مُنَعَّمَةُ الْأَطْرَافِ مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ
لَهَا مُقْلَةٌ تُسْبِي الْأَنَامَ بِحُسْنِهَا	وَقَدْ حَكَتِ الْيَاقُوتَ فِي حُمْرَةِ الْخَدِّ

تحدر فوق الردف أسود شعرها	فإياك والحيات من شعرها الجعد
وقد لانت الأعطاف منها وقلبها	على لينها أقسى من الحجر الصلد
وترسل سهم اللحظ من فوق حاجب	يصيب ولا يخطي وإن كان من بعد
إذا ما اعتنقنا والتزمت وشاحها	يدا فعني عن ضمها ذلك النهد
فيا حسنها قد فاق كل ملاحة	ويا قدها أزريت بالغصن الملد

قال وجلوها الخلعة السادسة في خلعة خضراء فأزرت بقوامها الصعدة السمراء وفاقت بجمالها ملاح الآفاق وازهرت باشراق وجهها على بدر الاشراق ونالت من الجمال امانيها وسبت الغصون بلينها وتثنيها وفتت الكبود بحسن معانيها كما قال فيها بعض واصفيها شعرا

وجارية قد أدبتها الشطارة	ترى الشمس من خدها مستعارة
اتت في قميص لها أخضر	كما ستر الورق بالجلنارة
فقلنا لها ما اسم ذاك اللباس	فقالت كلاما مليح العبارة
شققنا مرائر قوم به	فنحن نسميه شق المرارة

وجلوها في الخلعة السابعة بين معصفر ومزعفر كما قال فيها بعض واصفيها

وتميس بين مزعفر ومعصفر	ومعنبر وممسك ومصندل
هيفاء إن قال الشباب لها انهضي	قالت روادفها اقعدي وتمهلي
وإذا سألت الوصل قال جمالها	جودي وقال دلالها لا تفعلي

واما العروسة فانها لما فتحت عينها قالت اللهم اجعل هذا بعلي وارحني من هذا السائس الاحدب وصاروا يجلوا العروسة الى آخر السبع خلع على بدر الدين حسن البصري والسائس الاحدب جالس وحده فلما فرغوا من ذلك اذنوا للناس بالانصراف فخرج جميع من كان في الفرح من النساء والاولاد ولم يبق الا بدر الدين حسن والسائس الاحدب ثم ان المواشط ادخلوا العروسة ليغيروا ما عليها من الحلي والحلل ويجعلوها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى بدر الدين حسن وقال يا سيدي آنستنا

الليلة وغمرتنا باحسانك فما نقوم نروح فقال بسم الله ثم قام وخرج من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة ادخل انت ولا تتوقف واجلس في البشخانة فاذا اقبلت العروسة فقل لها انا زوجك والملك انما عمل هذه الحيلة خوفا عليك من العين وهذا الذي رايته سائس من سياسنا ثم اقبل عليها واكشف وجهها فنحن لحقتنا الغيرة من هذا الامر فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسائس خارج ودخل بيت الراحة وقعد على الكرسي وطلع له العفريت من الحوض الذي فيه الماء في صفة فأر وقال زيق فقال الاحدب ما حالك فكبر الفأر حتى صار قطا وقال ميا ميا وكبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السائس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشوم والكلب كبر وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ في وجهه هاق هاق فانزعج فقال الحقوني يا اهل البيت واذا بالحمار كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن ادم وقال ويلك يا احدب يا انتن والسائس لحقته البطن وقعد على الملا في باثوابه واشتبكت اسنانه بعضها ببعض فقال له العفريت قد ضاقت عليك الدنيا وما وجدت تتزوج الا بمعشوقتي فسكت فقال له رد الجواب والا اسكنتك التراب فقال والله مالي ذنب الا انهم غصبوني وما عرفت ان لها عشاق جواميس ولكن انا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت اقسم عليك ان خرجت هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت قبل ان تطلع الشمس قتلتك فاذا طلعت الشمس اخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت ابدا ثم ان العفريت مسك السائس الاحدب وقلب رأسه في الملا في وجعله الى تحت وجعل رجليه الى فوق وقال له اخليك هنا انا حارسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب واما ما كان من قصة بدر الدين حسن البصري فانه خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس في وسط البشخانة واذا بالعروسة اقبلت ومعها عجوز فوقفت في باب البيت وقالت يا ابا الفوام قم خذ وداعة الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة في داخل البشخانة وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت والله ما امكنه من نفسي ولو قتل روحي فلما دخلت الى داخل البشخانة نظرت بدر الدين فقالت حبيبي الى هذا الوقت قاعد لقد قلت في نفسي لك وللسائس الاحدب شركة فيّ فقال بدر الدين حسن وايش اوصل السائس اليك واين له ان يكون شريكي فيك فقالت ومن زوجي انت او هو قال بدر الدين يا ست الحسن نحن ما عملنا هذا الا مسخرة لنضحك عليه فلما نظرت المواشط والمغاني واهلك يجلوك عليّ وان اباك اكترانا بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك

الكلام تبسمت وفرحت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد اطفأت ناري فبالله خذني اليك عندك وضمني الى حضنك وكانت من غير لباس وكشفت ثوبها الى رقبتها فبان كسها وردفها فلما نظر بدر الدين ذلك تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم الكيس الذهب الذي كان اخذه من اليهودي الذي كان فيه الالف دينار لفه في سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع شاشه وعلقها على الكرسي وبقي بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين وعانقها واخذ رجليها في وسطه ثم حط الذخيرة فانطلق المدفع هدم البرج فوجدها درة ما ثقبت و مطية لغيرها ما رُكِبَتْ فزال بكارتها وتملى بشبابها ثم سله منها ورده فلما فرغ اعاده خمسة عشر مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت راسها وكذلك الاخرى ثم انهما تعانقا وناما متعانقين كما قال فيهما الشاعر هذه الابيات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ كَلَامَ الْحَاسِدِ ... لَيْسَ الْحَسُوْدُ عَلَى الْهَوٰى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ اَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَا ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدٍ
وَاِذَا تَاَلَّفَتِ الْقُلُوْبُ مَعَ الْهَوٰى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِيْ حَدِيْدٍ بَارِدٍ
وَاِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... نِعْمَ الصَّدِيْقُ وَعِشْ بِذَاكَ الْوَاحِدِ
يَا مَنْ يَلُوْمُ عَلَى الْهَوَى اَهْلَ الْهَوَى ... هَلْ يَسْتَطِيْعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ

هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وست الحسن بنت عمه واما ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة قومي وادخلي تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح لان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس وما زالت العفريتة طايرة به والعفريت يحاذيها فادركهم الصباح في اثناء الطريق وصاح المؤذنون بحي على الفلاح فاذن الله ملايكته ان ترمي العفريت بشهب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت ببدر الدين في موضع ما اخذت الشهب العفريت ولم تتعد به خوفا عليه وكان بالامر المقدر قد وصلوا دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت ابواب المدينة وخرج الناس فنظروا شابا مليحا بقميص وطاقية كشف من غير لباس وهو مما قاسي من السهر غرقان في النوم

فلما راوه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده الليلة ويا ليته صبر حتى لبس حوائجه وقال الآخر مسكين اولاد الناس هذه الساعة خرج من الخمارة لبعض شغله فقوي عليه السكر فتاه عن المكان الذي كان قاصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلوقا فنام هنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهواء هب على بدر الدين رفع ذيله الى بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وافخاذ مثل البلور فقال الناس والله طيب فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال انا فين يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم وما حكايتي معكم فقالوا نحن رايناك عند اذان الصبح ملقى نائما ولا نعلم من امر غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال بدر الدين حسن والله يا جماعة كنت نائما هذه الليلة في مصر فقال واحد انت تاكل حشيش وقال بعضهم انت مجنون تكون بائتا في مصر وتصبح نائما في مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم اكذب عليكم ابدا وانا كنت البارحة بالليل في ديار مصر وفي النهار امس كنت بالبصرة فقال واحد طيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدثت الناس بعضهم مع بعض وقالوا يا خسارة شبابه والله ما في جنونه شك ابدا ثم انهم قالوا له دبر بالك وارجع لعقلك فقال بدر الدين حسن كنت البارحة عريس في ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورايت هذا الذي تقول في المنام فتوهم حسن في نفسه وقال لهم والله ما هذا منام ولا رايته في الاحلام الا اني رحت وقد جلوا العروسة قدامي وكان الثالث الاحدب قاعدا والله يا اخي ما هذا منام ولو كان مناما اين كان الكيس الذهب معي واين شاشي وثيابي ولباسي ثم قام ودخل المدينة وشق شوارعها واسواقها فازدحمت الناس عليه وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا شاطرا يعني حراميا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه ومن شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى بدر الدين حسن ونظر الى حسنه وجماله وقعت في قلبه محبة فقال له من اين انت يا فتى فاحك لي حكايتك فانك صرت عندي اعز من روحي فحكى له ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدي بدر الدين اعلم ان هذا امر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدي اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندي في هذا المكان وانا ما لي ولد واتخذك ولدي فقال له بدر الدين نعم يا عم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين اقمشة مفتخرة والبسها له وتوجه واياه الى القاضي واشهد

على نفسه انه ولده وقد اشتهر بدر الدين حسن في مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم وقد استقر حاله عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من امر بدر الدين حسن وما جرى له واما ما كان من امر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد بدر الدين حسن فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بابيها قد دخل وهو مهموم مما جرى عليه من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصباً لاحد غلمانه وهو قطعة سائس احدب وقال في نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكنت هذا الملعون من نفسها فمشى الى ان وصل الى البشخانة ووقف على بابها وقال يا ست الحسن فقالت له لبيك يا سيدي ثم انها خرجت وهي تتمايل من الفرح وقبلت الارض وزاد وجهها نوراً وجمالاً بعناقها ذلك الغزال فلما نظرها ابوها وهي بتلك الحالة قال لها يا ملعونة انت فرحانة بهذا السائس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفي ما جرى امس والناس يضحكون علي ويعايروني بهذا السائس الذي ما يجيء في قلامة ظفر زوجي والله ما بت طول عمري ليلة احسن من ليلة البارحة فلا تهزأ بي وتذكر لي ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك ايش هذا الكلام الذي تقوليه للسائس الاحدب بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لعن الله اباه ولا تمعل مزاح فما كان السائس الا مكري بعشرة دنانير واخذ اجرته وراح وجئت انا ودخلت البشخانة فنظرت زوجي قاعداً بعد ما جلوني عليه المغاني ونقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقراء الحاضرين وقد بت في حضن زوجي الخفيف صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال لها يا فاجرة ما هذا الذي تقوليه اين عقلك فقالت له يا ابت لقد فتتت كبدي فبسك تتثاقل عليَّ فهذا زوجي الذي اخذ وجهي قد دخل الى بيت الراحة واني قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل الى بيت الخلاء فوجد السائس الاحدب راسه مغروزة في الملاقي ورجليه الى فوق فبهت فيه الوزير وقال ما هذا الا هو الاحدب فقال له يا احدب فقال تغوم تغوم فظن الاحدب انه ما يكلمه الا العفريت فعيط عليه الوزير وقال تكلم والا قطعت راسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتني في هذا المكان ما رفعت راسي فبالله عليك ارفق بي فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فانا ابو العروسة ما انا عفريت فقال بسك فانت رايح تاخذ روحي فرح الى حال سبيلك قبل ان ياتيك الذي فعل معي هذه الفعال فانتم ما جبتم تزوجوني الا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله

من زوجني بها ولعن من كان السبب فيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له انا مجنون اروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لي اذا طلعت الشمس اخرج ورح الى حال سبيلك فطلعت الشمس ام لا فاني لا اقدر اطلع من موضعي الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال الوزير من اتى بك الى هذا المكان فقال اني جئت البارحة الى هنا لاقضي حاجتي وازيل ضرورتي واذا بفارة طلع من وسط الماء وعيط وصار يكبر حتى بقي قدر الجاموسة وقال لي كلام دخل في اذني فخلاني وراح لعن الله العروسة ومن زوجني بها فتقدم اليه الوزير واخرجه من المرحاض فخرج وهو يجري وما صدق ان الشمس طلعت وطلع الى السلطان واعلمه بما اتفق له مع العفريت واما الوزير ابو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل في امر ابنته فقال يا بنتي اكشفي لي خبرك فقالت ان العريس الذي كنت انجلي عليه البارحة بات عندي واخذ وجهي وعلقت منه وان كنت لم تصدقني هذا شاشه بلفته على الكرسي ولباسه تحت الفرش وفيه شيء ملفوف ولم اعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل البشخانة فوجد شاش بدر الدين حسن بن اخيه ففي الحال اخذه في يده وقلبه وقال هذه عمامة وزراء لانها موصلية ثم نظر الى حرز مخيط في طربوشه فاخذه وفتقه واخذ اللباس فوجد الكيس الذي فيه الالف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودي واسم بدر الدين حسن بن نور الدين علي المصري ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما افاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شيء وقال يا بنتي تعرفين من الذي اخذ وجهك قالت لا قال انه ابن اخي وهو ابن عمك و هذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعري كيف اتفقت هذه القصة ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبة ومكتوب فيها تاريخ بخط اخيه نور الدين المصري ابو بدر الدين حسن فلما نظر خط اخيه انشد وقال هذه الابيات

اري آثارهم فاذوب شوقا	واسكب في مواطنهم دموعي
واسأل من بفرقتهم رماني	يمن علي يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله و
تاريخ مولد بدر الدين حسن وتاريخ عمره الى حين وفاته فتعجب واهتز من الطرب
وقابل ماجري لاخيه على ماجري له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر
متوافقين تاريخا والدخول وولادة بدر الدين وبنته ست الحسن ايضا موافقا
فاخذ الورقة وطلع بها الى السلطان واعلمه بما جري من اول الامر الى آخره فتعجب
الملك وامران يؤرخ هذا الامر فى الحال ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيه ذلك اليوم
فما اتى وثاني يوم وثالث يوم الى سبعة ايام فما وقع له على خبر فقال والله لاعملن عملا
ما سبقني اليه احد فاخذ دواة وقلما وكتب في ورقة صورة نصب البيت جميعه وان
الخشخانة موضع كذا والستارة الفلانية موضع كذا وجميع ما فى البيت ثم طوى الكتاب
وامر بشيل الحوائج واخذ الشاش والطربوش واخذ الفرجية والكيس وشالهم
عنده وقفلهم بقفل من حديد وختم عليه الى ان يصل ابن اخيه حسن البصري واما
بنت الوزير فتمت اشهرها وولدت ولدا مثل القمر شبيه والده فى الحسن والكمال
والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى الدايات وسموه عجيبا
فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين اعطاه لفقيه ووصاه ان يربيه
ويقرئه ويحسن تربيته فقام فى المكتب اربع سنوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم
ويقول لهم من فيكم مثلي انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون للعريف
مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف غدا لما يجئ اعلمكم شيئا تقولونه له فيتوب عن المجئ للمكتب وذلك
انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم بعضا والله ما يلعب معنا هذه اللعبة
الامن يقول لنا على اسم امه وابيه ومن لم يعرف اسم امه وابيه فهو ابن حرام فلم يلعب
معنا فلما اصبح الصباح اتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحاطت به الاولاد فقالوا نحن
نلعب لعبة ولكن مايلعب معنا الامن يقول لنا على اسم امه وابيه فقالوا والله
طيب فقال واحد منهم اسمي ماجد وامي علوية وابي عز الدين وقال الآخر
مثل قوله والآخر كذلك الى ان جاء الدور الى عجيب فقال انا اسمي عجيب وامي ست
الحسن وابي شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو ابوك فقال
لهم عجيب الوزير ابي حقيق فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا
ما يعرف له اب قم من عندنا فلا يلعب معنا الامن يعرف اسم ابيه وفى الحال تفرقت
الاولاد من حوله ونضا حكوا عليه فضاق صدره واختنق بالبكاء فقال له العريف
نعرف جدك الوزير ابو امك ست الحسن لا ابوك واما ابوك فلا تعرفه انت ولا نحن
لان السلطان كان زوجها للاحدب السائس وجاءت الجن ناموا عندها ولا لك اب

يعرف ولا بقيت انت تفتخر على صغار المكتب دون ان تعرف لك ابا والا بقيت بينهم ولد زنا الا ترى ان ابن البياع يعرف بابيه وانت جدك وزير مصر واما ابوك فلا نعرفه ونحن نقول مالك اب فاصح لعقلك فلما سمع من العريف والاولاد هذا الكلام وتعييرهم له قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وشكى لها وهو يبكي ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت امه كلامه وبكاءه التهب قلبها بالنار عليه وقالت يا ولدي ما الذي ابكاك فاحك لي قصتك فحكى لها جميع ما سمعه من الاولاد ومن العريف فمن هو يا والدتي ابي قالت له ابوك وزير مصر فقال لها لا تكذبي علي فان الوزير اباك انت لا انا فمن هو ابي فان لم تخبريني بالصحيح والا قتلت روحي بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر ابيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت جلاها على بدر الدين حسن البصري وما جرى لها معه وانشدت تقول هذه الابيات

أَقَامُوا الوَجْدَ فِي قَلْبِي وَسَارُوا ... وَقَدْ شَطَّتْ بِمَنْ أَهْوَى الدِّيَارُ
وَبِالتَّجَلُّدِ مِنْ حَيْثُ بَانُوا ... وَفَارَقَنِي وَعَزَّ الاصْطِبَارُ
وَقَدْ سَارُوا سَرَى عَنِّي سُرُورِي ... وَقَدْ عُدِمَ القَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَأَجْرَوْا بِالفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي ... فَأَدْمُعُهَا بِبُعْدِهِمِ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا أَنْ أَرَاهُمْ ... وَطَالَ بِهِمْ حَنِينٌ وَانْتِظَارُ
أُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي ... غَرَامٌ وَاشْتِيَاقٌ وَافْتِكَارُ
أَيَا مَنْ ذِكْرُهُمْ أَضْحَى دِثَارِي ... كَمَا حُبًّا لَهُمْ هُوَ لِي شِعَارُ
أَحِبَّتَنَا إِلَى كَمْ ذَا التَّمَادِي ... وَكَمْ هَذَا التَّبَاعُدُ وَالنِّفَارُ

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل عليهما فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر اخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم ما في باطن الامر ففي الحال قام الوزير ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك واخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ويعبر مدينة البصرة ويسأل عن ابن اخيه وطلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد اي موضع وجد فيه ابن اخيه ياخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح

بذلك الوزير ودعي للسلطان وودعه وفي الحال نزل وتجهز للسفر واخذ ما يحتاج اليه وبنته وولده عجيب وسافر اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار وانهار كما قال فيها الشاعر

مِنْ بَعْدِ يَوْمِي فِي دِمِشْقَ وَلَيْلَتِي	حَلَفَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهَا لَا يَغْلَطُ
بِتْنَا وَجُنْحُ اللَّيْلِ فِي غَفَلَاتِهِ	وَالصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ بِفَرْعٍ أَشْمَطُ
وَالطَّلُّ فِي تِلْكَ الغُصُونِ كَأَنَّهُ	دُرٌّ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالغَدِيرُ صَحِيفَةٌ	وَالرِّيحُ تَكْتُبُ وَالغَمَامُ يُنَقِّطُ

فنزل الوزير في ميدان الحصى ونصب خيامه وقال لغلمانه ناخذ الراحة هنا يومين فدخلت الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني امية الذي ما في الدنيا مثله وخرج عجيب هو وخادمه ودخلوا المدينة يتفرجون والخادم يمشي خلف عجيب بنبوت لو ضرب به جملا لما تار فلما نظر اهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وجماله وهو غلام بديع الجمال رخيم الدلال الطف من نسيم الشمال واحلى من الماء الزلال للظمآن والذ من العافيه لصاحب السقام تبعه جم غفير تجري وراءه وتسبقه وقعدوا في الطريق حتى يجيء عليهم وينظروه الى ان كان بالامر المقدر وقف العبد على دكان ابيه بدر الدين حسن وكان قد طلع ذقنه وتكامل عقله في مدة الاثني عشرة سنة وكان قد مات الطباخ واخذ بدر الدين حسن ماله ودكانه لانه اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما كان ذلك اليوم وقف ولده والخادم عليه فنظر الى ولده عجيب فوجده في غاية الحسن فخفق فؤاده وحن الدم الى الدم وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلي وهاجت فيه المحبة الآلهية فنادى ولده عجيب وقال يا سيدي يا من ملك قلبي وفؤادي وحن اليه كبدي هل لك ان تدخل عندي وتجبر قلبي وتاكل من طعامي ثم دمعت عيناه بالدموع من غير اختياره وافتكر ما كان فيه وما هو فيه تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حن قلبه له ونظر الى الخادم وقال له ان هذا الطباخ حن قلبي له وكانه قد فارق ولداله فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأكل ضيافته لعل بفعلنا معه يجمع الله شملنا بابينا فلما سمع الخادم كلام عجيب قال والله طيب تبقى اولاد الوزير وتاكل في دكان الطباخ انا اجب الناس عنك بهذه العصا خوفا من ان ينظروا

اليك فما آمن ان تدخل الى الدكان ابدا فلما سمع بدر الدين حسن كلام الخادم تعجب و
التفت الى الخادم ودموعه سالت على خدوده فقال عجيب للخادم ان قلبي لحبه فقال
له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل عند ذلك التفت ابو عجيب للخادم وقال له يا كبير
لايش ماتجبر خاطري وتدخل عندي يا من كانه قسطل اسود وقلبه ابيض يا من قال فيه
بعض واصفيه فضحك الخادم وقال ايش قلت فبالله قل واوجز ففي الحال انشد
بدر الدين حسن وجعل يقول هذه الابيات

لَوْلَا تَأَدُّبُه وَحُسْنُ ثِقَاتِهِ	مَا كَانَ فِي دَارِ الْمُلُوكِ مُحَكَّمَا
وَعَلَى الْحَرِيمِ فَيَا لَهُ مِنْ خَادِمٍ	مِنْ حُسْنِهِ خَدَمَتْه أَمْلَاكُ السَّمَا

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف بدر الدين حسن
زبدية حب رمان عالية وكانت بلوز وسكر فاكلوا سواء فقال لهم بدر الدين حسن
انستمونا فكلوا هنيأ مريئا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن
نريد فقال بدر الدين حسن يا ولدي على صغر سنك بليت بفرقة الاحباب فقال
عجيب نعم يا عم احترق قلبي بفراق الاحباب وهو والدي وقد خرجت انا وجدي نطوف
عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملي وبكى بكاء شديدا فبكى والده لفراقه وبكاءه
وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحزن له الخادم واكلوا جميعا الى ان
اكتفوا ثم بعد ذلك قاموا خرجوا من دكان بدر الدين حسن فحس ان روحه فارقت
جسده وراحت معهم فما قدر يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم
انه ولده واسرع في مشيه حتى لحقهم قبل ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي
وقال له مالك فقال بدر الدين حسن لما نزلتم من عندي حسبت ان روحي راحت معكم
ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكم حتى اقضي حاجتي وارجع فغضب
الطواشي وقال لعجيب كنت خائفا من هذا الاكلة لقمة كانت ميشومة وصار علينا
مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فلقي الطباخ خلفه فاغتاظ
واحمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وعرفنا
انه تبعنا نطرده فاطرق راسه ومشي والخادم وراءه فتبعهم بدر الدين حسن الى
ميدان الحصى وقربوا من الخيام فالتفتوا وراءوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من
الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب لئلا يقول انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ
تبعه فالتفت ووجد عينه في عينه وهو بقي جسد بلا روح فنظر عجيب ان عينه عين

خائن او يكون ولد زنا فازداد غضبا فاخذ حجرا وضرب به والده فوقع بدر الدين حسن مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب والخادم الى الخيام واما بدر الدين حسن فانه لما افاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب راسه ولام نفسه وقال انا ظلمت الصبي غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن فرجع الى دكانه وباع طعامه وصار يتشوق لوالدته التي في البصرة ويبكي عليها وانشد يقول

لَا تَسْأَلِ الدَّهْرَ اِنْصَافًا فَتَظْلِمَهُ	وَلَا تَلُمْهُ فَلَمْ يُخْلَقْ لِاِنْصَافِ
خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاَبْقِ الْهَمَّ نَاحِيَةً	لَا بُدَّ مِنْ كَدَرٍ فِيهِ وَمِنْ صَافِ

ثم ان بدر الدين حسن استمر يبيع في طعامه واما الوزير عمه فانه اقام في دمشق ثلاثة ايام ثم رحل طالب حمص فدخل اليها وفتش في طريقه اينما حل وجهه في سيره الى ان وصل الى ديار بكر وماردين والموصل ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخل بها فلما استقر بها المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه واكرم منزله وساله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته وان اخاه الوزير نور الدين علي فترحم عليه السلطان وقال له ايها الصاحب كان وزيري وكنت احبه كثيرا من مدة خمسة عشر سنة ومات وخلف ولدا وما اقام بعد موته الا شهرا واحدا ولقد تاه ولم نطلع له على خبر غير ان امه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال يا ملك اني اريد ان اجتمع بها ففي الحال اذن له ودخل اليها في دار اخيه نور الدين فجال ببصره في نواحيها وقبل اعتابها وافتكر اخاه نور الدين علي وكيف مات غريبا فبكى وانشد يقول

اَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى	اُقَبِّلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي	وَلٰكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة وباب مقوصر معقود بالحجر الصوان مجزع بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم اخيه نور الدين مكتوبا عليها بماء الذهب فاتى الى الاسم وقبله وبكى وتذكر فرقته فانشد يقول هذه الابيات

اَسْتَخْبِرُ الشَّمْسَ عَنْكُمْ كُلَّمَا طَلَعَتْ	وَاَسْأَلُ الْبَرْقَ عَنْكُمْ كُلَّمَا لَمَعَا
اَبِيتُ وَالشَّوْقُ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي	فِي رَاحَتَيْهِ وَلَا اَشْكُو لَهُ وَجَعَا

أَحْبَابَنَا إِنْ يَكُنْ طَالَ الْمَدَا فَكَذَا	فِرَاقُكُمْ قَدْ قَطَعْنَا بَعْدَ كُمْ قِطَعًا
فَلَوْ تَمَنُّوا عَلَى طَرْفِي بِرُؤْيَتِكُمْ	لَكَانَ أَحْسَنَ إِذْ مَا بَيْنَنَا جَمَعَا
لَا تَحْسَبُوا إِنَّنِي بِالْغَيْرِ مُشْتَغِلٌ	إِنَّ الْفُؤَادَ لِحُبِّ الْغَيْرِ مَا وَسِعَا

ثم انه صار يمشي الى ان جاء الى قاعة زوجة اخيه ام بدر الدين حسن المصري وكانت في مدة غيبة ولدها لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها السنين عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا لا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الوزير الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر وتقول

بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ	وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
يَا قَبْرُ مَا أَنْتَ لَا رَوْضٌ وَلَا فَلَكٌ	فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم واعلمها انه اخو زوجها ثم اخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها بدر الدين حسن بات عند ابنته ليلة كاملة من مدة عشر سنين وفقد عند الصباح وان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورأت سلفها فعند ذلك قامت له ووقعت على اقدامه وقبلتها وانشدت تقول شعرا

لِلَّهِ دَرُّ مُبَشِّرِي بِقُدُومِهِمْ	فَلَقَدْ أَتَى بِأَطَايِبِ الْمَسْمُوعِ
لَوْ كَانَ يَقْنَعُ بِالْخَلِيعِ وَهَبْتُهُ	قَلْبًا تَقَطَّعَ سَاعَةَ التَّوْدِيعِ

ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب يحضره فلما حضر قامت جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله يجمع شملنا وشملك بولدك ابن اخي فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت مصالحها وذخائرها وجوارها وفي الحال تجهزت وطلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته الى ان وصل الى مدينة دمشق فنزل في القانون وضرب الخيام

وقال لمن معه نقيم بها جمعة الى ان نشتري للسلطان هدايا وتحف وقد خرج عجيب فقال للطواشي يا لايق اني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى السوق ونعبر دمشق وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي كنا قد اكلنا طعامه وشججنا رأسه وهو قد كان احسن الينا ونحن اسأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة لوالده وفي الحال دخلوا الى المدينة وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى دكان الطباخ فوجدوه واقفا في الدكان وكان الوقت قريب العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظر عجيب اليه حن له ونظر الى اثر الضربة بالحجر في جبينه فقال له السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه بدر الدين تقلقلت احشاؤه وخفق فؤاده واطرق برأسه الى الارض واراد ان يدير لسانه في فمه فما قدره ثم انه رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا وانشد يقول هذه الابيات

تَمَنَّيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا رَأَيْتُهُ	ذَهِبْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفَا
وَأَطْرَقْتُ إِجْلَالًا لَهُ وَمَهَابَةً	وَحَاوَلْتُ أَنْ أُخْفِي الَّذِي بِي فَلَمْ يَخْفَى
وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلْعِتَابِ دَفَاتِرٌ	فَلَمَّا الْتَقَيْنَا مَا نَطَقْتُ وَلَا حَرْفَا

ثم قال لهم اجبروا قلبي وكلوا من طعامي فوالله ما نظرت اليك الا خفق قلبي وما كنت تبعتك الا وانا في غير عقلي فقال عجيب والله انت محب لنا ونحن اكلنا عندك لقمة لزمتنا عقبها واردت فضيحتنا ونحن لا ناكل لك اكلا الا بشرط ان تحلف انك لا تخرج وراءنا ولا تتبعنا والا لا نعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون جمعة حتى ياخذ جدي هدايا للملك فقال بدر الدين لكم ذلك فدخل عجيب والخادم الدكان فقدم لهم زبدية حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدر الدين واكل معهم وهو باهت في وجهه وقد تعلق قلبه وجوارحه معه فقال له عجيب اعلم اني ما قلت انك عاشق ثقيل فحسبك تطيل النظر الى وجهي فلما سمع بدر الدين كلام ولده انشد يقول

لَكَ فِي الْقُلُوبِ سَرِيرَةٌ لَا تُظْهَرُ	مَطْوِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ لَا تُنْشَرُ
يَا فَاضِحَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ بِحُسْنِهِ	وَجَمَالِهِ يَحْكِي الصَّبَاحَ الْمُسْفِرُ
فِي نُورِ وَجْهِكَ مَآرِبٌ لَا تَنْقَضِي	وَمَعَاهِدٌ أَبَدًا تَزِيدُ وَتَكْثُرُ
أَأَذُوبُ مِنْ حَرٍّ وَوَجْهُكَ جَنَّتِي	وَأَمُوتُ مِنْ ظَمَأٍ وَرِيقُكَ كَوْثَرُ

فصار بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشي ساعة فاكلوا حتى اكتفوا وقاموا فقام حسن البصري وكب على ايديهما الماء وحل فوطة حرير من وسطه مسح ايديهم فيها ورش عليها الماورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان وعاد بقلة شربات ممزوجة بالماورد والمسك وقدمها بين ايديهم وقال اتموا احسانكم فاخذ عجيب وشرب وناول الخادم وتناولوا حتى امتلأت بطونهم وشبعوا شبعا بخلاف عادتهم ثم انصرفوا واسرعوا في مشيهم حتى وصلوا الى خيامهم ودخل عجيب على جدته ام والده بدر الدين حسن فقبلته وافتكرت ولدها بدر الدين حسن فتنهدت وبكت ثم انها قالت شعر

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو بِأَنَّ الشَّمْلَ يَجْتَمِعُ	مَا كَانَ لِي فِي حَيَاتِي بَعْدَكُمْ طَمَعُ
أَقْسَمْتُ مَا فِي فُؤَادِي غَيْرَ حُبِّكُمُ	وَاللهُ رَبِّي عَلَى الأَسْرَارِ مُطَّلِعُ

ثم قالت لعجيب يا ولدي اين كنت قال في مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام حب رمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم في نفسه والله ما لنا نفس ناكل وجلس الخادم واما عجيب فلما جلس كانت بطنه ملآنة مما اكل وشرب فاخذ لقمة وغمسها في حب الرمان واكل فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعان فقال افوه ايش هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدي تعيب على طبيخي وانا طبخته ولا يحسن احد الطبخ مثلي الا والدك بدر الدين حسن فقال عجيب والله يا ستي ان طبيخك هذا وحش نحن في هذه الساعة راينا في المدينة طباخا طبخ حب رمان رائحته ينفتح لها القلب واما طعامه فله يشتهي ان يوكل واما طعامك عنده فلا يسوى كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت للخادم وقالت له ويلك انت افسدت ولدي لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشي وانكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا واكلنا وهو احسن من طعامك فقامت جدته واخبرت اخو زوجها واغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدي دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب دخلنا واكلنا من حب الرمان حتى شبعنا واسقانا الطباخ اقسما بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم

وساله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل فقد امنا فعند ذلك قدم الخادم واراد ان ياكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال يا سيدى انى شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ فعمر العبيد ان يطرحوه فطرحوه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال يا سيدي لا تضربني وانا اقول لك الصحيح فتبطّل عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال له اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فحط لنا منه والله ما اكلت عمري مثله ولا ذقت اوحش من هذا الذي قد امنا فغضبت ام بدر الدين حسن وقالت لابد ان تروح لهذا الطباخ وتجيب لنا زبدية حب رمان من الذي عنده وتريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن واطيب فقال الخادم نعم ففي الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنّا على طعامك في بيت سيدنا لان عندهم حب رمان فهات لنا بهذا النصف دينار واجعل بالك فقد اكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك بدر الدين حسن وقال والله هذا الطعام ما يحسنه احد الا انا ووالدتي وهي الآن في بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك والماورد فاخذ الخادم واسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودة طبخها فعرفت طبّاخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير ثم رش عليها الماورد وبعد ساعة افاقت وقالت ان كان ولدي في الدنيا فما طبخ هذا حب الرمان الا هو وهو ولدي بدر الدين حسن لا شك فيه ولا محالة لان هذا الطعام وما احد يطبخه غيره الا انا لاني علّمته طبيخه فلمّا سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه على رؤية ابن اخي اترى تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وخرج على الرجال الذين معه وقال يمضي منكم عشرون رجلا لدكان الطباخ واهدموه وكتفوه بعمامته وجرّوه غصبا الى عندي من غير اذية تحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على الكتب التي معه من السلطان فوضعهم على راسه بعد تقبيلهم وقال له واين هو غريمك قال رجل طباخ ففي الحال امر حجابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فراوه مهدوما وكل شيء فيه مكسور لانه لما توجه الى دار السعادة فعلوا جماعته ما امرهم به فقعد وانتظر بن مجيء الوزير من دار السعادة وبدر الدين حسن يقول يا ترى اي شيء راوا في حب الرمان حتى صار الى هذا الامر فلما حضر الوزير

من عند نائب دمشق وقد اذن له في اخذ غريمه وبيا فربه فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر بدر الدين حسن الى عمه بكي بكاء شديدا وقال يا مولاي ما ذنبي عندكم فقال له انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم فانتم وجدتم فيه شيء يوجب ضرب الرقبة فقال الوزير احسن واقل جزائك فقال له يا سيدي ما تعرفني بذنبي فقال له الوزير نعم في هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال واخذ وابدر الدين حسن معهم وادخلوه في صندوق وقفل عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى الليل فحطوا واكلوا شيئا من الطعام واخرجوا بدر الدين اطعموه وعادوه الى الصندوق ولم يزالوا كذلك الى ان وصلوا الى قمرة فاخرجوا بدر الدين حسن من الصندوق وقال له الوزير انت الذي طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدي فقال الوزير قيدوه فقيدوه وعادوا به الى الصندوق وساروا الى ان وصلوا مصر وقد نزلوا في الزيدانية فامر باخراج بدر الدين حسن من الصندوق وامر باحضار نجار وقال له اصنع لهذا لعبة خشب فقال بدر الدين حسن وما تصنع بها فقال اشنقك عليها واسمرك على اللعبة ثم ادور بك المدينة كلها فقال على اي شيء تفعل بي ذلك فقال الوزير على نحس طبيخك حب الرمان كيف طبخته وهو عاوز فلفل فقال له ولكونه عاوز فلفل تصنع معي هذا كله وما كفاك حبسي وكل يوم تطعموني اكلة واحدة فقال الوزير عاوز فلفل وما جزاؤك الا القتل فتعجب بدر الدين وحزن على روحه فقال له الوزير فيما تفكر فقال له في العقول القشرية التي مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معي هذه الفعال فقال له الوزير يجب علينا ان نؤذيك حتى لا تعود لمثله فقال بدر الدين حسن ان الذي فعلته معي اقل شيء فيه اذيتي فقال له لابد من شنقك كل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل فاخذه عمه ورماه في الصندوق وقال في غد يكون الامر وصبر عليه حتى عرف انه نام فقام وحمل الصندوق وركب وحطه قدامه ودخل المدينة وسار الى ان دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله الذي جمع شملك بابن عمك قومي افرشي البيت مثل نصبته ليلة الجلاء فقاموا اوقدوا الشموع وقد اخرج الوزير الورقة المصورة التي كان صورها بنصبة البيت وضعوا كل شيء مكانه حتى ان الرائي اذا راي ذلك لا يشك في انها ليلة الجلاء بعينها ثم امر الوزير ان يحطوا شاش بدر الدين حسن

في مكانه كما كان حطه بيده وكذلك السروال والكيس الذي تحت الطراحة ثم ان الوزير امر ابنته ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولي له ابطات علي في عبورك بيت الخلاء ودعيه يبات عندك وتحدثين معه الى النهار نكتشف له هذا التاريخ ثم ان الوزير اخرج بدر الدين من الصندوق بعد ان فك القيد من رجليه وقلعه ما عليه وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم فبالامر المقدر انقلب بدر الدين تنبه فوجد نفسه في دهليز نور فقال في نفسه انا في اضغاث احلام ثم قام بدر الدين تمشى قليلا الى باب ثان ونظر واذا هو في البيت الذي انجلت فيه عليه العروسة والبشخانه والكرسي ونظر عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر اخرى وقال انا نائم ام يقظان وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التي انجلت علي فانا فين فاني كنت في الصندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت ذيل البشخانة وقالت له يا سيدي ماتدخل فانك ابطات في بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال انني في اضغاث احلام ثم دخل وتنهد وتفكر فيما جرى له وتحير في امره واشكلت عليه قضيته لما راى شاشه وسرواله والكيس الذي فيه الالف دينار فقال الله اعلم اني في اضغاث احلام فعند ذلك قالت له ست الحسن مالك تتعجب وتبهت وقالت ماكنت كذا اول الليل فضحك وقال كم لي غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حواليك انت خرجت تقضي لك شغلا وترجع فانت عدم عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال صدقت ولكن لما خرجت من عندك نسيت روحي على بيت الماء وحلمت اني كنت طباخا في دمشق واقمت بها عشر سنين وكاني جاءني صغير وهو من اولاد الاكابر ومعه خادم ثم ان بدر الدين حسن مس بيده على جبينه فراى الضرب عليه فقال والله ياستي كانه حق لانه ضربني على جبيني فشجه فكانه في اليقظة ثم قال كانه من ساعة ما تعانقت انا وانت نمنا فكاني رايته في المنام ورايت كاني سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا سروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة وقال والله كاني رايت اني طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كاني الا نمت في بيت الماء ورايت هذا كله في المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك وايش رايت زيادة على ذلك فحكى لها فعند

ذلك قال بدر الدين حسن والله لولا اني تنبهت لكانوا سمروني على لعبة خشب فقالت له على ايش فقال على قلة فلفل حب الرمان وكانهم خربوا دكاني وكسروا مواعيني وحطوني في صندوق وجاؤا بالنجار يصنع لي خشبة لانهم ارادوا شنقي فالحمد لله الذي جرى لي ذلك كله في المنام ولا كان في اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تفكر ثم قال والله ما كانه الا في اليقظة فانا ما عرفت ايش القضية ثم انه نام وهو متحير في امره تارة يقول انا حلمت وتارة يقول انا في اليقظة ولا زال كذلك الى الصباح فدخل عليه عمه شمس الدين الوزير فسلم عليه فنظر له بدر الدين حسن وقال بالله ما انت الذي امرت بتكتيفي وتسميري وتخريب دكاني من شان حب الرمان لكونه عاوز فلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم يا ولدي انه ظهر الحق وبان ما هو مختفي انت ابن اخي وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذي دخلت على بنتي ذاك الليلة وما تحققت ذلك الا لكونك عرفت البيت وعرفت شاشك وسروالك وذهبك والورقة التي بخطك والتي كتبها والدك اخي فاني ما رايتك قبل ذلك وما كنت اعرفك وان امك جبتها معي من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع بدر الدين حسن من عمه هذا الكلام تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدي ان سبب ذلك كله ما جرى بيني وبين والدك وحكى له على ما جرى بينه وبين اخيه وسبب سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير ارسل خلف عجيب فلما راه والده قال وهذا الذي ضربني بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وانشد يقول شعر

وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى تَفَرُّقِ شَمْلِنَا	قَدْرًا اَفَاضَ الدَّمْعُ مِنْ اَجْفَانِي
وَنَذَرْتُ اِنْ عَادَ الزَّمَانُ يَلُمُّنَا	مَا عُدْتُ اَذْكُرُ فُرْقَةً بِلِسَانِي
هَجَمَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى اَنَّنِي	مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ سَرَّنِي اَبْكَانِي

فلما فرغ من شعره واذا بوالدته اقبلت ورمت نفسها عليه وانشدت تقول

اِذَا الْتَقَيْنَا اِشْتَكَيْنَا	مِنْ عِظَمِ مَا قَدْ نَقُولُ
مَا هُوَ مَلِيحُ الشَّكْوَى	عَلَى لِسَانِ رَسُولُ

ثم ان والدته حكت له على ما وقع لها بعده وحكى لها على ما قاساه فشكروا الله تعالى على اجتماع شملهم ببعض ثم ان الوزير شمس الدين ذهب الى السلطان بعد وصوله بيومين فلما دخل

عليه قبل الارض بين يديه وحياه بتحية الملوك ففرح به السلطان وبش في وجهه و ادناه اليه ثم استخبره عما راي في سفرته وجرى له في ذهابه فاخبره بالقصة من اولها الى آخرها فقال له السلطان الحمد لله على ظفرك بالمراد ورجوعك سالما الى الاهل والاولاد ولابد من ان ارى ابن اخيك حسن البصري فأت به الى الديوان غدا فقال له شمس الدين يحضر عبدك غدا ان شاء الله تعالى ثم سلم عليه وخرج فلما رجع الى داره اخبر ابن اخيه باشتياق السلطان اليه فقال حسن البصري للملوك منقاد لامر مولاه والحاصل انه ذهب الى حضرة السلطان مع عمه شمس الدين ولما حضر بين يديه حياه باكمل التحيات وافضلها وانشد يقول شعر

يُقَبِّلُ الْأَرْضَ مَنْ عَزَّتْ مَرَاتِبُهُ	بِكُمْ وَبِالنُّجْحِ قَدْ فَازَتْ مَطَالِبُهُ
أَنْتُمْ أُولُو الْمَجْدِ يَحْظَى مَنْ يُؤَمِّلُكُمْ	بِمَا بِهِ فِي الدُّنَا تَعْلُو مَنَاصِبُهُ

فتبسم السلطان واشار اليه بالجلوس فجلس في القرب عمه شمس الدين ثم سأله الملك عن اسمه فقال له احقر عبيدك المعروف بحسن البصري الداعي لك ليلا ونهارا فاعجب السلطان كلامه واراد ان يمتحنه فيما يظهر به نبار علمه وادبه فقال له هل تحفظ شيئا في وصف الخال قال نعم وانشد شعر

حَبِيبٌ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِيهِ	أَنَالَتْ عَبْرَتِي وَعَلَا نَحِيبِي
لَهُ خَالٌ حَكَى حُسْنًا وَلَوْنًا	سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْ حَبَّ الْقُلُوبِ

فاستحسن الملك البيتين وقال له هات غيرهما لله ابوك ولا فض فوك فانشد شعر

وَنُقْطَةِ خَالٍ شَبَّهُوهَا بِحَبَّةٍ	مِنَ الْمِسْكِ لَا تَعْجَبْ لِقَوْلِ الَّذِي شَبَّهْ
بَلِ اعْجَبْ لِوَجْهٍ قَدْ حَوَى الْحُسْنَ كُلَّهُ	وَمَا فَاتَهُ مِنْهُ الْجَمِيعُ وَلَا حَبَّهْ

فاهتز الملك طربا وقال له زدني بارك الله في عمرك فانشد شعر

يَا مَنْ حَكَى الْخَالُ عَلَى خَدِّهِ	نُقْطَةَ مِسْكٍ فَوْقَ يَاقُوتَهُ
أَنْعِمْ بِوَصْلِي أَلَّا تَكُنْ قَاسِيًا	يَا مُنْيَةَ الْقَلْبِ وَيَاقُوتَهُ

فقال له الملك احسنت يا حسن واجدت كل الاجادة بين لنا كم للفظ الخال من معنى في اللغة فقال له ايد الله الملك ثمانية وخمسون معنى وقيل خمسون فقال له صدقت ثم قال له الملك علم بتفصيل الحسن قال نعم الصباحة في الوجه الوضاءة في البشرة الجمال في الانف الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال الحسن في الشعر وقد جمع هذا كله الشهاب الحجازي في ابيات من بحر الرجز وهي هذه شعر

صَبَاحَةٌ لِلْوَجْهِ قُلْ وَالْبَشَرَهْ	لَهَا وَضَاءَةٌ فَكُنْ ذَا تَبْصِرَهْ

وَبِالجَمَالِ الأَنْفُ حَقًّا يُوصَفُ	وَبِالحَلَاوَةِ العُيُونُ تُعْرَفُ
نَعَمْ وَقَالُوا الفَمِ المَلَاحَهْ	فَافْهَمْهُ عَنِّي لَا عَدِمْتَ الرَّاحَهْ
وَالظَّرْفُ فِي اللِّسَانِ وَالرَّشَاقَهْ	لِلْقَدِّ وَالشَّمَائِلُ اللَّبَاقَهْ
ثُمَّ كَمَالُ الحُسْنِ قَالُوا فِي الشَّعَرْ	فَاصْغِ إِلَى نَظْمِي وَكُنْ مِمَّنْ عَذَرْ

فسر السلطان بكلامه واستأنس به ثم قال له ما معنى قولهم في المثل شريح ادهى من الثعلب فقال اعلم ايها الملك ايدك الله تعالى ان شريح خرج ايام الطاعون الى النجف وكان اذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه فيشغله عن صلواته فلما طال ذلك عليه نزع يوما قيصه فجعله على قصبة واخرج كميه وجعل عمامته عليها وشد وسطها ونصبها في محل صلواته فاقبل الثعلب على عادته فوقف بازائه واتاه شريح من خلفه فاخذه فقيل ما قيل فلما سمع السلطان ما كشف عنه حسن البصري قال لعمه شمس الدين ان ابن اخيك هذا كامل في فن الادب ولا اظن ان مثله يوجد في مصر فقام حسن البصري وقبل الارض بين يديه وقعد قعود المملوك بين يدي مولاه ثم ان السلطان لما اطلع على حقيقة ما تحصل لحسن البصري من العلوم الادبيه فرح فرحا عظيما وخلع عليه خلعة فاخرة وقلده امرا يستعين به على ما يصلح حاله ثم قام حسن البصري وقبل الارض بين يديه ودعا له بالعز الدائم واستأذنه للذهاب مع عمه الوزير شمس الدين فاذن له فخرج واتى هو وعمه الى البيت فقدم لهما الطعام فاكلا ما يسر الله لهما ثم دخل الحسن البصري بعد الفراغ من الطعام مجلس امرأته ست الحسن واخبرها بما اتفق له في حضرة السلطان فقالت له لابد من ان يجعلك نديما له ويوفر لك الصلات والهبات وانت بفضل الله كالبدر الاعظم تسطع انوار كمالك حيثما كنت في برا وبحر فقال لها اريد ان اقول قصيدة في مدحه لتزداد محبتي في قلبه قالت له اصبت فيما نويت فجود الفكرة تأنق فيما تقول وما اراه الا مقابلا لك بالقبول ثم انفرد حسن البصري ناحية ونمق ابياتا رشيقة المباني حسنة المعاني وهي هذه شعر

لِي هُمَامٌ قَدْ سَمَا أَوْجَ العُلَى	وَهُوَ فِي نَهْجِ الكِرَامِ الغُرِّ سَالِكْ
أَمَّنَ الأَقْطَارَ طُرًّا عَدْلُهُ	وَعَلَى أَعْدَائِهِ سَدَّ المَسَالِكْ
ضَيْغَمٌ شَهْمٌ تَقِيٌّ إِنْ تَقُلْ	مَلَكٌ أَوْ مَلِكٌ فَهُوَ كَذَلِكْ
يَرْجِعُ العَافِي غَنِيًّا إِنْ تَرُمْ	وَصْفَهُ تَعْجَزْ عَنْهُ فِي مَقَالِكْ

هُوَ غَيثٌ مُسفِرٌ يَومَ العَطَا	وَهُوَ فِي يَومِ الوَغىٰ كَاللَّيلِ حَالِكْ
قَلَّدَ الأَعنَاقَ مِنَّا جُودُهُ	وَهُوَ بِالإِحسَانِ لِلأَحرَارِ مَالِكْ
طَوَّلَ اللهُ لَنَا فِي عُمرِهِ	وَوَقَاهُ شَرَّ أَحدَاثِ المَهَالِكْ

فلما فرغ من تحريرها ارسل بها الى حضرة السلطان صحبة عبد من عبيد عمه الوزير شمس الدين فاطلع عليها الملك وسر خاطره بها وقرأها للحاضرين بين يديه فاثنوا عليه ثناء عظيما ثم استدعاه الى مجلسه فحضر فقال له الملك انت من هذا اليوم نديمي وقد عينت لك في كل شهر الف درهم مع ما قلدتك به سابقا فقام حسن البصري وقبل الارض بين يديه ثلث مرات ودعا له بدوام العز وطول البقاء ثم ان حسن البصري علا قدره وطارصيته في البلدان وبقي في اجمل حال و ارغد عيش مع عمه واهله الى ان ادركته الوفاة فلما سمع القصة هرون الرشيد من لسان جعفر تعجب وقال ينبغي ان تكتب هذه الاحاديث بماء الذهب ثم اطلق العبد وامر بان يعين للشاب في كل شهر ما يطيب به عيشه ووهب سرية من عنده وصار من ينادمه وما هذا باعجب من حكايت الخياط والاحدب واليهودي والشاهد والنصراني وما وقع لهم قال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في مدينة الصين رجل خياط مبسوط الانامل يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته في بعض الاحيان يتفرجون على المنفرجات فخرجوا يوما من اول النهار ورجعوا آخره الى منزلهم عند المساء فوجدوا في طريقهم رجلا احدب رؤيته تضحك المغبون وتزيل الهم عن المحزون فعند ذلك تقدم الخياط وزوجته يتفرجون عليه ثم انهم عزموا عليه ان يروح معهم الى بيتهم لينادمهم تلك الليلة فاجابهم ومشى معهم الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وعقيدا يحلو به واتى وحط السمك قدام الاحدب واكلوا فاخذت امراة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تاكلها الا دفعة واحدة في فرد نفس ولا امهلك حتى تمضغها فبلعها وكانت فيها شوكة قوية فانشبكت في حلقه مع انقضاء اجله فمات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما لقمت الاحدب جزلة السمك مع انقضاء اجله مات لساعته فقال الخياط لاحول ولاقوة الا بالله مسكين جاء موته الا هكذا على ايدينا فقالت المرأة وما هذا التواني اما سمعت قول القائل

مَالِي أُسَلِّي نَفسِي بِالمُحَالِ إِلىٰ	لَم أَلتَقِي مِن حَبِيبٍ يُحمِلُ لِحزَانِي
كَيفَ الجُلُوسُ عَلَى نَارٍ وَلَا خَمِدَتْ	إِنَّ الجُلُوسَ عَلَى النِّيرَانِ خُسرَانِ

فقال لها زوجها وما افعله قالت له قم واحمله في حضنك وانشر عليه فوطة حرير واخرج انا قدامك وانت ورائي في هذه الليلة وقل هذا ولدي وهذه امه رايحين به الى الطبيب يراه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الاحدب في حضنه وزوجته تقول يا ولدي سلامتك ايش يوجعك ومن اي مكان لك هذا الجدري فكل من راهم يقول معهم طفل طرحان ولم يزالوا سائرين وهم يسألون عن منزل الطبيب فدلوهم الى بيت طبيب يهودي فقرعوا الباب فنزلت لهم جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغير وامرأة معه فقالت الجارية ما خبرك فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا ينظره الطبيب فخذي هذا الربع دينار واعطيه لسيدك وخليه ينزل يرى ولدي فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها اترك الاحدب هنا وخلنا نفوز بانفسنا فاوقفه الخياط واسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته واما الجارية فدخلت لليهودي وقالت له ان على الباب رجل معه واحد ضعيف ومعهم حرمة وقد اعطوني ربع دينار لك تنزل تشوفه وتصف لهم ما يوافقه فلما راى اليهودي الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل في الظلام فاول ما حط رجله عثر بالاحدب وهو ميت فقال يا للعزير يا لموسى والعشر كلمات يا لهارون ويوشع بن نون كاني عثرت في هذا المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف اخرج بقتيل من بيتي فحمله وطلع به البيت واعلم زوجته بذلك فقالت له وما قعودك ان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا انا وانت نطلع به السطح ونرميه في بيت جارنا المسلم وكان جاره رجلا شاهدا مشرفا على مطبخ السلطان وهو كثيرا ما يأتي بالدهن الى بيته وتاكل القطط والفيران وان طاب طرف ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح ويجرونه وقد اذوه كثيرا في جميع ما يأتي به فطلع اليهودي وزوجته وهم حاملين الاحدب وانزلوه بيديه ورجليه الى الارض وخلوه ملاصق الحائط وانزلوه وانصرفوا وما لحقوا ينزلون الاحدب الا والشاهد جاء الى البيت وفتحه وطلع ومعه شمعة موقودة فطلع في البيت فوجد ابن ادم واقفا في الزاوية تحت البادهنج فقال له الشاهد واه والله طيب ان الذي يسرق حوائجنا ما هو الا ابن ادم فالتفت اليه وقال له هذا اللحم والدهن تاخذه انت وانا احسبه من القطط والكلاب وانا قتلت قطط الحارة وكلابها ودخلت في خطيئتهم وانت تنزل من السطوح ثم اخذ مطرقة عظيمة وهمزبها وصار عنده وضربه على صدره فوجده مات فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن والليلة وكيف فرغت منية هذا الرجل على يدي ثم نظر اليه فاذا هو احدب فقال ما يكفي انك احدب حتى تصير حراميا وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرني بسترك الجميل ثم حمله على اكتافه ونزل به من بيته اخر الليل وما زال به الى اول السوق فاوقفه

بجانب دكان في رأس عطفة وتركه وراح واذا بنصراني سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان التسبيح قريب فما زال يمشي ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجلس يبول قباله فلاحت منه التفاتة واذا بواحد واقف وكان النصراني خطفوا عمامته في اول تلك الليلة فلما راى الاحدب قائما اعتقد انه يريد يخطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع على الارض وصرخ النصراني على خفير السوق ونزل على الاحدب من شدة سكره وبقي يلكمه ويخنقه خنقا فجاء الخفير فوجد النصراني بارك على المسلم وهو يلكمه فقال له الخفير ما لهذا فقال له النصراني هذا اراد ان يخطف عمامتي فقال له الخفير قم عنه فقام فتقدم اليه فوجده ميتا فقال الخفير والله طبيب نصراني يقتل مسلما ثم مسك الخفير النصراني وكتفه وجاء به الى بيت الوالي والنصراني يقول في نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما اسرع ما مات من لكمة واحدة فراحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان السمسار والاحدب والنصراني باتوا في بيت الوالي الى الصباح واصبح الوالي طلع فامر بشنق القاتل وامر المشاعلي ان ينادي عليه ونصب للنصراني خشبة واوقفه تحتها وجاء المشاعلي ورمى في رقبة النصراني الحبل واراد ان يعلقه واذا بالشاهد قد شق بين الناس فرأى النصراني وهو رائح يشنق ففسح الناس وقال للمشاعلي لا تفعل انا الذي قتلته فقال له الوالي لاي شئ قتلته قال اني طلعت الليلة بيتي فرأيته نزل من البادهنج وسرق رحلي فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت الى السوق واوقفته في موضع كذا في عطفة كذا ثم قال الشاهد ما كفاني اني قتلت مسلما حتى اقتل نصرانيا فلا تشنق غيري فلما سمع الوالي كلام الشاهد اطلق النصراني السمسار وقال للمشاعلي اشنق هذا باعترافه فاخذ الحبل من رقبة النصراني ووضعه في رقبة الشاهد واوقفه تحت الخشبة واراد ان يعلقه واذا باليهودي الطبيب قد شق الناس وصرخ على الناس وعلى المشاعلي وقال له لا تفعل ما قتله الا انا في هذه الليلة كنت في بيتي واذا برجل وامراة دقوا الباب ومعهم هذا الاحدب ضعيف فدفعوا للجارية ربع دينار فاعلمتني واعطتني اياه واما الرجل والمراة فادخلاه في البيت ووضعاه على السلم وذهبا فنزلت لانظره وانا في الظلام فعثرت فيه فوقع من فوق السلم لاسفل فمات من وقته فحملته انا وزوجتي ثم طلعنا به الى السطح ودار الشاهد هذا بجوار داري فارخيناه هذا الاحدب في البادهنج بتاع الشاهد وهو ميت فلما طلع هذا الشاهد وجده في بيته فاعتقد انه حرامي فضربه بمطرقة فوقع على الارض فاعتقد انه قتله فما كفاني قتلت مسلما بغير علمي واخذ في ذمتي مسلما آخر بعلمي فلما سمع الوالي كلام اليهودي قال للمشاعلي اطلق الشاهد واشنق اليهودي فاخذه المشاعلي وحط الحبل في رقبته واذا بالخياط شق الناس وقال للمشاعلي لا تفعل ما قتله الا انا وذلك اني كنت بالنهار اتفرج وجئت العشاء فلقيت

هذا الاحدب سكرانا ومعه دف وهو يغني بعزمه عليه فعزمت عليه وجبته الى بيتي واشتريت سمكا وقعدنا ناكل فاخذت زوجتي قطعة سمك ولقمة ودستها في حنكه فازورّ بعضه في حنكه فمات لوقته فاخذته انا وزوجتي وجئنا به لبيت اليهودي فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولي لسيدك ان بالباب امراة ورجل ومعهما ضعيف تعال انظره واعطيت لها ربع دينار فطلعت لسيدها وحملت انا الاحدب لرأس السلم واسندته ومضيت انا وزوجتي فنزل اليهودي فعثر فيه فظن انه قتله ثم قال الخياط لليهودي صحيح قال نعم والتفت الخياط للوالي وقال له اطلق اليهودي واشنقني فلما سمع الوالي كلامه تعجب من امر هذا الاحدب وقال ان هذا امر يورخ في الكتب ثم قال للمشاعلي اطلق اليهودي واشنق الخياط باعترافه فقدمه المشاعلي وقال تعبنا نقدم هذا ونؤخر هذا ولا يشنق واحد ثم وضع الحبل في رقبة الخياط فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان لا يقدر يفارقه فلما سكر الاحدب وغاب عنه تلك الليلة وثاني يوم الى نصف النهار سأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالي وهو ميت وامر بشنق قاتله فنزل الوالي يشنق القاتل فحضر ثاني وثالث وكل واحد يقول ما قتله الا انا وكل واحد يذكر للوالي سبب قتله فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال انزل الى الوالي وائتني بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد المشاعلي رائح يشنق الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالي بقصة الملك فاخذه واخذ الاحدب معه محمولا والخياط واليهودي والنصراني والشاهد وطلعوا بالجميع فلما تمثل الوالي بين يديه قبل الارض وحكي له على ما جرى من الجميع وليس في الاعادة افادة فلما سمع الملك الحكاية تعجب واخذه الطرب وامران يؤرخ ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم باعجب من قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصراني وقال يا ملك الزمان ان اذنت لي حدثتك بشيء جرى لي وهو اعجب واغرب واطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال يا ملك الزمان اني لما دخلت تلك الديار اتيت بمتجر واوقعني المقدور عندكم واصل مولدي بمصر وانا من قبطها وتربيت بها وكان والدي سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفي والدي فعملت سمسارا مكانه فبينما انا في يوم من الايام قاعد واذا بشاب احسن ما يكون وعليه افخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآني سلم علي فقمت تعظيما له فاخرج منديلا وفيه قدر سمسم وقال كم يساوي الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لي خذ التراسين والكياليين وامض الى باب النصر الى خان الجوالي تجدني فيه وتركني ومضى واعطاني السمسم بمنديله الذي فيه العينة فدرت على المشترين فجاب كل اردب مائة وعشرون درهما فاخذت معي اربع تراسين ومضيت اليه فوجدته في انتظاري

فلما راني قام الى المخزن وفتحه حتى فرغ المخزن فكيلناه فجاء خمسين اردبا بخمسة الاف درهم فقال الشاب لك فى سمسرتك في كل اردب عشرة واقبض الثمن وخل لي عندك اربعة الاف وخمسمائة درهم فاذا افرغ انا من بيع حواصلي اجئ لك اخذ المبلغ من عندك فقلت له نعم فقبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لي في ذلك اليوم الف درهم فغاب عني شهرا وجاء وقال لي اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تاكل عندنا شيئا فابى وقال احضر لي الدراهم حتى امضي واجئ اخذهم منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا وجاء وقال لي اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تاكل عندنا شيئا فابى وقال لي احضر لي الدراهم حتى امضي واجئ اخذهم منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عني شهرا فقلت هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء راكبا على بغلة وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر في تمامه وكانه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد احمر وجبين ازهر وشامة كانها قرص عنبر كما قيل فيه شعر

البدر والشمس في برج قد اجتمعا	في غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وقد اظهر حسنهم غير النفوس بهم	فيا لهم عند ما داعي السرور دعا
بالحسن والظرف قد تمت محاسنه	وزانها العقل والحياء قد برعا
تبارك الله مخلوقا له عجب	ما شاء رب العلا في خلقه صنعا

فلما رايته قبلت يديه ودعوت له وقلت له ياسيدي ما تقبض دراهمك فقال وايش العجلة حتى افرغ من مصالحي واخذها منك ثم ولى فقلت والله اذا جاء هذه المرة لابد ان اعزم عليه لكوني اتجرت في دراهمه وحصلت منها مالا كثيرا فلما كان اخر السنة جاء وعليه بدلة افخر من الاولى فحلفت عليه ان ينزل عندي ويأكل ضيافتي فقال لي بشرط ان ما تنفقه علي يكون من مالي الذي عندك قلت نعم واجلسته ونزلت هيأت ماينبغي من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وجبت بين يديه وقلت بسم الله فتقدم للمائدة ومد يده الشمال واكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسلت يده وناولته مايمسح به يده وجلسنا للحديث بعد ما قدمت له شيئا من الحلوى فقلت ياسيدي فرج عني كربة لم اكلت بيدك الشمال لعل في يدك شيئا يؤلمك فلما سمع كلامي انشد يقول شعر

خليلي لا تسأل على ما بمهجتي	من اللوعة الحرا فتظهر اسقامي
وما عن رضى صاحبت سلمى بديلة	بليلى ولكن للضرورة احكام

واخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة زند بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في بالك اني اكلت معك بيدي الشمال عجبا ولكن لقطع اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم اني من اولاد بغداد ووالدي من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت

السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون عن الديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فاخذت اموالا كثيرة وعبيت متجرا من قماش بغداد ي وموصلي وسريت الكل وسافرت من بغداد وكتب الله لي السلامة حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وانشد يقول

قَدْ يَسْلَمُ الْمُطْمَسُ مِنْ حُفْرَةٍ	وَيَقَعُ فِيهَا الْنَاصِرُ النَاظِرُ
وَيَسْلَمُ الْجَاهِلُ مِنْ لَفْظَةٍ	وَيَهْلِكُ فِيهَا الْعَالِمُ الْمَاهِرُ
وَيَعْسُرُ الْمُؤمِنُ فِي رِزْقِهِ	وَيُرْزَقُ الْكَافِرُ وَالْفَاجِرُ
مَا حِيلَةُ الْمَرْءِ وَمَا فِعْلُهُ	هٰذَا الَّذِي قَدَّرَهُ الْقَادِرُ

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر ونزلت القماش في خان مسرور وفكيت احمالي ودخلتها واعطيت الخادم دراهم يشتري لنا شيأ ناكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ورجعت بت ليلتي فلما اصبحت فتحت فردة من القماش وقلت في نفسي اقوم اشق بعض الاسواق وانظر الحال واخذت بعض القماش وحملته لبعض غلماني وسرت حتى وصلت قيصرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فاخذوا مني القماش ونادوا عليه فلم يجب رأس ماله فاغتميت لذلك فقال لي شيخ الدلالين يا سيدي اعرف لك شيأ تستفيد منه تعمل ما يعمل التجار وتبيع متجرك الى اشهر معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي وتاخذ مالك كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأي سديد فاخذت معي الدلالين وذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيصرية وبعته وكتبت عليهم الثمن ورفعت الورقة للصيرفي واخذت ورقة ورجعت الخان واقمت اياما كل يوم افطر على قدح شراب واحضر لحم الضاني والحلويات شهرا ودخل الشهر الذي استحقيت فيه الجباية فبقيت كل يوم خميس واثنين ادخل القيصرية واقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيرفي والكاتب يجيبون الدراهم من التجار الى بعد العصر فاحسبها واختمها واخذها وانصرف الى الخان ففي يوم من الايام وكان يوم الاثنين دخلت الحمام وخرجت الى الخان ودخلت موضعي وفطرت على قدح الشراب ونمت وانتبهت فاكلت دجاجة وتعطرت وذهبت لدكان تاجر يقول له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة حتى قام السوق واذا بامرأة مياسة القوام وهي تتبختر في مشيها جاءت بعصبة مائلة وروائح فائحة ورفعت الشعرية فنظرت الى احداق سود فسلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طريش فاخرج لها تفصيلة من التفاصيل التي اشتراها مني فبايعته عليها بالف ومائتين درهم فقالت للتاجر اخذ التفصيلة واذهب ارسل لك ثمنها فقال لها التاجر لا يمكن يا ستي لان هذا صاحب القماش وله علي قسط فقالت ويلك اني معودة اخذ منك كل قطعة قماش بجملة

من الدراهم وافيدك فيها فوق ما تريد وارسل لك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم فاخذت التفصيلة ورمت بها في صدره وقالت طائفتكم لا تعرف لاحد قيمة وقامت مولية فحسبت بروحي راحت معها فقمت واوقفتها وقلت لها يا سيدتي تصدقي علي وارجعي بخطواتك الكريمة الي فرجعت وتبسمت وقالت لاجلك رجعت وقعدت قصادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم شراؤها عليك قال الف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة اكتب لك فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي واعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي انت روحي وان شئت هاتي ثمنها بالسوق الاتي وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل الله دعاءها ثم قلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك ايضا مثلها ودعيني انظر وجهك فلما رايت وجهها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لا املك عقلي ثم ارخت الشعرية واخذت التفصيلة وقالت يا سيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت انا في القيصرية الى بعد العصر وانا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب قمت وسالت التاجر عنها فقال هذه صاحبة مال وهي بنت واحد امير مات والدها وخلف مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت للخان فقدم لي العشاء فافتكرتها فلم اكل شيئا ونمت فلم يجئني نوم فسهرت الى الصباح فقمت لبست بدلة غير التي كانت علي وشربت قدح شراب وفطرت على شيء قليل وجئت دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاء الصبية على عادتها وعليها بدلة افخر من الاولى ومعها جارية وسلمت علي دون بدر الدين وقالت بلسان فصيح ما سمعت اعذب ولا احلا منه ارسل معي من يقبض الالف والمائتين درهم ثمن التفصيلة فقلت لها وايش العجلة فقالت لا عدمناك وناولتني الثمن وقعدت اتحدث واياها فاومبت لها بالاشارة ففهمت اني اريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت مني وقلبي متعلق بها وخرجت انا خارج السوق في اثرها واذا بجارية اتتني وقالت يا سيدي كلم ستي فتعجبت وقلت ما يعرفني هنا احد فقالت الجارية يا سيدي ما اسرع ما نسيتها ستي التي كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الى الصيرفي فلما راتني ازوتني لجانبها وقالت يا حبيبي وقعت بخاطري وتمكن حبك من قلبي ومن ساعة اني رايتك ما هنئ لي نوم ولا اكل ولا شرب فقلت لها عندي اضعاف ذلك والحال يغني عن الشكوى فقالت يا حبيبي عندك والا عندي فقلت لها انا رجل غريب ومالي مكان ياويني الا الخان فان تصدقت فيكون عندك قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شيء الا ان كان في غد بعد الصلوة صل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسال عن قاعة بركات النقيب المعروف بابي شامة فاني ساكنة هناك ولا تبطي فاني في انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت الخان الذي انا فيه ومضيت الليل سهران

فما صدقت ان الفجر لاح فقمت وغيرت ملبوسي وتعطرت وتطيبت واخذت معي خمسين دينارا في منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بي الى الجبانية فمضى في لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقري فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت له امش قدامي الى القاعة وقلت له باكر تجيئني هنا وتوديني فقال المكاري بسم الله فناولته ربع دينار ذهب فاخذه وانصرف فطرقت الباب فخرجتا لي صبيتين صغار انهدا ابكارا كانهن الاقمار فقالوا لي ادخل سيدتنا في انتظارك لم تنم الليلة لفرحها بك فدخلت الى قاعة معلقة بسبعة ابواب ودائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه الوان وبه انهار دافقة وطيور ها ناطقة وهي مبيضة ببياض سلطاني يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مقرنص بذهب وطرازات مكتوبة باللازورد قد حوت اوصافا حسنة واضاءت للناظرين وارضها مفروشة بالرخام المجزع وفي وسطها فسقية وفي اركان تلك الفسقية طيور بالدر والجوهر مفروشة بالبسط والحرير الملون والمراتب فلما دخلت جلست وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصراني فلما دخلت وجلست لم اشعر الا والصبية قد اقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجواهر وهي منقشة مكتبة فلما رأتني تبسمت في وجهي وحضنتني ووضعتني على صدرها وجعلت فمها على فمي وجعلت تمص لساني وانا كذلك وقالت صحيح اتيت عندي فقلت لها انا عبدك فقالت اهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك ما لذلي نوم ولا هنئ لي طعام فقلت وانا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق براسي الى الارض حياء فما لبثت الا قدمت لي سفرة من افخر الوان الاطعمة من سكباجة وفريوس مقلي منزل في عسل نحل ودجاج محشي فاكلت واياها واكتفينا فقدموا الى الطشت والابريق فغسلت يدي ثم تطيبنا بالماورد الممسك ثم جلسنا نتحدث فانشدت تقول هذه الابيات

لَوْ عَلِمْنَا قُدُومَكُمْ لَنَشَرْنَا	مُهْجَةَ الْقَلْبِ مَعَ سَوَادِ الْعُيُونِ
وَفَرَشْنَا خُدُودَنَا لِلِقَاكُمْ	لِيَكُونَ الْمَسِيرُ فَوْقَ الْجُفُونِ

وهي تشكو الي ما لاقت وانا اشكو لها ما لاقيت وتمكن حبها عندي وهان علي جميع المال ثم اخذنا نلعب ونتهارش ونتباوس الى ان اقبل الليل فقدموا لنا الجوار الطعام والمدام فاذا هي حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها الى الصباح فما رأيت عمري مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفرش المنديل الذي فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت يا سيدي متى اري هذا الوجه الحسن

فقلت لها اكون عندك العشاء فلما خرجت اصبت الحمار الذي جا بني بالامس على الباب ينتظرني فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت واعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعال وقت الغروب قال نعم فنطرت وخرجت اطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا واخذت حلاوة ثم دعوت الحمال ووضعته له في المحمل واعطيته اجرته ورجعت في اشغالي الى الغروب فجاء في المكاري وقت المغرب فاخذت خمسين دينارا وجعلتهم في منديل ودخلت عندهم فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل واوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما راتني رمت يديها على رقبتي وقالت اوحشتني ثم قدمت الموائد فاكلنا حتى اكتفينا وشالت الجوار المائدة وقدمن المدام فلم نزل نشرب الى نصف الليل فقمنا الى مجلس النوم فنمنا الى الصباح فقمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا تحتهم رز مفلفل وعملت قلقاسا مقليا واخذت فاكهة ونقلا ومشموما وارسلتهم وسرت الى البيت واخذت خمسين دينارا في منديل وخرجت ركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت فاكلنا وشربنا ونمنا الى الصباح وقمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بت واصبحت لا املك درهما ولا دينارا فقلت في نفسي كل هذا من فعل الشيطان وانشدت اقول هذه الابيات

فَقْرُ الغَنِيِّ يُذْهِبُ اَنْوَارَهُ ... كَمَا اصْفِرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ المَغِيب
إِنْ غَابَ لَا يُذْكَرُ بَيْنَ الوَرَى ... وَإِنْ حَضَرَ فِي الحَيِّ مَا لَهُ نَصِيب
يَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ مُسْتَخْفِيًا ... وَفِي الفَلَا يَبْكِي بِدَمْعٍ صَبِيب
وَاللهِ مَا الإِنْسَانُ بَيْنَ أَهْلِهِ ... إِذَا بُلِيَ بِالفَقْرِ إِلَّا غَرِيب

فخرجت من الخان ومشيت بين القصرين ولا زلت امشي الى باب زويلة فوجدت الخلق في ازدحام والباب مسدود من كثرة الخلق فرايت بالامر المقدر جندي فزاحمته بغير اختياري فجاءت يدي على جيبه فحسيت فوجدت صرة من داخل الجيب الذي يدي عليه فعلمت انها متصلة بتلك الصرة فاخذتها من جيبه فحس الجندي بان جيبه خف فحط يده في جيبه فلم يجد شيئا والتفت نحوي وشال يده بالدبوس وضربني على راسي فسقطت الى الارض فاحاطوا بنا الناس ومسكوا لجام فرس الجندي وقالوا الاجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندي وقال هذا حرامي ملعون فعند ذلك استفقت ورايت الناس يقولون هذا شاب مليح لم ياخذ شيئا فبعضهم يصدق وبعضهم

يكذب وكثر القال والقيل وجذبوني الناس وارادوا اخلاصي منه فبالامر المقدر واذا بالوالي والمقدم والظلمة دخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين علي وعلى الجندي فقال الوالي ما الخبر فقال الجندي والله ياخوند هذا حرامي وكان في جيبي كيس ازرق فيه عشرون دينارا فاخذه واني في الزحام فقال الوالي للجندي هل كان معك احد فقال الجندي لا فصرخ الوالي على المقدم فمسكني وقد زال الستر عني فقال له الوالي عره فلما عروني وجدوا الكيس في ثيابي فلما وجدوا الكيس اخذه الوالي وفتحه وعدّه فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندي فغضب الوالي وعيط على المقدمين فقدموني بين يديه فقال لي يا صبي قل الحق انت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسي الى الارض وقلت انا ان قلت ما سرقت اخرجته وان قلت سرقته وقعت في العناء فشلت رأسي فقلت نعم اخذته فلما سمع مني الوالي هذا الكلام تعجب ودعا بالشهود فحضروا وشهدوا على منطقي هذا كله في باب زويلة فامر الوالي المشاعلي فقطع يدي اليمين فرق قلب الجندي فشفع في وتركني الوالي ومضى وبقيت الناس حولي وسقوني قدح شراب واما الجندي فانه اعطاني الكيس وقال انت شاب مليح ولا ينبغي ان تكون لصا ثم اني انشدت شعرا

وَاللهِ مَا كُنْتُ لِصًّا يَا اَخَا ثِقَةٍ	وَلَا اَنَا سَارِقٌ يَا اَحْسَنَ النَّاسِ
لَكِنْ رَمَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْ عَجَلٍ	فَزَادَ هَمِّي وَوَسْوَاسِي وَاِفْلَاسِي
وَمَا رَمَيْتُ وَلَكِنَّ الْاِلٰهُ رَمىٰ	سَهْمًا فَطَيَّرَ تَاجَ الْمُلْكِ عَنْ رَأْسِي

فتركني الجندي وانصرف بعد ان اعطاني الكيس وانصرفت انا ولففت يدي في خرقة وادخلتها عبي وقد تغيرت حالتي واصفر لوني مما جرى علي فتمشيت الى القاعة وانا على غير استواء ورميت روحي على الفراش فنظرتني الصبية متغير اللون فقالت لي ما وجعك وما لي ارى حالتك تغيرت فقلت لها رأسي يوجعني وما انا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلي وقالت لا تحرق قلبي يا سيدي اقعد وشل رأسك وحدثني بما قد تم لك اليوم فقد بان لي في وجهك كلام فقلت دعيني من الكلام فبكت وقالت كانك قد فرغ غرضك مني فاني اراك بخلاف العادة فسكت وصارت تحدثني وانا لا اجيبها حتى اقبل الليل فقدمت لي الطعام فامتنعت منه وخشيت ان تراني آكل بيدي الشمال فقلت لا اشتهي ان آكل في هذه الساعة فقالت حدثني بما تم لك اليوم وما لك مهموم ومكسور الخاطر والقلب فقلت الساعة احدثك على مهلي فقدمت لي الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد ان تشرب وتحدثني بخبرك فقلت لها لا بد ان احدثك قالت نعم فقلت ان كان ولا بد فاسقيني بيدك فملأت القدح

وشربته وملأته وناولتني اياه فتناولته منها بيدي الشمال وفرت الدموع من جفني فانشدت

اقـــــــول

إِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا لِإِمْرِءٍ	وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَسَمْعٍ وَبَصَرْ
أَصَمَّ أُذْنَاهُ وَأَعْمَى قَلْبَهُ	وَسَلَّ مِنْهُ عَقْلَهُ سَلَّ الشَّعَرْ
حَتَّى إِذَا أَنْفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ	رَدَّ إِلَيْهِ عَقْلَهُ لِيَعْتَبِرْ

فلما فرغت من شعري تناولت القدح بيدي الشمال وبكيت وصرخت هي صرخة قوية وقالت ما سبب بكاءك احرقت قلبي ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان في يدي حبة فقالت اخرجها افقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها فلا تطيلي علي فما اخرج يدي في تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقيني حتى غلب علي السكر فنمت مكاني فابصرت يدي بلا كف ففتشتني فرأت معي الكيس بالذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على احد ولا زالت تتالم بسببي الى الصباح فلما افقت من النوم وجدتها هيات لي مسلوقة وقدمتها فاذا هي اربعة اطيار دجاج وسقتني قدح شراب فاكلت وشربت وحطيت الكيس واردت الخروج فقالت لي الى اين رائح فقلت الى مكان اذهب اليه فقالت لا ترح اجلس فجلست فقالت وبلغت محبتك ان صرفت جميع مالك وعدمت كفك اشهدك علي والشاهد الله اني لا افارقك وسترى صحة قولي وارسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابي على هذا الشاب واشهدوا اني قبضت المهر فكتبوا كتابي عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالي الذي في هذا الصندوق وجميع ما عندي من العبيد والجوار لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت انا التمليك وانصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة واخذتني من يدي واوقفتني على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لي انظر الى الذي في الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذي اخذته منك فكلما اعطيتني منديلا فيه خمسين دينارا اُلفه وارميه في هذا الصندوق فخذ مالك فقد رجع اليك وانت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وانا لا اقدر اكافئك ولو بذلت روحي لكان قليلا ولك الفضل ثم قالت لي تسلم مالك فنقلت صندوقها الى صندوقي وجعلت مالي الى مالها الذي كنت اعطيته لها وفرح قلبي وزال همي فقمت قبلتها وشكرت لها فقالت لقد بذلت يدك في محبتي فكيف اقدر على مكافاتك والله لو بذلت روحي في محبتك لكان قليلا وما اقوم بواجب حقك علي ثم انها كتبت لي جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها واسبابها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من همي حتى حكيت لها جميع ما وقع لي وبت معها واقمنا اقل من شهر وقوي

بها الضعف وزاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما الا وهي من اهل الاخرة فجهزتها و
واريتها التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ونزلت من التربة فرايت
لها مالا جزيلا واملاكا وعقارات ومن جملة تلك المخازن مخزن السمسم الذي بعت لك منه
وما كان اشتغالي عنك هذه المدة حتى بعت بقية الحواصل وجميع ما في المخازن والى الآن لم
افرغ من قبض الثمن وانك لا تخالفني فيما اقول لك عليه لاني اكلت زادك وقد وهبتك ثمن
السمسم الذي عندك فهذا اسبب قطع يميني واكلي بيدي الشمال فقلت له لقد احسنت وتفضلت
فقال لي هل لك ان تسافر معي الى بلادي فاني اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك
ان تصاحبني فقلت نعم واوعدته على راس الشهر ثم بعت جميع ما املك واشتريت به متجرا
اخر وسافرت انا والشاب الى هذه البلاد التي هي بلادكم فباع الشاب متجره واشترى
عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان قسمي اني قعادي هذه الليلة حتى حصل
ما حصل لي في غربتي فهذا يا ملك الزمان ما هو اعجب من حديث الاحدب فقال الملك
لابد من شنقكم كلكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم
الشاهد لملك الصين وقال ان اذنت لي حكيت لك حكاية اتفقت لي في تلك المدة قبل ان اجد
هذا الاحدب وان كانت اعجب من حديثه تهب لنا ارواحنا فقال الملك نعم فقال اعلم
اني كنت في الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرئون وفرغوا
مدا السماط فمن جملة ما قدموا زيرباجة فتقدمنا ناكل من الزيرباجة فتاخر واحد
منا وامتنع من الاكل منها فحلفنا عليه فاقسم هو ان لا ياكل منها فالزمناه فقال لا تغضبوني
فكفاني ما جرى لي من اكلها ثم انشد يقول

خُذْ مَلِيكًا فَوْقَ كَتِفِكَ وَارْتَحِلْ | وَإِنْ يَطِبْ لَكَ ذٰلِكَ الْكُحْلُ اكْتَحِلْ

فلما فرغ قلنا له بالله عليك ما سبب امتناعك من الاكل من الزيرباجة فقال ان كان ولابد
ان آكل من هذه الزيرباجة فلا آكل منها الا ان اغسل يدي اربعين مرة بالصابون
واربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد جملتهم مائة وعشرون مرة فعند ذلك امر
صاحب الدعوة غلمانه فاتوا بالماء وبالذي طلبه فغسل يديه كما ذكرنا وجاء الشاب وهو
متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف وغمس يده في الزيرباجة وصار ياكل وهو
متغصب ونحن نتعجب منه غاية العجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو

يا كل باربع اصابع فقلنا له بالله عليك ما لابهامك هكذا هو خلقة الله ام اصابه حادث فقال يا اخواني وما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهامي الاخرى ورجلاى الاثنين ولكن حتى تروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناه مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رايناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقي لنا صبر على حديثك وسبب قطع ابهاميك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدي كان تاجرا من التجار الكبار و كان اكبر تجار مدينة بغداد على ايام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود والات الملاهي فلما مات لم يترك شيئا فهياته وقد عملت له ختمات و حزنت عليه اياما وليالي ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسيرا ووجدت عليه ديونا فصبرت اصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت ابيع واشتري من الجمعة الى الجمعة واعطي اصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون وزدت على رأس مالي اياما وليالي فبينما انا في يوم من الايام جالس فما ادري الا وصبية لم ترعيني احسن منها عليها حلي وحلل راكبة بغلة وقدامها عبد وو راءها عبد فاوقفت البغلة على رأس القيصرية ودخلت ودخل خادم خلفها وقال يا ستي اخرجي ولا تعلمي احد فتطلقي فينا النار ثم حجبها الخادم حتى نظرت الى دكاكين التجار فلم تجد احد افتح دكانه غيري فتمشت والخادم خلفها وجلست على دكاني وسلمت علي فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فرايتها مثل القمر فنظرت لها نظرة اعقبتني الف حسرة و تعلق قلبي بمحبتها وجعلت اكرر النظر الى وجهها وانشدت اقول شعرا

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الْخِمَارِ الْفَاخِتِي ... اَلْمَوْتُ حَقًّا مِنْ عَذَابِكَ رَاحَتِي
جُودِي بِوَصْلٍ عَلَّنِي اُحْيِي بِهِ ... هَا قَدْ مَدَدْتُ اِلَى نَوَالِكِ رَاحَتِي

فلما سمعت مني هذا الشعر اجابتني وهي تقول

عَدِمْتُ اصْطِبَارِي فِي الْهَوَى اَسْلَاكُمْ ... وَاِنَّ فُؤَادِي لَا يُحِبُّ سِوَاكُمْ
وَاِنْ نَظَرَتْ عَيْنِي اِلَى غَيْرِ حُسْنِكُمْ ... فَلَا سَرَّهَا بَعْدَ الْبِعَادِ لِقَاكُمْ
حَلَفْتُ يَمِينًا لَسْتُ اَسْلَا هَوَاكُمْ ... وَقَلْبِي حَزِينٌ مُغْرَمٌ بِلِقَاكُمْ
سَقَانِي الْهَوَى كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ مُتْرَعًا ... فَيَا لَيْتَهُ لَمَّا سَقَانِي سَقَاكُمْ
خُذُوا الْجِسْمَ مِنِّي مَعَكُمْ اَيْنَ سِرْتُمْ ... وَاَيْنَ حَلَلْتُمْ فَادْفُنُوهُ فِي حِذَاكُمْ
وَنَادُوا بِاسْمِي عِنْدَ قَبْرِي يُجِيبُكُمْ ... اَنِينُ عِظَامِي عِنْدَ وَقْعِ نِدَاكُمْ
فَلَوْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى اللهِ تَشْتَهِي ... لَقُلْتُ رِضَى الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكُمْ

فلما فرغت من شعرها قالت يا فتى عندك تفاصيل ملاح فقلت يا ستي مملوكك فقير ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم واجيب لك ما تريدينه ثم تحدثت انا وايا ها وانا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت واخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة الاف درهم وناولتهم للخادم فاخذهم الخادم وخرجوا الى بر القيصرية فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي هي من اين واستحييت اني اذكر لها ذلك والتزمت التجار لي بالثمن واستلمت الغرامة بخمسة الاف درهم وجئت البيت وانا سكران من محبتها فقدموا لي العشا فاكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها واردت ان انام فلم يجيئني نوم ولم ازل على هذه الحالة جمعة فطالبوني التجار باموالهم فصبرتهم جمعة اخرى فبعد الجمعة الا وهي قبلت راكبة البغلة ومعها خادم وعبدين فسلمت علي وقالت يا سيدي ابطانا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي واقبض الثمن فجاء الصيرفي واخرج له الطواشي الثمن فقبضته وصرت اتحدث انا وايا ها الى ان فتح السوق فقالت خذ لي كذا وكذا فاخذت لها من التجار ما ارادت واخذته ومضت ولم تخاطبني في ثمنه فلما مضت ندمت على ذلك وكنت اخذت الذي طلبته بالف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي ايش هذه المحبة اعطتني خمسة الاف درهم واخذت شيئا بالف دينار فحسبت بالفقر من مال التجار وقلت ان التجار لم يعرفوا الا انا فما كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها وجمالها وراتني صغيرا فضحكت علي ولم اسالها عن منزلها ولم ازل في وسواس وطالت غيبتها اكثر من شهر فطالبوني التجار وشددوا علي فقدمت عقاري للبيع واشرفت على الهلاك ثم قعدت وانا متفكر فلم اشعر الا وهي نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رايتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه واقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الصيرفي واوزن مالك فاعطتني ثمن ما اخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام فكدت اموت فرحا وسرورا حتى قالت لي انت لك زوجة فقلت لا اني لا اعرف امرأة قط ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت خير ثم اني اخذت بعض الدنانير واعطيتها للخادم وسالته ان يتوسط في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك اكثر منك وما لها بالقماش الذي اشترته منك حاجة وانما فعلت هذا لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فراتني وانا اعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك واسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فاجابت قولي وقالت للخادم انت تاتي برسالتي وقال لي اعمل بما يقول لك الخادم عليه ثم قامت ومضت وقمت سلمت التجار اموالهم وحصل لهم الربح الا انا حصل

لي الندم

لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم انم طول ليلتي فما كان الا اياما قلائل وجاءني خادمها فاكرمته وسالته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لي امرها قال هذه الصبية ربتها الست زُبَيْدَة زوجة الخليفة هارون الرشيد وهي من جوارها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فوصلت حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت الست بك و سالتها ان تزوجها بك فقالت الست لا افعل حتى انظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد الساعة ندخل بك الدار فان دخلت الدار وصلت تزويجك اياها وان كشف امرك ضربت رقبتك فماذا تقول قلت لهما اروح معك واصبر على الامر الذي حدثتني به فقال له الخادم اذا كان هذه الليلة فامض الى المسجد وصل فيه و بت فيه وهذا المسجد الذي بَنَتْهُ الست زبيدة على الدجلة فقلت حبا وكرامة فلما كان العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت فلما كان وقت السحر واذا بخادمين اقبلا في زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلوها المسجد وانصرفوا وتاخر واحد منهم فتاملته فاذا هو الذي كان واسطة بيني وبينها فبعد ساعة صعدت الينا الجارية صاحبتي فلما اقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتني وبكت وتحدثنا ساعة فاخذتني ووضعتني في صندوق واغلقته علي واقبلت بعد ذلك على الخادم ومعه شيء كثير من الامتعة وجعلت تاخذ وتعبي في هذه الصناديق وتغلق واحدا بعد واحد حتى عبت الجميع ثم وضعوهم في الزورق واخذوا طالبين منزل الست زبيدة فلحقتني الفكرة وقلت في نفسي لقد هلكت من اجل شهوتي وهل تحصل اولا وجعلت ابكي وانا في الصندوق وادعو الله ان يخلصني مما انا فيه ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بالصناديق على باب الخليفة وحملوا الصندوق الذي انا فيه من جملتهم فاجتازت طائفة من الخدام الموكلين بالحريم واصحاب الستائر الى ان اتوا الى خادم كبير فانتبه من النوم وصاح عليها وقال لها ايش في هذه الصناديق قالت ملآنين امتعة للست زبيدة قال لها افتحي واحدا واحدا حتى انظر ايش فيهم فقالت لاي شيء تفتحهم فصاح عليها وقال لا تطيلي لا بد من فتح هذه الصناديق وقام قائما فاول ما بدا بفتح الصندوق الذي انا فيه فقدموا لي له فعند ذلك زال عقلي وبلت على نفسي من خوفي وخرج بولي من خارج الصندوق فقالت للمقدم يا مقدم اهلكتني واهلكت نفسك وافسدت شيئا يساوي عشرة الآف دينار فان في هذا الصندوق ثياب ملونات واربعة امنان من ماء زمزم وهذه الساعة انفكت وجرت على الثياب التي في الصندوق والساعة تنفسخ الوانها فقال لها الطواشي خذي صناديقك

واذهبي الى لعنة الله فحملت الخدام صندوقي واسرعوا وتلاحقت الصناديق بصندوقي فبينما
هم ذاهبين واذا جاء في اذني قائلا يقول ويلاه ويلاه الخليفة الخليفة فلما سمعت ذلك
مت في جلدي وقلت كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذه مصيبة
عملتها بنفسي فسمعت الخليفة يقول للجارية صاحبتي ويلك ايش في صناديقك هذه فقالت
في صناديقي ثياب الست زبيدة فقال افتحي لي اياهم فلما سمعت ذلك مت الموتة الكاملة
وقلت في نفسي والله ان هذا اليوم اخرايامي من الدنيا وان سلمت من هذه فانا اتزوج
بها ولا كلام وان انكشف امري ضربت رقبتي وجعلت اقول اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال اشهد ان لا اله الا الله قال وسمعت الجارية
تقول هذه الصناديق فيها وداعة وشي من الثياب للست زبيدة وتريد ان لا يطلع
عليها احد فقال الخليفة لا بد من فتحهم وانظرما فيهم ثم صرخ على الخدام وقال قدموا
الصناديق عندي فايقنت بالهلاك ولا محالة وغبت عن الدنيا فجعلت الخدام يقدمون
واحدا بعد واحد وهو يرى فيهم العطر والقماش والثياب الفاخرة ولازالوا يفتحون
الصناديق وهو يرى ما فيهم من الاثواب وغيرها حتى لم يبق الا الصندوق الذي انا
فيه ومدوا ايديهم ليفتحوه فاسرعت الجارية واتت للخليفة وقالت هذا الذي تراه
قدامك فهو قدام الست زبيده وهو الذي فيه سرها فلما سمع كلامها امر بادخال
الصناديق فاتوا الخدام وحملوني بالصندوق الذي انا فيه ووضعوني في وسط القاعة
بين الصناديق وكان نشف ريقي فاخرجتني صاحبتي وقالت ما عليك بأس ولا خوف فاشرح
صدرك وطيب قلبك واجلس حتى تاتي الست زبيدة لعل ان يكون لك نصيب فيّ فجلست
ساعة واذا بعشرة جوار ابكار كانهن الاقمار قد اقبلن واصطفين خمسة مقابلين لخمسة
واذا بعشرين جارية اخرى وهن نهد ابكار و بينهم الست زبيدة وهي لم تقدر تمشي مما
عليها من الحلي والحلل فلما اقبلت تفرقت الجوار من حواليها فاتيت انا اليها وقبلت الارض
بين يديها فاشارت لي بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسالني وتسال عن نسبي
فاجبتها عما سالتني عنه ففرحت وقالت ما خابت تربيتنا فيك ايها الجارية ثم قالت اعلم
ان هذه الجارية عندنا بمنزلة الولد وهي وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها و
رضيت بزواجي ثم امرتني ان اقيم عندهن عشرة ايام فاقمت عندهن هذه المدة وانا لا ارى الجارية

الاان بعض لوصائف تاتيني بالغداء والعشاء وبعد هذه المدة شاورت الست زبيدة الخليفة في زواج جاريتها فاذن لها وامرلها بعشرة الاف دينار فارسلت الست زبيدة خلف الشهود و القاضي وكتبوا كتابي عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة ايام اخر وبعد العشرين يوما دخلت الجارية الحمام ثم انهم قد موا خونجة فيها طعام ومن جملته خافقية زيرباجة محشية بالسكر وعليها الماورد المسك وفيها صدور الدجاج المحمرة وبقية الالوان مما يدهش العقول فوالله ما امهلت دون ان بركت على الزيرباجة واكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدي ونسيت ان اغسلهما وتميت جالسا الى ان دخل الظلام واوقدت الشموع واقبلت المغاني بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى طافت القصر كله وبعد ذلك اقبلوا بها وخففوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت معها في الفراش وعانقتها وانا لم اصدق بوصالها ثم انها شمت في يدي رائحة الزيرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة عظيمة فنزلت لها الجوار من كل جانب فارتجفت ولم اعلم ما الخبر فقالت الجوار مالك يا اختنا فقالت لهن اخرجوا هذا المجنون عني فانا احسب انه عاقل قلت لها وما الذي ظهر لك من جنوني فقالت يا مجنون لاي شيء اكلت من الزيرباجة ولم تغسل يدك فوالله لاجازيك على فعلك امثلك يدخل على مثلي ثم تناولت من جانبها سوطا مضفورا ونزلت به على ظهري ثم على مقاعدي حتى غبت انا من الدنيا من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوار خذوه وامضوا به الى متولى المدينة يقطع يده التي اكل بها الزيرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لاحول ولاقوة الا بالله تقطع يدي من اجل اكل الزيرباجة ولاغسلتها فدخلن عليها الجوار وقلن لها يا اختنا لاتواخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لابد ان اقطع شيئا من اطرافه ثم راحت وغابت عشرة ايام ولم ارها وبعد العشرة ايام اقبلت علي وقالت لي يا اسود الوجه انا اصلح لك كيف تاكل الزيرباجة ولم تغسل يدك ثم صرخت على الجوار فكتفوني واخذت موسى ماضيا وقطعت ابهاما تي كما ترون يا جماعة فغشي علي ثم ذرت علي بالذرور فانقطع الدم وجعلت اقول ما بقيت اكل الزيرباجة حتى اغسل يدي اربعين مرة بالاشنان و اربعين مرة بالسعد واربعين مرة بالصابون فاخذت علي ميثاقا اني لا اكل الزيرباجة حتى اغسل يدي كما ذكرت لكم فلما جيتم بهذه الزيرباجة تغير لوني وقلت في نفسي هذه سبب قطع ابهاماتي فلما غصبتم علي قلت لابد ان اوفي بما حلفت قال الحاضرون فما الذي حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت واياها وقعدنا مدة وبعد المدة قالت ان دار الخلافة لايحسن مقامنا فيها وما دخل فيها غيرك وما دخلت فيها الا بعناية الست زبيدة

وهي اعطتني خمسين الف دينار وقالت لي خذ هذه الدراهم واخرج واشتر لنا دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها في الدار من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف فهذا سبب قطع ابهامي يدي فاكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى مع الاحدب ما جرى وهذا سبب حديثي والسلام فقال الملك ما هذا باعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من ذلك ولابد من شنقكم انتم الجميع ثم ان اليهودي تقدم وقبل الارض وقال يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث الاحدب فقال ملك الصين هات ما عندك فقال اعجب ما جرى لي في شبابي اني كنت في دمشق الشام وتعلمت فيها فبينما انا جالس في يوم من الايام اذ اتاني مملوك من بيت الصاحب بدمشق وقال كلم سيدي فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت فرايت في صدر الايوان سريرا من المرمر مصفحا بصفائح الذهب وعليه آدمي مريض راقد وهو شاب لم ير احسن منه في الشباب فقعدت عند راسه ودعوت له بالشفاء فاشار الي بعينه فقلت له يا سيدي ناولني يدك بسلامتك فاخرج لي يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت له يا الله العجب هذا شاب مليح ومن بيت كبير وناقص ادب هذا هو العجب ثم جسيت مفاصله وكتبت له ورقة وقعدت اتردد عليه مدة عشرة ايام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع علي الصاحب خلعة مليحة وجعلني مباشرا عنده في المارستان الذي بدمشق فلما دخلت معه الحمام وخليت له الحمام جميعها ودخلت الخدم بالشاب واخذوا ثيابه من داخل الحمام فلما تعرى رايت يده اليمين قطعت قريب العهد وهو سبب ضعفه فلما رأيته اخذت التعجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع واستعمل الادهان لاجل ذلك فتوسوست لذلك وبان في وجهي فنظر الي الشاب وفهم عني الامر وقال لي يا حكيم الزمان لا تعجب من امري فسوف احدثك بحديثي حتى تخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام واتينا الى الدار واكلنا الطعام واسترحنا فقال الشاب هل لك ان تتفرج في الغرفة فقلت نعم فامر العبيد ان يطلعوا الفرش الى فوق وامرهم ان يشووا خروفا وان ياتوا الينا بفاكهة فاتوا العبيد بالفاكهة فاكلنا واكل هو بيده الشمال فقلت له حدثني بحديثك فقال لي يا حكيم الزمان اسمع ما جرى لي اعلم انني من اولاد الموصل وكان لي والد توفي والده وخلف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدي يا حكيم وكان اكبرهم فكبر الجميع وتزوجوا ورزق والدي بي واما اخوته التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت انا وصرت بين اعمامي وهم فرحين بي فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم في جامع الموصل وكان يوم جمعة ووالدي معنا وصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا واما والدي واعمامي فانهم قعدوا يتحدثون في عجائب البلاد

وغرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال اعمامي يقول المسافرون ان ما على وجه الارض احسن من مصر ونيلها فلما سمعت هذا الكلام تشوقت الى مصر ثم قال والدي من لا راى المصر ما راى الدنيا ترابها ذهب ونيلها عجب ونساؤها حور وبيوتها قصور وهواؤها معتدل يفوق عرفه الكبا ويخجل وكيف لا تكون كذلك وهي الدنيا ولله در من قال شعر

أَأَرْحَلُ عَنْ مِصْرٍ وَطِيبِ نَعِيمِهَا ... وَأَيُّ مَكَانٍ بَعْدَهَا لِيَ شَائِقُ
وَأَتْرُكُ أَوْطَانًا تَرَاهَا لَنَا شِقٍ ... هُوَ الطِّيبُ لَا مَا ضَمَّنَتْهُ الْمَفَارِقُ
وَكَيْفَ وَقَدْ أَضْحَتْ مِنَ الْحُسْنِ جَنَّةً ... زَرَابِيُّهَا مَبْثُوثَةٌ وَالنَّمَارِقُ
بِلَادٌ تَشُوقُ الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَهْجَةً ... وَتَجْمَعُ مَا يَهْوَى تَقِيٌّ وَفَاسِقُ
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ يَجْمَعُ الْفَضْلُ شَمْلَهُمْ ... مَجَالِسُهُمْ مِمَّا حَوَوْهُ حَدَائِقُ
أَسُكَّانُ مِصْرٍ إِنْ قَضَى اللهُ بِالنَّوَى ... فَثَمَّ عُهُودٌ بَيْنَنَا وَمَوَاثِقُ
فَلَا تَذْكُرُوهَا لِلنَّسِيمِ فَإِنَّهُ ... لِأَمْثَالِهَا مِنْ نَفْحَةِ الرَّوْضِ سَارِقُ

ثم قال والدي ولو رايتم رياضها بالاصائل والظل عليها مائل لشاهدتم عجبا وملتم لها طربا قال واخذوا يوصفون مصر ونيلها فلما فرغوا وسمعت انا هذه الاوصاف التي في مصر بقي خاطري فيها فلما فرغوا وقام كل واحد توجه الى منزله نمت تلك الليلة لم ياتني نوم من شغفي بها وما بقي يهنئ لي اكل ولا شرب فلما كان بعد ايام قلائل تجهز اعمامي الى مصر فبكيت على والدي حتى جهز لي متجرا ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر ودعوه يبيع متجره بدمشق ثم سافرنا وودعت والدي وخرجنا من الموصل وما زلنا مسافرين حتى وصلنا حلب فاقمنا بها اياما ثم سافرنا الى ان وصلنا دمشق فرايناها مدينة ذات اشجار وانهار واثمار واطيار كانها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا في بعض الخانات ووقفوا اعمامي باعوا واشتروا وباعوا ايضا بضاعتي فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح وخلوني اعمامي وتوجهوا الى مصر فقعدت بعدهم ومكثت في قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان اجرتها كل شهر دينارين فاقمت اكل واشرب حتى صرفت المال الذي معي ففي يوم من بعض الايام انا قاعد على باب القاعة واذا بصبية اقبلت وهي لابسة افخر الملابس ما رات عيني افخر منها فغمزت عليها فما قصرت حتى صارت داخل الباب فلما دخلت دخلت انا معها فرددت الباب علي وعليها وكشفت نقابها عن وجهها وقلعت ازارها فوجدتها بديعة في الجمال فتمكن حبها من قلبي فقمت وجبت خونجه من اطيب الماكول والفاكهة وما يحتاج اليه المقام واتيت به واكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا فقمت ونمت معها في اطيب ليلة الى الصباح واعطيت لها عشرة

دنانير فعبست وجهها وقطبت حاجبيها وزعلت وقالت أفٍ لكم يا مواصلة كانك تظن اني طامعة في مالك ثم اخرجت من جيب قميصها خمسة عشر دينارا وخلت قدامي وقالت والله ان لم تاخذها لم اعد اليك فقبلتها منها ثم قالت يا حبيبي انتظرني بعد ثلثة ايام بين المغرب والعشا اكون عندك وعبّ لنا بهذه الدنانير مثل هذا او ودعتني وانصرفت فغاب عقلي معها فلما مضت الايام الثلثة اتت وعليها من المزركش والحلي والحلل اعظم مما كان عليها اولا وكنت عبيت لها المقام قبل ان تحضر ثم اكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح اعطتني خمسة عشر دنانير وواعدتني بعد ثلثة ايام تحضر عندي ثم عبيت لها المقام وبعد ايام حضرت في قماش اعظم من الاول والثاني ثم قالت يا سيدي ما انا مليحة فقلت اي والله فقالت هل تأذن لي ان اجيب معي صبية احسن مني واصغر سنا مني حتى تلعب معنا وتضحك وايانا وتنشرح قلبها لانها محزونة من زمان وقد سالتني ان تخرج معي وتبات معي فلما سمعت كلامها قلت اي والله ثم اننا سكرنا ونمنا الى الصباح فاخرجت لي خمسة عشر دنانير وقالت زد لنا المقام لاجل الصبية التي تاتي معي ثم انها انصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها المقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها اتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلوا وجلسوا فلما رايتها انشدت شعر

مَا أَطْيَبَ وَقْتَنَا وَأَهْنَى ... وَالْعَاذِلُ غَائِبٌ وَغَافِلْ
عِشْقٌ وَمَسَرَّةٌ وَسُكْرٌ ... الْعَقْلُ بِبَعْضِ ذَاكَ زَائِلْ
وَالْبَدْرُ يَلُوحُ فِي قِنَاعٍ ... وَالْغُصْنُ يَمِيلُ فِي غَلَائِلْ
وَالْوَرْدُ عَلَى الْخُدُودِ غَضٌّ ... وَالنَّرْجِسُ فِي الْعُيُونِ ذَابِلْ
وَالْعَيْشُ كَمَا أُحِبُّ صَافٍ ... وَالْأُنْسُ بِمَنْ أُحِبُّ كَامِلْ

ففرحت واوقدت الشمع والتقيتهم بالفرح والسرور فقاموا وخلعوا ما عليهم من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرايتها كالبدر في تمامه فلم ارا احسن منها فقمت وقدمت لهم الاكل والشرب فاكلنا وشربنا وصرت القم الصبية الجديدة واملاء لها القدح واشرب معها فغارت الصبية الاولى في الباطن ثم قالت بالله هذه الصبية ما هي اظرف مني قلت اي والله قالت خاطري ان تنام معها قلت على راسي وعيني ثم قامت وفرشت لنا فقمت رحت للصبية ونمت الى وقت الصبح فتحركت فوجدت روحي في عرق عظيم فحسبت اني عرقان فقعدت انبه الصبية وهزيت اكتافها فتدحرجت راسها من علا الوسادة فطار عقلي وصرخت وقلت يا جميل الستر سترك فوجدتها مذبوحة فنهضت على حيلي وقد اسودت الدنيا في عيني وطلبت صاحبتي

القديمة فلم اجدها فعلمت انها هي التي ذبحت الصبية من غيرتها منها فقلت لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم كيف يكون عملي فتفكرت ساعة وقمت قلعت ثيابي وحفرت في وسط القاعة حفرة واخذت الصبية مع مصاغها وجعلتها في الحفرة ورديت عليها التراب والرخام وغسلت ولبست ثيابا نظيفة واخذت بقية مالى وخرجت من البيت وقفلته وجئت لصاحب القاعة وشجعت نفسي ودفعت له اجرة سنة وقلت له انا مسافر الى اعمامي بمصر ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامي ففرحوا بي ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لي ما سبب مجيئك فقلت لهم اشتقت لكم ولم اعلمهم ان معي شيئا من مالي فاقمت عندهم سنة وانا اتفرج على مصر ونيلها وحطيت يدي في بقية مالي وصرت اصرف منه واكل واشرب حتى قرب سفر اعمامي فهربت واختفيت منهم ففتشوا علي فلم يسمعوا لي خبرا فقالوا يكون رجع الى دمشق فسافروا وخرجت انا فاقمت بمصر ثلث سنين حتى لم يبق معي من المال شيئ وانا في كل سنة ارسل لصاحب القاعة الى دمشق اجرتها وبعد الثلث سنين ضاق صدري ولم يبق معي الا اجرة السنة فقط ثم سافرت الى ان وصلت الى دمشق ونزلت القاعة ففرح بي صاحبها ووجدت المخازن مقفلة كما كانت ففتحتها واخرجت الحوائج التي فيها فوجدت تحت الفراش الذي كنت نائما عليه تلك الليلة مع الصبية التي ذبحت طوق ذهب مرصعا بجواهر فاخذته ومسحته من دم الصبية المذبوحة وتاملته وبكيت ساعة ثم اقمت يومين وفي اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت اثوابي وانا ما معي من الدراهم شيئ فجئت يوما الى السوق فوسوس لي الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت عقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام واجلسني بجانب صاحب الدار وصبر حتى عمر السوق واخذه الدلال ونادى عليه خفية وانا لا اعلم واذا العقد مثمن جاب العين دينار فجاء في الدلال وقال هذا العقد عقد نحاس مصنوع صنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الف درهم فقلت له نعم هذا كنا صغناه لواحدة نضحك عليها به وورثته زوجتي فاردنا بيعه فروح اقبض الف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما قال للدلال اقبض الالف درهم فلما سمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فمضى بالعقد الى كبير السوق واعطاه له فاخذه وتوجه الى الوالي وقال له ان هذا العقد سرق من عندي ووجدنا الحرامي لابس لبس اولاد التجار فما اشعر الا والظلمة احاطوا بي واخذوني وودوني للوالي فسألني الوالي عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالي وقال ما هذا الكلام الحق فلم ادر الا وانا تعريت من ثيابي وضربت

بالمقارع على اجنابي فحرقني الضرب فقلت انا سرقته وقلت في نفسي الاحسن انك تقول انا سرقته
ولا اقول ان صاحبته مقتولة عندي فيقتلوني فيها فكتبوا اني سرقته فقطعوا يدي وقلوها
في الزيت فغشي علي فسقوني الشراب حتى افقت فاخذت يدي وجئت الى القاعة فقال صاحب
القاعة حيث ماجرى لك هذا اخل القاعة وانظرلك موضعا آخر لانك متهم بالحرام فقلت له
سيدي اصبر علي يومين او ثلثة حتى انظر لي موضعا قال نعم ومضى وتركني فبقيت قاعدا
ابكي واقول كيف ارجع الى اهلي وانا مقطوع اليد ولم يعلموا اني بريئ فلعل الله يحدث بعد
ذلك امرا وبكيت بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عني لحقني غم شديد فتشوشت يومين
وفي اليوم الثالث ما ادري الا وصاحب القاعة جاءني ومعه بعض الظلمة وكبير السوق فادعى اني
سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلوني دون ان كتفوني ورموا في رقبتي جنزيرا
وقالوا لي العقد الذي كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا
العقد عدم من عنده من مدة ثلث سنين مع ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم غطس قلبي
وقلت راحت روحك لا محالة والله لا بد ان احكي للصاحب حكايتي فان شاء قتلني وان شاء
عفا عني فلما وصلنا للصاحب اوقفني بين يديه فلما راني نظر الي بطرف عينه وقال للحاضرين
لم قطعتم يده لان هذا الرجل مسكين وليس له ذنب وقد ظلمتموه بقطعكم يده فلما سمعت هذا
الكلام قوي قلبي وطابت نفسي وقلت والله يا سيدي لست بسارق وقد اتهموني بهذه
التهمة العظيمة وضربوني بالمقارع في بطن السوق وحكموا علي بان اقر فكذبت على نفسي واعترفت
بالسرقة وانا بريئ منها فقال الصاحب لا باس عليك ثم رسم على كبير السوق وقال له اعط لهذا دية
يده والا اشنقك واخذ جميع مالك ثم صاح على المقدمين فاخذوه وجروه وبقيت انا والصاحب
ثم شالوا الجنزير من عنقي باذنه وحلوا كتافي فنظر الصاحب الي وقال يا ولدي اصدقني وحدثني
كيف وصل اليك هذا العقد وقال شعر

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ انَّهُ	اَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ

فقلت يا مولاي اقول لك الحق ثم حدثته على ما جرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاءتني
بالثانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز راسه
وضرب يده اليمنى على اليسرى وحط منديله على وجهه وبكى ساعة وانشا يقول شعر

اَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً	وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ	وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلُ

ثم اقبل علي وقال اعلم يا ولدي ان الصبية الكبيرة بنتي وكنت احجر عليها حجرا عظيما

فلما

فلما بلغت ارسلتها مصر وتزوجت لولد عمها فمات فجاءتني وقد تعلمت القبح من اولاد مصر وجاءتك اربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة والاثنان شقيقتان وكانتا تحبان لبعضهما بعضا فلما جرى للكبيرة ما جرى اخرجت سرها على اختها فطلبت الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسالتها عنها فوجدتها تبكي عليها وقالت لامها سرا يحضرني على ما جرى من ذبحها لاختها ولم تزل تبكي وتقول والله لا ازال ابكي عليها حتى اموت وكان الامر كذلك فانظر يا ولدي ما جرى وانا اشتهي منك ان لا تخالفني فيما اقوله لك وهو اني ازوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما وهي بكر ولم آخذ منك مهرا واجعل لكما راتبا من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت نعم ومن اين كنا حتى نصل الى ذلك فارسل في الحال للقاضي والشهود وكتب كتابي ودخلت بها واخذ لي من كبير السوق مالا كثيرا وصرت عنده في اعز مكان وفي هذا العام مات والدي فارسل الصاحب من عنده بريدا واتاني بمالي الذي خلفه والدي وانا اليوم في ارغد عيش فهذا سبب قطع يدي اليمين فتعجبت منه واقمت عنده ثلثة ايام واعطاني مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذا فطابت لي المعيشة وجرى لي مع الاحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا باعجب من حديث الاحدب ولكن لا بد لي من شنقكم ولكن بقي الخياط الذي هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتني بشيء اعجب من حديث الاحدب وهبتكم ذنوبكم فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان اعجب ما جرى لي وانفق لي بالامس انا كنت قبل ان اجتمع بالاحدب اول النهار في وليمة لبعض اصحابي وجمع عنده نحو عشرين نفرا من اهل هذه المدينة وفينا اصحاب صنائع خياطين وقزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس مد لنا الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن ما يكون من الثياب والجمال غير انه اعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فجاء يجلس فرأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من عندنا فامسكناه ومسك فيه صاحب المنزل وحلف عليه وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاي لا تتعرض لي بشيء فان سبب رجوعي هذا المزين النحس الذي قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم نظرنا له وقلنا له احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب يا جماعة جرى لي مع هذا المزين مجري في بغداد الذي هو بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت اني ما بقيت اجالسه في مكان ولا في بلد هو قاطن فيها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت

في هذه المدينة وانا الليلة لا ابات الا مسافرا فقلنا له بالله عليك احك لنا حكايتك فقال الشاب وقد اصفر لون المزين يا جماعة اعلموا ان والدي كان من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا وخدما وحشما فصرت البس مليحا واكل مليحا وكان الله ابغضني في النساء ففي يوم من الايام انا ماشي في ازقة بغداد واذا بجماعة النسوة تعرضن لي في الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت في اخره على مَصْطَبَةٍ فلم اقعد غير ساعة واذا بطاقة قصر المكان الذي انا فيه فتحت وطلعت منها صبية كالبدر في تمامه لم ار عمري مثلها ولها زرع تسقيه وهو على الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا وقفلت الطاقة و مضت فانطلقت في قلبي النار واشتعل خاطري بها وانقلبت البغضة محبة فلا زلت جالسا الى المغرب وانا غائب عن الدنيا واذا بقاضي المدينة راكب وقدامه عبيد وورائه خدم فنزل و دخل البيت الذي طلعت منه الصبية فعرفت انه ابوها ثم اني جئت الى منزلي وانا مكروب و وقعت على الفراش مهموما فدخل علي جواري وقعدن حولي ولم يعرفن ما بي وانا لم أُبْدِ لهم خطابا فبكين علي وتاسفن فدخلت علي عجوز فرأتني فما خفي عليها حالي فقعدت عند راسي ولاطفتني وقالت يا ولدي قل لي خبرك وانا اكون سبب وصلتك فقلت لها حكايتي فقالت يا ولدي هذه بنت قاضي بغداد وعليها الحجر والموضع الذي رايتها فيه طبقتها ابوها له قاعة كبير اسفل وهي جالسة وحدها وانا كثيرا ما ادخل لهم ولكن لم تعرف وصالها الا مني فشد حيلك فتشددت نفسي لما سمعت حديثها وفرحوا اهلي في ذلك اليوم واصبحت طيبا فمضت العجوز و رجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدي لا تسال ما جرى لي منها لما قلت لها ذلك وقالت لي ان لم تسكتي يا عجوز النحس عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقين ولكن لا بد ان ارجع لها ثاني مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضي فلما كان بعد ايام اتت العجوز وقالت يا ولدي اريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحي وقلت لها لك كل خير فقالت لما كان امس مضيت الى الصبية فنظرتني وانا منكسرة الخاطر باكية العين فقالت يا خالتي ما لي اراك ضيقة الصدر فلما قالت لي ذلك بكيت وقلت لها يا ستي اتيتك من عند فتى يهواك وهو مشرف على الموت من اجلك فقالت وقد رق قلبها ومن اين يكون هذا الفتى الذي ذكرتِهِ قلت هو ولدي وثمرة فؤادي وراك في الطاقة من ايام مضت وانت تسقي زرعك وراى وجهك فهام بك عشقا وانا اول مرة اعلمته بما جرى لي معك فزاد مرضه ولزم الوسادة وما هو الا ميت لا محالة فقالت وقد اصفر لونها هذا كله من

اجلي قالت اي والله فماذا تريدين قالت امضي اليه واقرئيه مني السلام وقولي ان عندي اضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلوة يأتي الى الدار فاذا جاء انا انزل وافتح الباب واطلعه عندي واجتمع واياه ساعة ويرجع قبل ان يأتي ابي من الصلوة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت اجده من الالم وطاب قلبي ورفعت لها ما كان علي من الثياب وانصرفت وقالت لي طب قلبك فقلت لها لم يبق في شيء من الالم وتباشر اهل بيتي واصحابي لعافيتي ولم ازل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت علي وسالتني عن حالي فاخبرتها اني بخير وعافية ثم لبست ثيابي وتعطرت وبقيت انتظر الناس يدخلون الى الصلوة حتى امضي اليها فقالت العجوز ان معك في الوقت فسحة فلو مضيت الى الحمام وازلت شعرك لاسيما من اثر المرض لكان في ذلك صلاحا فقلت هو الصواب لكن احلق راسي واعود ادخل الحمام ثم ارسلت خلف المزين يحلق راسي وقلت للغلام امض الى السوق وأتني بمزين يكون عاقلا وقليل الفضول لا يصدع راسي بكثرة كلامه فمضى الغلام واتى بهذا الشيخ السوء فلما دخل سلم علي فرددت عليه السلام فقال اني اراك ناحل الجسم فقلت له اني كنت مريضا فقال اذهب الله همك وغمك والباس والاحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال ابشر يا سيدي فقد جاءتك العافية تريد تقصير شعرك او تخرج دما فانه ورد عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف عنه سبعين داء وروي عنه ايضا انه قال من احتجم يوم الجمعة امن من ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الكلام وقم الساعة احلق لي راسي فاني رجل ضعيف فقام ومد يده واخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح مطعم بالفضة فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع راسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لي اعلم انه مضى من يومنا هذا الذي هو يوم الجمعة وهو يوم جمعة عاشر صفر سنة ثلث وخمسين وستمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام وسبع الاف وثلثماية وعشرين من تاريخ الاسكندر والطالع في يومنا هذا على ما اوجب علم الحساب من المريخ ثمان درج وست دقايق واتفق انه قارنه عطارد وذلك يدل على ان حلق الشعر طيب ودل عندي انك تريد الاتصال بشخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشيء لا اذكره لك فقلت له والله لقد اضجرتني وصغرت روحي وفولت علي بفال غير مليح وانا ما طلبتك الا لتحلق راسي فقم واحلق راسي ولا تطول معي الكلام فقال والله لو علمت بالذي رائح يجري لك لم تعمل في هذا النهار شيئا وانا اشير عليك انك تعمل بالذي اقول لك عليه في حساب الكواكب فقلت له والله اني ما رايت مزينا له مهارة في علم النجوم سواك لكني ادرى واعلم انك كثير الخزعبلات وانا ما دعوتك الا لتزين راسي فجئتني بهذا الكلام

الفاسد فقال المزين اتريد ازيد من هذا فقد منّ الله عليك بمزين منجم عالم بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو والصرف واللغة وعلم المعاني والبيان وعلم المنطق والحساب والهيئة والهندسة والفقه والحديث والتفسير وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها وحفظت العلوم واتقنتها وعلمت الصنعة واحكمتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها وكان والدك يحبني لقلة فضولي ولهذا اخدمتي عليك فرض وانا قليل الفضول لا كما زعمت ولاجل هذا أُدعي بالصامت الرزين وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفني فاني ناصح لك وشفقان عليك واود ان اكون في خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقي ولا اريد منك اجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلي لامحالة في هذا اليوم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قاتلي في هذا اليوم فقال ياسيدي انا الذي يسموني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي الستة لان اخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث فقيق والرابع اسمه الكوز الاسواني والخامس اسمه النشار والسادس اسمه شقاشق والسابع اسمه الصامت وهو انا فلما زاد على هذا المزين بالكلام حسبت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار ودعه ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي بحلاقة راسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي للغلام ايش هذا المقال يا مولاي والله لا آخذ منك اجرة حتى اخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك وقضاء حاجتك ولا ابالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدري انا اعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا من الاحسان لانه كان كريماً والله لقد ارسل والدك خلفي يوماً مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال لي اخرج لي دماً فاخذت الاصطرلاب واخذت له الارتفاع فوجدت الطالع له نحساً واخراج الدم فيه صعب فاعلمته بذلك فامتثل امري وصبر فانشدت في مدحه

أَتَيْتُ إِلَى الْمَوْلَى لِإِنْقَاصِ الدَّمِ	فَلَمْ أَرَ وَقْتاً يَقْتَضِي صِحَّةَ الْجِسْمِ
جَلَسْتُ أُحَدِّثُهُ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ	وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْشُرُ الْعِلْمَ مِنْ فَهْمِي
فَأَعْجَبَهُ مِنِّي السَّمَاعُ وَقَالَ لِي	تَجَاوَزْتَ حَدَّ الْفَهْمِ يَا مَعْدِنَ الْعِلْمِ
فَقُلْتُ لَهُ لَوْلَاكَ يَا سَيِّدَ الْوَرَى	أَفَضْتَ عَلَيَّ الْفَهْمَ مَا زَادَ فِي فَهْمِي
كَأَنَّكَ رَبُّ الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا	وَكَنْزُ الْوَرَى فِي الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ

فانطرب والدك وصاح للغلام وقال اعطه مائة وثلث دينار وخلعة فاعطاني جميع

ذلك الى ان اتت ساعة حميدة واخرجت له فيها الدم ولا خالفني وشكرني وشكروني الجماعة الحاضرون فبعد خروج الدم ما امكنني السكوت حتى قلت له بالله يا مولاي ما اوجب قولك للغلام اعطه مائة وثلث دنانير فقال دينار حق النجامة ودينار حق المسامرة ودينار حق الحجامة والمائة دينار والخلعة حق مدحك لي فقلت له لا رحم الله ابي الذي عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت اظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقال الله في كتابه العزيز وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وانت معذور على كل حال وما ادري سبب عجلتك وانت تعلم ان اباك وجدك ما كانا يفعلان شيئا الا بمشورتي وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما خاب من استشار وقد قيل في بعض الامثال من لم يكن له كبير فليس هو بكبير وقد قال الشاعر

اِذَا مَاعَزَمْتَ عَلَى حَاجَةٍ	فَشَاوِرْ خَبِيرًا وَلَا تَعْصِهِ

وما تجد احدا اعرف مني في الامور وانا واقف على قدمي خدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني وانا اصبر عليك لاجل ما لابيك علي من الفضل فقلت له والله يا ذنب الحمار لقد اطلت علي الخطاب وزدت علي في المقال وانا قصدي ان تحلق راسي وتنصرف عني ثم انه قد بل راسي وقال لي قد علمت انه دخلك الضجر مني لكن لا واخذك لان عقلك ضعيف وانت صبي ومتى كنت بالامس كنت احملك على كتفي وامضي بك الى المكتب فقلت له يا اخي بحق الله عليك اصبر علي حتى اقضي شغلي وقم الى حال سبيلك ثم شققت اثوابي فلما راني فعلت ذلك اخذ الموسى وسنه ولا زال يسنه حتى كاد عقلي يفارقني ثم تقدم الى راسي وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاي العجلة من الشيطان والتاني من الرحمن ثم انه انشد يقول

تَانَّ وَلَا تَعْجَلْ لِاَمْرٍ تُرِيدُهُ	وَكُنْ رَاحِمًا لِلنَّاسِ تُبْلَى بِرَاحِمِ
وَمَا مِنْ يَدٍ اِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا	وَلَا ظَالِمٍ اِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

ثم قال يا مولاي ما اظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على رؤس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي قال الشاعر شعر

جَمِيعُ الصَّنَائِعِ مِثْلُ الْعُقُودِ	وَهٰذَا الْمُزَيِّنُ دَارُ السُّلُوكِ
فَيَعْلُو عَلَى كُلِّ ذِي حِكْمَةٍ	وَتَحْتَ يَدَيْهِ رُؤُسُ الْمُلُوكِ

فقلت له دع ما لا يعنيك فقد ضيقت صدري واشغلت خاطري فقال اظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان

وقد قال عليه الصلوة والسلام خير الامر ما كان فيه تانى وانا والله رابني امرك فاشتهي
ان تعرفني ما قصدت عليه فاني اخشي ان يكون شيئا غير ذلك وقد بقي لوقت الصلوة ثلث
ساعات ثم قال ما اريد ان اكون في شك من ذلك بل اريد اعرف الوقت على التحقيق لان
الكلام اذا كان رجما بالغيب كان فيه عيب لاسيما لمثلي وقد ظهر واشتهر عند الناس فضلي
فما ينبغي لي ان اتكلم حدسا كما تتكلم عامة المنجمين ثم رمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب
ومضى تحت الشمس ووقف مدة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلوة ثلث ساعات
لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فاخذ الموسى وسنّه
كما فعل اولا وحلق بعض راسي وقال انا مهموم من عجلتك فلو اطلعتني على سببها لكان
خيرا لك لانك تعلم ان اباك وجدك ما كانا يفعلان شيئا الا بمشورتي فلما علمت ان مالي
منه خلاص قلت في نفسي جاء وقت الصلوة واريد ان امضي قبل ان تخرج الناس من
الصلوة فان تاخرت ساعة لا ادري اين السبيل الى الدخول اليها فقلت اوجز ودع عنك
هذا الكلام والفضول فاني اريد ان امضي الى دعوة عند بعض اصحابي فلما سمع ذكر الدعوة
قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من اصدقائي ونسيت ان
اهتم لهم في شيئ ياكلونه والساعة انتكرت وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر
بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب فهو لك ان انجزت
امري وعجلت حلاقة راسي فقال جزاك الله خيرا صف لي ما عندك لاضيافي حتى اعرفه
فقلت عندي خمسة الوان طعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوي فقال احضرهم لي حتى
انظر فاحضرت له ذلك جميعه فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي فقال احضره
فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب فاحضرت له درجا فيه
ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق وضاق صدري
فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع راسي بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله
ما آخذه حتى ارى جميع ما فيه فامرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من
يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى ضاق صدري
ثم تقدم واخذ الموسى وحلق من راسي شيئا يسيرا وانشد يقول

يَنْشُو الصَّغِيرُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ	إِنَّ الأُصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ

وقال والله يا ولدي ما ادري أشكرك ام اشكر والدك لان دعوتي اليوم كلها من
بعض فضلك واحسانك وليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي سادة محترمون مثل

زنتوت الحمامي وصليع الفامي وسيلت الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال وسعيد الجمال وسويد العتال وابو مكارش البلان وقسيم الحارس وكريم السائس كل هؤلاء ما فيهم ثقيل ولا معربد ولا فضولي ولا منكد ولكل واحد من هؤلاء رقصة يرقصها وابيات ينشدها واحسن ما فيهم انهم مثل خادمك المملوك لا يعرفون كثرة الكلام ولا الفضول اما الحمامي فانه يغني على الدربلة شيئا مثل السحر ويقوم يرقص ويقول انا رائح امي املي جرتي واما الفامي فانه يجئ بالمعرفة احسن من غيره ويرقص ويقول يا نائحة يا ستي ما قصرت فما يخلي لاحد فؤادا من الضحك عليه واما الزبال فانه يغني فيوقف الاطيار ويرقص ويقول الخبر عند زوجتي صار في صندوق وله مقدار وهو كيس خليع وفي حسنه اقول

رُوحِي الْفِدَاءُ لِزَبَّالٍ شَغَفْتُ بِه	حُلْوُ الشَّمَائِلِ يَحْكِي الْغُصْنَ مَيَّادَا
جَادَ الزَّمَانُ بِهِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ	وَالشَّوْقُ يَنْقُصُ مِنِّي كُلَّمَا زَادَا
اَضْرَمْتَ نَارَكَ فِي قَلْبِي فَجَاوَبَنِي	لَا غَرْوَ اِنْ اَصْبَحَ الزَّبَّالُ وَقَّادَا

وقد كمل في كل واحد من هؤلاء ما يلهي العقول من اللهو والمضحكة ثم قال وليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا فان ذلك احب اليك والينا واترك رواحك الى اصدقائك الذين عوّلت عليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيرين الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم او يكون فيهم واحد فضولي يصدع رأسك وانت صغرت روحك من المرض فقلت له يكون ذلك في غير هذا اليوم وضحكت من قلب الغيظ وقلت له اقض شغلي واسير انا في امان الله تعالى وتمضي انت الى اصحابك فانهم ينتظرون قدومك فقال يا مولاي ما طلبت الا ان اعاشرك بهؤلاء الاقوام الاكياس اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولا كثير الكلام فاني منذ نشأت ما اقدر اعاشر قط من يسأل عمن لا يعنيه ولا اعاشر الا من اكون مثلي قليل الكلام فانك لو عاشرتهم ورأيتهم مرة واحدة تترك جميع اصحابك فقلت له تمم الله بهم سرورك ولا بد لي ان احضر عندهم يوما من الايام فقال اردت ذلك في هذا اليوم فان كنت قد عولت ان تمضي معي الى اصدقائي فدعني امضي بما تفضلت به اليهم وان كنت لا بد لك الرواح الى اصدقائك في هذا اليوم فانا امضي بهذا الاكرام الذي اكرمتني به وادعه عند اصحاب يأكلون ويشربون ولا ينتظروني ثم اعود اليك وامضي معك الى اصدقائك فليس بيني وبين اصدقائي حشمة تمنعني عن تركهم واعود اليك عاجلا امضي معك اينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امض انت الى اصدقائك وانشرح معهم ودعني امضي لاصدقائي واكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظروني فقال المزين لا ادعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذي امضي انا اليه

لا يقدر احد ان يدخل فيه غيري فقال انك اليوم في ميعاد واحدة والا كنت تاخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امراة اجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر احد يعمل فيها شيئا من هذه الاشيا لا سيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ السوء اي شي لا يش هذا الكلام الذي تقابلني به فقال لى يا بارد تقول لي ما استحيى وتخفى عني وانا علمت هذا وتحققته وانما اطلب اساعدك اليوم بنفسي قال فخشيت ان تسمع اهلي وجيراني بمقالة المزين فسكتُّ سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلوة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ حلق راسي فقلت له امض الى اصحابك بهذا الطعام والشراب وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم ازل لهذا الملعون اداهنه واخادعه لعله يمضي عني فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم مايتم من امرك فقلت له نعم لا تبطئ علي فاخذ جميع ما اعطيته له من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي وسلمه هذا الملعون الى حمال ودّاه الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقات ثم قمت من ساعتي وقد سلم المؤذنون فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي رايت فيه الصبية فوجدت العجوز واقفة تنتظرني فطلعت معها الى الطبقة التي فيها الجارية فلما دخلتها واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلوة ودخل القاعة واغلق الباب فاشرفت انا من الطاق فرايت هذا المزين لعنة الله عليه قاعدا على الباب فقلت من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري ان جارية صاحب الدار اذنبت عنده فضربها فصاحت فدخل عبده ليخلصها فضربه فصاح الآخر فاعتقد المزين الملعون انه يضربني فصاح وخرق اثوابه وحثا التراب على راسه وبقي يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قُتل سيدي في بيت القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل بيتي وغلماني فما دريت الا وهم اقبلوا مخرقين الثياب وحالين شعورهم يصيحون واسيداه وهذا المزين قدامهم بخرق الثياب وهو يصيح والناس معه قال ولم يزالوا اهلي يصرخون وهو في اوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه واقتيلاه وهموا نحو الدار الذي انا فيها فسمع صاحب الدار الضجة والصراخ على بابه فقال لبعض غلمانه انظر ما الخبر فخرج الغلام وعاد الى سيده وقال يا سيدي على الباب ازيد من عشرة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وهم يصيحون واقتيلاه ويشيرون الى دارنا فلما سمع القاضي

ذلك عظم عليه الامر فغضب وقام وخرج وفتح الباب فرأى جمعاً عظيماً فبهت وقال يا قوم ما القصة فقالوا له الغلمان يا ملعون يا كلب يا خنزير انك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذي فعله سيدكم حتى اقتله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القاضي قال للغلمان ما الذي فعله سيدكم حتى اقتله وهذه داري بين ايديكم فقال له المزين انت ضربته في هذه الساعة بالمقارع وانا اسمع صياحه فقال القاضي وما الذي فعله حتى اقتله ومن ادخله داري ومن اين الى اين فقال له المزين لا تكن شيخاً نحساً وانا اعلم الحكاية والحال كله بنتك تعشقه وهو يعشقها فلما علمت انه قد دخل دارك امرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة او تخرج لنا سيدنا يأخذه اهله من قبل ان ادخل واخرجه من عندكم وتخجل انت فقال له القاضي وقد الجم عن الكلام وتغمم بالحياء من الناس ان كنت صادقاً فادخل انت واخرجه فهمز المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل طلبت طريقاً للخروج والهروب فلم اجد دون اني رأيت في الطبقة التي انا فيها صندوقاً كبيراً فدخلت فيه ورديت الغطاء علي وقطعت نفسي فدخل القاعة فلم يدخلها الا ان رجع علي واطلع على الموضع الذي انا فيه والتفت يميناً وشمالاً وتقدم للصندوق الذي انا فيه وحمله على راسه فغاب رشدي ثم مر مسرعاً فلما علمت انه ما يتركني جذبت نفسي وفتحت الصندوق ورميت نفسي الى ارض فانكسرت رجلي وانفتح الباب فشاهدت على الباب خلقاً كثيراً وكان في كمي ذهباً كثيراً اعددته لمثل هذا اليوم ومثل هذا الامر فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاخذوه واشتغلوا به وصرت اجري في ازقة بغداد يميناً وشمالاً وهذا المزين الملعون خلفي واي مكان دخلت فيه يدخل هذا المزين خلفي وهو يقول ارادوا ان يفجعوني في سيدي الحمد لله الذي نصرني عليهم وخلص سيدي من ايديهم فما زلت يسوءني تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الفعال فلولا منّ الله عليك بي ما كنت خلصت من هذه المصيبة التي وقعت فيها وكانوا يرمونك في مصيبة لا تخلص ابداً وكم تريد انا اعيش لك حتى اخلصك والله لقد اهلكتني بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك ولكن ما نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له ما كفاك ما جرى منك حتى تجري ورائي وتتكلم معي بمثل هذا الكلام في الاسواق وكادت روحي تذهق مني من شدة غيظي منه فدخلت دكاناً في وسط السوق واستجرت بالمالك

فمنعه عني وجلست في محزن وقلت في نفسي ماعدت اقدر افترق من هذا المزين الملعون وهو يقيم عندي ليلا ونهارا ولا بقي في رمق انظر الى خلقته فارسلت في الوقت احضرت الشهود وكتبت وصية لاهلي وفرقت مالي وعملت عليهم ناظرا وامرته ان يبيع الدار و العقارات ووصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القواد وجئت سكنت في بلدكم ولي فيها مدة فلما عزمتم علي نها اناجئت لكم فرايت هذا الملعون القواد عندكم في صدر المكان فكيف يطيب قلبي ومقامي عندكم مع هذا وقد فعل بي هذه الفعال وانكسرت رجلي بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احق ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي وعقلي ومروتي ولولا انا لهلك وما سبب نجاته الا انا وصار مليحا الذي اصاب في رجله ولا اصاب في روحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه الجميل وها انا اقول لكم حديثا جرى لي حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي الستة وذلك اني كنت ببغداد على زمن المستنصر بالله ابن المستضئ بالله وكان هو الخليفة يومئذ ببغداد وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين فاتفق له يوما انه غضب على عشر نفر فامر المتولي ببغداد ان ياتيه بهم يوم عيد وكانوا لصوصا قطاعين للطريق فخرج متولي البلد فاخذهم ونزل بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت ما اجتمعوا هؤلاء الا لوليمة واظنهم يقطعون نهارهم في هذا الزورق في اكل وشرب وما يكون نديمهم غيري فقمت يا جماعة من جملة مروتي ورزانة عقلي نزلت معهم في الزورق واختلطت بهم فعبروا وقعدوا الى الجانب الاخر فجاءت له شرطية واعوان بالجنازير ورموهم في رقابهم ورموا في رقبتي جنزيرا من جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروتي وقلة كلامي الذي سكتُّ ومارضيت اتكلم فاخذونا بالجنازير وقدمونا بين يدي المستنصر بالله امير المؤمنين فامر بضرب رقاب العشرة فتقدم السياف بعد ان اجلسنا بين يديه في نطع الدم و جرد سيفه وضرب رقبة واحد بعد واحد الى ان ضرب رقبة العشرة فبقيت انا فنظر الخليفة فقال للسياف ما بالك ضربت رقاب تسعة فقال السياف معاذ الله ان تامر بضرب رقاب عشرة فاضرب انا رقاب تسعة فقال له ما اظنك ضربت رقاب غير تسعة وهذا الذي بين يديك هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال فعدوهم فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في مثل هذا الوقت وكيف صرت مع اصحاب الدم وما سبب هذا وانت شيخ كبير وعقلك قليل فلما سمعت خطاب

امير المؤمنين قلت له اعلم يا امير المؤمنين اني انا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء
كثير واما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي لا نهاية لها وصنعتي مزين فلما كان
نهار امس من باكر النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت
معهم وظننت انهم في وليمة فما كان غير ساعة الا حضرت اليهم الاعوان وجعلوا في
رقابهم الجنازير وجعلوا في رقبتي جنزيرا من جملتهم فمن كثرة مروتي سكت ولم
اتكلم فما هي الا مروة فساروا بنا حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة
وبقيت انا بين يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي فما هي الا مروة عظيمة التي شاركتهم
فيها في القتل ولكن طول دهري هكذا افعل الجميل مع الناس وهم يكافئونني باوحش
مكافاة فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروة قليل الكلام ما عندي فضول كما
يزعم هذا الشاب الذي خلصته من الاهوال ضحك ضحكا شديدا حتى استلقى على قفاه
وقال الخليفة لي يا صامت واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت
لاعاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلي ولكن ذممتني يا امير المؤمنين ولا ينبغي لك ان تقارن
اخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم وقلة مروتهم صار كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد
اعور وواحد افلج وواحد مقطوع الاذن والمنخر وواحد مقطوع الشفتين وواحد احدب
ولا تحسب يا امير المؤمنين اني كثير الكلام ولابد ان ابين لك واني اعظم مروة منهم ولكل
واحد منهم حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وانا احكي لك اعلم يا امير المؤمنين ان الاول
وهو الاحدب كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط في دكان استاجرها من رجل كثير
المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان في اسفل دار الرجل طاحونا فبينما اخي
الاحدب جالس في الدكان في بعض الايام يخيط فرفع رأسه فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن
الدار وهي تنظر الى الناس فلما رآها اخي تعلق قلبه بحبها وصار يومه ذلك ينظر اليها
فبطل اخي خياطته الى وقت المساء فلما كان اليوم الثاني وقت الصباح فتح دكانه وقعد يخيط
وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فرآها على تلك الحالة فازداد حبه لها وهيامه فيها ولما
كان اليوم الثالث جلس في مكانه وهو ينظر اليها فرأته الامرأة وعلمت انه قد صار اسيرا
لحبها فضحكت في وجهه وضحك في وجهها ثم انها غابت عليه وارسلت جاريتها اليه ومعها بقشة
فيها طاقة مشجر احمر فجاءت الجارية اليه وقالت له ستي تقرئك السلام وتقول لك فصل لها
بيد الفضل قميصا من هذه الطاقة وخيط خياطة حسنة فقال لها سمعا وطاعة ثم انه فصل
لها ثوبا واتم خياطته في ذلك اليوم فلما كان من الغد باكرته الجارية وقالت له ستي تسلم

عليك وتقول لك كيف كان مبيتك البارحة فانها ما ذاقت النوم من شغل قلبها لك ثم قدمت
بين يديه طاقة اطلس اصفر وقالت له تقول لك ستي فصل لها من هذه الطاقة سروالين
وخيطهما اليوم هذا فقال لها سمعا وطاعة سلمي عليها السلام الكثير وقولي لها عبدك منقاد
لامرك فاحكمي عليها بما شئت ثم انه شرع في التفصيل واجتهد في خياطة السروالين وبعد
ساعة تطلعت له من الشباك وسلمت عليه بالايماء وهي تارة تغض طرفها وتارة تتبسم
في وجهه وهو يظن انه سيظفر بها ثم انها غابت عنه وجاءت الجارية اليه فسلم اليها السروالين
فاخذتهما وانصرفت ولما اقبل الليل انطرح على فراشه وبات يتقلب الى الصباح فلما
اصبح قام وجلس في مكانه فجاءت الجارية اليه وقالت له ان مولاي يدعوك فلما سمع
ذلك خاف خوفا عظيما فلما شعرت الجارية بخوفه قالت له لا باس عليك ما هناك
الا الخير فقد جعلت ستي بينك وبين سيدي معرفة ففرح الرجل فرحا عظيما ثم ذهب معها
فلما دخل على سيدها زوج ستها قبل الارض فرد عليه السلام ثم ناوله ثيابا كثيرة وقال له
فصل لي من هذا وخيطه قميصا فقال اخي سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين
قميصا الى وقت العشاء فلم يذق طعاما ثم قال له كم يكون لذلك اجرة فقال له عشرون
درهما فزعق زوجها على الجارية وقال هاتي عشرين درهما فلم يتكلم اخي فاشارت اليه
الصبية يعني لا تاخذ منه شيئا فقال والله ما اخذ منك شيئا واخذ الخياطة وخرج الى
برّ وكان اخي محتاجا الى فلس وبقي له ثلثة ايام لا ياكل ولا يشرب الا القليل من
اجتهاده في تلك الخياطة التي لهم فاتت الجارية وقالت له ايش عملت فقال فرغوا
فاخذهم واتى اليهم بها وسلم الى زوجها الثياب وانصرف من ساعته وكانت الصبية
قد عرفت زوجها بحال اخي واخي لا يعلم ذلك واتفقت هي وزوجها على استعمال اخي في
الخياطة بلا شئ ويضحكون عليه فلما اصبح الصباح اتى الى الدكان فاتت اليه الجارية و
قالت له كلم سيدي فذهب معها فلما وصل اليه قال له اريد منك ان تفصل لي خمس
فرجيات ففصل له واخذ الثياب معه وانصرف ثم انه خيط تلك الفرجيات ومضى بها اليه فاستحسن
خياطته وادعى بكيس فيه دراهم ومد يده فاشارت اليه الصبية من خلف زوجها ان لا تاخذ
شيئا فقال للرجل يا سيدي لا تعجل فالزمان موافي وخرج من عنده وهو اذل من حمار
وقد اجتمع عليه خمسة اشياء عشق وافلاس وجوع وعري وتعب وانما هو يشجع نفسه فلما
فرغ اخي من جميع اشغالهم فبعد ذلك عملوا عليه حيلة وروجوه بجاريتهم وفي الليلة التي
اراد ان يدخل عليها قالوا له بت الليلة في الطاحون الى غد يكون خيرا فاعتقد اخي انه صحيح

فبات في الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه حتى انه يدوّره في الطاحون فدخل عليه الطحان نصف الليل وجعل يقول هذا الثور بطل ووقف ولا بقي يدور وفي هذه الليلة والقمح عندنا كثير ونزل على الطاحون ملأ القادوس قمحا وقصد اخي وكان في يده حبل فربط رقبته وقال هيا دُر على القمح ما مرادك الا تاكل تخرا وتبول ثم اخذ سوطا في يده وضربه به واخي يبكي ويصيح فلم يجد له مغيثا والقمح ينطحن الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى اخي معلقا على الخشبة ومضى وجاءت الجارية اليه باكرا لنهار وقالت له يعز علي ما جرى لك انا وستي قد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب والتعب ثم ان اخي اتى الى منزله واذا بالمعلم الذي كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله هذا وجه النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له اخي لا سلم الله الكاذب يا الف قرنان والله ما جئت الا اطحن موضع الثور الى الصباح فقال له حدثني بحديثك فحدثه اخي بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت اغير لك ذلك الكتاب فقال له انظر ان بقي لك حيلة اخرى ثم تركه واتى الى مكانه ينظر احدا ياتي اليه بشغل يتقوت منه واذا هو بالجارية قد اتت اليه وقالت له كلم ستي فقال لها روحي يا بنت الحلال ما بيني وبين ستك معاملة فراحت الجارية واعلمت ستها بذلك فما درى اخي الا وهي قد طلعت له من الروشن وهي تبكي وتقول لايش يا حبيبي ما بقي بيني وبينك معاملة فلم يرد عليها جوابا فحلفت له ان جميع ما وقع له في الطاحون لم يكن باختيارها وانها بريئة من ذلك الامر فلما نظر اخي الى حسنها وجمالها وسمع لذيذ كلامها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس في خياطته مدة فلما كان بعد ذلك جاءت له الجارية وقالت له تسلم عليك ستي وتقول لك ان زوجها قد عزم انه يبيت عند اصدقائه الليلة فاذا مضى هو عندهم تكون انت عندنا وتبيت مع ستي في الذ عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل في رجوعه عنك فقالت دعني احتال عليه بحيلة اخرى واشهره في هذه المدينة واخي لا يعلم شيئا من كيد النساء فلما كان المساء جاءته الجارية واخذت اخي رجعت به فلما رأت الصبية اخي قالت له والله يا سيدي اني مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلي بقبلة قبل كل شيء فلم يتم كلامه الا وحضر زوج الصبية من بيت هناك وقال لاخي والله لا افارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخي فلم يسمعه بل حمله الى الوالي فضربه بالسياط وركبه جملا ودوره المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ونفي من المدينة فخرج لا يدري اين يقصد فخفت انا فلحقته والتزمت به ووددته واجلسته

عندي الى الان فضحك الخليفة من كلامي وقال احسنت يا صامت يا قليل الكلام وامر لي
بجائزة وانصراف فقلت لا اقبل شيئاً منك دون ان احكي لك ما وقع لبقية اخوتي ولا تحسب
اني كثير الكلام اعلم يا امير المؤمنين ان اخي الثاني كان اسمه بقبا قه وهو المفلوج وقد وقع
له في بعض الايام انه كان ماشيا الى حاجة له واذا هو بعجوز قد استقبلته وقالت له ايها الرجل
قف قليلاً حتى اعرض عليك امرا فان اعجبك فاقضه لي واستخر الله فوقف اخي فقالت اقول لك
على شيء وارشدك اليه ولا يكون كلامك كثيرا فقال لها اخي هاتي كلامك قالت له ما قولك
في دار حسنة وروضة طيبة ماؤها يجري وفاكهة ومدام ووجه مليح تعانقه من العشاء الى
الصباح فان فعلت ما اشير لك عليه رايت الخير فلما سمع اخي كلامها قال لها يا ستي وكيف
قصدتني بهذا الامر دون الخلق اجمعين فايش الذي اعجبك مني فقالت لاخي ما قلت لك
لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معي ثم ولت العجوز واخي تابعها طمعا فيما وصفت له حتى دخلوا
دارا فسيحة كثيرة الخدم وصعدت به من ادنى الى اعلا فراى قصرا ظريفا فلما راه اهل البيت
قالوا له من الذي اوصلك الى هنا فقالت لهم العجوز اسكنوا عنه ولا تكدروا قلبه فانه صانع
ونحن محتاجون اليه ثم انها مشت به الى غرفة مزينة لم تر العيون احسن منها فلما دخلوا الغرفة
قامت النسوان ورحبن به واجلسنه بجنبهم فلم يلبث اذ سمع جلبة عظيمة واذا بجوار قد اقبلن وفي
وسطهن جارية كالبدر في ليلة تمامه فمد اخي نظره اليها وقام قائما وخدمها
فرحبت به وامرته بالجلوس فجلس فاقبلت عليه وقالت له اعزك الله هل فيك خير فقال اخي
يا سيدتي الخير كله فيّ ثم امرت باحضار الطعام فقدموا لها طعاما حسنا فجلست تاكل والجارية
مع ذلك لا تهتدي من الضحك واذا نظر اليها اخي تغيب الى جوارها كانها تضحك منهم وتظهر
لاخي المودة وتمزح معه واخي الحمار لا يفهم شيئا ومن كثرة ما غلب عليه الشوق يعتقد ان
الجارية عاشقة عليه وانها تبلغه الى مناه فلما فرغوا من الطعام قدموا المدام ثم حضرن
عشر جوار كانهن اقمار وبايديهن العيدان ذوات الاوتار فجعلن يغنين بكل صوت شجي فغلب
الطرب على اخي وتناول قدحا من يدها فشربه فقام لها قائما ثم ان الصبية شربت قدحا
فقال لها اخي صحة وخدمها ثم اسقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فكلما راى اخي ذلك منها
خرج في اشد خروج فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعني ارجع فرجع فامرته الجارية
بالجلوس فجلس ولم ينطق فعادت الصفع على قفاه وما كفاها ذلك حتى امرت جوارها
كلها ان يصفعوه وهو يقول للعجوز ما رايت شيئا احسن من هذا فتقول العجوز اي وحقك يا
مولاتي فصفعته الجوار الى ان اغمي عليه ثم قام اخي لقضاء حاجته فلحقته العجوز ثم قالت له اصبر

قليلا تبلغ ما تريد فقال لها اخي الى كم اصبر وقد اغمي علي من الصفع فقالت له اذا اسكرت بلغت مرادك فرجع اخي الى مكانه وجلس فقامت الجوار عن آخرهم فامرتهم ان يبخروه وان يرشوا على وجهه الماورد ففعلن ذلك وقالت له الصبية اعزك الله قد دخلت منزلي وصبرت على شرطي واي من خالفني طردته ومن صبر بلغ مراده فقال لها اخي ياسيدتي انا عبدك وفي طبقة يدك فقالت له اعلم ان الله اشغفني بحب الطرب فمن اطاعني نال ما يريد ثم امرت الجوار ان يغنين باصوات عالية حتى طرب المجلس ثم قالت لبعض الجوار خذي سيدك واقضي حاجته وائتيني به في الحال فاخذت الجارية اخي وهو لا يدري ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقي الا القليل فراق وجهه فاقبل اخي على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد فقال لها اعلميني ماذا تريد تعمل هذه الجارية فقالت العجوز ما ثم الا خير افديتك تريد تصبغ حواجبك وتنتف سبالك فقال اخي اما صبغ الحواجب فيزول بالغسل واما نتف السبال فهو مما يؤلم فقالت العجوز احذر تخالفها فهي قد تعلق قلبها بك فصبر اخي حتى صبغت حواجبه ونتفت سباله ومضت الجارية الى سيدتها واخبرتها فقالت لها بقي شئ آخر وهو ان تحلق ذقنه حتى يصير امرد فجاءت الجارية واخبرته بما امرت سيدتها به فقال لها اخي الاحمق وكيف اعمل في فضيحتي من الناس فقالت له العجوز انها ما ارادت تفعل ذلك معك الا لتبقى امردا بلا ذقن ولا يبقى في وجهك شئ يشكها فانها صار لها في قلبها منك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنا فصبر اخي وطاوع الجارية وحلق ذقنه واخرجته الصبية واذا هو مخضوب الحاجبين مقصوص الشاربين محلوق الذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت قفاها ثم قالت ياسيدي لقد ملكتني بهذه الاخلاق الحسنة قلبي ثم حلفته بحياتها ان يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع في البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك الجوار كلهم صاروا يضربونه بمثل نارنج وليمونة وترنجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب والصفع على قفاه والرجم فقالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم ان ما بقي عليك من الضرب شئ وما بقي الا شيئا واحدا وذلك ان من عادتها اذا اسكرت لا تمكن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة زلطا ثم تامرك بقلع ثيابك وتجري وهي تجري قدامك كانها هاربة منك وانت تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا وبقي عريانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين لما قالت له العجوز اقلع ثيابك فقام وهو غائب
عن الوجود فقلع ثيابه وبقي عريانا فقالت الجارية لاخي قم الان واجر واجري انا ايضا
ثم تعرت هي ايضا قالت له ان اردت شيئا اتبعني فجرت قدامه فتبعها ثم جعلت تدخل من محل
الى محل وتخرج الى الاخر واخي وراءها وقد غلب عليه الشوق وزُبّه قائم كانه مجنون
ودخلت هي قدامه في مكان مظلم فدخل اخي ايضا وهو يجري وراءها فداس موضعا رقيقا
فانخسف به فلا دري بنفسه الاوهو في وسط الزقاق وهو في سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود
ويشترون ويبيعون فلما راوه على تلك الحالة وهو عريان قائم الايرمحلوق الذقن والحواجب
محمر الوجه صاحوا عليه وصفقوا عليه بايديهم وجعلوا يضربونه بالجلود وهو عريان حتى
غشي عليه وحملوه على حمار حتى اوصلوه الى الوالي فقال لهم الوالي ما هذا قالوا وقع لنا
من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فصفعه مائة درة ثم نفاه من بغداد وخرجت انا
خلفه وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له ما يقتات به فلولا مروتي ما كنت احتمل مثله واما
اخي الثالث فاسمه فقيق وكان اعمى فساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب
طمعا ان يكلمه صاحبها فيسأله شيئا فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه احد فسمعه
اخي يقول بصوت عالي من هذا فلم يكلمه اخي وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه
فقال له ما تريد فقال اخي شيئا لله تعالى فقال له انت ضرير فقال له اخي نعم فقال له ناولني
يدك فناوله يده وهو يعتقد انه يعطيه شيئا فاخذ بيده فادخله الدار ولم يزل يصعد به
من سلم الى سلم حتى وصل الى اعلا سطوح واخي يقول انه يطعمه شيئا او يعطيه شيئا فلما
انتهى قال لاخي ما تريد يا ضرير قال اريد شيئا لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له
اخي يا هذا ما كنت تقول لي كذا وكذا وانا اسفل فقال له يا سفلة لم لا تكلمني من اول مرة
فقال له اخي والساعة ما تريد تصنع بي فقال له ما عندي شيء اعطيه لك قال له انزل بي الى
السلالم فقال الطريق بين يديك فقام اخي واقبل وما زال نازلا حتى بقي بينه وبين الباب
عشرون درجة فزلقت رجله فوقع الى الباب فانفتح راسه فخرج وهو لا يدري اين يذهب فلحقه
بعض رفقته العميان فقالوا له ايش حصل لك اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخوتي اريد ان
اخرج شيئا من الدراهم التي بقيت معي وانفق على نفسي وكان صاحب الدار تابعه وسامع
كلامه واخي لا يدري بالرجل ورفيقه فجاء اخي الى منزله ودخل ودخل الرجل خلفه
واخي لا يشعر به وقعد اخي ينتظر رفقاءه فلما دخلوا قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت
كيلا يكون تبعنا احد غريب فلما سمع الرجل كلام اخي قام وتعلق بحبل كان في السقف فطافوا

البيت بجميعه فلم يجد واواحدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب اخي ثم اخرجوا الدراهم التي معهم
وعدوها فاذا هي اثني عشر الف درهم فتركوها في زاوية البيت واخذ كل واحد ما
يحتاج اليه وطرحوا بقية الدراهم في التراب ثم قدموا بين ايديهم شيئا من الاكل
وقعدوا ياكلون فسمع اخي الى جانبه مضغا غريبا فقال لاصحابه معنا غريب ثم مد يده
فتعلق بيده يد الرجل صاحب الدار فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمين
دخل علينا لص يريد ان ياخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فاقبل الرجل وتعلق بهم وادعى
عليهم مثل ما ادعوا عليه وغمض عينيه حتى كانه صار مثلهم لا يشك فيها احد وصاح يا مسلمين
انا بالله وبالسلطان انا بالله وبالوالي مع نصيحة فما شعر الا وقد احاطوا بالجميع واخي معهم
وساقوا الى بيت الوالي فاحضرهم قدامه وقال ما خبركم فقال الرجل انظر ولا يبان لك
شيء الا بالعقوبة واول ما تبدأ ابدأ بي وعاقبني ثم لهذا قائدي واومي بيده الى اخي
فمدوا ذلك الرجل وضربوه اربعمائة عصا على ثقبه فاوجعه الضرب ففتح عينه الواحدة
فلما زادوا عليه بالضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالي ما هذه الفعال يا ملعون فقال
اعطني خاتم الامان نحن اربعة نعمل روحنا عميان ونغير على الناس وندخل البيوت و
ننظر النساء ونعمل في خسارتهم فاجتمع لنا مكسب عظيم وهو اثنى عشر الف درهم فقلت لرفقتي
اعطوني حقي ثلثة الاف فقاموا وضربوني واخذوا مالي وانا مستجير بالله وبك وانا احق
بقسمي وانا اشتهي ان تعرف صدق قولي فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتني فانه يفتح
عينيه فعند ذلك امر الوالي بعقوبتهم واول ما بدا باخي فشدوه على سلم وقال لهم الوالي
يا فسقة تجحدون نعمة الله وتدعون انكم عميان فقال اخي الله الله والله ما فينا بصير فضربوه
حتى غشي عليه فقال الوالي دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثاني مرة ثم امر بضرب
اصحابه كل واحد اكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم والا جدد عليكم الضرب
ثم قال الرجل للوالي ابعث معي من ياتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون عيونهم ويخافون
من فضيحة الناس فبعث الوالي اخذ المال واعطى للرجل منه ثلثة الاف درهم قسمه على
ما زعم عنهم واخذ الباقي ونفى الوالي الثلثة وخرجت انا يا امير المؤمنين ولحقت اخي
وسألته عن حاله فاخبرني بما ذكرته لك وادخلته المدينة سرا ورتبت له ما ياكل وما
يشرب في الخفية فضحك الخليفة من حكايتي وقال اعطوه جائزة ودعوه ينصرف فقلت
له والله ما اخذ شيئا حتى ابين لامير المؤمنين ما جرى لاخوتي فاني قليل الكلام ثم قال
واما اخي الرابع يا امير المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربي

الكباش وكان يقصدونه الكبار واصحاب الاموال يشترون منه اللحم فكسب من ذلك مالا عظيما واقتنى الدواب والدور واقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو ذات يوم من بعض الايام عند دكانه اذ وقف عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال اعطني بها لحما ودفع له الدراهم وانصرف واعطاه اللحم فتامل اخي في فضة الشيخ فرأى دراهمه بياضها ساطع فعزلها في ناحية وحدها واقام الشيخ يتردد عليه خمسة اشهر واخي يطرح دراهمه في صندوق وحدها ثم اراد ان يخرجها ويشتري غنما ففتح الصندوق فرأى جميع ما فيه ورق ابيض مقصص فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه وقام اخي على عادته فذبح كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه خارج الدكان وصار اخي يقول يا الله يجئ الشيخ النحس فما كانت ساعة الا وقد اقبل الشيخ ومعه الفضة فقام اخي وتعلق به وصار يزعق يا مسلمين الحقوني واسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له الشيخ ايما احب اليك تتنحى عني او افضحك بين الناس فقال له اخي باي شئ تفضحني قال بانك تبيع لحم الناس بانه لحم غنم فقال له اخي كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذي عنده رجل في الدكان معلق فقال له اخي ان كان الامر كما ذكرت فمالي ودمي حلال لك فقال الشيخ يا معاشر الناس ان اردتم تحقيق قولي وصدقي ادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان اخي فراوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما راوا ذلك تعلقوا باخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار اعز الناس اليه يضربه ويلطمه ويقول له انت تطعمنا لحم بني آدم ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحملت الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ ايها الامير هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على انه لحم غنم وقد اتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع اخي عن نفسه فلم يسمع منه وامر بضربه خمسمائة عصا واخذوا جميع ماله ولولا المال لقتلوه فقام اخي هاجا على رأسه حتى دخل مدينة كبيرة وكان احسن له ان يعمل اسكافيا ففتح دكانا وقعد يعمل شيئا يتقوت به فخرج ذات يوم في حاجة فسمع حس خيل فسال عن ذلك فقيل له ان الملك خارج في الصيد والقنص فجعل اخي ينظر الى حسن الملك فوقعت عين الملك في عين اخي فاطرق الملك برأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم واثنى عنان فرسه ورجع فرجع جميع الغلمان ثم امر الغلمان فلحقوا اخي فضربوه ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر اخي ما السبب فرجع الى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخي اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور لا سيما ان كان اعور باليمنى فانه لا يعتقه دون قتله فلما

سمع اخي ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم قام وخرج منها وتحول الى ناحية
اخرى لم يكن بها احد يعرفه واقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر اخي في امره وخرج
يوما يتفرج فسمع حس خيل خلفه فقال جاء امر الله فطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم
نظر فاذا بباب مغلوق فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فرأى دهليزا طويلا فدخل اخي
فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا لاخي الحمد لله الذي امكننا منك يا عدو الله هذه
ثلث ليال ما خليتنا ننام ولا نهدي وقد اذقتنا الموت فقال اخي يا قوم ما امركم فقالوا
انت تغير علينا وتريد تفضحنا وتدبر الحيلة وتريد تذبح صاحب البيت ما يكفيك انك
افقرته واصحابك ولكن اخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه فوجدوا في
وسطه سكينا فقال يا قوم اتقوا الله في امري واعلموا ان حديثي عجيب فقالوا وما
حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فما سمعوا من اخي ما قال ولا التفتوا اليه و
ضربوه وخرقوا ثوابه فوجدوا عليه اثر الضرب بالمقارع على اجنابه فقالوا له
يا ملعون هذا اثر الضرب ثم احضروا اخي بين يدى الوالي فقال في نفسه قد وقعت
بذنوبي وما يخلصني الا الله تعالى فقال الوالي لاخي يا فاجر ما حملك على هذا الامر
تدخل دارهم بالقتل فقال له اخي سألتك بالله ايها الامير اسمع كلامي ولا تعجل علي فقال
الوالي نسمع كلام لص قد افقر الناس وعليه اثر الضرب في ظهره وقال له ما فعلوا
بك هذا الامر الا عن جرم عظيم فامر بضربه مائة سوط ثم ضرب اخي مائة سوط ثم
حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء واقل من جزاء من يهجم بيوت الناس
وامر باخراجه من المدينة وهاج اخي على وجهه فلما سمعت به انا خرجت اليه واستخبرته
فاخبرني بحديثه وما جرى له ولا زلت معه داثرا وهم ينادون عليه حتى سيبوه فاتيت
اليه واخذته وادخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب واما اخي
الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا امير المؤمنين وكان رجلا فقيرا وكان يسأل
الناس ليلا وينفق به نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا في السن فاعتل ومات فخلف
لنا سبعمائة درهم فاخذ كل واحد منا مائة درهم واما اخي الخامس فانه لما اخذ
حصته تحير ولم يدر ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع في خاطره انه يأخذ بها
زجاجا من كل نوع وينتفع بثمنه فاشترى بمائة درهم زجاجا وجعله في طبق كبير
وقعد في موضع يبيع فيه وبجانبه حائط فاسند ظهره اليه وقعد متفكرا في نفسه وقال
ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة درهم وانا ابيعه بمائتي درهم ثم اشتري

بمائتي درهم زجاجا وابيعه باربعمائة درهم ولا ازال ابيع واشتري الى ان يبقى معي مال كثير فاشتري به من جميع المتجر والجواهر والعطر فاربح ربحا عظيما فبعد ذلك اشتري دارا حسنة واشتري المماليك والخيل وسروج الذهب واكل واشرب ولا اخلي مغنيا ولا مغنية في المدينة حتى اجيبها عندي واعمل ان شاء الله تعالى راس مالي مائة الف درهم هذا كله هو يحسب في نفسه وقفص الزجاج مطروح قدامه ثم قال واذا صار مالي مائة الف درهم ابعث الدلالات في خطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغني انها كاملة في الحسن بديعة في الجمال وامهرها بالف دينار فان رضي ابوها كان وان لم يرض اخذتها قهرا عن رغم انفه فان حصلت في داري اشتري عشرة خدام صغار ثم اشتري لي كسوة من كساوي الملوك والسلاطين واصنع لي سرج ذهب وارصعه بالجواهر المثمنة ثم اركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي وادور المدينة والناس يسلمون علي ويدعون لي ثم ادخل على الوزير الذي هو ابو البنت والمماليك خلفي وقدامي وعن يميني وعن شمالي فاذا رآني قام الوزير الي قائما واقعدني في مكانه ويقعد هو دوني لانه صهري ويكون معي خادمين بكيسين في كل كيس الف دينار فاعطيه الالف مهر بنته واهدي له الف دينار اخرى حتى يعلم مروتي وكرمي وكبر نفسي وصغر الدنيا في عيني واذا خاطبني بعشر كلمات اجبته بكلمتين ثم انصرف الى داري فاذا جاء احد من جهة امراتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان جاءني بهدية رديتها عليه ولم اقبلها منه حتى يعلموا اني عزيز النفس ولا اخلي نفسي الا في موضعها ثم اقدم اليهم باصلاح شاني فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفافها واصلح داري اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابي وقعدت في بدلة من الديباج متكئا لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلي ورزانة فهمي وتكون امراتي قائمة قدامي كالبدر وهي في حليها وحللها وانا انظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر يا سيدي امراتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضر بها القيام ثم يبوسون الارض قدامي مرارا فعند ذلك ارفع راسي وانظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق براسي الى الارض فيمضون بها الى مجلس المنام واقوم انا واغير قماشي والبس احسن مما كان علي فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسالوني مرارا وانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الثلثة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخ المزين قال ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم اني امر بعض الخدم ان يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار فلما تحضر الدافعة للمواشط وامرهم ان يدخلوني عليها فاذا دخلوا بها فلا انظر اليها ولا اكلمها احتقارا لان يقال اني عزيز النفس وتجئ امها فتقبل راسي ويدي وتقول لي ياسيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر بخاطرها فلا ارد عليها جوابا فاذا رات ذلك مني قامت وباست رجلي مرارا ثم تقول ياسيدي ان بنتي صبية مليحة ما رات رجلا فاذا رات منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لي قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تاخذ القدح فاذا جاءتني تركتها قائمة بين يدي وانا على مدورة مزركش متكئ لا انظر اليها من كبر نفسي حتى تقول لي اني سلطان عظيم الشان فتقول لي ياسيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا اكلمها فتلح علي وتقول لا بد من شربه وتقدمه الى فمي فانفض يدي في وجهها وارفسها برجلي واعمل هكذا ثم رفس برجله فوقع الزجاج والقفص وكان في مكان مرتفع فنزل الى الارض فتكسر كل ما فيه فصاح اخي وقال هذا كله من كبر نفسي فعند ذلك يا امير المؤمنين لطم اخي على وجهه وخرق ثيابه وجعل يبكي ويلطم والناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلوة الجمعة فمنهم من نظره ورحمه ومنهم من لم يفكر فيه واخي على تلك الحالة راح منه المال والربح فاقام ساعة يبكي واذا بامرأة حسنة ومعها عدة خدام وهي راكبة على بغلة بسرج ذهب يفوح المسك منها وهي ماشية الى صلوة الجمعة فلما نظرت الى الزجاجات وحال اخي وبكائه اخذها الحزن عليه ورق قلبها وسالت عن حاله فقيل انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ما ترين فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك لهذا المسكين فدفع له صرة وجد فيها خمسمائة دينار فلما وقعت في يده كاد ان يموت من شدة الفرح واقبل اخي بالدعاء لها وعاد الى منزله غنيا وقعد متفكرا واذا بالباب يدق فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له ياولدي اعلم ان الصلوة قد قربت وانا بغير وضوء واحب ان توسع لي منزلك حتى اتوضأ فقال سمعا وطاعة ثم دخل اخي وامرها بالدخول فدخلت ودفع لها ابريقا تتوضأ به وجلس اخي وهو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرها في الهميان فلما فرغ من هذا وفرغت العجوز من الوضوء اقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيه اخي وصلت ركعتين

ثم دعت لاخي دعاء حسنا فشكرها على ذلك ومد يده الى الدنانير ودفع لها دينارين وقال في نفسه هذه صدقة عني فلما رات الدنانير قالت يا سبحان الله لِمَ نظرت الى من حبك بسمة الصعاليك خذ مالك ما لي به حاجة واردده الى قلبك فان كنت تريد الاجتماع من الذي اعطتك المال اجتمع لك معها وهي صاحبتي فقال اخي يا امي كيف الحيلة اليها قالت يا ولدي انها تميل الى رجل موسر فخذ جميع مالك معك واتبعني لادلك على المراد فاذا اجتمعت بها فلا تخلي شيئا من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريد فاخذ اخي جميع الذهب وقام ومشى معها وهو لا يصدق فلم تزل هي تمشي واخي تابعها الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية ففتحت الباب فدخلت العجوز وامرت اخي بالدخول معها فدخل الى دار كبيرة ومجلس كبير مفروش شارزنه بالزوالي العجيبة وستور معلقة فجلس اخي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية اقبلت ما رات الراؤن احسن منها وهي لابسة افخر الملابس فقام اخي على قدميه فلما راته ضحكت في وجهه وفرحت به واشارت اليه بالجلوس ثم انها امرت بالباب فاغلق ثم اقبلت على اخي واخذت يده ومضوا جميعا الى ان اتوا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هي مفروشة بانواع الديباج فجلس اخي وجلست بجانبه ولاعبته ساعة ثم قامت وقالت له لا تبرح من مكانك حتى اجيء وغابت عن اخي ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد فقال له ويلك ومن جاء بك الى هذا المكان وما الذى تصنع هٰهنا فلما راٰه لم يقدر اخي ان يرد عليه جوابا وانعقد لسانه عن رد الجواب فاخذه وعراه من اثوابه ولم يزل يضربه بالسيف سطحا الى ان سقط الى الارض مغشيا عليه من شدة الضرب واعتقد العبد النحس انه قضي عليه فسمعه اخي يقول اين المالحة فاقبلت اليه جارية فى يدها طبق كبير وفيه ملح كثير ولم يزل العبد يحشو جراحات اخي وهو لا يتحرك خيفة ان يعلم انه حي فيقتله ويروح روحه قال الراوي ثم ان الجاريه مضت وصاح العبد وقال اين السرديبة فجاءت العجوز الى اخي وجرته من رجله الى سرداب فرمته فيه على جماعة قتلى فاقام مقامه يومين كاملين وكان الله جعل الملح سبب حياته لانه قطع الدم فرأى اخي فى نفسه القوة على الحركة فقام اخي من السرداب وفتح طابقه وهو خائف وخرج الى برواعطاه الله الستر فمشى فى الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصباح خرجت تلك العجوز الملعونة فى طلب صيد اٰخر فخرج اخي فى اثرها وهي لا تعلم حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج

نفسه حتى برئ وهو يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تاخذ الناس واحد واحدا
وتؤديهما الى تلك الدار واخي لاينطق بشئ ثم لما رجعت اليه روحه وقوته عمد الى
خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس
ثياب العجم واخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما راى العجوز قال لها بلسان العجم ياعجوز
انا رجل غريب وصلت اليوم الى هذا البلد ولا اعرف احدا فهل عندك ميزان يسع تسعمائة
دينار وانا اعطيك شيئا منه فقالت له العجوز لي ولد صيرفي وعنده سائر الموازين فامض معي
قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن ذهبك فقال اخي امشي قدامي فسارت واخي خلفها حتى
اتت الباب فدقته فخرجت الجارية بعينها وفتحت الباب فضحكت العجوز في وجهها فقالت العجوز
قد اتيتكم اليوم بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخي وادخلته المنزل الذي دخل اخي فيه
سابقا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لاخي لاتبرح حتى ارجع اليك وراحت فلم يشعر
اخي الا والعبد الملعون اقبل ومعه السيف المجرد وقال لاخي قم ياملعون فقام اخي وتقدم
العبد امامه واخي وراءه ومد يده الى سيفه الذي تحت ثيابه وضرب به العبد فاطاح
راسه عن بدنه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى اين المملحة فجاءت الجارية ومعها
الطبق الذي فيه الملح فلما رات اخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها وضربها اطاح راسها
ثم نادى اين العجوز فجاءت فقال لها اتعرفينني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال
لها انا صاحب الدراهم التي جئت عندي وتوضأت عندي وصليت فيها واوقعتني هنا
فقالت اتق الله وتراجع في امري فلم يلتفت اليها وضربها حتى قطعها اربع قطع ثم خرج
في طلب الجارية فلما راته طار عقلها وقالت الامان فامنها فقال لها ما الذي اوقعك
عند هذا الاسود فقالت اني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه العجوز تتردد علي فانست
بها فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرح ما راى احد مثله وقد اشتهيت ان تنظري
اليه فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست احسن ثيابي ومصاغي واخذت معي صرة فيها
مائة دينار ومضيت معها حتى ادخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود
اخذني وانا على هذ الحال ثلث سنين بحيلة العجوز الملعونة فقال لها اخي هل له في هذه
الدار شئ فقالت عنده شئ كثير فان كنت تقدر على نقله فانقله واستخر الله فقام اخي ومشى معها
وفتحت له صناديق فيها اكياس فبقي اخي متحيرا فقالت له الجارية امض الان ودعني هنا و
هات من ينقل المال فخرج واكرى عشرة رجال وجاء الى الباب فوجد مفتوحا ولا راى الجارية
ولا الاكياس الا شيئا يسيرا غير القماش فعلم ان الجارية خدعته فعند ذلك اخذ المال

الذي بقي وفتح الخزائن واخذ ما فيها ولم يترك في الدار شيئا وبات مسرورا فلما اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا تعلقوا به وقالوا له ان الوالي يطلبك فاخذوه فتداخل اخي عليهم ليعبر الى بيته فلم يمهلوه بان يرجع الى بيته فوعدهم بجملة من الدراهم فابوا ثم ربطوه بحبل ربطا شديدا وراحوا به فوجدهم في الطريق واحد من اصحابه فتعلق اخي بذيله وتداخل عليه لكي يقف معه ويساعده على خلاصه من ايديهم فوقف الرجل وسالهم عن قصته فقالوا له ان الوالي قد حكم علينا بان نحضره بين يديه وها نحن ذاهبون به فالتمس لهم صاحب اخي بان يخلصوه ويعطيهم خمس مائة دينار وقال لهم اذا رجعتم الى الوالي فقولوا له ما لقيناه فاعرضوا عن كلامه واخذوه مسحوبا على وجهه حتى احضروه بين يدي الوالي فلما راى الوالي اخي قال له من اين لك هذا القماش و المال فقال اخي اريد الامان فاعطاه منديل الامان فحدثه بما جرى وما وقع له مع العجوز من الاول الى الاخر وهروب الجارية ثم قال للوالي والذي اخذته خذ منه ما شئت ودع لي ما اتقوت به فاخذ الوالي القماش والمال كله وخشي ان يبلغ الخبر الى السلطان فاحضر اخي وقال له اخرج من هذه المدينة والا اشنقك فقال السمع و الطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة سرا ورتبت له ما ياكل وما يشرب واما اخي السادس يا امير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فكان افتقر فخرج يوما يطلب شيئا يسد به رمقه فبينما هو في بعض الطرق اذا راى دارا حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وامر ونهي فسأل بعض من كان واقفا هناك فقال هي لانسان من اولاد البرامكة فتقدم اخي الى البوابين وسالهم شيئا فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبنا فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة فوصل الى دار في غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفي وسطها بستان ما راى مثلها وارضها مفروشة بالرخام وستورها معلقة فبقي اخي متحيرا لا يدري اين يقصد فمضى نحو صدر المكان فراى انسانا حسن الوجه واللحية فلما راى اخي قام له ورحب به وساله عن حاله فاخبره انه يحتاج فلما سمع كلام اخي اظهر له غما شديدا ومد يده الى ثيابه فخرقها وقال اكون انا ببلد وانت بها جائع لا صبر لي على ذلك ووعده بكل خير فقال له لابد ان تمالحني فقال اخي يا سيدي ليس لي صبر واني لشديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والابريق فقال له يا ضيفي تقدم واغسل يدك فقام اخي ليغسل يده فما راى طشتا ولا ابريقا

ثم انه اومى كانه يغسل يده ثم صاح قدموا المائدة فلم ير اخي شيئاً ثم قال لاخي تفضل
كل من هذا الطعام ولا تستحي واومى بيده كانه ياكل وصار الرجل يقول لاخي عجباً لقلة
اكلك لا تقصر في الاكل فاني اعلم ما انت عليه من الجوع فجعل اخي يومي كانه ياكل ويقول
لاخي كل وانظر الى حسن هذا الخبز وبياضه واخي لا يرى شيئاً ثم ان اخي قال في نفسه
هذا رجل يحب ان يهزؤ بالناس فقال له اخي يا سيدي عمري ما رايت احسن من بياضه
ولا الذ منه فقال هذا خبزته جارية لي اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا
غلام قدم الهريسة اول الطعام واكثر عليها الدهن ثم قال لاخي يا ضيفي بالله عليك هل رايت
اطيب من هذه الهريسة فبحياتي كل ولا تستحي ثم قال يا غلام قدم لنا السكباج الذي فيه
القطا المسمن ثم قال لاخي قم كل يا ضيفي فانك جائع ومحتاج لذلك فصار يحرك حنكه
ويمضغ واقبل الرجل يستدعي لوناً بعد لون ولا يحضر شيء الا هو يامر اخي بالاكل ثم صاح يا
غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق وقال لاخي وحياتك يا ضيفي هذه الفراريج قد
سمنت بالفستق فكل ما لا اكلت مثله قط فقال له اخي يا سيدي هذا اطيب واقبل يومي بيده
الى فم اخي كانه يلقمه وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي وهو جائع فاشتد جوعه
وهو بشهوة رغيف شعير ثم قال له هل رايت اطيب من ابازير هذه الاطعمة فقال اخي
لا يا سيدي فقال جود الاكل ولا تستحي فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل شيلوا
هذا وقدموا الحلاوات وقال له كل من هذا فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي
خذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلاب فقال اخي لاعدمتك يا سيدي واقبل اخي يساله عن
كثرة المسك الذي في القطائف فقال هذه عادتي يصنعون لي في كل قطيفة مثقالاً من
المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله واخي يحرك راسه وفمه ويلعب باشداقه فقال لاخي
كل من هذا اللوز ولا تستحي فقال له اخي يا سيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة اكل شيئاً
فقال يا ضيفي ان اردت ان تأكل وتتفرج فالله الله لا تكن جائعاً فقال له اخي يا سيدي
من ياكل من هذه الالوان كلها كيف يكون جائعاً ثم افتكر اخي في نفسه وقال لاعملن عملاً
اتوّبه عن هذه الفعال ثم قال الرجل قدموا لنا [illegible] يديهم في الهواء حتى
كانهم قدموا الشراب ثم ناوله القدح وقال خذ هذا القدح فان اعجبك فعرفني فقال
له يا سيدي انه طيب الرائحة لكنني تعودت بشرب النبيذ العتيق الذي له عشرون
سنة فقال له الرجل دق هذا الباب فانك لا تقدر تشرب منه شيئاً فقال يا سيدي من
احسانك واومى اخي بيده كانه يشربه فقال له هنيئاً وصحة ثم ان صاحب البيت اومى

وشرب ثم ناول اخي قدحا ثانيا فشربه واظهر انه سكر وغافله اخي ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه في رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية ثم قال الرجل ما هذا يا سفلة فقال يا سيدى عبدك انعمت عليه وادخلته منزلك واطعمته الزاد واسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك وانت اعلا من حمل جهله وعفو ذنبه فلما سمع كلام اخي ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لي زمانا طويلا اسخر بالناس واتماجن على الاصحاب فما رايت منهم من له طاقة وفطنة دخل معي في جميع اموري غيرك والآن فقد عفوت عنك فكن نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ابدا ثم امر باخراج عدة الوان الطعام المذكورة اولا فاكل هو واخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوارى كانهن الاقمار فغنين بجميع الالحان وجميع الملاهي ثم قاما وشربا حتى غلب عليهما السكر واستانس الرجل باخي حتى صار كانه اخوه واحبه محبة عظيمة وخلع عليه فلما اصبح الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض السلطان على ماله وما احتوى عليه اخي وصادره السلطان حتى خلاه فقيرا لا يقدر على شئ فخرج اخي هاربا على وجهه فلما توسط الطريق خرج عليه العرب فاسروه واتوا به الى حيهم وصار الذى اسره يعذبه ويقول له اشتر روحك مني بالاموال والا اقتلك فجعل اخي يبكي ويقول والله لا املك شيئا وانا اسيرك فافعل ما شئت فاخرج البدوي سكينا وقطع شفتي اخي وشدد عليه في المطالبة وكان له زوجة حسناء وكانت اذا خرج البدوي تتعرض لاخي وتراوده وهو يمتنع منها فلما كان يوما من الايام راودت اخي فقام ولاعبها واجلسها في حجره فبينما هو كذلك واذا بزوجها داخل عليها فلما نظر الى اخي قال له ويلك يا ملعون الآن تريد تفسد على زوجتي واخرج سكينا وقطع ذكره وحمله على جمل وطرحه فوق جبل وتركه فجاز عليه المسافرون فعرفوه فاطعموه واسقوه واعلموني بخبره فجئت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت ان ارجع قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة اخوة وانا اقوم بهم فلما سمع امير المؤمنين قصتي وما اخبرته به عن اخوتي ضحك وقال صدقت يا صامت انت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه البلدة واسكن غيرها ثم نفاني بالترسيم علي حتى دخلت البلاد وطفت الاقاليم الى ان سمعت بموته وخلافة غيره اتيت المدينة فوجدت اخوتي قد ماتوا ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه احسن الفعال ولولا انا لقتل وقد اتهمني

بشيء ما هو فيّ وهذا يا جماعة ما نقل عني من الفضول باطل وانا لاجل هذا الشاب طفت بلدانا كثيرة حتى وصلت الى هذه الارض وحصلته عندكم فهذا يا جماعة الخير ما هو من مروتي فقال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وكثرة كلامه وان المزين ظلم مع هذا الشاب اخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا نحن آمنين فاكلنا وشربنا وتمت الوليمة الى ان اذن العصر فخرجت وجئت منزلي فعبست زوجتي فقالت انت في حظك وانا محزونة ان لم تخرجني وتفرجني بقية النهار قطعت حبلي ويصير سبب فراقي منك فاخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ	فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ	وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ

فعزمت عليه وخرجت اشتري سمكاً مقلياً وجلسنا ناكل ثم ان زوجتي اطعمته لقمة وقطعة سمك وادخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت ورميته في بيت هذا الطبيب اليهودي وتحايل الطبيب ورماه في بيت الشاهد وتحايل الشاهد ورماه في طريق النصراني السمسار وهذه قصتي وما لاقيت البارحة فما هي باعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة هز رأسه طرباً وابدى عجباً وقال هذه القصة التي جرت بين هذا الشاب والمزين الفضولي انها لاطرب واحسن من قصة الاحدب الاكذب ثم ان الملك امر بعض حجابه ان امضوا مع الخياط واحضروا المزين من الحبس واسمع كلامه ويكون سبب خلاصكم انتم الجميع وندفن هذا الاحدب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملك الصين قال ايتوني بالمزين ويكون سبب خلاصكم وندفن هذا الاحدب فان له من امس ميت ونعمل له ضريحاً فما كان الاساعة والحاجب والخياط مضوا الى الحبس واخرجوا منه المزين وساروا به الى ان وقفوا بين يدي هذا الملك فلما رآه وتامله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية والحواجب مقرطم الاذان طويل الانف في نفسه بلهان فضحك من رؤيته الملك وقال له يا صامت اريد ان تحكي لي شيئاً من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان وما قصة هذا النصراني وهذا اليهودي وهذا المسلم

وهذا الاحدب الميت بينكم وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سوالك عن هذا فقال سوالي عنهم حتى يعلم الملك اني ما انا فضولي وانا بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام وانا الذي اسمي الصامت وان لي نصيبا من اسمي كما قال الشاعر

وقلّما ابصرتْ عيناك ذا لقبٍ	الّا ومعناه ان فتّشت في لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وماجرى له وقت العشاء وما حكى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى الشاهد وما حكى الخياط وليس في الاعادة افادة فحرك المزين راسه وقال والله ان هذا العجب عجيب اكشفوا لي عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه واخذ رأسه على حجره ونظر في وجهه وضحك حتى انقلب على قفاه وقال لكل موتة عجب وموتة هذا الاحدب يجب ان تورخ بماء الذهب فبهتت الجماعة من كلام المزين وتعجب الملك من كلامه وقال مالك يا صامت احك لنا فقال المزين يا ملك الزمان وحق نعمتك الاحدب الاكذب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه حرمدان وفتحه واخرج منه مكحلة فيها دهن ودهن به رقبة الاحدب وعروقها ثم اخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فطلع قطعة السمك بعظمها فلما طلع بها واذا هي مغموسة دما والاحدب عطس عطسة ثم نط ووقف على حيله وملس على وجهه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فتعجب الملك والحاضرون من الذي رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رايت اغرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمين يا جماعة العسكر عمركم رايتم احدا يموت ثم يحيى ولولا رزقه الله بهذا المزين فانه كان سببا لحياته لكان يموت فقالوا والله ان هذا لعجب عجيب ثم ان ملك الصين امر ان تورخ هذه القصة فارخوها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهودي والنصراني والشاهد كل واحد خلعة سنية وامرهم بالانصراف فانصرفوا ثم اقبل السلطان على الخياط وخلع عليه خلعة سنية وجعله خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا في الذ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا باعجب من قصة الوزيرين وانيس الجليس قال لها وكيف ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه

كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويحب الرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه شعر

مَلِكٌ إِذَا جَالَتْ عَلَيْهِ مَوَاكِبٌ	أَرْبَ الْعِدَاةِ بِكُلِّ غَضْبٍ أَنْثَرِي
وَيَخُطُّ خَطًّا فِي الصُّدُورِ إِذَا سَطَا	يَوْمًا تَرَاهُ عَلَى الْفَوَارِسِ مُفْتَرِي

وكان يقال له الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيرين احدهما يقال له المعين بن ساوى والثاني يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبته واجمعت الناس على مشورته والكل يدعون له بطول مدته لانه محض خير مزيل الشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوي يكره الناس ولا يحب الخير وكان محض سوء كما قيل فيه شعر

لُذْ بِالْكِرَامِ بَنِي الْكِرَامِ فَإِنَّمَا	تَلِدُ الْكِرَامُ بَنُوا الْكِرَامِ كِرَامًا
وَدَعِ اللِّئَامَ بَنِي اللِّئَامِ فَإِنَّمَا	تَلِدُ اللِّئَامُ بَنُوا اللِّئَامِ لِئَامًا

قال وكان الناس على قدر محبتهم للفضل بن خاقان على قدر بغضهم للمعين بن ساوى وبقدرة القادر ان الملك محمد بن سليمان الزيني يوما من الايام قاعد على كرسي مملكته وحوله ارباب دولته اذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له الملك اريد جارية لا يكون في زمنها احسن منها تكون كاملة في الجمال فائقة في الاعتدال حميدة الخصال فقالت ارباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة الاف دينار فعند ذلك زعق السلطان على خازندار وقال احمل عشرة الاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعد ما رسم له السلطان ان يعمد الى السوق كل يوم ويوصى السماسرة على ما ذكرناه وان لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضونها وكل جارية وقعت لهم لم تعجبها الوزير ففي يوم من الايام واذا بالسمسار اقبل الى دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا طالب المسير لقصر الملك فدق في ركابه وانشد يقول

يَا مَنْ أَعَادَ رُسُومَ الْمُلْكِ مَنْشُورًا	أَنْتَ الْوَزِيرُ الَّذِي لَا زِلْتَ مَسْرُورًا
أَحْيَيْتَ مَا مَاتَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ كَرَمٍ	لَا زَالَ سَعْيُكَ عِنْدَ اللهِ مَشْكُورًا

ثم قال يا سيدي ان الذي سبق به المرسوم الكريم بطلبه قد حضر فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة وحضر ومعه جارية رشيقة القد بارزة النهد بطرف كحيل و

خد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وثياب احسن ما يكون من الثياب ورضاب احلى من الجلاب وقوام اعدل من الغصون المائلة وكلام ارق من نسيم الاسحار كما قال فيها بعض واصفيها شعر

عَجِيبَةُ حُسْنٍ وَجْهُهَا بَدْرُ كَوْكَبِ	عَزِيزَةُ قَوْمٍ مِنْ زَيْنَبَ وَزَيْنَبِ
عَطَاهَا إِلٰهُ الْعَرْشِ عِزًّا وَرِفْعَةً	وَظَرْفًا وَمَعْنًى ثُمَّ قَدًّا مُقَضَّبِ
لَهَا فِي سَمَاءِ الْوَجْهِ سَبْعُ كَوَاكِبٍ	عَلَى الْخَدِّ حُرَّاسٌ عَلَى كُلِّ مَرْقَبِ
إِذَا رَامَ إِنْسَانٌ يُسَارِقُ نَظْرَةً	شَيَاطِينُ لَفْظٍ أَحْرَقَتْهُ بِكَوْكَبِ

فلما راها الوزير اعجبته غاية العجب ثم التفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة الاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة الاف دينار لم تجئ ثمن الفراريج التي اكلتها ولا الشرب ولا الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالالات المطربة فقال الوزير علي بسيدها فاحضره في الوقت والساعة فاذا هو رجل عجمي قد ابقى ما ابقى وعاركه الدهر واستبقى كما قال الشاعر شعر

ارعشني الدَّهْرُ أَيَّ رَعْشٍ	وَالدَّهْرُ ذُو قُوَّةٍ وَبَطْشٍ
قَدْ كُنْتُ أَمْشِي وَلَسْتُ أَعْيَى	وَالْيَوْمَ أَعْيَى وَلَسْتُ أَمْشِي

فقال له الوزير ارضيت ان تاخذ في هذه الجارية عشرة الاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي والله لقد قدمتها للسلطان بلا شيء كان واجبا علي فعند ذلك امر الوزير باحضار الاموال فاحضرت فوزنت للعجمي واقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير اتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال ان الراي عندي ان لا تطلع بهذه الجارية للسلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهوى ودعكها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة ايام لما ترد الى حالها ثم ادخلها الحمام والبسها احسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتامل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فاتى بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على ذلك وكان الوزير الفضل بن خاقان ولد كانه البدر اذا بدر بوجه اقمر وخد احمر عليه خال كنقطة عنبر بعذار اخضر كما قال فيه الشاعر ولا قصر شعر

قَمَرٌ يُفَتِّنُكَ بِاللَّوَاحِظِ إِنْ رَنَا	غُصْنٌ يُفَتِّتُ بِالْقَوَامِ إِذَا انْثَنَى

زِنْجِيُّ الذَّوَائِبِ عَنْبَرِيُّ لَوْنُهُ	حُلْوُ الشَّمَائِلِ قَدُّهُ يَحْكِي الْقَنَا
يَا قَلْبَهُ الْقَاسِي وَرِقَّةَ خَصْرِهِ	هَلَّا نَقَلْتَ إِلَى هُنَا مِنْ هَهُنَا
لَوْ كَانَ رِقَّةُ خَصْرِهِ فِي قَلْبِهِ	مَا جَارَ قَطُّ عَلَى الْمُحِبِّ وَلَا جَنَا
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهِ كُنْ عَاذِرِي	مَنْ لِي بِجِسْمٍ قَدْ تَمَلَّكَهُ الضَّنَى
مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلْفُؤَادِ وَنَاظِرِي	فَدَعِ الْمَلَامَ وَخَلِّنِي فِي ذَا الْعَنَا

وكان الصبي ماعرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها وقال لها يابنتي اعلمي اني ما اشتريتك الاسرّيّة للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلّى بصبية في الحارة الا فعل بها فاجعلي بالك منه واحذري ان تريه وجهك اوتسمعيه كلامك فقالت له الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف فاتفق بالامر المقدر ان الجارية في يوم من الايام دخلت الحمام الذي في المنزل وقد غسلها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على الست زوجة الوزير فباست يدها فقالت لها نعيم يا انيس الجليس ايش حسن هذا الحمام فقالت ياستي ماكنت محتاجة الا لحضورك فيه فعند ذلك قالت الست للجواري قوموا بنا الى الحمام قالوا سمعا وطاعة ونهض والست بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التي فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لاتمكنا احدا يدخل للجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة بالمقصورة واذا بابن الوزير الذي هو نور الدين علي قد دخل وسأل عن امه وعن العائلة فقالت له الجاريتان دخلن الحمام وقد سمعت الجاريه انيس الجليس كلام نور الدين علي ابن الوزير وهي من داخل المقصورة فقالت في نفسها ياترى ماشان هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه انه ما خلّى بصبية في الحارة الا فعل بها والله اني اشتهي ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهي من اثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى نور الدين علي فاذا هو صبي كالبدر في تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبي التفاتة فنظر الصبي اليها نظرة اورثته الف حسرة ووقع كل منهما في شرك هوى الاخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد تنظرانه وتنظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التي اشتراك ابي لي فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان في حال السكر واخذ رجليها وعملها في وسطه وهي شبكت يديها في عنقه واستقبلته ببوس وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه

وازال بكارتها فلما راى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وعيطتا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرج هاربا وللنجاة طالبا وفر من الخوف عقب الفعل الذي فعله فلما سمعت الست عياط الجاريتين نهضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ايش هذا العياط الذي في الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين كانت اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأتاها قالتا ان سيدي نور الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على انيس الجليس وعانقها وما ندري ايش عمل بعد ذلك فلما صيحنا عليك هرب فعند ذلك تقدمت الست الى انيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت يا سيدتي انا قاعدة واذا بصبي جميل دخل علي وقال لي انت الذي اشتراك ابي لي فقلت نعم والله يا سيدتي اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك اتى عندي وعانقني فقالت الست كلمك شيئا بشيء غير ذلك قالت نعم واخذ مني ثلث بوسات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هي والجواري خوفا على نور الدين ان يذبحه ابوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسال عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فاعادت عليه ما فعله ولده فحزن وخرق ثيابه ولطم وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك انا اعطيك من مالي عشرة الاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك انا ما لي حاجة بثمنها ولكن خوفي ان تروح روحي ومالي فقالت له يا سيدي وكيف ذلك قال لها اما تعلمين ان وراءنا هذا العدو والذي يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته اما تعلمين ان وراءنا هذا العدو والذي يقال له المعين ابن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وزيرك الذي تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة الاف دينار واشترى بها جارية ما راى احد مثلها فلما اعجبته قال لابنه خذها انت احق بها من السلطان فاخذها وازال بكارتها وها هي الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول هو للملك عن اذنك اهجم عليه واتيك بها فيرسم له بذلك فيكبس الدار وياخذ الجارية ويحضرها للسلطان ثم يسالها فما تقدر تنكر فيقول له يا سيدي تعلم اني ناصح لك ولكن ما لي عندكم حظ فيمثل به السلطان والناس كلهم يتفرجون علي فتروح روحي فقالت له زوجته

لا تعلم احدا وهذا الامر حصل خفية وسلم امرك الى الله في هذه القضية فعند ذلك سـ
قلب الوزير هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر نور الدين علي فخاف
عاقبة الامر فبقي طول نهاره في البساتين ويأتي آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم
قبل الصبح ويروح الى البستان ولم يزل كذلك شهرا لا يرى وجهه لابيه فقالت ام
لابيه يا سيدي هل نعدم الجارية ونعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج
منا قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح انت
واياه واعطه الجارية فهي تحبه وهو يحبها وانا اعطيك ثمنها فصبر الوزير الى الليل
فلما اتى ولده امسكه واراد نحره فادركته امه وقالت له ايش تريد تفعل معه فقال لها
اذبحه فقال الولد لابيه هل اهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له يا ولدي
كيف هان عليك ذهاب مالي وروحي فقال الصبي اسمع يا والدي ما قال الشاعر

هَبْنِي جَنَيْتُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ النُّهَى	يَهَبُونَ لِلْجَانِي سَمَاحًا شَامِلًا
مَاذَا عَسَى يَرْجُو عَدُوُّكَ وَهُوَ فِي	دَرْكِ الْحَضِيضِ وَأَنْتَ أَعْلَى مَنْزِلًا

قال فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده فقال يا ولدي عفوت عنك وحن
قلبه وقام الصبي وقبل يد والده فقال يا ولدي لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت
وهبتها لك فقال يا والدي كيف لا انصفها قال له اوصيك يا ولدي انك لا تتزوج عليها
ولا تضارها ولا تبيعها فقال له يا والدي انا احلف لك اني لا اتزوج عليها ولا ابيعها
فحلف على ذلك ودخل على الجارية فاقام معها سنة وانسى الله تعالى
الملك قصة الجارية واما المعين بن ساوى فبلغه الخبر لكنه لم يقدر يتكلم لمنزلة الوزير
عند السلطان فلما مضت السنة عبر الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج
وهو عرقان فضربه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند
ذلك نادى ولده نور الدين علي فحضر فقال له يا ولدي اعلم ان الرزق مقسوم و
الاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس الممات ثم انه انشد يقول شعر

أَنَا مَيِّتٌ فَجَلَّ مَنْ لَا يَمُوتُ	وَتَحَقَّقْتُ إِنَّنِي سَأَمُوتُ
لَيْسَ مَلِكًا يَمُوتُ بِيَدِهِ مُلْكٌ	إِنَّمَا الْمُلْكُ مُلْكُ مَنْ لَا يَمُوتُ

ثم قال يا ولدي ما لي عندك وصية الا تقوى الله والنظر في العواقب والوصية
بالجارية انيس الجليس فقال له يا ابت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير
والدعاء على المنابر فقال له يا ولدي ارجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين

فكتب من اهل السعادة فعند ذلك انقلب القصر بالعياط واتصل الخبر بالسلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكى عليه الصبيان في مكاتبها ونهض ولده نور الدين علي وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة وكان فيمن حضر الجنازة الوزير المعين ابن ساوى وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار شعر

يَوْمَ الْخَمِيسِ لَقَدْ فَارَقْتُ أَحْبَابِي	وَغَسَّلُونِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْبَابِ
وَجَرَّدُونِي ثِيَابًا كُنْتُ لَابِسَهَا	وَأَلْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَثْوَابِي
وَحَمَلُونِي عَلَى أَعْنَاقِ أَرْبَعَةٍ	إِلَى الْمُصَلَّى وَبَعْضُ النَّاسِ صَلَّى بِي
صَلَّوْا عَلَيَّ صَلَاةً لَا سُجُودَ لَهَا	صَلَّى عَلَيَّ جَمِيعُ النَّاسِ أَصْحَابِي
وَشَيَّعُونِي إِلَى دَارٍ مُقَنْطَرَةٍ	يَفْنَى الزَّمَانُ وَلَا يُفْتَحْ لَهَا بَابِي

ولما واراه التراب ورجعت الاهل والاصحاب رجع نور الدين وقد انتحب من البكاء ولسان الحال يقول هذه الابيات

هُمْ رَحَلُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ عَشِيَّةً	فَوَدَّعْتُهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَوَدَّعُوا
فَلَمَّا تَوَلَّوْا رَاحَتِ النَّفْسُ مَعَهُمْ	فَقُلْتُ ارْجِعِي قَالَتْ إِلَى أَيْنَ أَرْجِعُ
إِلَى جَسَدٍ مَا فِيهِ رُوحٌ وَلَا دَمٌ	وَمَا فِيهِ إِلَّا أَعْظُمٌ تَتَقَعْقَعُ
وَعَيْنَايَ قَدْ أَعْمَاهُمَا شِدَّةُ الْبُكَا	وَأُذْنِي غَدَتْ صَمَّاءَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ

قال ثم مكث شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو ذات يوم من الايام جالس في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض نور الدين علي وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه قد دخل فقبل يد نور الدين وقال ياسيدي من خلف مثلك ما مات وهذا مصير سيد الاولين والاخرين ياسيدي طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض نور الدين الى القاعة التي للجلوس ونقل اليها ما يحتاجه واجتمع عليه اصحابه واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك جاء له وكيله وقال له ياسيدي نور الدين اما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولم يشعر والشاعر يقول

أَصُونُ دَرَاهِمِي وَأَذُبُّ عَنْهَا	لِعِلْمِي أَنَّهَا سَيْفِي وَتُرْسِي
أَبَذِّلُهَا إِلَى أَعْدَى الْأَعَادِي	وَأُبْدِلُ فِي الْوَرَى سَعْدِي بِنَحْسِي

فَاَكُلُهَا وَاَشْرِبُهَا هَنِيئًا	وَلَا اَسْخُو اِلَى اَحَدٍ بِفَلْسِ
وَاَحْفَظُ دِرْهَمِي عَنْ كُلِّ شَخْصٍ	لَئِيمِ الطَّبْعِ لَا يَصْفُو لِاُنْسِي
اَحَبُّ اِلَيَّ مِنْ قَوْلِي لِنَذْلٍ	اَنِلْنِي دِرْهَمًا لِغَدٍ بِخَمْسِ
فَيُعْرِضُ وَجْهَهُ وَيَصُدُّ عَنِّي	فَتَبْقَى مِثْلَ نَفْسِ الْكَلْبِ نَفْسِي
فَيَا ذُلَّ الرِّجَالِ بِغَيْرِ مَالٍ	وَلَوْ كَانَتْ فَضَائِلُهُمْ كَشَمْسِ

ثم قال يا سيدي هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع نور الدين علي من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا اسمع منه ولا كلمة فاني سمعت الشاعر يقول شعر

اِذَا مَا مَلَكْتُ الْمَالَ كَفِّي وَلَمْ اَجُدْ	فَلَا سَلِمَتْ كَفِّي وَلَا نَهَضَتْ رِجْلِي
فَهَاتُوا بَخِيلًا نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ	وَهَاتُوا اَرُونِي بَاذِلًا مَاتَ بِالْبَذْلِ

ثم قال اعلم ايها الوكيل اني اريد اذا فضل عندك قدر غدائي ان لا تحملني هم عشائي فولى من عنده الوكيل الى حال سبيله واقبل نور الدين علي على اللذات في اطيب عيش وما هو فيه وكل من يقول له من ندمائه هذا الشئ مليح يقول هو لك هبة و يقول الآخر يا سيدي الدار الفلانية مليحة يقول هي هبة لك ولم يزل نور الدين يعمل لهم اول النهار رمقا ما وفي آخر النهار رمقا ما الى ان مكث سنة على هذا الحال وبعد السنة فبينما هو قاعد واذا بالجارية انيس الجليس تنشد شعر

اَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالْاَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ	وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا	وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

فلما فرغت من شعرها واذا بالباب يطرق فقام نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب وجد وكيله فقال له نور الدين علي ما الخبر فقال له يا سيدي الذي كنت اخاف عليك منه قد وقع قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقي تحت يدي شئ يساوي درهما ولا اقل ولا اكثر وهذه الدفاتر موجودة بالمصروف الذي صرفته و دفاتر اصل مالك فلما سمع نور الدين علي هذا الكلام اطرق براسه الى الارض وقال لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذي تبعه خفية خرج ليتسلل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم انظروا ايش تعملون فان نور الدين علي فلس فلما رجع اليهم علي نور الدين تبين لهم الغم في وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى نور الدين علي وقال له يا سيدي عسى ان تاذن لي بالانصراف فقال نور الدين

علي لماذا الانصراف اليوم فقال ان زوجتي تلد ولا يمكنني ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له ونهض اخر وقال له يا سيدي نور الدين اريد اليوم ان احضر عند اخي فانه يطاهر ولده وكل واحد صار يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقي نور الدين علي وحده فعند ذلك دعى جاريته وقال لها يا انيس الجليس ما تنظرين ما حل بي وحكى لها ما قال له الوكيل فقالت يا سيدي من منذ ليالي هممت ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد وتقول شعر

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا	عَلَى النَّاسِ طُرًّا قَبْلَ أَنْ تَتَفَلَّتِ
فَلَا الْجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ	وَلَا الشُّحُّ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ وَلَّتِ

فلما سمعتك تنشد هذه الابيات سكت ولم ابد لك خطابا فقال لها نور الدين علي يا انيس الجليس انت تعرفين اني ما اوهبت مالي الا على اصحابي وهم خلوني بلا شيء واظنهم لا يتركونني من غير مواساة فقالت له انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نور الدين فانا في هذه الساعة اقوم واروح لهم واطرق ابوابهم لعل ان يحصل لي منهم شيء فاجعله في يدي رأس مال واتاجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ولا زال سائرا حتى اقبل على الزقاق الذي فيه اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين في ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من انت فقال لها قولي لسيدك نور الدين علي واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل يديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فزعق عليها وقال لها ارجعي وقولي له ما هو هنا فرجعت الجارية الى نور الدين وقالت له يا سيدي ان سيدي ما هو هنا فتوجه نور الدين وقال في نفسه ان كان هذا ولد زنا وانكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى باب الثاني وقال كما قال اولا فانكر نفسه الاخر فعند ذلك انشد يقول شعر

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا وَقَفْتَ بِبَابِهِمْ	مَنُّوا عَلَيْكَ بِالْحُمْرِ وَشُوَاءِ

فلما فرغ من شعره قال والله لا بد ان امتحنهم كلهم لعل يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فما منهم من فتح الباب ولا اراه نفسه ولا كسر في وجهه رغيفا فانشد يقول

اَلْمَرْءُ فِي زَمَنِ الْإِقْبَالِ كَالشَّجَرَةْ	وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَا دَامَتِ الثَّمَرَةْ
حَتَّى إِذَا رَاحَ عَنْهَا حِمْلُهَا رَحَلُوا	وَخَلَّفُوهَا تُقَاسِي الْحَرَّ وَالْغُبَرَةْ

تَبًّا لِأَبْنَاءِ هٰذَا الدَّهْرِ كُلِّهِمِ | حَتَّى وَلَا وَاحِدٌ يَصْفُو مِنَ الْعَشَرَةْ

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له يا سيدي انا ما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله ما فيهم من اراني وجهه ولا فيهم احد يعرف بي فقالت له يا سيدي بع من اثاث البيت وانفقه الى ان يدبر الله تعالى وانفق اولا باول فباع الى ان باع جميع ما في البيت وما بقى عنده شيء فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له يا سيدي عندي من الراي ان تقوم الساعة وتنزل بي الى السوق وتبيعني وانت تعلم ان والدك كان اشتراني بعشرة الاف دينار فلعل الله ان يفتح عليك بقريب من هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس والله ما يهون علي فراقك ساعة واحدة فقالت له والله يا سيدي ولا انا لكن للضرورة احكام كما قال الشاعر

تُلْجِي الضَّرُورَاتُ فِي الْأُمُورِ إِلَى | سُلُوكِ مَا لَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ
مَا حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَى سَبَبٍ | إِلَّا لِأَمْرٍ يَلِيقُ بِالسَّبَبِ

فعند ذلك نهض على قدميه واخذ انيس الجليس ودموعه تسيل على خده كالمطر ثم انشد بلسان الحال وقال شعرا

قِفُوا زَوِّدُونِي نَظْرَةً قَبْلَ بَيْنِكُمْ | أُعَلِّلُ قَلْبًا كَادَ بِالْبَيْنِ يَتْلَفُ
فَإِنْ كُنْتُمُو تَلْقَوْنَ فِي ذَاكَ كُلْفَةً | دَعُونِي أَمُتْ وَجْدًا وَلَا تَتَكَلَّفُوا

ثم مضى ونزل بها الى السوق وسلمها للدلال وقال له يا حاج حسن اعرف قدر ما تنادي عليه فقال الدلال يا سيدي نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له هذه ما هي انيس الجليس التي كانت اشتراها والدك مني بعشرة الاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم ما اجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر اجناس الجواري من تركية وافرنجية وشركسية وحبشية ونوبية وتكرورية ورومية وتترية وجرجية وغير ذلك فلما نظر الدلال الى السوق قد امتلأ نهض قائما وقال يا تجار يا ارباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة يا تجار معي هذه الدرة اليتيمة التي ما لها قيمة كم انادي عليها فقال واحد من التجار نادي باربعة الاف دينار وخمسمائة ففتح بابها المنادي باربعة الاف دينار وخمسمائة وهو يقول هذا الكلام واذا بالوزير المعين بن ساوي في السوق عابر فنظر الى نور الدين علي واقفا في طرف السوق فقال في نفسه ما بال ابن خاقان

واقفا ههنا ابقي مع هذا العلق شئ يشتري به الجواري ثم نظر بعينه فسمع المنادي وهو واقف ينادي في السوق والتجار حوله فقال الوزير في نفسه ما اظنه الا افلس ونزل بالجارية انيس الجليس ليبيعها ثم قال في نفسه يا برد ها على قلبي ثم دعا المنادي فاقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال اني اريد هذه الجارية التي تنادي عليها فما امكنه المخالفة فقال له يا سيدي بسم الله ثم تقدم الجارية واعرضها عليه فاعجبته فقال له ياحسن كم معك في هذه الجارية فقال له اربعة الاف وخمسمائة دينار فتح الباب قال المعين علي اربعة الاف وخمسمائة دينار فلما سمع التجار ذلك ما قدر واحد منهم ان يزود درهما بل تاخروا لما يعلمون من ظلم الوزير ثم نظر المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ايش وقوفك رح وشاور على باربعة الاف دينار ولك خمسمائة دينار فتقدم الدلال الى نور الدين وقال له ياسيدي راحت الجارية عليك بلاشئ فقال له وكيف قال له نحن فتحنا بابها اربعة الاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى وشق السوق فلما نظر الى الجارية اعجبته وقال لي شاور على باربعة الاف ولك خمسمائة وما اظنه الا عرف ان الجارية لك وان كان في هذه الساعة يعطيك ثمنها يكون مليحا وانا اعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عماله ثم يرسل خلفك احدا ويقول لهم لا تعطوه شيئا فكلما رحت تطالبهم يقولون الساعة نعطيك ويعملون هذا الامر معك يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يضجوا من طلبك لهم يقولون ارنا الورقة فاذا اخذوا الورقة منك قطعوها ويروح منك ثمن الجارية فلما سمع نور الدين على من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون هذا العمل فقال له انا اشور عليك بمشورة فان قبلت مني كان لك الحظ الاوفر قال وما هي قال تجئ هذه الساعة الى عندي وانا واقف وسط السوق وتاخذ الجارية من يدي وتلطمها وتقول لها ياكورة فديت يميني الذي حلفته ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لابد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تنطلق عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الى السوق الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء وسط السوق ومسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يامولاي هذا مالكها قد اقبل ثم جاء نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك ياكورة نزلت بك السوق لاجل ابرار يميني روحي الى البيت ولا تعودي تخالفيني ويلك انا محتاج الى ثمنك حتى ابيعك انا لو بعت اثاث البيت جاء قدر ثمنك مرارا عديدة

فلما نظر المعين ابن ساوى الى نور الدين قال له ويلك هل بقي عندك شيء يباع او يشتري ثم ان المعين بن ساوى اراد ان يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم اشاروا كلهم الى نور الدين بعين الاشارة افصل منه وقالوا ما احد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم نور الدين الى الوزير ابن ساوى وكان نور الدين شجاعا وجذب الوزير من فوق سرجه ورماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير في وسطها وجعل يلطمه ويلكمه فجاءت لكمة على اسنانه فاختضبت لحية الوزير بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما راوا سيدهم فعل به هذه الفعال وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم وارادوا ان يجردوها ويهجموا على نور الدين على ليقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا وتكونوا انتم مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا اقبح الموتات ومن الراى ان لا تدخلوا بينهما فلما فرغ نور الدين علي من ضرب الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره واما الوزير فمضى من ساعته وبقي قماشه ثلاثة الوان طين اسود ودم احمر ورماد فلما راى نفسه على هذه الحالة اخذ برشا وجعله في رقبته واخذ في يده عقدتين من خلفه سار الى ان وقف تحت القصر الذي فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم مظلوم فاحضروه بين يديه فتامله واذا به الوزير الكبير فقال له يا وزير من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وانشد يقول شعر

أَيَظْلِمُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ فِيهِ ... وَتَأْكُلُنِي الذِّئَابُ وَأَنْتَ لَيْثُ
وَيُرْوَى مِنْ حِيَاضِكَ كُلُّ ظَامٍ ... وَأَظْمَأُ فِي حِمَاكَ وَأَنْتَ غَيْثُ

ثم قال يا سيدي كل من كان يحبك ويخدمك يجري عليه هكذا فقال له السلطان ولك عجل وقل لي كيف جرى لك هذا ومن فعل بك هذه الفعال وانت حرمتك من حرمتي فقال الوزير اعلم يا سيدي اني خرجت اليوم الى سوق الجواري على اني اشتري جارية طباخة فرايت في السوق جارية ما رايت احسن طول عمري مثلها فاردت اشتريها لمولانا السلطان فسالت عنها الدلال وعن سيدها فقال الدلال انها لعلي بن الفضل بن خاقان وكان مولانا السلطان اعطى سابقا لابيه عشرة آلاف دينار ليشتري بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فبخل بها على مولانا السلطان فاعطاها لولده فلما مات ابوه باع ابنه جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاواني حتى

افلس فنزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها وسلمها للدلال فنادى عليها وتزايدت التجار فيها حتى وصلت ثمنها اربعة آلاف دينار فقلت لعقلي اشتري هذه لمولانا السلطان فان ثمنها في الاصل كان من عنده فقلت يا ولدي خذ ثمنها مني اربعة آلاف دينار فلما سمع كلامي نظر الي وقال يا شيخ النحس انا ابيعها لليهود والنصارى ولا ابيعها لك فقلت انا ما اشتريها لنفسي وانما اشتريها لمولانا السلطان الذي هو ولي نعمتنا فلما سمع مني هذا الكلام اغتاظ وجذبني ورماني عن الجواد وانا شيخ كبير وضربني بيده ولكمني حتى تركني كما تراني وانا ما اوقعني في هذا كله الا اني جئت اشتري هذه الجارية لك ثم ان الوزير ارمى نفسه على الارض وجعل يبكي ويرتعد فلما نظر السلطان الى حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى ارباب الدولة واذا باربعين رجل ضاربين سيوفا وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا الساعة الى دار علي بن خاقان وانهبوها واهدموها وائتوني به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما واتوا بهما بين يدي فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم لبسوا العدد ونزلوا وعولوا على المسير الى دار علي نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان اولا من مماليك الفضل بن خاقان والد علي نور الدين ثم انتقلت منزلته الى ان عمله السلطان حاجبا عنده فلما سمع مرسوم السلطان وراى الاعداء تجهزوا الى قتل ابن سيده ما هان عليه فغاب من قدام السلطان وركب جواده وسار الى ان جاء الى بيت نور الدين علي فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما راه عرفه فقال يا سيدي ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

وَنَفْسَكَ فُزْ بِهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا	وَخَلِّ الدَّارَ تَنْعِي مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ	وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا

فقال نور الدين يا علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك انت والجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما في يده قتلكما وقد سير لكما السلطان اربعين ضاربا بالسيف والراي عندي ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى صولقه فوجد فيه اربعين دينارا فاخذهم واعطاهم الى نور الدين وقال له يا سيدي خذ هذه وسافر بهم ولو كان معي اكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتخبلت يديها ثم خرج الاثنان في الوقت الى ظاهر المدينة واسبل الله عليهما ستره ومشيا

الى

الى ساحل البحر فوجد امركبا تجهزت للسفر والرئيس واقف في وسط المركب يقول من بقي لهحاجة من زاده اومن وداع اهله اومن نسي حاجة فليات بها فاننا متوجهون فقال كلهم لم يبق لنا شغل يا رئيس فعند ذلك قال الرئيس لجماعته هيا حلوا الاطراف واقلعوا الاوتاد فقال نور الدين علي الى اين يا رئيس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرئيس لما قال لعلي نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد فطلع نور الدين علي وطلعت الجارية معه وعوموا وارخوا القلوع فخرجت المركب كانها طير بجناحيه كما قال فيه بعضهم واحسن شعر

أُنْظُرْ إِلَى مَرْكَبٍ يُسْبِيكَ مَنْظَرُهُ	تُسَابِقُ الرِّيحَ فِي سَيْرٍ وَمَجْرَاءِ
كَأَنَّهُ طَائِرٌ قَدْ مَدَّ أَجْنِحَةً	أَتَى مِنَ الْجَوِّ مُنْقَضًّا عَلَى الْمَاءِ

قال فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء واما ما جرى للمماليك فانهم جاؤا على بيت الوزير نور الدين علي فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال السلطان اطلبوهما من اى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته وكان خلع عليه السلطان خلعة واطمأن قلبه وقال له السلطان ما ياخذ بثارك الا انا فدعى له بطول العمر والبقاء ثم ان السلطان امران ينادي في المدينة يا معاشر الناس كافة قد امر مولانا السلطان ان من عثر بعلي نور الدين ابن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة واعطاه الف دينار ومن اخفاه اوعرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجري له من النكال فوقع الطلب على نور الدين علي فما وجد له حس ولا خبر فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الرئيس هذه بغداد وهي مدينة امينة قد ولى عنها الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بورده وازهرت اشجارها وجرت انهارها فعند ذلك طلع نور الدين علي وجاريته من المركب واعطى للرئيس خمسة دنانير وطلعا من المركب وسارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاءا الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمساطب طولانية وقوادیس معلقة ملانة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفي صدر الزقاق باب بستان الا انه

مغلوق فقال نور الدين على الجارية والله ان هذا المحل مليح فقالت يا سيدي اقعد بنا ساعة
على هذه المساطب ناخذ لنا راحة فطلعا وجلسا على المساطب ثم غسلا وجوههما وايديهما
وضربهما الهواء فناما جلّ من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وفيه
قصر يقال له قصر الفرجة والتماثيل وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة اذا
ضاق صدره ياتي الى هذا البستان والقصر ويقعد فيه وكان القصر له ثمانون
شبّاكا ومعلق فيها ثمانون قنديلا وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله
الخليفة امر الجواري ان تفتح الشبابيك وامر باسحاق بن ابراهيم النديم والجواري ان
يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم
وكان اذا خرج يقضي حاجته يجد المتفرجين معهم القحاب فيغضب غضبا شديدا فصبر
الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة اي من
اصبته على باب البستان افعل معه ما اردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم
الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار
واحد فقال والله طيب هؤلاء ما عرفا ان الخليفة اعطاني اذن ومرسوما ان كل من
لقيته هنا اقتله ولكن انا اضرب هذين ضربا شنيعا حتى لا يتقرب احد من باب البستان
وقطع جريدة خضراء وخرج الى عندهما وشال يده حتى بان عن بياض ابطه واراد
ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد
يكونان غريبين او من ابناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما
وانظر اليهما فشال الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما
فغطى وجوههما وتقدم لرجل نور الدين علي وجعل يكبسها ففتح عينه فوجد عند
رجليه شيخا كبيرا عليه هيبة ووقار فاستحى نور الدين علي ولمّ رجليه وقعد على حيله
واخذ يد الشيخ ابراهيم وباسها فقال الشيخ له يا ولدي انت من اين فقال يا سيدي
نحن غرباء وفرت الدمعة من عينيه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اوصى على اكرام الغريب ثم قال له يا ولدي ما تقوم تعبر الى البستان
وتتفرج فيه وينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمن قال
يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام
الا ان يطمئنا ويعبرا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته
والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان واي بستان بابه مقنطر كانه

ايوان عليه كروم وأعناب مختلفة الالوان الاحمر كانه ياقوت والاسود كانه ابنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا وغير صنوان والاطيار على الاغصان تغرد بالالحان والهزار يرجع الافنان والقمري قد ملأ بصوته المكان والشحرور في تغريده كانه انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد كملت الاثمار من كل مأكول ومن كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي وخراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تقمع صفر الاسنان والتين قد فرق احمره وابيضه لونان والزهر كانه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت علق عليه بالليل لنيران والآس والمنثور والخزام مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كانه اكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان واقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر في خرير والطير في هدير والريح في صفير لاعتدال الزمان ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فنظروا الى حسن تلك القاعة وتلك الشموع المذكورة التي في تلك الشبابيك فتذكر نور الدين المقامات التي مضت له فقال والله ان هذا مقام مليح ثم انهما جلسا فقدم لهما الشيخ ابراهيم اكلا فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وتقدم نور الدين الى شباك من تلك الشبابيك وزعق على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له يا شيخ ابراهيم ما عندك شيء من الشراب لان الناس يشربون بعد ان ياكلوا فاتاه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد عذب فقال له يا شيخ ابراهيم ما هذا الشراب الذي اريد فقال له لعلك تريد الخمرة فقال له نور الدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وبائعه ومبتاعه فقال له نور الدين اسمع مني كلمتين قال له قل فقال هذا الحمار الملعون اذا لعن هل يصيبك من لعنته شيء قال لا قال خذ هذا الدينار وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف الى بعيد واي من وجدته يشتري فنادِ عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشتر لي بهذا الدينار خمرا واحمله على الحمار ولا تكن انت حملته ولا اشتريته ولا اصابك منه شيء فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله يا ولدي ما رايت اظرف منك ولا احلى من كلامك ثم ان الشيخ ابراهيم فعل ما قاله نور الدين فشكره على ذلك وقال له نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة تحضر لنا ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم

يا ولدي هذا اكراري قد امك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ماشئت فان فيه فوق ما تريد فدخل نور الدين الحاصل فراى فيه اواني من الذهب و الفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فاخرجها ورصها وسكب الخمرة فى البواطي والقناني وفرح بما راى واندهش واتى لهما الشيخ ابراهيم بالفاكهة والمشموم ثم ان الشيخ راح وقعد بعيدا عنهما فشربا وانبسطا وقد تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسبلت شعورهما وتبدلت الوانهما فقال الشيخ ابراهيم مالي انا قاعد بعيدا ومالي لا اقعد عندهما واي وقت التقي في حضرتي مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد في طرف الايوان فقال له نور الدين علي ياسيدي بحياتي عليك تقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم اليهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تنظر ايش طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لي ثلثة عشر سنة ما فعلت شيئا من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى روحه على الارض واظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس وقالت له ياشيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معي قال لها ياستي ماله قالت دائما يعمل معي هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى انا وحدي ما التقي لي نديما ينادمني على قدحي ولا من اغني له على قدحه فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه ومالت نفسه من كلامها اليها وقال والله ما هذا طيب ثم ان الجارية ملات قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتي الا ما اخذته وشربته ولا ترده واجبر قلبي فمد الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربه وملات له ثانيا وجعله على الشمعة وقالت له ياسيدي بقي لك هذا فقال لها والله لا اقدر ان اشربه يكفيني الذي شربته فقالت له والله لابد منه فاخذ القدح وشربه ثم اعطته الثالث فاخذه واراد ان يشربه واذا بنور الدين هم وقعد على حيله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين علي قام وقعد على حيله فقال له ياشيخ ابراهيم ايش هذا انا ما حلفت عليك من ساعة فابيت وقلت انا لي ثلثة عشر سنة ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحيى والله مالي ذنب الا هي قالت لي فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا فيما بينهما ياسيدي اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملا وتسقي سيدها وسيدها

يملا ويسقيها ولم يزلا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما ايش هذه المعاشرة لعن الله من فيها بطنا في دورنا ماتسقيني يا اخي ايش هذا الحال يا مبارك فضحكا من كلامه حتى استلقيا على ظهورهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا في المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومي ولا توقدي الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت الثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ ابراهيم وانا ايش قسمي عندك اما تخليني اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم واوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل انت الاخر فقام وابتدأ من اولها الى ان اوقد الثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر انتما اجرع مني ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس وايا هما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وقد ارتج بهم المكان فقدر الله القادر على كل شيء وجعل لكل شيء له سببا ان الخليفة في تلك الساعة تفقد ونظر الى الشبابيك التي في ناحية الدجلة في ضوء القمر فنظر ضوء القناديل والشموع في البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة فراى قصر البستان يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال علي بجعفر البرمكي فما كان الا وقد حضر بين يدي امير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء اتاخذ مني مدينة بغداد ولا تعلمني فقال له جعفر ايش هذا الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت مني ما كان قصر التماثيل يتوقد بالقناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذي يستجري يفعل هذه الفعال الا ان تكون اخذت الخلافة مني فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن اخبرك بان قصر التماثيل موقود وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندي وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر يشتعل بالمصابيح في حندس الظلام فاراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولي ربما يكون هذا الامر باذنه لما راى فيه من المصلحة فقال يا امير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم في الجمعة التي مضت قال لي يا سيدي جعفر اني اشتهي ان افرح اولادي في حياة امير المؤمنين وحياتك فقلت له وايش تحتاج فقال لي تاخذ لي مرسوما من الخليفة باني اطاهر اولادي في القصر فقلت له رح طاهرهم وانا اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك فراح من عندي على هذا الحال ونسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندي ذنب واحد فصار لك عندي ذنبان لانك اخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما اعلمتني بذلك والوجه الثاني انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ماجاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا

لطلب شيء من المال يستعين به فلا اعطيته شيئا ولا اعلمتني فقال جعفر يا امير المؤمنين
نسيت فقال الخليفة وحق آبائي واجدادي ما اتم بقية ليلتي الا عنده فانه رجل صالح يقوم
بالمشائخ والفقراء ويعزمهم ويكونون مجتمعين عنده عسى دعوة واحد منهم يحصل لنا بها
خيرا في الدنيا والاخرة وفي هذا الامر مصالح له بحضوري عنده ويفرح الشيخ ابراهيم
فقال جعفر يا امير المؤمنين الوقت امسى وهم الساعة على فروغ فقال الخليفة لابد من الرواح
عندهم فسكت جعفر وتحير وبقي لا يدري ما يفعل فنهض الخليفة على قدميه وبقي جعفر بين
يديه ومعهما مسرور الخادم ومشوا الثلثة متنكرين ونزلوا من قصر الخلافة وجعلوا يشقون
في الازقات وهم في زي التجار الى ان وصلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فراى
باب البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا
الوقت وما هي عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال
الخليفة يا جعفر اريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع لهم حتى انظر اي شيء هم فيه وانظر
الى المشائخ فاني الى الآن لم اسمع لهم حسا ولا فقيرا يذكر الله ثم ان الخليفة نظر فراى شجرة
جوز عالية فقال يا جعفر اريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك
وانظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع الى ان طلع
على الفرع الذي يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فراى صبية وصبيا
كانهما قمران سبحان من خلقهما وصورهما وراى الشيخ ابراهيم قاعدا وفي
يده قدح وهو يقول يا ست الملاح الشرب بلا طرب ما هو فلاح فاني سمعت الشاعر

يقول شعرا

أَدِرْهَا بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ	وَخُذْهَا مِنْ يَدِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وَلَا تَشْرَبْ بِلَا طَرَبٍ فَإِنِّي	رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَشْرَبُ بِالصَّفِيرِ

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل
وقال يا جعفر انا ما رايت الصالحين على هذا الحال ابدا فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة
وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا في امره
وصعد الى اعلا الشجرة واذا به نظر فراى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية
وكان الشيخ ابراهيم في يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن
بالهلاك ونزل ووقف بين يدي امير المؤمنين فقال له الخليفة يا جعفر الحمد لله الذي
جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة فلم يقدر جعفر يتكلم من شدة الخجل ثم نظر

الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم قصري ولكن مثل حسن هذا الصبي وهذه الصبية ما رأت عيني قط فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة هرون الرشيد صدقت يا مولانا السلطان فقال يا جعفر اطلع بنا الى هذا الفرع الذي هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظرا هما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتي قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شيء من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ايش رائح يعمل فقال جعفر لا ادري فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتامله الخليفة فاذا هو عود ابي اسحاق النديم فقال الخليفة والله ان غنت هذه الجارية وحشا لاصلبنكم كلكم وان غنت مليحا فاني عفوت عنهم واصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها تغني وحشا فقال الخليفة لاي شيء فقال لاجل ان تصلبنا كلنا نؤنس بعضنا البعض فضحك الخليفة من كلامه ثم ان الجارية اخذت العود وانتقدته واصلحت اوتاره وضربت ضربا تنشوق القلوب اليها ثم انشدت وجعلت تقول شعرا

يَا آلَ صَبْرِيَ سَاكِنًا مُحِبِّينَا	نَارُ الْمَحَبَّةِ وَالْأَشْوَاقِ تَكْوِينَا
مَهْمَا تَعْلَمْ فَكُنَّا مُسْتَحَقِّينَا	نَحْنُ اسْتَجَرْنَا بِكُمْ لَا تُشْمِتُوا فِينَا
فَإِنَّنَا أَهْلُ ذُلٍّ ثُمَّ مَسْكَنَةٍ	مَهْمَا تَشَاؤُوهُ فِينَا فَافْعَلُوا فِينَا
مَا الْفَخْرُ أَنْ تَقْتُلُونَا فِي مَنَازِلِكُمْ	وَإِنَّمَا خَوْفُنَا أَنْ تَأْثَمُوا فِينَا

فقال الخليفة والله طيب يا جعفر عمري ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من فوق الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغني قدامي فقال يا امير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فيموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد ان تعرفني ان احتال عليهم بحيلة وادخل عليهم من غير ان يشعروا بي ثم ان الخليفة وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران في هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد تحت شبابيك القصر وكان الخليفة سابقا زعق على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الحس الذي سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت صيادين السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما وراى باب البستان مفتوحا فقال في نفسه

هذا وقت غفلة اغتنم في هذا الوقت صيد السمك ثم اخذ شبكته وطرحها في البحر واذا بالخليفة وحده واقف على راسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه يسميه باسمه فلما راى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة تدحملاني على ما ترى فقال الخليفة اصطد على اسمي فتقدم الصياد وقد فرح وطرح الشبكة وصبر حتى اخذت حدها وثبتت في القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل المذنب وقلع من على راسه عمامة وكان لها ثلث سنين ما حلها الا كل ما راى خرقة خيطها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذهم والبسهم ولبس الخليفة جبة الصياد وعمامته وضرب له لثام ثم قال للصياد رح انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وجعل يقول

شعرا

أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا ... وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الأُمُورِ بِأَسْرِهَا

فَلَأَشْكُرَنَّكَ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ ... شَكَرَتْكَ مِنِّي أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

فما فرغ الصياد من شعره حتى دب القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرميه ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال يا سيدي هذه الساعة يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة لا تحس به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك انا اخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني اشتهي اقول لك كلاما فقال له قل ما عندك فقال له خطر ببالي يا امير المؤمنين لما اردت ان تتعلم الصيد لاجل ما يبقى في يدك صنعة تنفعك فيناسبك هذه الجبة فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله ثم ان الخليفة اخذ مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الخضرة واتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال له يا كريم ايش جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هذه الليلة في البستان ومتى راك راحت رقبتك فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك فلما ضحك عرفه جعفر فقال له لعلك مولانا السلطان فقال الخليفة نعم يا جعفر وانت وزيري وجئت انا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى ارجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر وطرقه طرقا خفيفا فقال نور الدين

ياشيخ ابراهيم باب القصر يدق فقال الشيخ ابراهيم من بالباب فقال له انا ياشيخ ابراهيم فقال له من انت قال انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح فلما سمع نور الدين سيرة السمك فرح هو وجاريته وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم اهلا باللص السارق المقامر تعال ارنا السمك الذي معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو بالحيوة يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح ياليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله ياستي صدقت ثم انه قال للخليفة ياصياد لايش ماجئت بهذا السمك مقليا قم الآن واقله لنا وهاته لنا فقال الخليفة حاضر اقليه لكم واجيئه فقالوا له هيا فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال له ياجعفر فقال نعم ياامير المؤمنين خيرا فقال له طلبوا السمك مني مقليا فقال جعفر ياامير المومنين هاته وانا اقليه لهم فقال الخليفة وتربة آبائي واجدادي ما يقليه الا نا بيدي ثم ان الخليفة اتى الى خص الخولي وفتش فيه فوجد كل مايحتاج فيه حتى الملح والزعفران والصعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز واخذ من البستان نفيا وليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين ايديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم واكلوا فلما فرغوا من الاكل غسلوا ايديهم فقال نور الدين والله ياصياد اتيتنا بفضيلة مليحة في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه واخرج له ثلثة دنانير من الدنانير التي اعطاها له سنجر وقت خروجه للسفر وقال له ياصياد اعذرني فوالله لو عرفتني قبل الذي حصل لي لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا على حسب البركة ثم رماهم للخليفة فاخذهم الخليفة وباسهم وشالهم وماكان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهي تغني فقال له الخليفة احسنت وتفضلت لكن مرادي من تفضلاتك العميمة ان هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى اسمعها فقال نور الدين علي ياانيس الجليس قالت نعم قال لها بحياتي غني لنا شيئا من شان خاطر هذا الصياد لانه يريد ان يسمعك فلما سمعت الجارية كلام سيدها اخذت العود وحركته بعد ان اصلحت اوتاره وانشدت تقول

وَغَادَةٍ مَسَكَتْ لِلْعُودِ اَنْمُلُهَا	فَعَادَتِ النَّفْسُ عِنْدَ الْجَسِّ تُخْتَلَسُ
غَنَّتْ فَابْرَئْ غِنَا مَا مَنْ بِهِ صَمَمٌ	وَقَالَ اَحْسَنْتَ حَقًّا مَنْ بِهِ خَرَسُ

ثم انها ضربت ضربا بديعا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذه الابيات شعر

وَلَقَدْ شَرُفْنَا اِذْ نَزَلْتُمْ اَرْضَنَا ... وَمَحَا سَنَاكُمْ ظُلْمَةَ الدَّيْجُورِ
فَيَحِقُّ لِي اَنِّي اُخَلِّقُ مَنْزِلِي ... بِالْمِسْكِ وَالْمَاوَرْدِ وَالْكَافُورِ

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يتمالك نفسه من شدة الطرب الى ان قال والله طيب والله طيب والله طيب فقال نور الدين يا صياد هل اعجبتك الجارية فقال الخليفة اي والله فقال نور الدين هي هبة مني اليك هبة كريم لا يرد في عطائه ولا يرجع في هبته ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه واخذ ملوطة ورماها على الصياد وامره ان يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت له يا سيدي انت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى اودعك واشرح حالي ثم انشدت وجعلت تقول هذه الابيات شعر

عِنْدِي مِنَ الشَّوْقِ وَالتِّذْكَارِ وَالْبَرَحَا ... مَا صَيَّرَ الْجِسْمَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى شَبَحَا
اَحْبَابَنَا لَا تَقُولُوا لِي سَلَوْتُكُمْ ... وَالْحَالُ بِالْحَالِ وَالتَّبْرِيحُ مَا بَرِحَا
لَوْ كَانَ يَسْبَحُ حَيٌّ فِي مَدَامِعِهِ ... لَكُنْتُ اَوَّلَ مَنْ فِي دَمْعِهِ سَبَحَا
يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي قَلْبِي مَحَبَّتُكُمْ ... كَمَا تَحَكَّمَ مَزْجُ الْخَمْرِ بِالْقَدَحَا
هٰذَا الْفِرَاقُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ اَحْذَرُهُ ... يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي وَالْحَشَا مَرَحَا
يَا ابْنَ خَاقَانَ يَا سُؤْلِي وَيَا اَمَلِي ... يَا مَنْ هَوَاهُ بِقَلْبِي قَطُّ مَا بَرِحَا
قَدْ كُنْتَ عَادَيْتَ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا ... لِاَجْلِي وَغُدْتَ عَنِ الْاَوْطَانِ مُنْتَزِحَا
لَا اَوْحَشَ اللهُ مِنْ سَيِّدِي عَلَى فَقْدِي ... وَهِبَتَنِي لِكَرِيمٍ ظَلَّ مُمْتَدِحَا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين وهو يقول شعرا

وَدَّعَتْنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ وَقَالَتْ ... وَهِيَ تَبْكِي مِنْ لَوْعَةِ الْاِشْتِيَاقِ
مَا الَّذِي اَنْتَ صَانِعٌ بَعْدَ بُعْدِي ... قُلْتُ قُولِي هٰذَا لِمَنْ هُوَ بَاقِ

ثم انه لما سمع الخليفة قولها في شعرها وهبتني لكريم ازداد فيها رغبته وصعب عليه التفريق بينهما وعز عليه وقال للصبي يا سيدي ان هذه الجارية قد ذكرت في شعرها انك عاديت لسيدها ومن ملكها فاخبرني انت لمن عاديت ولمن له عليك طلب فقال نور الدين والله يا صياد جرى لي ولهذه الجاريه حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة اما تحدثنا بما جرى لك من حديثك وتعرفنا بخبرك عسى ان يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال

نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك اطرق نور الدين راسه الى الارض وانشد يقول هذه الابيات شعر

يَا خَلِيلَيَّ إِنِّي هَجَرْتُ رُقَادِي ... وَتَزَايَدَ هَمِّي لِبُعْدِ بِلَادِي
وَالِدٌ كَانَ لِي عَلَيَّ شَفُوقًا ... غَابَ عَنِّي وَجَاوَرَ الْأَلْحَادِ
فَأَتَتْ بَعْدَهُ عَلَيَّ أُمُورٌ ... صِرْتُ مِنْهَا مُفَتَّتَ الْأَكْبَادِ
اِشْتَرَى لِي مِنَ الْجَوَارِي خُودًا ... يُخْجِلُ الْغُصْنَ قَدُّهَا الْمَيَّادِ
فَصَرَفْتُ الَّذِي وَرِثْتُ عَلَيْهَا ... وَتَكَرَّمْتُ بِهِ عَلَى الْأَجْوَادِ
سِمْتُهَا الْبَيْعَ إِذْ تَزَايَدَ هَمِّي ... وَجَوَى الْبَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِي
وَإِذَا مَا دَعَا إِلَيْهَا مُنَادٍ ... زَادَ فِيهَا شَيْخٌ كَثِيرُ الْفَسَادِ
فَلِهَذَا اغْتَظْتُ غَيْظًا شَدِيدًا ... وَنَتَرْتُ يَدَهَا مِنْ يَدِ الْأَوْغَادِ
ثَلَكَمَنِي هَذَا اللَّئِيمُ بِغَيْظٍ ... ثُمَّ قَادَتْ فِيهِ لَظَى الْإِلْحَادِ
فَلَكَمْتُهُ مِنْ حُرْقَتِي بِيَمِينِي ... وَشِمَالِي حَتَّى شَفَيْتُ فُؤَادِي
وَمِنَ الْخَوْفِ قَدْ أَتَيْتُ لِدَارِي ... وَتَغَيَّبْتُ خِيفَةَ الْأَضْدَادِ
فَأَمَرَ حَاكِمُ الْبِلَادِ بِمَسْكِي ... فَأَتَى الْحَاجِبُ الْكَثِيرُ السَّدَادِ
رَامِزًا لِي إِنِّي أَسِيرُ بَعِيدًا ... وَأَغِيبُ عَنْهُمْ وَأَكْمِدُ الْحُسَّادِي
فَطَلَعْنَا مِنْ دَارِنَا جُنْحَ لَيْلٍ ... طَالِبِينَا الْمُقَامَ فِي بَغْدَادِ
لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الذَّخَائِرِ عِنْدِي ... أُعْطِيكَ غَيْرَ مَا وَهَبْتُ يَا صَيَّادِ
غَيْرَ أَنِّي أُعْطِيكَ مَحْبُوبَ قَلْبِي ... فَتَيَقَّنْ إِنِّي وَهَبْتُ فُؤَادِي

فلما فرغ من شعره قال له الخليفة يا سيدي نور الدين اشرح لي امرك فاخبره نور الدين بخبره من مبتدأ الامر الى منتهاه فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له اين تقصد في هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة انا اكتب لك ورقة توديها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لم يضرك بشيء ولا يؤذيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لنور الدين علي انا اكتب لك ورقة توديها للسلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قراها لايضرك بشئ فقال له

نور الدين علي وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شيء لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت ولكن اقول لك على السبب اعلم اني قرأت انا واياه في مكتب واحد عند فقيه واحد وكنت انا عريفه ثم بعد ذلك ادركته السعادة وصار سلطانا وانا نقلني الله وجعلني صيادا وانا لم ارسل له في حاجة الا قضاها ولو ارسلت له كل يوم الف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له طيب اكتب حتى انظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة اما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد بن المهدي الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتي الذي جعلته نائبا عني في بعض مملكتي ان الواصل اليك هذا الكتاب صحبة نور الدين علي ابن خاقان ابن الوزير فساعة وصوله الى عندك انزع نفسك من الملك وولّه ولا تخالف امري والسلام ثم اعطى الكتاب لنور الدين علي بن خاقان فاخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته ونزل في الوقت مسافرا هذا ما جرى له واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو في صورة الصيادين وقال له يا احقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفا اخذت ثلثة دنانير وتريد تاخذ الجارية اخرى فلما سمع الخليفة كلامه صاح عليه واومى الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر ارسل مع رجل من صبيان الغيط لبواب القصر يطلب منه بدلة الملك فذهب الرجل وطلع بالبدلة وباس الارض بين يدي الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسي والخليفة واقف ينظر ما يجري فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وبقي ساهيا وهو يعض انامله ويقول يا ترى انا نائم ام يقظان فنظر اليه الخليفة وقال يا شيخ ابراهيم ما هذا الحال الذي انت فيه فعند ذلك افاق من سكره ورمى نفسه الى الارض وانشد يقول شعر

هَبْ لِي جِنَايَةَ مَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ	فَالْعَبْدُ يَطْلُبُ مِنْ سَادَاتِهِ الْكَرَمُ
فَعَلْتُ مَا يَقْتَضِيهِ الذَّنْبُ مُعْتَرِفًا	فَأَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعَفْوُ وَالْكَرَمُ

فعفى عنه الخليفة وامر بالجارية ان تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر افرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمي اني ارسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله تعالى نرسل اليه خلعة ونرسلك له هذا ما جرى لهؤلاء واما ما جرى لنور الدين علي ابن خاقان فانه لم يزل مسافرا حتى طلع الى البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض بين يديه ثم اخرج الورقة وقدمها له فلما راى عنوان الكتاب بخط امير المؤمنين قام

مكتوب هذه هارون الرشيد

ووقف على قدميه وقبلها ثلث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولامير المؤمنين
ثم انه احضر القضاة الاربعة والامراء واراد ان يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير الذي
هو المعين بن ساوى قد حضر فاعطاه السلطان الورقة فلما قرأها قطعها عن آخرها
واخذها في فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذي حملك
على هذه الفعال فقال له وحياتك يا مولانا السلطان هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره
وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة بخط الخليفة بطالة فعمل غرضه فيها وان الخليفة لم
يرسل ياخذ منك السلطنة ولا معه خط شريف ولا تعليق ولا جاء من عند الخليفة ابدا
ابدا ابدا ولو كان هذا الامر وقع لارسل معه حاجبا او وزيرا لكنه جاء وحده فقال له
وكيف العمل قال له ارسل معي هذا الشاب وانا آخذه واتسلمه منك وارسله صحبة حاجب
الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا ياتينا بخط وتقليد فان لم يات به انا آخذ
حقي من غريمي هذا فلما سمع السلطان كلام الوزير معين بن ساوى قال له دونك
واياه فتسلمه الوزير من السلطان ونزل به الى داره وزعق على الغلمان فمدوه وضربوه
الى ان اغمي عليه وجعل في رجليه قيدا ثقيلا وجاء به الى السجن وزعق على السجان فلما حضر
باس الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يا قطيط اريد ان تاخذ
هذا وترميه في مطمورة من المطامير التي عندك في السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال
السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان ادخل نور الدين السجن وقفل عليه الباب ثم امر بكنس
مصطبة وراء الباب وفرشها بمقعد ونطع واجلس نور الدين عليها وفك قيده واحسن اليه
وكان الوزير كل يوم يرسل يوصي السجان بضربه والسجان يدافع عنه الى مدة اربعين
يوما فلما كان اليوم الحادي والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان
اعجبته فشاور الوزراء في امرها فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد
فقال الوزير المعين بن ساوى انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان
والله لقد ذكرتني به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام
وقال له ان قصدي ان انادي في المدينة من اراد ان يتفرج على ضرب رقبة نور الدين
علي بن خاقان فلياتي الى القصر فياتي التابع والمتبوع ليتفرج عليه واشفي فؤادي واكمد
حسادي فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل
على الوالي وامره ان ينادي بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادي حزنوا وبكوا جميعا حتى
الصغار في المكاتب والسوقة في الدكاكين وتسابق الناس ياخذون لهم اماكن

لينفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتي معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ما تطلب يا مولانا الوزير فقال احضر لي هذا العلق فقال السجان انه في ايشم حال من كثرة ما ضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

مَنْ لِي يُسَاعِدُنِي عَلَى بَلْوَائِي	فَقَدْ زَادَ بِي دَائِي وَعَزَّ دَوَائِي
وَالْهَجْرُ اَضْنَى مُهْجَتِي وَحَشَا شَتِي	وَالدَّهْرُ رَدَّ اَحِبَّتِي اَعْدَائِي
يَا قَوْمِ هَلْ فِيكُمْ رَفِيقٌ مُشْفِقٌ	يَرْثِي لِحَالِي اَوْ يُجِيبُ نِدَائِي
فَالْمَوْتُ هَانَ عَلَيَّ مَعْ سَكَرَاتِهِ	وَقَطَعْتُ مِنْ طِيبِ الْحَيٰوةِ رَجَائِي
يَا رَبِّ بِالْهَادِي الْبَشِيرِ الْمُصْطَفَى	بَحْرِ الْعُلُومِ وَسَيِّدِ الشُّفَعَاءِ
اَدْعُوكَ تُنْقِذُنِي وَتَغْفِرُ زَلَّتِي	وَتُزِيلُ عَنِّي شِقْوَتِي وَعَنَائِي

فعند ذلك نزع عنه السجان الثياب النظيفة والبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نور الدين فاذا هو بعدوه الذي هو طالب قتله فلما رآه بكى وقال له هل منت الدهر اما سمعت قول الشاعر

اَيْنَ الْاَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْاُولَى	كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا

ثم قال له يا وزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال يا علي اتخوفني بهذا الكلام فانا في هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة ولم افكر ودع الايام تفعل ما تريد ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دَعِ الْاَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ	وَطِبْ نَفْسًا بِمَا فَعَلَ الْقَضَاءُ

وما احسن قول الآخر

مَنْ عَاشَ بَعْدَ عَدُوِّهِ	يَوْمًا فَقَدْ بَلَغَ الْمُنَى

ثم ان الوزير امر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لنور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو كانت تروح ارواحنا فقال لهم نور الدين علي لا تفعلوا ذلك ابدا اما سمعتم قول الشاعر يقول

لَا بُدَّ لِي مِنْ مُدَّةٍ مَحْتُومَةٍ	فَاِذَا انْقَضَتْ اَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْ اَدْخَلَتْنِي الْاُسْدُ فِي غَابَاتِهَا	لَمْ تَفْنِهَا مَا دَامَ لِي وَقْتُ

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا اقل جزاء من يزور على الملوك بالباطل ولا زالوا يطوفون به في البصرة الى ان اوقفوه تحت شباك القصر وعلقوه في نطع الدم وتقدم

الرشيد

اليه

اليه السياف وقال له ياسيدي انا عبد مامور في هذا الامر ان كان لك حاجة فاخبرني بها حتى اقضيها لك فانه ما بقي من عمرك الا قدر ما يُخرِج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وخلفا واماما وانشد يقول

أَرَى السَّيْفَ وَالسَّيَّافَ وَالنِّطْعَ احْضَرُوا	فَنَادَيْتُ يَا ذُلِّي وَعِظَمَ مَصَائِبِي
مَالِي أَرَى خِلًّا شَفُوقًا يُعِينُنِي	سَأَلْتُكُمُوا رُدُّوا عَلَيَّ جَوَابِي
مَضَى الْوَقْتُ مِنْ عُمْرِي وَحَانَتْ مَنِيَّتِي	فَهَلْ رَاحِمٌ لِي كَيْ يَنَالُ ثَوَابِي
وَيَنْظُرُ فِي حَالِي وَيَكْشِفُ بَلْوَتِي	بِشَرْبَةِ مَاءٍ كَيْ يَهُونُ عَذَابِي

فتباكت الناس عليه وقام السياف واخذ شربة ماء وقدمها له فنهض الوزير من مكانه وضرب قُلَّةَ الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وامره بضرب رقبته فعند ذلك عصب عيني نور الدين فزعقت الناس على الوزير وقام العياط وكثر سؤال بعضهم من بعض فبينما هم كذلك اذا بغبار قد علا وعجاج ملا الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد في القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر البرمكي وزير الخليفة ومن معه وكان السبب في مجيئهم ان الخليفة مكث ثلثين يوما لم يتذكر قصة علي بن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من بعض الليالي الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكاءها وهي تنشد بصوت حسن ظريف قول الشاعر

خَيَالُكَ فِي التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي	وَذِكْرُكَ لَا يُفَارِقُهُ لِسَانِي

ثم تزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهي تبكي فلما رات الخليفة وقعت الى الارض فقبلت رجليه ثلث مرات ثم انها انشدت تقول شعر

أَيَا مَنْ زَكَى اَصْلًا وَطَابَ وِلَادَةً	وَاَثْمَرَ غُصْنًا يَانِعًا وَزَكَى غَرْسًا
أُذَكِّرُكَ الْوَعْدَ الَّذِي سَمَحَتْ بِهِ	مَحَاسِنُكَ الْحُسْنَى وَحَاشَاكَ اَنْ تَنْسَى

فقال الخليفة من انت فقالت انا هدية علي ابن خاقان اليك واريد انجاز الوعد الذي وعدتني به من انك ترسلني اليه مع التشريف والآن لي هنا ثلثون يوما لم اذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكي وقال له يا جعفر من منذ ثلثين يوما لم اسمع خبرا عن علي بن خاقان وما اظن الا ان السلطان قتله ولكن وحيوة راسي وتربة آبائي واجدادي ان جرى له امر مكروه لاهلكن من كان السبب فيه ولو كان اعز الناس

عندي واريد ان تسافر في هذه الساعة الى البصرة وتاتي باخبار الملك محمد بن سليمان الزيني مع علي بن خاقان وقال له ان غبت اكثر من مسافة الطريق ضربت رقبتك وانت تعلم ابن عمي بقضية نور الدين علي بن خاقان واني ارسلته بكتابي وان وجدت يا ابن عمي عمل للملك بغير ما ارسلت به اليه فاحمله واحمل الوزير بن ساوى على الهيئة التي تجدهم عليها ولا تغيب اكثر من مسافة الطريق فقال جعفر السمع والطاعة ثم ان جعفر تجهز من وقته وسافر الى ان وصل الى البصرة وقد تسابقت الاخبار الى الملك محمد بن سليمان الزيني بحضور جعفر البرمكي فلما اقبل جعفر ونظر ذلك الهرج والمرج والزحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من امر نور الدين علي بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه واعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلي ابن خاقان امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب في ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى واحبسهما وامر باطلاق نور الدين علي بن خاقان واجلسه سلطانا في مكان السلطان محمد بن سليمان الزيني وقعد ثلثة ايام في البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت علي بن خاقان الى جعفر وقال له اني اشتقت الى رؤية امير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان الزيني تجهز للسفر فاننا نصلي الصبح ونركب الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على ما فعله واما نور الدين علي بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين وكيف وجدوه وهو مشرف على الهلاك فعند ذلك اقبل الخليفة على علي بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له انا عملت بلبني فاعمل انت بلبنك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا امير المؤمنين انه خدعني بكلامه وانشد يقول

فخدعته بخديعة لما اتى	والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال له الخليفة اتركه انت وقال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلي بن خاقان تمن علي فقال يا سيدي انا ما لي حاجة بملك البصرة وما اريد الا ان اتشرف بخدمتك وانشاهد طلعتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعى بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما

واعطاهما

واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ولم يزل مقيما عنده في الذ عيش الى ان ادركه الممات

وليس هذا باعجب من حكاية التاجر واولاده قال وكيف كان ذلك قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من بعض التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمي غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة فريدة في حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من الخز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا مما عُمل برسم بغداد وكانت نيته السفر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن الخليفة هارون الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان صحبته جماعة من التجار فاكترى له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وارخى عليها الستور وانزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلمت عليه التجار واكابر بغداد ثم انه اخذ بقجة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها ثمنها ونزل بها الى سوق التجار فتلقوه بالترحيب وسلموا عليه واكرموه وانزلوه واجلسوه على دكان شيخ السوق ثم انه ناوله البقشة ففتحها واخرج منها تفاصيل فباع له شيخ السوق التفاصيل فربح في كل دينار دينارين مثله ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل اولا باول ولم يزل كذلك الى مدة سنة كاملة وفي اول السنة الثانية جاء الى القيصرية التي في السوق فراى بابها مغلوقا فسال عن سبب ذلك فقيل له ان واحدا من التجار توفي وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سال عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم من حياه وقد خرجوا بالجنازة من بغداد الى خارج المدينة وشقوا بين المقابر الى ان وصلوا الى المدفن فوجدوا اهل الميت قد نصبوا الخيمة على القبر واحضروا الشموع والقناديل

ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرؤن القرآن على ذلك القبر فجلس تلك التجار فجلس معهم
غانم بن ايوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف
معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى
فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا ايديهم ثم جلسوا مكانهم فاشتغل خاطر غانم بمكانه وبضاعته
وخاف من اللصوص فقال في نفسه انا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا
عن منزلي يسرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام و
خرج من بين الجماعة واستاذنهم على انه يقضي حاجة فصار يمشي ويتبع آثار الطريق
حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا
ولم ير احدا غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى الكلاب ينبحون والذياب يصيحون
فرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالي وجئت لاجله فوجدت الباب
مغلوقا وبقيت الآن خائفا على روحي ثم انه رجع وراءه ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح
فوجد تربة محوطة باربع حيطان وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها و
اراد ان ينام فيها فلم يجئه نوم واخذته رجفة ووحشة وهو بين القبور فقام واقفا
على قدميه وفتح باب المكان ونظر فاذا هو بنور يلمع على بعد في ناحية باب المدينة فمشي
قليلا فرأى النور في الطريق التي تؤدي الى التربة التي هو فيها فخاف غانم على نفسه
واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى في قلبها فصار النور يتقرب
من التربة شيئا فشيئا حتى قرب من التربة فتامل النور فرأى ثلثة عبيد اثنان شائلان
صندوقا وواحد في يده فانوس وفاس فحين قربوا من التربة قال احد العبدين
الذي شائلين الصندوق مالك يا صواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور
فقال له اما كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال
ها هو مغلوق متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا
ما اقل عقلكما اما تعرفان ان اصحاب الغيطان يخرجون من بغداد ويرعون هنا فيمسي
عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب خوفا من السودان الذين هم مثلنا
ان ياخذوهم ويشووهم وياكلوهم فقالوا له صدقت والله ما فينا اقل عقلا منك فقال
لهم انكم لم تصدقوني حتى ندخل التربة ونجد فيها احدا وانا اظن انه لما راى النور
ورآنا هرب فوق النخلة خوفا منا فلما سمع غانم كلام العبد قال في نفسه يا العن العبد
لا ستر الله عليك ولا بهذا العقل ولا بهذه المعرفة كلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ايش بقي يخلصني من هؤلاء العبيد ثم ان الذين حاملين الصندوق قالا للذي معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا بخيت لاننا تعبنا من شيل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم وننقليه لك بيدي بصنعة جيدة بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال بخيت انا خائف من شيء افتكرته من قلة عقلي وهو اننا نرمي الصندوق من وراء الباب لانه ذخيرتنا فقالا له ان رميناه ينكسر فقال لهما انا خائف ان يكون جوا التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا امسى عليهم الوقت يدخلون في هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون ان يدخلوا هنا ثم انهما حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذي هو بخيت واقف لهما بالفانوس والفاس والمقطف الذي فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتي نحن تعبنا من المشي والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولا بقي فينا نفس نفتح التربة وندفن الصندوق ولكن حتى نرتاح ثلث ساعات ثم نقوم ونقضي حاجتنا وكل واحد منا يحكى لنا على سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدا الى المنتهى لاجل فوات هذه الليلة وناخذ لنا راحة فقال الاول الذي كان حامل الفانوس واسمه بخيت انا احكى لكم حكايتي فقالوا له تكلم قال لهم يا اخوتي اعلموا اني لما كنت صغيرا جاء بي الجلاب من بلدي وكان عمري خمس سنين فباعني لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلث سنين فتربيت معها وهم يضحكون علي وانا الاعب البنت وارقص لها واغني لها الى ان صار عمري اثنى عشر سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعونني عنها ففي يوم من الايام دخلت عليها وهي جالسة في محل خلوة وهي كانها خرجت من الحمام الذي في البيت لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل دورة القمر في ليلة اربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها وكنت في ذلك الوقت تحت ادراك فنفر احليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض فوقعت على ظهري وركبت هي على صدري وصارت تتمرغ علي فانكشف احليلي فلما راته وهو نافر مسكته بيدها وصارت تحك به على شفائر فرجها من فوق لباسها فتحركت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يديها في عنقي وقرطت علي بجهدها فما اشعر الا واحليلي فتق لباسها ودخل فرجها فازال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض اصحابي فدخلت عليها امها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم انها تداركت امرها واخفت حالها عن ابيها

وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى اخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا شيئا من هذا الامر لابيها لمحبتهم لي ثم ان امها خطبت لها شابا مزينا كان يزين اباها وامهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وابوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم امسكوني على غفلة وطوشوني ولما زفوها للعريس جعلوني طواشيا لها امشي قدامها اينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام او بيت ابيها وقد ستروا امرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها فرخ حمامة ومكثت انا عندها مدة طويلة وانا اتملى بحسنها وجمالها من بوس وعناق ورقاد الى ان ماتت هي وزوجها وامها وابوها ثم اخذوني لبيت المال وصرت في هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا يا اخوتي سبب قطع احليلي والسلام فقال العبد الثاني اعلموا يا اخوتي اني كنت في ابتداء امري وانا ابن ثمان سنين اكذب على الجلابة كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الجلاب وانزلني في يد الدلال وامره ان ينادي من يشتري هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال للدلال كم اعطوا فيه من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة درهم فقال ولك عشرون درهما فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم واوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر واخذ دلالته وانصرف فكساني هذا التاجر ما يناسبني من القماش وصرت عنده اخدمه باقي سنتي الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون كل يوم عزومة وفي كل يوم على واحد منهم الى ان جاءت العزومة على سيدي في غيط برا البلد فراح هو والتجار الى البستان واخذ لهم جميع ما يحتاجون اليه من اكل وغيره فجلسوا ياكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدي الى مصلحة من البيت فقال لي يا عبد اركب البغلة وروح الى المنزل وهات من ستك الحاجة الفلانية وارجع بسرعة فامتثلت امره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وارخيت الدموع فاجتمع علي اهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت حسي زوجة سيدي وبناته ففتحوا لي الباب وسالوني عن الخبر فقلت لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديمة هو واصحابه فوقعت عليهم فلما رايت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما سمع بناته وزوجته ذلك صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فاتت اليهم الجيران واما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض واخربت رفوفه وكسرت طيقانه وشبابيكه وتحت

حيطانه بطين ونيلة وقالت لي ويلك يا كافور تعال ساعدني واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاواني والصيني وغيره فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت بكل ما عليها ودرت على السقوف وعلى كل محل اخربه وما كان في البيت من الصيني وغيرذلك حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت ستي مكشوفة الوجه بغطاء راسها لا غير وخرجت معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذي هو فيه تحت الحائط ميت حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا اصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفون الوجوه والرؤس يصيحون اواه اواه على الرجل فلم يبق احد في الحارة لا من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا عجوز الا جاء معنا وصاروا كلهم يلطمون معنا ساعة وهم في شدة البكاء فشقيت لهم المدينة نسال الناس عن الخبر فاخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لاحول ولاقوة الا بالله فقال بعض الناس ما هو الا رجل كبير امضي للوالي ونخبره فلما وصلوا الى الوالي واخبروه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالي واخبروه قام الوالي وركب واخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا تابعين اثري ومعهم كثير من الناس وانا قدامهم الطم على وجهي واصيح وستي واولادها خلفي يعيطون فجريت انا قدامهم وسبقتهم وانا اصيح واحثو التراب على راسي والطم على وجهي فلما دخلت البستان وراني سيدي وانا الطم واقول واستاه اواه اواه اواه من بقي لي يحن علي بعد سيدتي ياليتني كنت فداء عنها فلما راني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور وما الخبر فقلت له انك لما ارسلتني الى البيت ودخلت فرايت الحائط التي في القاعة وقعت وانطبقت كلها على ستي واولادها فقال لي وهل ستك ما سلمت فقلت له لا والله يا سيدي ما سلم منهم احد واول من مات منهم ستي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي اركبها هل هي سالمة فقلت له لا والله يا سيدي فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم واكلهم الكلاب ولم يبق منهم احد فقال لي ولا سيدك الكبير سلم فقلت له لا والله لم يسلم منهم احد وفي هذه الساعة لا بقي دار ولا سكان ولا بقي لهم اثر واما الغنم والاوز والدجاج فاكلهم القطط والكلاب

فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في وجهه ظلاما ولم يقدر يتمالك نفسه ولا عقله و
لم يقدر ان يقف على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره وخرق اثوابه ونتف ذقنه
ورمى عمامته من فوق راسه ولا زال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصاح آه وا
اولاداه آه وا زوجتاه آه وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه
لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا اثوابهم وخرج سيدي من ذلك البستان
وهو يلطم من شدة ما جرى له ومن شدة اللطم على وجهه صار كانه سكران فبينما هو
والتجار خارجون من باب البستان واذا هم بغبرة عظيمة وصياح وعياط فنظروا الى هؤلاء
المقبلين فاذا هو الوالي والمقدمين والخلق والعالم الذين يتفرجون واهل التاجر
وراءهم يصرخون ويصيحون وهم في بكاء شديد زائد فاول من لاقى سيدي زوجته
واولاده فلما رآهم بهت وضحك وثبت وقال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم في
الدار وما جرى لكم فلما راوه قالوا الحمد لله على سلامتك ورموا انفسهم عليه وتعلقت
اولاده به وصاحوا وا ابتاه الحمد لله على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته انت طيب
الحمد لله الذي ارانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما راته وقالت له
يا سيدي كيف كانت سلامتك انت واصحابك التجار فقال لها وكيف كان حالكم في
الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما اصاب دارنا شيء من الشر غير ان عبدك
كافور جاء الينا وهو مكشوف الراس مخرق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه
فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدي واصحابه التجار وقعت عليهم حائط في البستان
وماتوا جميعا فقال لهم والله انه اتاني في هذه الساعة وهو يصيح واستاه واولاد
ستاه وقال ان سيدتي واولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرآني وعمامتي
مخروقة في راسي وانا اصيح وابكي بكاء شديدا واحثوا التراب على راسي فصرخ
علي فاقبلت عليه فقال لي ويلك يا عبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه
الوقائع التي عملتها ولكن والله لاسلخن جلدك من لحمك واقطعن لحمك من عظمك
فقلت له والله ما تقدر تعمل معي شيئا لانك قد اشتريتني على عيبي بهذا الشرط
والشهود يشهدون عليك حين اشتريتني على عيبي وانت عالم به وهو اني اكذب
في كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الاخر
فتبقى كذبة كاملة فصاح علي يا كلب بن الكلب يا العن العبيد هل هذه كلها نصف
كذبة وانما هي داهية كبيرة اذهب عني فانت حر لوجه الله فقلت والله ان اعتقتني

انت ما اعتقك انا حتى تكمل السنة واكذب نصف الكذبة الباقية وبعد ان استممها فانزل بي السوق وبعني بما اشتريتني به على عيبي ولا تعتقني لان ما معي صنعة اقتات منها وهذه المسئلة التي ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء في باب العتق فبينما نحن في الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة من نساء ورجال قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالي وجماعته فراح سيدي والتجار الى الوالي واعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما سمعوا ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنوني وشتموني فبقيت واقفا اضحك واقول كيف يقتلني سيدي وقد اشتراني على هذا العيب فلما مضى سيدي الى البيت وجده خرابا وانا الذي اخربت معظمه واكثره وكسرت فيه شيئا يساوي جملة من المال وكذلك زوجته فقالت له زوجته ان كافورا هو الذي كسر الاواني والصيني فازداد غيظه وضرب يدا على يد وقال والله عمري ما رايت ولد زنا مثل هذا العبد ويقول انها نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملة كان اخرب مدينة او مدينتين ثم انه من شدة غيظه ذهب الى الوالي واطعمني علقة نظيفة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي فخلاني في غشيتي واتاني بالمزين فخصاني وكواني فما افقت الا وجدت نفسي طواشيا وقال لي سيدي مثل ما احرقت قلبي على اعز الاشياء عندي احرقت قلبك على اعز الاعضاء عندك ثم اخذني وباعني باغلى ثمن لاني صرت طواشيا وما زلت القي الفتن في الاماكن التي اباع فيها وانتقل من امير الى امير ومن كبير الى كبير أُباع وأُشرى حتى دخلت قصر امير المومنين وقد انكسرت نفسي وضعفت حيلي وعدمت خصائي فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خرؤ ابن خرء تكذب كذبا شنيعا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا اولاد عمي كلما قلتموه بطال فانا احكي لكم على سبب قطع خصاي وقد كنت استاهل اكثر من ذلك لاني كنت نكت ستي وابن سيدي والحكاية معي طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا اولاد عمي قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنبقى مفضوحين وتروح ارواحنا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ورحنا الى قصرنا قلت لكم على سبب قطع خصاي ثم تعلق ونزل من الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة بطول الصندوق وعرضه بين اربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا انصف قامة ثم حطوا الصندوق في الحفرة وردوا عليه

التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن ايوب فلما استقر وخلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما في الصندوق وقال في نفسه يا ترى ايش في هذا الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من على النخلة وازال التراب بيده حتى كشف الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا كبيرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فاذا فيه صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا انها ذات حسن و جمال وعليها حلي ومصاغ ذهب وقلائد من الجواهر تساوي ملك السلطان ما يفي ثمنها مال فلما راها غانم بن ايوب عرف انهم تغامزوا عليها و بنجوها فلما تحقق ذلك الامر عالج بها حتى اخرجها من الصندوق وارقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح ودخل الهواء في انفها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج افريطشي لو شمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وادارت طرفها وقالت بكلام عذب فصيح ويلك يا ريح ما فيك ري للعطشان ولا انس للريان اين زهر البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت يا صبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح انت في شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها احد فجالت بطرفها فقالت ويلي تقبريني في القبور يا من يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور من جاء بي من بين الستور والخدور ووضعني بين اربعة قبور هذا كله وغانم واقف على حيله فقال لها يا ستي لا خدور ولا قصور ولا قبور ما هنا الا عبدك المسلوب غانم بن ايوب وقد ساقه لك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم التفتت الى غانم و قد وضعت يديها على وجهها وقالت له بكلام عذب ايها الشاب المبارك من جاء بي الى هذا المكان فها انا قد افقت فقال يا ستي ثلاثة عبيد خصيون اتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكي لها جميع ما جرى له وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم انه سالها عن حكايتها وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذي رماني عند مثلك فقم الآن وحطني في الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلني الى بيتك فاذا بقيت انا في دارك يكون خيرا واحكي لك حكايتي واخبرك بقصتي ويحصل لك الخير من جهتي ففرح وخرج الى ظاهر التربة وقد شعشع النهار ولاح الجو بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل واتى به الى التربة وشال الصندوق بعد ما حط فيه الصبية ووقعت

محبتها في قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوي عشرة الاف دينار وعليها حلي وحلل تساوي مالا جزيلا وماصدق انه يصل الى داره وانزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب لما وصل بالصندوق الى داره فتحه واخرج الصبية منه فنظرت فرات هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال كثيرة فكشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما راته احبته وقالت له يا سيدي هات لنا شيئا نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم انه نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة واخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من آلة المشروب والمشموم واتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما راته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته واخذت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم انهما اكلا وشربا الى ان اقبل الليل وقد احب كل منهما صاحبه لانهما كانا في سن واحد وحسن واحد فلما اقبل الليل قام غانم بن ايوب المتيم المسلوب واوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان واحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وصار يملأ ويسقيها وهي تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما البعض فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهما النوم فنام كل واحد منهما في موضعه الى ان اصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من اكل وشرب وخضرة ولحم وخمر وغيره واتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فاكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت عيونهما واشتاقت نفس غانم بن ايوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها يا ستي ائذني لي بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبي فقالت يا غانم اصبر حتى اسكر واغيب وخذ لك مني قبلة سرا بحيث اني لم اشعر انك قبلتني ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال لها يا ستي اما تسمحين لي بما قلت لك عليه فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسي قول صعب فانكسر خاطر غانم بن ايوب وزاد عنده الغرام لما

عز المطلوب فقال شعرا

سَأَلْتُ مَنْ أَمْرَضَنِي	فِي قُبْلَةٍ تَشْفِي الْأَلَمْ
فَقَالَ لَا لَا أَبَدًا	قُلْتُ لَهُ نَعَمْ نَعَمْ
فَقَالَ خُذْهَا بِالرِّضَى	مِنِّي حَلَالًا وَابْتَسَمْ
فَقُلْتُ غَصْبًا قَالَ لَا	إِلَّا سَمَاحًا وَكَرَمْ
فَلَا تَسَلْ عَمَّا جَرَى	وَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَنَمْ
فَظُنَّ مَا شِئْتَ بِنَا	فَالْحُبُّ يَحْلُو بِالتُّهَمْ
وَلَا أُبَالِي بَعْدَ ذَا	إِنْ بَاحَ ضِدٌّ أَوْ كَتَمْ

ثم انه زادت محبته وانطلقت النيران في مهجته هذا وهي تمتنع منه وتقول له مالك وصول الي ولم يزالا في عشقهما ومنادمتهما وغانم بن ايوب غريق في بحر الهيام واما هي فقد ازدادت قسوة واحتشاما الى ان دخل الليل بالظلام وارخى عليهما ذيل المنام فقام غانم واشعل القناديل واوقد الشموع وجدد المقام والحضرة واخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطري فمرغ وجهه عليهما وقال ياستي ارحمي اسير هواك وقتيل عينيك وكنت سليم القلب لولاك ثم انه بكي قليلا فقالت له ياسيدي ونور عيني انا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن انا اعرف انك ما تصل الي فقال لها وما المانع فقالت له انا في هذه الليلة احكي لك قصتي حتى انك تقبل معذرتي ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وقبلته وقد اخذت بخاطره واوعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما في كل ليلة ينامان على فراش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز منه مدة شهر كامل وقد تمكن حب كل واحد منهما من قلب الاخر ولا بقي لهما صبر عن بعضهما الى ان كانت ليلة من بعض الليالي وهو راقد واياها والاثنان سكرانان فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل بها الى سرتها فانتبهت وقعدت على حيلها وتعهدت اللباس فوجدت اللباس مربوطا فنامت ثانيا فملس عليها بيده ونزل بها الى سروالها ودكتها وجذبها فانتبهت وقعدت على حيلها وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذي تريد فقال لها مرادي ان انام معك واتصافي انا وانت فعند ذلك قالت له انا الآن اوضح لك امري حتى انك تعرف قدري وينكشف لك سري ويظهر لك عذري قال لها نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت

له ياسيدي اقرأ الذي على طرف هذه التكة فاخذها غانم في يده ونظرها فوجدها مرقوما عليها بالذهب انا لك وانت لي يا ابن عم النبي فلما قراها نتر يده وقال لها اكشفي لي عن خبرك قالت نعم اعلم انني محظية امير المؤمنين واسمي قوت القلوب وان امير المؤمنين لما ان رباني في قصره وكبرت ونظر الخليفة الى صفاتي وما اعطاني ربي من الحسن والجمال فاحبني محبة زائدة واخذني واسكنني في مقصورة ورسم لي بعشر جواري يخدمنني ثم انه اعطاني ذلك المصاغ الذي تراه معي ففي يوم من بعض الايام سافر الخليفة الى بعض البلاد فجاءت الست زبيدة الى بعض الجواري التي في خدمتي وقالت لها عندك حاجة فقالت لها وما هي ياستي قالت اذا نامت ستك قوت القلوب فحطي هذه القطعة البنج في مناخيرها او في شرابها ولك علي من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهي فرحانة لاجل الدراهم ولانها في الاصل كانت جاريتها فجاءت الي ووضعت لي البنج في شرابي فلما كان الليل شربت فلما استقر البنج في جوفي وقعت الى الارض وصارت راسي عند رجلي فما اعرفت بروحي الا وانا في دنيا اخرى وانها لما تمت حيلتها حطتني في ذلك الصندوق واحضرت العبيد سرا وبرطلتهم وكذلك البوابين وارسلتني مع العبيد في الليلة التي انت كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معي ما رايت وكانت نجاتي على يديك وانت اتيت بي الى هذا المكان واحسنت الي غاية الاحسان وهذه قصتي وحكايتي وما اعرف ايش جرى للخليفة في غيبتي فاعرف قدري ولا تشهر امري فلما سمع غانم بن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تاخر الى ورائه والحقته هيبة الخلافة وجلس وحده في ناحية من نواحي المكان يعاتب نفسه ويتفكر في امره ويصبر قلبه وبقي حائرا في عشق التي فيها ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام وشكا من تحامل الزمان وما له من العدوان فسبحان من اشغل القلوب بالمحبة والمحبوب وانشد يقول

قَلْبُ الْمُحِبِّ عَلَى الْأَحْبَابِ مَتْعُوبُ	وَعَقْلُهُ مَعَ بَدِيعِ الْحُسْنِ مَنْهُوبُ
قَدْ قِيلَ لِي كَيْفَ طَعْمُ الْحُبِّ قُلْتُ لَهُ	الْحُبُّ عَذْبٌ وَلَكِنْ فِيهِ تَعْذِيبُ

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه في قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبة غانم بيديها وقبلته وهو يمتنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة زمانية وهما غريقان في بحر محبتهما الى ان طلع النهار فقام غانم ولبس اثوابه وخرج الى السوق كعادته واخذ جميع ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب

تبكي فلما ان راته بطلت البكاء وتبسمت وقالت له اوحشتني يا محبوب قلبي والله ان هذه الساعة التي غبتها عني كسنة من اجل فراقك وها انا قد بينت لك حالي من شدة ولعي بك فقم بنا الآن ودع ما كان واقض اربك مني قال اعوذ بالله ان هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي للمولى فهو على العبد حرام ثم جذب نفسه منها وجلس في ناحية على الحصيرة وزادت هي محبة فيه بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت هي وانشدت تقول ✤

قَلْبُ الْمُتَيَّمِ كَادَ اَنْ يَتَفَتَّتَا	فَاِلَى مَتَى هٰذَا الصُّدُودُ اِلَى مَتَى
يَا مُعْرِضًا عَنِّي بِغَيْرِ جِنَايَةٍ	فَعَوَائِدُ الْغِزْلَانِ اَنْ تَتَلَفَّتَا
صَدٌّ وَاِبْعَادٌ وَهَجْرٌ دَائِمٌ	مَا كُلُّ هٰذَا الْاَمْرِ يَحْمِلُهُ الْفَتَى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هي لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل فقام غانم وفرش فرشين كل فرش في مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثاني فقال لها هذا لي والآخر لك ومن هذه الليلة نحن لا ننام الا على هذا النمط وكل شيء كان للسيد فهو على العبد حرام فقالت له يا سيدي دعنا من هذا وكل شيء يجري بقضاء وقدر فابى من ذلك فانطلقت النار في قلبها وزاد غرامها وتعلقت هي فيه وقالت له والله ما ننام الا سواء فقال معاذ الله وغلب هو عليها ونام وحده الى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام واقاما على ذلك ثلاثة اشهر طوال وهي كلما تقربت منه يمتنع عنها ويقول لها كلما يكون للسيد فهو على العبد حرام فلما طال بها المطال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب انشدت من فؤاد متعوب

تقول هذه الابيات

بَدِيعَ الْحُسْنِ كَمْ هٰذَا التَّجَنِّي	وَمَنْ اَغْرَاكَ بِالْاِعْرَاضِ عَنِّي
حَوَيْتَ مِنَ الرَّشَاقَةِ كُلَّ مَعْنًى	وَحُزْتَ مِنَ الْمَلَاحَةِ كُلَّ فَنِّ
وَاَجْرَيْتَ الْغَرَامَ لِكُلِّ قَلْبٍ	وَوَكَّلْتَ السُّهَادَ بِكُلِّ جَفْنٍ
وَاَعْرِفُ قَبْلَكَ الْاَغْصَانَ تُجْنَى	فَيَا غُصْنَ الْاَرَاكِ اَرَاكَ تَجْنِي
وَعَهْدِي بِالظِّبَا صَيْدًا فَمَا لِي	اَرَاكَ تَصِيدُ اَرْبَابَ الْمِجَنِّ
وَاَعْجَبُ مَا اُحَدِّثُ عَنْكَ اِنِّي	فُتِنْتُ وَاَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ بِاَنِّي
فَلَا تَسْمَحْ بِوَصْلِكَ لِي فَاِنِّي	اَغَارُ عَلَيْكَ مِنْكَ فَكَيْفَ مِنِّي
وَلَسْتُ بِقَائِلٍ مَا دُمْتُ حَيًّا	بَدِيعَ الْحُسْنِ كَمْ هٰذَا التَّجَنِّي

واقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها هذا ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب واما ما كان من امر الست زبيدة فانها في غيبة الخليفة لما فعلت بقوت القلوب ذلك الامر بقيت حائرة تقول في نفسها ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسال عنها وما يكون جوابي له فدعت بعجوز كانت عندها واطلعتها على سرها وقالت لها كيف افعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمي ياستي ان مجيء الخليفة قريب ولكن ارسلي الى نجار وامريه ان يعمل لك صورة ميت من خشب ويحفر لها قبرا في وسط القصر وندفنها فيه وتعملي له مقصورة وتوقد فيه الشموع والقناديل وتامري كل من في القصر ان يلبسوا الاسود وامري جواريك والخدام اذا علموا ان الخليفة اتى من السفر ان ينشروا التبن في الدهاليز فاذا دخل الخليفة وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت وعظم الله اجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها في قصرها فاذا سمع ذلك يبكي ويعز عليه فانه يعمل لها الختومات ويسهر على قبرها فان قال في نفسه ان بنت عمي زبيدة من غيرتها سعت في هلاك قوت القلوب او غلب عليه الهيام فيأمر باخراجها من القبر فلا تفزعي من ذلك فلما يحفرون ويطلعون على تلك الصورة التي كبني آدم فيراها وهي مكفنة بالاكفان المفتخرة فان اراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه انت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ انها ماتت فيعيدها الى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين انت ان شاء الله تعالى من هذه الورطة فلما سمعت الست زبيدة كلامها رأته صوابا فخلعت عليها خلعة وامرتها ان تفعل ذلك بعد ما اعطتها جملة من المال فشرعت العجوز في الحال وامرت النجار ان يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى الست زبيدة فكفنتها ودفنتها واوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وامرت الجواري ان يلبسن السواد واشتهر الامر في القصر ان قوت القلوب ماتت فبعد مدة اقبل الخليفة من غيبته وطلع الى قصره ولكن ما له شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجواري كلهم لابسين السواد فرجف فؤاد الخليفة فلما دخل القصر على الست زبيدة رآها لابسة السواد فسأل الخليفة عن ذلك فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سال عن قبرها فقالت الست زبيدة اعلم يا امير المؤمنين انني من معزتها عندي دفنتها في قصري فدخل الخليفة بثياب السفر الى قبر قوت القلوب ليزورها فوجد البسط مفروشة والشموع

والقناديل موقودة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها فبقي حائرا في امره وهو ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس امر بحفر القبر واخرجها منه فلما راى الكفن واراد ان يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة امر في الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وعمل الختومات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكي الى ان غشي عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق ان الخليفة دخل الحريم بعد انصراف الامراء والوزراء الى بيوتهم فنام ساعة فجلست عند رأسه جارية تروحه بالمروحة وعند رجليه جارية تكبسه فلما نام وانتبه وفتح عينيه وغمضهما فسمع الجارية التي عند رأسه تقول للتي عند رجليه ويلك يا خيزران قالت لها نعم يا قضيب البان قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى وانه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب اي شيء اصابها فقالت اعلمي ان الست زبيدة ارسلت مع جارية قرص بنج وبنجتها فلما تحكم البنج منها جعلتها في صندوق وارسلتها مع صواب وكافور وامرتهما ان يرمياها في التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب البان هل الست قوت القلوب ما ماتت فقالت لا والله سلامة شبابها من الموت ولكن انا سمعت الست زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم بن ايوب الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربع شهور وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور ومحال وان قوت القلوب عند غانم بن ايوب مدة اربعة اشهر غضب الخليفة غضبا شديدا وقام ودخل على امراء دولته فعند ذلك اقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن ايوب واكبسوا داره واتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بد لي ان اعذبه فاجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر والخلق والعالم والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان اتوا الى دار غانم وكان غانم بن ايوب خرج في ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم واراد ان يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار من كل جانب

والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مسلولة مجردة وقد داروا به كما يدور
سياض العين بالسواد فعند ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك
واصفر لونها وتغيرت محاسنها فعند ذلك نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك
فقال لها كيف اعمل والى اين اذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لا تمكث
لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها يا حبيبتي ونور عيني كيف اصنع في الخروج
وقد احاطوا بالدار فقالت له لا تخف وقلعته من ثيابه والبسته ثيابا بالية وجاءت
بالقدرة التي كان فيها اللحم ووضعتها على رأسه وحطت في حواليها كسرة خبز وزبدية
طعام ووضعتهم في مقطف وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فانا اعرف اي
شيء في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت به عليه خرج من
بينهم وهو حامل المقطف بما فيه وستر عليه الستار ونجا من المكائد والاضرار ببركة
نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى
قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وعبت صندوقا من الذهب والمصاغ والجواهر
والتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر وراها قامت على قدميها وقبلت
الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم من القدم بما حكم الله فلما راى ذلك
جعفر قال لها والله يا ستي انه ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت يا سيدي انه
عبى تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بخبره واريد ان تحفظ لي هذا الصندوق
واحمله الى ان تسلمه لي في قصر امير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق
وامر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان
نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة وحكى جعفر للخليفة جميع ما جرى فامر الخليفة لقوت
القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه والزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانما
قد فسق بها وراقدها ثم انه كتب مرسوما للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا
في دمشق ومضمونه ان ساعة وصول المرسوم تقبض على غانم بن ايوب وترسله الي فلما
وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من اراد ان ينهب
فعليه بدار غانم بن ايوب فجاءوا الى الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا له قبرا
في وسط الدار وقعدتا عنده تبكيان عليه فمسكوهما ونهبوا الدار ولم تعلما ما الخبر فلما
احضروهما عند السلطان سالهما عن غانم ولدهما فقالتا له من مدة سنة او اكثر ما
وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر

غانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته ونظر الى حاله فبكى على نفسه حتى انفطر
قلبه وهاج على وجهه وسار الى اخر النهار وقد ازداد به الجوع واضر به المشي فلما وصل
الى بلد دخلها وذهب الى مسجد وجلس على برش واسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو
في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب على
جلده القمل من العرق وصارت رائحته زفرة وتغيرت احواله فاتى اهل تلك البلدة
يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا هزيلا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما صلوا
واقبلوا عليه وجدوه بردانا جائعا فاعطوه ثوبا عتيقا قد بليت اكمامه وقالوا له يا غريب
من اين تكون وما سبب ضعفك ففتح عينيه فيهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا فذهب احدهم
وقد عرف انه جيعان فاتى له بسكرجة عسل ورغيفين فاكل يسيرا وقعدوا عنده حتى
طلعت الشمس وانصرفوا لاشغالهم ولم يزل على هذا الحال شهرا وهو عندهم وقد تزايد
به الضعف والمرض فبكوا عليه وتعطفوا وتشاوروا بعضهم في امره فاتفقوا في انهم ان
يوصلوه الى المارستان الذي ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامراتين شحاذتين دخلتا
عليه وكانتا هؤلاء امه واخته فلما رآهما اعطاهما الخبز الذي عند راسه ونامتا عنده تلك
الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا له جملا وقالوا للجمال
احمل هذا المريض فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانك تحطه في باب المارستان لعله
يتداوى ويتعافى ويبقى لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة فبعد ذلك اخرجوا غانم بن ايوب
من المسجد وحملوه بالبرش الذي هو نائم عليه فوق الجمل وجاءت امه واخته يتفرجان عليه
من جملة الناس ولم تعلما به ثم انهما نظرتا اليه وتاملتاه وقالتا انه شبيه لغانم ابننا فيا ترى
هل هو هذا الضعيف اولا واما غانم فانه ما افاق الا وهو محمول على الجمل مشدود بحبل فبكى
واشتكى واهل القرية ينظرون امه واخته تبكيان عليه ولم تعرفا به ثم سافرت امه واخته
الى ان وصلتا الى بغداد واما الجمال فما زال سائرا به حتى حطه على باب المارستان
واخذ جمله وذهب فنام غانم راقدا هناك الى الصباح فلما اندرجت الناس في الطريق نظروا
اليه وقد صار رق الخلال والناس يتفرجون عليه فجاء شيخ السوق وازاح الناس عنه وقال
انا اكسب الجنة بهذا المسكين فانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد ثم امر
صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته
اخدميه بنصح فقالت طيب على الرأس ثم تشمرت وسخنت ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه
والبسته ثوبا من لبس جواريها واسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فافاق واشتكى وافتكر

محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة واسكنها في المكان المظلم وتمت على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من شعرها قالت يا حبيبي يا غانم ما احسنك وما اعف نفسك احسنت لمن اساء عليك وحفظت حرمة من ضيع حرمتك وحفظت حريمه وهو سباك وسبى اهلك ولابد ان تقف انت وامير المؤمنين بين يدى حاكم عادل وتنتصف انت عليه في يوم يكون فيه القاضي المولى جل وعز والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم انها مظلومة فدخل قصره وارسل مسرور الخادم لها فلما حضرت بين يديه اطرقت برأسها وهي باكية العين حزينة القلب فقال يا قوت القلوب اراك تتظلمين مني وتنسبينني الى الظلم وتزعمين اني اسأت لمن احسن الي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له هو غانم بن ايوب فانه لم يقربني بفاحشة ولا سوء وحق نعمتك يا امير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولا قوة الا بالله يا قوت القلوب تمني علي تعطي فقالت اتمنى عليك محبوبي غانم بن ايوب فعند ذلك امتثل امرها فقالت يا امير المومنين ان احضرته تهبني له فقال ان حضر وهبتك له هبة كريم لا يرد في عطائه فقالت يا امير المؤمنين ائذن لي ان ادور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي ما بدا لك ففرحت وخرجت ومعها الف دينار ذهب فزارت المشائخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم الى سوق التجار واعلمت شيخ السوق واعطت له دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء وطلعت ثم جاءت ثاني جمعة الى السوق ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فنادت بالعريف فحضر فدفعت له الف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها يا ستي هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن انه رجل مسكين مديون سلبت نعمته او عاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك فارسل معها

صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب للعريف فشكرته على ذلك فلما وصلت البيت ودخلت وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف فقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب اين الضعيف الذي عندك فبكت وقالت ها هو ياستي والله انه ابن ناس وعليه اثر النعمة وذلك هو على الفراش فالتفتت اليه ونظرته فرأته كانه هو بذاته ورأته قد اختفى وكثر نحوله ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها امره فلم تحقق انه هو ولكن اخذتها الشفقة عليه فبكت وقالت ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء في بلادهم وقد تعنت عليها ولم تعرف انه غانم ثم انها وجعها قلبها عليه ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة ثم ركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال ياسيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امراة وبنتها وهما وجوه ملاح وعليهما اثر النعمة والسعادة عليهما لائحة لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن الشحاذة لانهما ليستا اهلا للشحاذة وانا ندخل ان شاء الله بهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما واين هما فقالت للعريف عليّ بهما فامر الخادم ان يدخلهما على قوت القلوب فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقالت زوجة العريف ياستي نحن نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جاروا عليهما الظلمة وسلبوا نعمتهما واخربوا ديارهما ثم انهما بكتا بكاء شديدا وافتكرتا ما كانتا فيه من النعم وما بقتا فيه من الفقر والحزن وتفكرتا غانم بن ايوب المتيم المسلوب فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما وقالتا نسال الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي اسمه غانم ابن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها والاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لاباس عليكما وهذا اليوم اول سعادتكما واخر شقاوتكما فلا تحزنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما قالت لهما لا تحزنا ثم انها امرت العريف ان ياخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة

وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد ادخلتهما زوجة العريف الحمام وغيرت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سالت زوجة العريف عن المريض الذي هو عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هي وزوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه وشال راسه من فوق المخدة و نادى يا قوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم يا حبيبي فقال لها اقربي مني فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت اخته فتنه وامه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا بك وبامك واختك فتقدمت اليه وحكت له على جميع ما جرى لها مع الخليفة وقالت له اني اظهرت لامير المؤمنين الحق فصدق كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم انها اخبرته انه وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى احضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذي اخذته من داره واخرجت منه دنانير واعطت للعريف اياها وقالت له خذ هذه الدراهم واشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وامرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد ان خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب واقامت عندهم ثلاثة ايام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر فبعد ثلاثة ايام ردت ارواحهم لهم فادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم في بيت العريف وذهبت الى القصر فاستاذنت الخليفة فاذن لها فدخلت وقبلت الارض بين يديه واعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب وان امه واخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام علي بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قد سبقته قوت القلوب ودخلت على غانم واعلمته ان الخليفة ارسل اليك يطلبك بين يديه فاوصته بفصاحة لسانه وتثبيت جنانه وعذوبة كلامه والبسته حلة فاخرة واعطته دنانير بكثرة وقالت له اكثر البذل الى حاشية الخليفة وانت داخل عليه واذا بجعفر قد اقبل عليه وهو على بغلته النوبية فقام غانم وقابله وحياه وباس الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده واضاء فاخذه جعفر وما زالا سائرين هو وجعفر حتى دخلا على امير المؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وارباب الدولة واصحاب الصولة فعند ذلك غانم اعذب كلامه وفصاحته ثم نظر الى الخليفة

واطرق براسه الى الارض وانشد يقول هذه الابيات

حُيِّيتَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمِ الشَّانِ ... مُتَتَابِعِ الْحَسَنَاتِ وَالْإِحْسَانِ
لَا يَلْحَقُونَ بِغَيْرِهِ مِنْ قَيْصَرٍ ... فِي ذَا الْمَقَامِ وَصَاحِبِ الْإِيوَانِ
تَضَعُ الْمُلُوكُ عَلَى ثَرَى أَعْتَابِهِ ... عِنْدَ السَّلَامِ جَوَاهِرَ التِّيجَانِ
حَتَّى إِذَا أَبْصَرَتْ لَهُ أَبْصَارُهُمْ ... خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ عَلَى الْأَذْقَانِ
وَيُفِيدُهُمْ ذَاكَ الْمَقَامُ مَعَ الرِّضَى ... رُتَبَ الْعُلَا وَجَلَالَةَ السُّلْطَانِ
ضَاقَتْ بِعَسْكَرِكَ الْفَيَافِي وَالْوَرَى ... فَاضْرِبْ خِيَامَكَ فِي ذُرَى كِيوَانِ
أَبْقَاكَ مَالِيكَ الْمُلُوكِ بِعَثْوَةٍ ... لَكَ حُسْنُ تَدْبِيرٍ وَثَبْتُ جِنَانِ
وَنَشَرْتَ عَدْلَكَ فِي الْبَسِيطَةِ كُلِّهَا ... حَتَّى اسْتَوَى الْقَاصِي بِهَا وَالدَّانِي

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة واعجبه فصاحة لسانه وعذوبه منطقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليله الخامسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غانم بن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن مني فدنا منه ثم قال له اشرح لي قصتك واطلعني على حكايتك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له في بغداد وبنيامه في التربة واخذ الصندوق من العبيد بعد ما ذهبوا واخبره بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس في الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له ابرئ ذمتى فابرأ ذمته وقال له يا مولانا السلطان ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم امران يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات والعطايات شيئا كثيرا ثم نقله ونقل اخته وامه وسمع الخليفة باخته فتنة انها في الحسن فتنة فخطبها الخليفة من غانم فقال له غانم انها جاريتك وانا مملوكك فشكره واعطاه مائة الف دينار واتى بالشهود والقاضى وكتبوا الكتابين في نهار واحد وهو كتاب الخليفة على فتنة وكتاب غانم بن ايوب على قوت القلوب ودخل هو وغانم في ليلة واحدة فلما اصبح الخليفة امران يؤرخ ماجرى لغانم من حديثه من اوله الى آخره وان يخلد في الخزانة حتى يقرأه الذى ياتي من بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار

وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر بن النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بمدينة السلام قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر بن النعمان وكان من الجبابرة الكبار وكان قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى

له بنار ولا يجاريه احد في مضمار وكان اذا غضب خرج من منخريه الشرار وكان قد ملك جميع الاقطار
واطاع الله له جميع العباد وقد نفذ امره في سائر الامصار ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل
في حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين وارض الحجاز وبلاد اليمن
وجزائر الهند والصين وبلاد الشمال وديار بكر وارض السودان وجزائر البحار وما في الارض
من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى المدائن ليأتوا
بحقيقة الاخبار فعادوا اليه واخبروه بالعدل والطاعة والامان والدعاء للسلطان عمر بن
النعمان هذا وعمر بن النعمان يا ملك الزمان له نسب عظيم الشان تحمل اليه الهدايا والتحف
والخراج من كل مكان وكان له ولد قد سماه شركان وهو اشبه الناس به وقد طلع آفة من آفات
الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى
له بالملك من بعده ثم ان شركان كبر حتى بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة
فاطاع الله له جميع العباد لما به من شدة الباس والجلاد وكان والده عمر بن النعمان له اربع
نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن ولد بغير شركان وهو من احداهن والباقي عواقر
لم يرزق من واحدة منهن ولدا ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد ايام السنة
القبطية وتلك السراري من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت
المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل في كل قصر
ثلثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة واسكن تلك الجواري في هذه
المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة يبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على
ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر في سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة
فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد وكان بالامر المقدر ان جارية من جواري عمر بن النعمان
قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ان تكون ذريتي ونسلي كلها
ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وقال لقد جاءني
من ينازعني في المملكة وقال في نفسه ان ولدت هذه الجارية ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك في
نفسه فهذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية وكان
قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وارسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية
وكانت اجمل الجواري واحسنهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر
وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له ايها الملك كنت اشتهي من اله السماء ان يرزقك
مني ولدا ذكرا حتى اني احسن تربيته وابالغ في ادبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك
الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسي الولادة وكانت في مدة حملها على
صلاح تقوم وتحسن العبادة وتدعو الله بان يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله

منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى وكذلك ولده شركان
ارسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود فتشته القوابل فوجدنه بنتا بوجه ابهى
من القمر فاعلمن بها الحاضرين وعاد رسول الملك واخبره وكذلك رسول شركان اخبره بذلك
ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل مهلوا علي ساعة فاني احس باحشائي
ان فيها شيئا آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها ووضعت مولودا ثانيا فنظرت
اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية
والخدم والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد اطلقوا الزغاريت في القصر فسمع
بقية الجواري بذلك فحسدنها وبلغ عمر بن النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام وخرج وقبل رأسها
ونظر الى المولود ثم انحنى اليه وقبله وضربت الجواري بالدفوف ولعبت بالالات وامر الملك ان
يسموا المولود ضوء المكان واخته نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع والطاعة وافرد لهم
الملك من يخدمهم من المراضع والخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة
والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت اهل بغداد بما رزق الله الملك من الاولاد
فزينت المدينة ودقت البشائر واقبلت الامراء والوزراء وارباب الدولة وهنوا الملك عمر
بن النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد في
اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ولم يزل على تلك الحالة الى ان مضى
اربعة اعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد اربعة اعوام امر ان
ينقل اليها من المصاغ والحلي والحلل والاموال شيء كثير واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما هذا
كله وابن الملك شركان لا يعلم ان والده عمر بن النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم انه رزق سوى
نزهة الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت اعوام وايام وهو مشغول بمقارعة
الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما الملك عمر بن النعمان جالس يوما من الايام اذ دخلت عليه
الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب
القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك
بالدخول ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال
اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا
ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذي ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد
اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم في حرب شديد
مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب في ذلك ان بعض ملوك العرب من قديم الزمان
اتفق انه وجد في بعض فتوحاته كنزا من عهد الاسكندر فنقل منه اموالا لا تحصى ومن جملة ما وجد
فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وهم من معدن الجواهر الابيض الخالص الذي

لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليوناني امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن بعض خاصيتهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه الم ما دامت الخرزة معلقة عليه ولا يأن ولا يسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما كان اسرارها ارسل الملك افريدون هدايا من بعض التحف والمال ومن جملتهم ثلث خرزات وجهزو مركبين الواحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه ان ما احد يقدر يحبس مراكبه لكونه ملك العرب لاسيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذي فى مملكة ملك القسطنطينية وهي متوجهة اليه وليس في سواحل ذلك البحر الا رعايا الملك الاكبر افريدون فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والمال والذخائر وثلث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فكسروه وارسل لهم عسكرا ثانيا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ الملك واقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه في جميع عسكره وانه لا يعود عنهم حتى يترك قيسارية الارمن خرابا ويترك ارضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب العصر والاوان الملك عمر بن النعمان ملك بغداد وخراسان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيئا من انواع الهدايا ويسأل من انعام الملك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يديه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العسكر والرسل الذين من عند ملك القسطنطينية لما قبلوا الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان بعد ان حكوا له واخرجوا له الهدية وكان الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم اقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك في اذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوي الف مثقال من الذهب والجواري كذلك وعليهم من القماش ما يساوي مالا جزيلا فلما راهم الملك قبلهم وفرح بهم وامر باكرام الرسل واقبل على وزرائه واستشارهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدى الملك عمر بن النعمان وقال ايها الملك ما فى الامر احسن الا ان تجهز عسكرا جرارا وتقدم عليهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأي عندي احسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجار بك وارسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثاني ان العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وانكسر عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك في سائر الاقطار والبلاد ولا سيما اذا وصل الخبر الى جزائر

البحر ويسمع ذلك اهل المغرب فيحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا اعجبه
كلام وزيره واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغي ان تكون انت في
مقدم العسكر وولدي شركان في ساقة العسكر ثم ان الملك امر باحضار ولده شركان فلما حضر
قبل الارض بين يدي والده وجلس فقص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير
دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يفعل وامره
ان ينتخب من عسكره عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الحروب والشدة فامتثل شركان
لما قال له ابوه عمر بن النعمان وقام في الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره
وعرض عسكره وانفق عليهم المال وقال لهم المهلة عليكم ثلثة ايام فقبلوا الارض بين يديه
مطيعين لامره وخرجوا من عنده واخذوا في الاهبة واصلاح الشان ثم ان شركان دخل الى خزائن
السلاح واخذ جميع ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة
وغيرهم وبعد ذلك اقاموا ثلثة ايام ثم خرجت العساكر الى ظاهر مدينة بغداد وخرج عمر بن
النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال واقبل على
الوزير دندان واوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه واجابه بالسمع والطاعة
واقبل الملك على ولده شركان واوصاه انه يشاور الوزير في جميع اموره فقبل ذلك ورجع والده
الى ان دخل المدينة ثم ان شركان امر النقباء بالعرض فعرضوا العساكر وكانت عدتهم عشرة آلاف
فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وزعقت البوقات وانتشرت الاعلام والرايات
وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين
والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار واقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الله
بالصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا مجدين في السير والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين
يوما ثم اشرفوا في اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات فسيح
النواحي وكان وصولهم الى ذلك الوادي ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلثة
ايام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته
رسل افريدون صاحب القسطنطينية في وسط ذلك الوادي واما الملك شركان فانه كان في وقت
وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا في جوانب الوادي فارخى عنان
جواده واراد ان يكشف ذلك الوادي ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده له فانهم في اول
بلاد الروم وارض العدو فسار وحده بعد ان امر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان
ثم انه سار على ظهر جواده في جانب الوادي الى ان مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم
فصار لا يقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام فما
زال الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به في بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار

فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره في الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار فطلع عليه القمر واضاء في الخافقين فاندهش شركان لما راى نفسه في ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهي لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فبينما هو كذلك وهو خائف من الوحوش واذا بالقمر قد انبسط على مرج كانه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وحسا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده وربطه في الاشجار ومشى حتى اشرف على نهر ماء يجري وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربي وهي تقول وحق المسيح ليس هذا منكن مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشي الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان فنظر فاذا هو بنهر يسيح وطيور تمرح وغزلان تسرح ووحوش ترتع والطيور باختلاف لغاتها لمعاني الخط تشرح وذلك المكان مزركش بانواع النبات كما قال فيه بعض واصفيه هذين البيتين

مَا الحُسْنُ الارضِ الّا عِندَ زَهرَتِهَا	وَالمَاءُ مِن فَوقِهَا يَجرِي بِارسَالِ
صُنعُ الالهِ العَظِيمِ الشَّانِ مُقتَدِرًا	مُعطِي العَطَايَا وَمُعطِي كُلِّ مِفضَالِ

فنظر شركان الى ذلك المكان فراى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة في الهواء في ضوء القمر وفي وسطها نهر يجري الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كانهن الاقمار وعليهن من انواع الحلي والحلل ما يدهش الابصار وكلهن ابكار كما قيل فيهن هذه الابيات

يُشرِقُ المَرجُ بِمَا فِيهِ	مِنَ البِيضِ الغَوَانِي
زَادَ حُسنًا وَجَمَالًا	مِن بَدِيعَاتِ الخِلَالِ
كُلُّ عَذرَاءَ خَلُوبٍ	ذَاتُ غُنجٍ وَدَلَالٍ
رَاخِيَاتٍ لِشُعُورٍ	كَعَنَاقِيدِ الدَّوَالِي
فَاتِنَاتٍ بِعُيُونٍ	رَامِيَاتٍ بِالنِّبَالِ
مَائِسَاتٍ قَاتِلَاتٍ	لِصَنَادِيدِ الرِّجَالِ

فنظر شركان الى هؤلاء العشرة جوار فوجد بينهن جارية كانها البدر عند تمامه بشعر اجعد وجبين ابلج وطرف ادعج وصدغ معقرب كاملة في الذات والصفات كما قال فيها الشاعر هذه الابيات شعرا

تَزهُو عَلَيَّ بِالحَاظٍ بَدِيعَاتٍ	وَقَدُّهَا مُخجِلٌ لِلسَّمهَرِيَّاتِ
تَبدُو اِلَينَا وَخَدَّاهَا مُوَرَّدَةٌ	فِيهَا مِنَ الظُّرفِ اَنوَاعُ المَلَاحَاتِ
كَاَنَّ طُرَّتَهَا مِن فَوقِ طَلعَتِهَا	لَيلٌ يَلُوحُ عَلَى صُبحِ المَسَرَّاتِ

فسمعها شركان وهي تقول للجواري تقدموا حتى اصارعكم قبل ان يغيب القمر ويأتي الصباح

نصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن
وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها العجوز وهي
كالمغضبة عليها يا فاجرة اتفرحين بصرعك للجواري فها انا عجوز قد اصرعتهن اربعين مرة فكيف
تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتي فصارعيني حتى اقوم اليك واجعل راسك
بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها
يا ستي ذات الدواهي بحق المسيح اتصارعينني حقيقة ام تمزحين معي قالت لها نعم وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لذات الدواهي بحق المسيح اتصارعينني
حقيقة ام تمزحين معي قالت لها بل اصارعك حقيقة وشركان ينظر اليهن قالت لها قومي
للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها
كأنه شعر قنفذ ثم وثبت وقامت اليها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لما اصارعك
الا وانا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز اخذت منديل حرير وفكت لباسها وادخلت يديها
تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها
عفريتة معطاء او حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلي كفعلي كل هذا وشركان
ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل في تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك
قامت الجارية على مهل واخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها
ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من اعكانه كأنه
مصبغ بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلي رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما
فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله ان الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز
ووضعت يدها الشمال فى شفتها ويدها اليمنى في رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت
العجوز من يديها وارادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبان فى
القمر شعرتها فضرطت ضرطتين عفرت احدهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك
شركان عليهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا غير
العجوز مرمية على ظهرها فقال شركان فى نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهي هذا وانت
تعرف قوتها مع غيرك ثم تقرب منهما ليسمع ما يجري بينهما فاقبلت الجارية ورمت عليها
ملاءة من حرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت لها وقالت لها يا ستي ذات الدواهي
ما اردت الا صرعك لا جميع ما حصل لك ولكن انك انفلتِّ من بين يدي فالحمد لله على السلامة
فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشي من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر وصار

الجواري مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان في نفسه لكل رزق سبب ما
وقع علي النوم وسار بي الجواد الى هذا المكان الا لبختي فلعل هذه الجارية وما معها تكون
غنيمة لي ثم انه عمد الى جواده وركبه ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس وبيده حسام
مجرد من قرابه وصاح الله اكبر فلما راته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر
وكان عرضه ستة اذرع بذراع العمل ووثبت فصارت في الجانب الآخر وقامت على حيلها
ونادت برفيع صوتها من انت يا هذا فقد كنت قاطعا سرورنا وحين شهرت حسامك كانك
قد حملت على عسكر من اين انت والى اين تريد فاصدق في مقالك فان الصدق انفع لك
ولا تكذب فان الكذب من اخلاق اللئام ولا شك انك تهت في هذه الليلة عن الطريق
حتى جئت الى هذا المكان الذي خلاصك فيه اكبر الغنيمات وانت الآن في مرج لو صرخنا
فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذي تريد فان اردت ان
نهديك الى الطريق هديناك وان اردت الرفد ارفدناك فلما سمع شركان كلامها
قال لها انا رجل غريب من المسلمين وقد سرت في هذه الليلة منفردا بنفسي اطلب الغنيمة
فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجواري العشر في هذه الليلة المقمرة فآخذهن والحق بهن الى
اصحابي فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليها والجواري والله ماهن غنيمتك اما قلت
لك ان الكذب شين فقال لها العاقل من يعتبر بغيره فقالت له وحق المسيح لولا اخاف ان يكون
هلاكك على يدي لكنت صحت صيحة ملأت عليك المرج خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغريب
وان اردت الغنيمة فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك وتحلف لي بدينك انك لا تتقرب الي
بشيء من السلاح وانتصارع انا واياك فان صرعتني فضعني على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان
انا صرعتك اتحكم فيك فاحلف لي على ذلك فاني اخاف من غدرك فقد ورد في الاخبار اذا كان
الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لي عدت اليك واتيتك وجئت عندك فقال
شركان وقد طمع في اخذها وقال في نفسه انها لم تعرف اني بطل من الابطال ثم ناداها
وقال لها حلفيني بما اردت وبما تثقين به اني لا اقربك بشيء حتى تاخذي اهبتك وتقولي
ادن مني لاصارعك فحينئذ اتقرب اليك فان صرعتني فان لي من المال ما اشتري به
نفسي وان صرعتك انا فهي لغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان
في ذلك وقال وحق النبي صلى الله عليه وسلم رضيت انا الاخر فقالت له احلف الآن بمن
ركب الارواح في الاشباح وشرع الشرائع للانام انك لو تتعرض لي بسوء غير المصارعة
تموت على غير دين الاسلام فقال شركان والله لو حلفني قاض ولو كان قاضي القضاة

لم يحلفني بهذه الايمان ثم انه حلف لها بجميع ما ذكرته وربط جواده في الاشجار وهو غريق في بحر الافتكار وقال سبحان من صورها من ماء مهين ثم ان شركان اشتد واخذ اهبته للصراع وقال للجارية عدى النهر واعبري فقالت له ليس لي اليك عبور فان كنت تريد فاعبر انت الى عندي فقال لها شركان انا لا اقدر على ذلك فقالت الجارية يا فتى انا اجيء لك ثم انها شمرت اذيالها وقفزت فصارت عنده في الجانب الآخر من النهر فدنا منها و انحنى وصفق بيديه وهو باهت في حسنها وجمالها فراى صورة قد اغترفتها يد القدرة بورقة الجان وربتها يد العناية وهبت عليها نسمات السعود وقابلها عند خلقتها طالع مسعود ثم ان الجارية اتت ونادته يا مسلم تقدم الى الصراع قبل ان يطلع الفجر وشمرت عن ساعد كانه الجبن الطري فاضاء ذلك المكان منه هذا وشركان قد تحير وانحنى وصفق بيديه وصفقت الاخرى بيديها وتعلقت به وتعلق بها وتعانقا وتماسكا وتعاركا فوضع يده على خصرها النحيل فغاصت اناملة في طبقات بطنها واسترخت اعضاؤه فوقف على مقام الحسرة فبان له بطن فيه الفترة وصار يرتعد مثل القصبة الفارسية في الريح العاصف فرفعته وضربت به الارض وجلست على صدره بكفل كانه كثيب رمل فلم يملك نفسه عقلا فقالت له يا مسلم انتم عندكم قتل النصارى مباح فما قولك في قتلك فقال لها يا سيدتي اما قولك عن قتلي فما هو الا حرام فان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النسوان والصبيان والشيوخ والرهبان فقالت له اذا كان نبيكم اوحي اليه بهذا فينبغي ان نكافئه على ذلك ولكن قم قد وهبتك نفسك فما يضيع عند الانسان الاحسان ثم قامت عن صدر شركان وقام ينفض التراب عن رأسه من ذوات الضلع الاعوج وما هي الا مالت وقالت له لا تخجل فمن يدخل بلاد الروم يريد الغنيمة ويعين الملوك على الملوك كيف لا يكون فيه قوة حتى لا يقدر يدافع عن نفسه ذات الضلع الاعوج فقال لها ما هي لضعف قوتي ولا صرعتني بقوتك ولكن جمالك هو الذي صرعني فان انعمت الي بدست اخر كان من نوالك فضحكت وقالت اجبتك الى ذلك غير ان الجواري طال بهم الكتاف وقد كلت منهم السواعد والاطراف والصواب اني احلهم فلربما طال الصراع في هذا الدست معك ثم انها اقبلت على الجواري وحلت اكتافهن وقالت لهن بلسان الروم اذهبن الى موضع تامن فيه على انفسكن حتى ينقطع طمع هذا المسلم منكن فذهبن الجواري وشركان ينظر اليهن وهن يتفرجن اليهما ثم دنا كل منهما بصاحبه وجعل بطنه على بطنها فلما صارت بطنه على بطنها وعلمت الجارية منه ذلك رفعته على يديها اسرع من البرق الخاطف ورمته الى الارض فوقع على ظهره فقالت له قم فاني وهبتك روحك مرة

ثانية فان فى الوجه الاول اكرمتك فيه لاجل نبيك فانه ما احل قتل النسوان وفى الوجه
الثاني لاجل ضعفك وحداثة سنك وغربتك ولكن اوصيك ان كان في عسكر المسلمين الذين
جاؤا من عند عمر بن النعمان الذين ارسلهم لاجل الملك القسطنطينية اقوى منك فارسله
الي وقل له على فان للصراع انواعا ومراتب وضرب وبا مثال الوهم ومنها المسابقة والمنازلة
واخذ الرجلين وعض الفخذ والعراك والشباك فقال شركان وقد زاد غيظه منها والله
ياسيدتي اذا كان القيم الصفدي او القيم محمد قيمال او ابن السدي في زمانه
ماحفظت هذه المواليف التي ذكرتهم لي ولكن ياسيدتي والله ما صرعتني بقوتك ولكن
لما راودتني الى كفلك ونحن يا اهل العراق نحب الفخذ الكبير فما بقي لي عقل ولا بصيرة
فان شئت تصارعينني وفهمي معي فما بقي لي دست الا هذا بقانون هذه الصناعة لان
نشاطي قد رجع لي في هذه الساعة فلما سمعت كلامه قالت له ما تريد بهذا الصراع
يا مغلوب تعال واعلم ان هذا الدست الكفاية ثم انها انحنت وطلبته للصراع فانحنى
شركان عليها واخذ فى الجد واحترز من الخزلان وتعاركا ساعة فوجدت الجارية فيه قوة لم
تعهدها منه اولا فقالت له يا مسلم اخذت لنفسك الحذر فقال لها نعم وانت تعلمين ان ما بقي
لي معك غير هذا الدست وبعد هذا ايذهب كل منا فى طريقه فضحكت وضحك الاخر فى وجهها
فلما وقع ذلك سبقت الى فخذه وقبضته على غفلة منه والقته على الارض فوقع على ظهره
فضحكت عليه وقالت له انت تاكل نخالا والا كانك طرطور بدوي تقع من بطشة والا ابو
رياح تقع من الهواء ويلك يا مشؤم ثم قالت له اذهب الى عسكر المسلمين وارسل لنا غيرك لانك
قليل الجهد ونادعلينا فى العرب والعجم والترك والديلم كل من كان له قوة يأتي الينا ثم قفزت
فصارت فى الجانب الاخر من النهر وقالت لشركان وهي تضحك يعز علي فراقك يا مولاي
اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة ويأخذونك على اسنة الرماح وانت
ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان فى نفسه وقال لها
وقد ولت عنه معرضة طالبة للدير يا سيدتي اتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين
الكسير القلب فالتفتت اليه وهي تضحك ثم قالت له ما حاجتك فاني اجيب دعوتك فقال
كيف اطأ ارضك واتحلى بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل زادك وطعامك وقد صرت من بعض
خدامك فقالت لا يأبى الكرامة الا لئيم تفضل بسم الله على الراس والعين اركب جوادك
وسر على جانب النهر مقابلي فانت في ضيافتي ففرح شركان وبادر الى جواده وركبه
ولا زال ماشيا في مقابلها وهي سائرة قبالة الى ان وصل الى جسر معمول باخشاب

من الحور وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال في كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجواري اللاتي كن معها في المصارعة قائمات ينتظرنها فلما اقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية ان قومي اليه وامسكي عنان جواده واعبري به الى الدير فسار شركان وهي قدامه الى ان عدى من الجسر وقد اندهش عقله مما رائ وقال في نفسه يا ليت شعري لوان الوزير دندان كان معي في هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الوجوه الحسان ثم التفت الى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال الآن قد صار لي عليك حرمتان حرمة الصحبة والاخرى بسيري الى منزلك وقبول ضيافتك وصرت تحت حكمك وزمامك فلوانك تنعمين علي بالمسير معي الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل سيد ضرغام وتعرفين من انا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندي ذا عقل سديد ولكني اطلعت الآن على ما في قلبك من الفساد وكيف يجوز لك ان تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا وانا اعلم اني متى حصلت عند ملككم عمر بن النعمان لا اخلص منه لانه ما في صوره ولا في قصوره مثلي ولوكان صاحب بغداد وخراسان الذي له اثنا عشر قصرا في كل قصر جارية على عدد ايام السنة والقصور عدد شهور السنة فان حصلت عنده ما فرغ مني لان اعتقادكم انا نحل لكم كما في كتبكم حيث قيل فيها اَوْمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ فكيف تكلمني بهذا الكلام واما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فاني رايت عسكركم لما استقبلتم ارضنا وبلادنا منذ هذين اليومين فلما اقبلتم لم ار تربيتكم تربية ملوك وانما رايتكم طوائف مجتمعين واما قولك تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلي ذلك ولوكنت شركان ابن الملك عمر بن النعمان الذي ظهر في هذا الزمان فقلت لها وانت تعرفين شركان قالت نعم وعرفت قدومه مع العساكر وعدتهم عشرة آلاف فارس وذلك ان والده عمر بن النعمان ارسل معه هذا الجيش لنصرة ملك القسطنطينية فقال شركان يا سيدتي اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك حدثيني عن سبب ذلك حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينك لولا اني خفت ان يشيع خبري اني من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسي وبارزت عشرة الاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان علي في ذلك عار ولكنني قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسي بالشجاعة مع انك رايت مني العلامة والصناعة والقوة في الصراع والبراعة ولوحضر شركان مكانك في هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لم يقدر على ذلك واني

اودلوان

اوددت لو ان المسيح يرميه بين يدي في هذا الدير حتى اخرج له في صفة الرجال واسره وجعله في الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه وانه ان وقع شركان في يدي فاني اخرج له في صفة الرجال واجعله في القيود والاغلال بعد ان اسره من بحر سرجه فلما سمع شركان هذا الكلام اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال واراد ان يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن رده عنها جمالها فانشد يقول

وَاِذَا الْمَلِيحُ اَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ	جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِاَلْفِ شَفِيعِ

ثم صعدت وهو في اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج في البحر الرجراج فانشد يقول هذه الابيات

فِي وَجْهِهَا شَافِعٌ يَمْحُو اِسَاءَتَهَا	مِنَ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
اِذَا تَاَمَّلْتُهَا نَادَيْتُ مِنْ عَجَبٍ	اَلْبَدْرُ فِي لَيْلَةِ الْاِكْمَالِ قَدْ طَلَعَا
لَوْ اَنَّ عِفْرِيتَ بِلْقِيسٍ يُصَارِعُهَا	مَعَ وَصْفِ قُوَّتِهِ فِي سَاعَةٍ صُرِعَا

ولم يزالا سائرين الى ان وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كشعاع النار فتلقتها الجواري في آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفي وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون فوارة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين وراى في الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكي فقالت له الجارية اصعد يا مولائي على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت ساعة من الزمان فسال عنها من بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انهم قدموا له من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم انهم قدموا له طشتا من الذهب وابريقا من الفضة نغسل يديه وخاطره عند عسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده ويتذكر ايضا كيف نسي وصية ابيه فصار متحيرا في امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجر وبان

النهار فتنهد وتحسر على ما فعل وصار غريقا في بحار الفكر وانشد يقول ❀

لم اغد مالحزم و لكنني	دهيت في الامر فما حيلتي
لوكان من يكشف عني الهوى	برئت من حولي ومن قوتي
وان قلبي في ضلال الهوى	صب وارجو الله في شدتي

فلما فرغ من شعره واذا ببهجة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب يحجبن تلك الجارية وعليها ديباج ملوكي وقد شدت في وسطها زنارا محبوكا مرصعا بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وابرز ردفاها فصارتا كانهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهدا ها كفحلين من الرمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله ان يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتامل رأسها فراى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن اذيالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما لما راى حسنها وجمالها فصاح زنهار زنهار من هذا الزنار ثم انشد يقول هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة	خرعوبة ناعمة النهد
تكتمت ما عندها من جوى	ولست اكتم الذي عندي
خدامها يمشين من خلفها	كالقيل في حل وفي عقد

فجعلت الجارية تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعد ان اقبلت عليه قد اشرف واضاء بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار ولا سيما عند الملوك الكبار وانت شركان بن الملك عمر بن النعمان فلا تكتم سرك وحالك ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم والرضاء فلما قالت ذلك لم يمكنه النكران فصدقها على ذلك فقال انا شركان بن عمر بن النعمان الذى عذبني الزمان واوقعني في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الان فاطرقت براسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لو اراد اهل الارض ان يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني وجلست الى جانبه وصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لوكان لها ارب في قتله لفعلته من الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان

الرومية فغابت ساعة واتت اليها ومعها كأس ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيئاً في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت له وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شيء من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وغسلا يديهما وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تأتي بالرياحين وآلات الشراب من اواني الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والصفات فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت في الذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه وتسقيه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية ما زالت تشرب وتسقي شركان الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت للجارية يا مرجانة هاتي لنا شيئا من آلة الطرب فقالت سمعا وطاعة وغابت لحظة واتت بعود جلقي وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فاخذت الجارية العود واصلحته وشدته وغنت عليه بصوت رخيم ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم من قلب سليم وانشدت تقول هذه الابيات

عَفَا اللّٰهُ عَنْ عَيْنَيْكَ كَمْ سَفَكَتْ دَمًا	وَكَمْ فَوَّقَتْ مِنْكَ اللَّوَاحِظُ اَسْهُمَا
اُجِلُّ حَبِيْبًا جَائِرًا فِي حَبِيْبِهِ	حَرَامٌ عَلَيْهِ اَنْ يَرِقَّ وَيَرْحَمَا
هَنِيْئًا لِطَرْفٍ بَاتَ فِيْكَ مُسَهَّدًا	وَطُوبَى لِقَلْبٍ ظَلَّ فِيْكَ مُتَيَّمَا
تَحَكَّمْتَ فِي قَتْلِي فَاِنَّكَ مَالِكِي	بِرُوحِيَ اَفْدِي الحَاكِمَ المُتَحَكِّمَا

ثم قامت كل واحدة من الجواري ومعها آلتها تنشد عليها ابياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت له يا مسلم اما فهمت ما اقول قال لا ولكن ما طربت الا على حسن انامك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ما ذا تصنع فقال ما كنت املك عقلي فاخذت آلة الطرب فغيرت الضرب وانشدت تقول شعرا

طَعْمُ التَّفَرُّقِ مُرٌّ	فَهَلْ لِذٰلِكَ صَبْرُ
تَعَرَّضَتْ لِي ثَلٰثٌ	صَدٌّ وَبُعْدٌ وَهَجْرُ

أهوى ظريفاً سباني	بالحسن والهجر مرّ

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدت شركان غاب عن وجوده وصار مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم اقبلا على الشراب ولم يزلا فى لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح وارخى الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسال شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في وداعة الله وحفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمواصل الى ان وصل الى باب كبير وهو من العاج مرصع بالدرر والجواهر فدخلوا منه فوجد دارا كبيرة ايضاً وفي صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على اشجار وانهار وفى البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك فى جوفها الآلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه ومسكت يده واجلسته بجانبها وسالته من مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان ثم قالت له اتعرف شيئا ممّا يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم اعرف شيئا من الاشعار فقالت اسمعني

فانشد يقول

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ	لعزة من اعراضنا ما استحلت
فوالله ما قاربت الا تباعدت	بصرم ولا اكثرت الا اقلت
اني وتهيامي بعزة بعدما	تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما	تبوأ منها للمقيل اضمحلت

فلما سمعت منه ذلك قالت لقد كان كثير بين الفصاحة عفيف وبالغ فى وصفه لعزة حيث قال وانشدت تقول

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى	فى الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الي بعيب عزة نسوة	جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيئا من كلام جميل بثينة فانشدنا منه فقال نعم انا اعرف به من كل احد ثم انشد يقول من شعر جميل هذه الابيات

يقولون جاهد يا جميل بغزوة	واي جهاد غيرهن اريد
لكل حديث بينهن بشاشة	وكل قتيل بينهن شهيد

إذا قلتُ ما بي يا بُثَينَةُ قاتلي مِنَ الحُبِّ قالَتْ ثابِتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أعِشْ بهِ مَعَ النّاسِ قالَتْ ذاكَ مِنكَ بَعيدُ
تُريدينَ قَتْلي لا تُريدينَ غَيرَهُ ولَسْتُ أرى قَصْداً سِواكِ أُريدُ

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك واحسن جميل ما الذى ارادته بثينة بجميل حتى قال هذا الشطر اى تريدين قتلي لا تريدين غيره فقال لها شركان يا سيدتي لقد ارادت به ما تريدين مني ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان في مقامه الى ان اصبح الصباح فلما افاق اقبلت عليه الجواري بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له بسم الله تفضل ان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجواري حوله يضربن بالدفوف والآلات الى ان خرج من تلك الدار ودخل الى دار غيرها وهي اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش ما لا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنعة ذلك المكان فانشد يقول

أجْنى رَقيبي مِن ثِمارِ قَلائِدٍ دُرَّ النُّحورِ مُنَضَّداً بالعَسْجَدِ
وعُيونِ ماءٍ مِن سَبائِكِ فِضَّةٍ وخُدودِ وَرْدٍ في وُجوهِ زَبَرْجَدِ
فَكأنَّما لَوْنُ البَنَفْسَجِ قَدْ حَكى زُرْقَ العُيونِ وكُحِّلَتْ بالإثْمِدِ

فلما رأت الجارية شركان قامت له واخذت بيده واجلسته الى جانبها وقالت له اتحسن شيئا يا ابن الملك عمر بن النعمان فى لعب الشطرنج قال نعم ولكن لا تكوني كما قال الشاعر

أقولُ والوَجْدُ يَطويني ويَنْشُرُني ونَهْلَةٌ مِن رُضابِ الحُبِّ تَرْويني
حَضَرْتُ شِطْرَنجَ مَن أهْوى فَلاعَبَني بالبِيضِ والسُّودِ لكِنْ لَيسَ يُرْضيني
كأنَّما الشّاهُ عِندَ الرُّخِّ مَوضِعُهُ وقَدْ تَفَقَّدَ دَسْتاً بالفَرازينِ
فإنْ نَظَرْتُ إلى مَعْنى لَواحِظِها فَنَبْحُ لَحاظِها يا قَوْمِ يُرْديني

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانك لا تعرف شيئا فقال هذا اول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب ثانيا فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا فالتفتت اليه وقالت له انت فى كل شيء مغلوب

فقال يا سيدتي على من لاعب مثلك كيف لا يغلب ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وقدموا لهما الشراب فشربا وبعد ذلك اخذت القانون وكان لها يد فى ضرب القانون

فانشدت تقول هذه الابيات

اَلدَّهْرُ مَا بَيْنَ مَطْوِيٍّ وَمَبْسُوطِ	وَمِثْلُهُ مِثْلُ مَجْرُوْرٍ وَمَخْرُوطِ
فَاشْرَبْ عَلَى حُسْنِهِ اِنْ كُنْتَ مُقْتَدِرًا	اَنْ لَا تُفَارِقَنِي فِي وَجْهِ تَفْرِيطِ

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى ان دخل الليل فكان في ذلك اليوم احسن من اليوم الاول فلما اقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها ولم يبق عنده الا الجواري فالقى نفسه على الارض ونام الى الصباح فاقبلت عليه الجواري على عادتها بالدفوف والالات الطرب فلما راها نهض وجلس واخذنه ومشين به الى ان وصلوا الى الجارية فلما راته نهضت قائمة واخذت بيده واجلسته الى جانبها وسالته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء

فاخذت العود وانشد تقول شعر

لَا تَرْكُنَنَّ اِلَى الْفِرَاقِ	فَاِنَّهُ مُرُّ الْمَذَاقِ
اَلشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوْبِهَا	تَصْفَرُّ مِنْ اَلَمِ الْفِرَاقِ

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة ورجال متزاحمين وبطارقة بايديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فايقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه والله لقد عملت هذه الجارية الحيلة وامهلتنى الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن انا الذي قد القيت نفسي في هذا الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من انتم فقال لها البطريق المقدم عليهم ايتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة اما تعرفين من هو الذي عندك قالت له لا اعرفه فمن يكون هذا فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان بن الملك عمر بن النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من السيدة العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها انت قد نصرت عسكر الروم باخذ هذا الاسد المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشرده بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين ايدينا كما جرت

به العادة انه اذا جاء احد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستاذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شوكة عسكر الاسلام حتى انه يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير ان يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت الست ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل وهي لا تعلم حقيقته وانا وحق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا هو اسير ولكنه رجل اتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروتي اني امكنكم على من دخل تحت ذمامي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع انت الى الملك ابي وقبل الارض بين يديه واخبره بان الامر بخلاف ما قالت الست ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك عد له بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا اعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه انه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له انت شركان بن الملك عمر بن النعمان يقول نعم ولكن لا امكنكم ان تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يعود عنكم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وها هو عندي وها انا احضره بين ايديكم وسيفه وجحفته معه فقال لها البطريق ماسورة انا اذا امنت من غضبك لم آمن من غضب ابيك واني اذا رايته اشير الى البطارقة فياخذونه اسيرا ونمضي به الى الملك حقيرا فلما سمعت منه هذا الكلام قالت له لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق فاذا اردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل فيكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزه قالت للبطريق هذا رجل واحد وانتم مائة ولكن ان اردتم مصادمته فاظهروا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له اولا غيري فقالت الجارية له اصبر حتى اذهب اليه واعرفه بالخطاب وانظر ما عنده من الجواب فان اجاب فهو الصواب وان ابى فلا سبيل لكم اليه واكون انا ومن في الدير وجواري فداه ثم اقبلت

على شركان واخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر احدا بامره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم اليّ واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون لي عشرة بعد عشرة فقالت له الجارية هذه الشطارة ظلم وان كل واحد لواحد فلما سمع ذلك الكلام وثب على قدميه وسار الى ان اقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فعند ذلك وثب البطريق عليه وحمل عليه فقابله شركان كانه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من ظهره وامعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها حين صرعته ما صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له اخ المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله دون ان ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فعند ذلك نادت الجارية يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم وقد تاخروا عن البراز فلم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه باجمعهم وحمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طحنهم طحن الدراس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقي في الدير فقلن لها ما بقي احد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته واخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من المعاركة وكان قد بقي منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم عادت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم هندي وقالت وحق المسيح لم ابخل بنفسي عن ضيفي ولا اتخلى عنه ولو ابقى بسبب ذلك معيرة في بلاد الروم فلما تاملت البطارقة وجدته قتل منهم ثمانين وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وَكَمْ فَرَّقْتُ فِي الْهَيْجَاءِ جَمْعًا	تَرَكْتُ كُمَاتَهُمْ طُعْمَ السِّبَاعِ
سَلُوا عَنِّي وَعَنْهُمْ فِي نِزَالِي	جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْقِرَاعِ
تَرَكْتُ لُيُوثَهُمْ فِي الْحَرْبِ صَرْعَى	عَلَى الرَّمْضَاءِ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ

فلما فرغ من شعره اقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الزرد الذي

كان

كان عليها فقال لها يا مولاتي لاي شيء لبست هذا الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا
عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب
الملك يدخلون منزلي بغير اذني فقالوا لها ايتها الملكة ماجرت العادة اننا نحتاج الى
استيذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم انكم ما اردتم
الا هتكي وقتل ضيفي ثم امرت شركان ان يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقي خدامها انهم
يستحقون اكثر من ذلك ثم التفتت الى شركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا انها انا
اعلمك بقصتي اعلم اني بنت ملك الروم حردوب واسمي ابريزة والعجوز التي تسمى ذات
الدواهي جدتي ام ابي وهي التي اعلمت ابي بك ولا بد انها تعمل حيلة على هلاكي
سيما وقد قتلت بطارقة ابي وشاع اني قد انفردت وتحزبت مع المسلمين فالرأي
السديد انني اترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهي خلفي ولكن اريد منك
مثل ما فعلت معك من الجميل تفعل معي فان العداوة قد وقعت بيني وبين ابي
من اجلك فلا تترك من كلامي شيئا فان هذا كله ما وقع الا من شانك فلما سمع شركان هذا
الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك احد ما
دام في صدري روح ولكن هل لك صبر على فراق والدك واهلك قالت نعم فحلفها
شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبي ولكن بقي عليك شرط اخر فقال
وما هو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها يا سيدتي ان ابي عمر النعمان
ارسلني الى قتال والدك بسبب المال الذي اخذه من جملته ثلث خرزات الكبار الكثيرة
البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها انا احدثك بحديثها وسبب معاداتنا لملك
القسطنطينية وذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير في كل سنة تجتمع فيه الملوك
من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ونساؤهم ويقعدون فيه سبعة ايام وانا
من جملتهم فلما وقعت بيننا المعاداة منعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين
فاتفق في سنة من السنين ان بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من اماكنها الى الدير في
ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وهي بنت جميلة يقال
لها صفية فاقاموا في الدير ستة ايام وفي اليوم السابع انصرفت الناس فقالت
صفية انا ما ارجع الى القسطنطينية الا في البحر فجهزوا لها مركبا ونزلت هي وخواصها
فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فاخرج المركب عن
طريقه وكان هناك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة

افرنجي بالسلاح وكان لهم مدة في البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان دون ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا الا غير قليل حتى انعكس الريح عليهم فلما انعكس الريح عليهم جذبهم الى شعب وخرق الريح قلوعهم وجرهم الينا غصبا فخرجنا اليهم فرايناهم غنيمة قد انساقت الينا فاخذناهم وقتلناهم فوجدنا تلك الاموال والتحف واربعين جارية ومن جملتهم صفية بنت الملك فاخذناهم وقدمنا الجواري الى ابي ونحن ما نعرف ان فيهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار ابي منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة جوار فيهن ابنة الملك وارسلهن هدية الى والدك عمر بن النعمان مع شيء من الجوخ ومن ثياب الصوف ومن القماش الحرير الرومي وقبله ابوك فاختار من الخمس جوار صفية بنت الملك افريدون فلما كان اول هذا العام كتب ابوها كتابا الى والدي بكلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده ويوبخه ويقول له انتم رحتم منا مركبا من منذ سنتين وكانت في يد لصوص من جماعة افرنج حرامية وكانت فيها بنتي صفية ومعها من الجواري نحو ستين جارية ولم تعلموني ولم ترسلوا الي احدا يخبرني بذلك وانا لم اقدر اظهر الخبر خوفا ان يكون في حقي عار عند الملوك من اجل هتك ابنتي فكتمت امري الى هذا العام فكاتبت بعض الحرامية من الافرنج وسالتهم خبر ابنتي عند من في الجزائر من الملوك فقالوا والله ما اخرجنا بها من بلادك لكن سمعنا انها اخذها من يد بعض الحرامية ملك حردوب وحكوا له الحكاية ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم يكن مرادكم معاداتي وقصدكم فضيحتي وهتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الي ابنتي من عندكم وان اهملتم كتابي وعصيتم امري فلا بد ان اكافئكم على قبيح افعالكم وسوء اعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة الى ابي وقراها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف ان صفية بنت الملك افريدون في تلك الجواري ليردها الى والدها فتحير في امره وما بقي يمكنه بعد هذه المدة الكبيرة ان يرسل الى الملك عمر بن النعمان يطلبها منه ولا سيما اننا سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك افريدون اولادا فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورقة هي المصيبة العظمى فما كان لابي حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون ويعتذر اليه ويحلف له بالايمان انه ما علم ان ابنته كانت من جملة الجواري التي كانت في تلك المركب ثم اظهر على انه

ارسلها

ارسلها الى الملك عمر بن النعمان وانه رزق منها الاولاد فلما وصلت رسالة ابي الى افريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وارغى وازبد وقال كيف انه سبي ابنتي وصارت بصفة الجواري وتتداولها الايدي وتصل الى الملوك ويطؤنها بلا عقد فقال وحق المسيح والدين الصحيح ما بقيت اقعد عن هذا الا ان اخذ الثار واكشف العار واني لافعلن فعلا يتحدثون به المحدثون من بعدي وما زال صابرا الى ان دبر الحيلة ونصب مكائد عظيمة وارسل رسلا الى والدك عمر بن النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى ان والدك جهزك بالعساكر التي معك من اجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك ومن معك من عسكرك واما ثلث خرزات التي قال لوالدك عنها في سالته لم يكن لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته واخذها ابي منها حين استولى عليها هي والجواري التي معها ووهبها لي وهي الآن عندي فاذهب انت الى عسكرك وردهم قبل ان يستغرقوا ويتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق فلم تجدوا لكم خلاصا من ايديهم الى يوم الجزاء والقصاص وانا اعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم لانك رسمت لهم بالاقامة ثلثة ايام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام غاب ساعة وهو متفكر ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذي منّ عليّ بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز عليّ فراقك ولا اعلم ما يجري عليك بعدي فقالت له اذهب انت الآن الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وانتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلثة ايام انا الحقكم وما تدخلون بغداد الا وكلنا سواء ثم انه لما اراد الانصراف قالت له والعهد الذي بيني وبينك لا تنساه ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وودعته وعانقته وبكت بكاء شديدا وانشدت تقول

شعرا

وَدَّعْتُهَا وَيَدِي اليَمِينُ لِأَدْمُعِي	وَيَدِي اليَسَارُ لِضَمَّةٍ وَعِنَاقِ
قَالَتْ اَمَا تَخْشَى الفَضِيحَةَ قُلْتُ لَا	يَوْمَ الوَدَاعِ فَضِيحَةُ العُشَّاقِ

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج طالبا الجسر فوصل اليه ومر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من تلك الاشجار وشق في ذلك المرج واذا هو بثلثة فوارس فاخذ لنفسه منهم الحذر وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه ونظر اليهم فاذا هو احدهم الوزير

دندان ومعه اميران فلما راوه وعرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وساله الوزير عن سبب غيابه فاخبرهم عن جميع ماجرى له مع الملكة ابريزة من اوله الى اخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولازالوا سائرين مجدين في السير الى ان وصلوا الى سطح الوادي وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من امر الرسل وملكهم واما ما كان من امر شركان ووزير دندان واميرين فانهم قد اشرف الاربعة على عسكرهم وصاحوا عليهم ارحلوا ارحلوا فرحلوا من ساعتهم وساروا اول يوم وثاني يوم وثالث يوم ولازالوا سائرين الى خمسة ايام ونزلوا في واد كثير الاشجار واستراحوا فيه مدة وبعد ذلك رحلوا منه ومازالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى اشرفوا على اوائل بلادهم فلما وصلوا الى هناك امنوا على انفسهم ونزلوا لاخذ الراحة فخرج اليهم اهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم والاقامات فاقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم في مائة فارس وامر الوزير دندان فسار ومعه الجيش فلما كان بعد مسيرهم بيوم عوّل شركان على السفر فركب وركبت مائة فارس وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا امامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفي الحديد والزرد غواطس فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم نحن بلغنا ما امّلنا ونحن خلفكم مجدّون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم واعطونا اسلحتكم وسلموا لنا انفسكم حتى نجود عليكم بارواحكم فلما سمع شركان ذلك قامت عيناه في ام رأسه واحمرّت وجنتاه وقال لم يا كلاب النصارى جسرتم وجئتم الى بلادنا ومشيتم في ارضنا وما كفاكم ذلك حتى انكم تخاطرون بانفسكم وتخاطبون بهذا الخطاب اظننتم انكم تخلصون من ايدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على مائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فانهم في عددكم ثم سلّ سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال في الابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد

بطل لقتيل والقتال ولم يزالوا في الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم البعض واجتمع شركان باصحابه فلم يجد احدا انصدم منهم غير اربعة انفس بجراحات حصلت لهم لكن رأها سالمة فقال لهم شركان والله عمري اخوض بحر الحرب العجاج واقاتل الرجال فما لقيت اصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم ايها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير انه والله عفا عنا كبارا وصغارا وكل من وقع بين يديه يتغافل عنه ولا يقاتله فوالله لو اراد قتلنا لقتلنا باجمعنا فتحير شركان لما راى من فعله وسمع عنه ذلك المقال وقال في غداة غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة وانا نطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق واما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا له انا ما بلغنا اليوم في هؤلاء اربا فقال لهم في غداة غد نصطف ونبارزهم واحدا بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق وتحارس الفريقان الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس واتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لاصحابه ان اعداءنا قد عزموا على ما كانوا نوافيه فدونكم والمبادرة اليهم فنادى مناد من الافرنج لا يكون قتالنا في هذا اليوم الا مناوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من اصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرزن لي اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق في سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد اشهب وذلك الافرنجي لا نبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف في وسط الميدان واخذ معه في الضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجي بالرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه ان يخرج الى الميدان واخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو اخ الاسير ووقف معه في الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كرّ الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرا ولا زالت المسلمين يخرج منهم واحد بعد واحد والافرنجي يأسرهم الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد اسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه وجمع اصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذي حل بنا انا اخرج في غداة غد الى الميدان واطلب براز المقدم عليهم وانظر من كان السبب في دخوله الى بلادنا

واحذره من قتالنا فان ابى قاتلناه وان صالحنا صالحناه وباتوا على هذا الحال الى ان اصبح الله تعالى بالصباح فركبت الطائفتان واصطفت الفريقان فاراد شركان ان يخرج الى الميدان واذا بالافرنج قد ترجل منهم اكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه الى ان صاروا في وسط الميدان فتامل شركان ذلك الفارس واذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء ازرق من اطلس ووجهه فيه كالبدر اذا اشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد ادهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجي لانبات بعارضيه ولكز جواده حتى صار في وسط الميدان واشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمر بن النعمان يا من ملك الحصون واخرب البلدان دونك والحرب والقتال وابرز الى من قد ناصفك فى الميدان فانت سيد قومك وانا سيد قومي فمن غلب منا صاحبه تامت قومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجي فى الميدان وطبق عليه كالاسد الغضبان فتلقى الافرنجي في الميدان بخبرة وامكان وصدمه صدمة الفرسان واخذا فى الطعن والضرب ولم يزالا فى كر وفر واخذ ورد كانهما جبلان اصطدما او بحران التطما ولم يزالا فى قتال الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وانفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم ما رايت مثل هذا الفارس قط الا اني رايت منه خصلة لم ارها من احد غيره وهو انه اذا لاح له فى خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضربه بعقبه ولكن ما ادري ماذا يكون مني ومنه ومرادي ان يكون فى عسكرنا مثله ومثل اصحابه وبات شركان فلما اصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل في وسط الميدان واقبل عليه شركان ثم اخذا فى القتال واوسعا فى الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا فى حرب وكفاح وطعن بالرماح الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز الجواد ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه فانكب عليه شركان واراد ان يضربه بالسيف خوفا ان يطول به المطال فصاح به الافرنجي وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وامعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التي وقع له معها ما وقع فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها

وقال

وقال لها ما حملك على هذه الفعال قالت له اردت ان اختبرك في الميدان وانظر ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جواري وكلهن بنات ابكار وقد قهرن فرسانك في حومة الميدان ولولا ان جوادي قد عثر بي لكنت ترى قوتي وجلادي فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وامرتهن ان يرحلن بعد ان يطلقن العشرين اسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجواري امرها ثم انهن قبلن الارض بين يديهما فقال لهن مثلكن من يكن عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه ان سلموا عليها فترجلوا جميعا وقبلوا الارض بين يدي الملكة ابريزة وقد عرفوا القضية ثم ركب مائتا فارس وساروا في الليل والنهار الى مدة ستة ايام وبعد ذلك اقبلوا على الديار فامر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب وان يلبسن لبس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر بن النعمان بقدومه ويخبره ان صحبته الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب ملك الروم ليرسل لها من يلاقيها ثم انهم نزلوا من ساعتهم ووقتهم في المكان الذي وصلوا اليه ونزل شركان وباتوا الى الصباح فلما اصبح الله تعالى بالصباح ركب شركان هو ومن معه وركبت ايضا الملكة ابريزة ومن معها من الجيش واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة هي وشركان وقد خرجوا باشارة الملك عمر بن النعمان الى ملاقاتهما فلما قربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين يديهما ثم ركبا وركبوا معهما وساروا في خدمتهما حتى دخلا المدينة وطلعا القصر ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وساله عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت اباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية اراد ان يعمل لنا حيلة من اجل ابنته صفية لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها وسبب اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها

ابيك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولا كان خلاصنا من هذه الامور الا بسبب هذه الجارية ابريزة وما راينا اشجع منها ثم انه شرع يحكي لابيه فيما وقع له منها من اول الامر الى اخره من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع عمر بن النعمان من ولده شركان ذلك عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى انه يراها ثم انه طلبها ان يسالها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان واتى بها الى والده وكان الملك قاعدا على كرسيه واخرج من كان عنده من اهل دولته ولم يبق عنده غير الخدم فدخلت الجارية ابريزة وقبلت الارض بين يدي الملك عمر بن النعمان وتكلمت بحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وامرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما راها الملك طار عقله من راسه ثم انه قربها اليه وادناها وافرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم اخذ يسالها على تلك الخرزات الثلث التي تقدم ذكرها فقالت له ها هي معي يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت حوائجها واخرجت منها علبة واخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحت واخرجت منه تلك الخرزات الثلث وباستها واعطتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فاعطاه خرزة من ثلث خرزات فساله عن الاثنين الاخريين فقال يا ولدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والاخرى لنزهة الزمان اختك فلما سمع شركان ان له اخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده وقال له ايها الملك الك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم اعلمه ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك لكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ورمى الخرزة من يده ونفض ثوابه فقال له الملك ما لي اراك قد تغيرت احوالك لما سمعت هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدي وقد حلفت لك الجيش وعاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من ثلث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قبل الخرزة وقام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها قامت قائمة له وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست واجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسالته فاخبرها ان والده رزق من صفية ولدا ذكرا وانثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال لها انه اعطاهما

خرزتين ودفع لي واحدة فتركتها وانا الى الآن لم اعلم بذلك الا في هذا الوقت والحال
ان لهما ستة سنين فلما علمت ذلك اخذني الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظي ولم اخف عنك شيئا
وانا الآن خائف عليك ان يتزوج بك فانه قد احبك ورايت منه علامة الطمع فيك
فما تقولين اذا اراد ذلك فقالت اعلم يا شركان ان اباك ما له حكم علي ولا يقدر
ان يأخذني بغير رضائي وان كان يأخذني غصبا قتلت نفسي واما ثلث خرزات فما كان على بالي
ان ينعم على احد من اولاده بشئ منها وماظننت الا انه يجعلها في خزائنه مع ذخائره
ولكن اشتهي من احسانك ان تهبني الخرزة التي اعطاها لك والدك ان قبلتها منه
فقال لها سمعا وطاعة ثم انه اعطاها اياها فقالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة
وقالت له اني اخاف ان يسمع ابي اني عندكم فما يقعد عني ويسعى في طلبي ويتفق هو و
الملك افريدون لاجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع
شركان ذلك قال لها يا مولاتي اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكري فيهم ولو
يجتمع علينا كل من في البر والبحر فقالت له ما يكون الا الخير وها انتم ان احسنتم الي قعدت
عندكم وان اسأتم الي رحلت من عندكم ثم انها امرت الجواري باحضار شئ من الاكل
فقدمت المائدة فاكل شركان شيئا يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا
ما كان من امره واما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد انصراف
ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزتين فلما رأته نهضت
قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه اولاده ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما
قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بهما وقبلا يديه واقبلا على امهما
ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك وانت هذه المدة
كلها لاي شئ لم تعلميني انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لاجل ان ازيد
في اكرامك واوسع لك وارفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت ايها الملك وماذا اريد
اكثر واعلا من هذه المنزلة التي انا فيها وانا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقني الله
منك بولدين ذكر وانثى فاعجب الملك عمر بن النعمان كلامها ثم مضى من عندها
وافرد لها ولاولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء
والفلكية والاطباء والجرائحية واوصاهم بهم وزاد في اكرامهم واحسن اليهم غاية
الاحسان ثم رجع الى قصر الملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان له مع صفية واولادها
واما ما كان من امره مع الملكة ابريزة فان الملك عمر بن النعمان اشتغل بحبها وصار ليلا

ونهارا مشغوفا بها وفي كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان انا في هذا الوقت مالي غرض في الرجال فلما راى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما اعياه ذلك احضر وزيره دندان واطلعه على ما في قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب واخبره انها لا تدخل في طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيئا فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيئا من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشراب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقيه لها فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتدخل انت عليها وتتصل بها وتبلغ غرضك منها وهذا ما عندي من الراي فقال له الملك نعم ما اشرت به علي ثم انه عمد الى خزانته واخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة وجعلها في جيبه وصبر الى ان مضى قليل من الليل ودخل على الملكة ابريزة في قصرها فلما راته قامت له قائمة فامرها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها في امر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاواني واوقدت الشموع وامرت باحضار النقل والحلاوات والفاكهة وكل ما يحتاجون اليه وصارا يشربان والملك ينادمها الى ان دب السكر في رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك ذلك اخرج قطعة البنج من جيبه وجعلها بين اصابعه وملا كاسا بيده وشربه وملاه ثانيا وقال للملكة ابريزة انسك واسقط قطعة البنج في الكاس وهي لا تشعر بذلك فاخذته الملكة ابريزة وشربته فلما كان دون ساعة علم ان البنج قد تحكم معها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما راها الملك على تلك الحالة ووجد عند راسها شمعة وعند رجليها شمعة تضيء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها فازال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلي على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على ستها فوجدت دمها يجري على سيقانها وهي ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها واصلحت به شان سيدتها ومسحت عنها الدم وباتت عندها فلما اصبح الله تعالى بالصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت وتقايأت ذلك البنج فنزلت قطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة اعلميني بما كان من امري فاعادت عليها ذلك

وما كان امرها فعرفت ان الملك عمر بن النعمان قد وقع بها واواصلها وتمت حيلته عليها
فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من اراد ان يدخل علي
وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بي فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر بن
النعمان ان الملكة ابريزة ضعيفة فارسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين واقامت
على ذلك شهورا وهي محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه منها وصبر عنها و
كانت قد علقت منه فلما مرت عليها اشهر الحمل ظهر حملها وكبرت بطنها وضاقت
الدنيا بها فقالت لجاريتها مرجانة اعلمي ان القوم ما ظلموني وانما انا الجانية على نفسي
حيث فارقت ابي وامي ومملكتي وانا قد كرهت الحياة وانكسرت همتي وما بقي عندي
من الهمة ولا من القوة شيئ وكنت اذا ركبت جوادي اقدر عليه وانا الآن لا اقدر على
الركوب واني متى ولدت عندهم صرت معيرة عند جواري وكل من في القصر يعلم
انه اخذ وجهي سفاحا وانا اذا رجعت لابي باي وجه القاه وباي وجه ارجع اليه
وما احسن قول الشاعر

بم التعلل لا اهل ولا وطن	ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الامر امرك وانا في طوعك فقالت اريد الساعة ان اخرج
سرا بحيث لا يعلم بي احد غيرك واسافر الى ابي وامي فان اللحم اذا انتن ماله الا اهله
والله يفعل بي ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها
وكتمت سرها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان
الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها
اريد ان اسافر في هذه الليلة ولكن كيف اصنع في المقادير وقد حسيت بالطلق والولادة
وان قعدت خمسة ايام او اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادي وهذا ما كان
مكتوبا على جبيني ثم تفكرت ساعة وقالت لمرجانة انظري لنا رجلا نسافر واياه يخدمنا
في الطريق فاني ليس لي قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله يا سيدتي ما اعرف
غير عبد اسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر بن النعمان وهو شجاع ملازم
لباب قصرنا وامره الملك ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه واكلمه
في هذا الامر واعده بشيئ من المال واقول له اذا اردت المقام عندنا ازوجك بمن
شئت وكان قد ذكر لي قبل اليوم انه كان يقطع الطريق فان هو طاوعنا بلغنا مرادنا
ووصلنا الى بلادنا فقالت لها ناديه عندي حتى احدثه فخرجت له مرجانة ونادت

يا غضبان قد اسعدك الله ان قبلت من سيدتي ما تقوله لك من الكلام واخذت بيده واقبلت به عليها فلما راها قبل يديها فحين راته نفر قلبها منه فقالت في نفسها ان الضرورة لها احكام واقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له يا غضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان فاذا اظهرتك على امري تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها ملكت قلبه وعشقها لوقته فلم يمكنه غير انه قال يا سيدتي ان امرتني بشيء لا اخرج عنه فقالت له اريد منك الساعة ان تأخذني وتأخذ جاريتي هذه وتشد لنا راحلتين وراسي خيل من خيول الملك وتجعل على كل فرس خرجا من المال وشيئا من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجناك بمن تختارها من جواري وان طلبت الرجوع الى بلادك زوجناك واعطيناك ما تحب الى بلادك بعد ان تاخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال يا سيدتي اني اخدمكما بعيوني وامضي معكما واشد لكما الخيل فمضى وهو فرحان وقال في نفسه قد بلغت ما اريد منهما وان لم تطاوعاني قتلتهما واخذت ما معهما من المال واضمر ذلك في سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلث رؤس من الخيل وهو راكب على احدهم واقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبت واحدا واركبت مرجانة واحدا وهي متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وما زال مسافرا بهما في عرصة الجبال ليلا ونهارا الى ان بقي بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت تمسكه فقالت للغضبان انزلني فقد جاءني الطلق وصاحت لمرجانة انزلي واقعدي تحتي وولديني فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق الجواد وهي غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين راها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان في وجه الغضبان فشهر حسامه في وجهها وقال يا سيدتي ارحميني بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقي علي الا العبيد السودان بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذي هو الغضبان ما بقي علي الا العبيد السودان بعد ما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد واغتاظت منه وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذي تقوله لي ويلك لا تتفوه بشيء من هذا في حضرتي

واعلم انني لا ارضى بشيء مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى اصلح شان الجنين و اصلح شاني وارمي الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت علي افعل بي ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام في هذا الوقت فاني اقتل نفسي بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله وانشدت تقول

أَيَا غَضْبَانُ دَعْنِي قَدْ كَفَانِي	مُكَابَدَةُ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
عَنِ الْفَحْشَاءِ رَبِّي قَدْ نَهَانِي	وَقَالَ النَّارُ مَثْوَى مَنْ عَصَانِي
وَإِنِّي لَا أَمِيلُ لِفِعْلِ سُوءٍ	بِعَيْنِ النَّقْصِ دَعْنِي لَا تَرَانِي
وَلَوْ لَمْ تَتْرُكِ الْفَحْشَاءَ عَنِّي	وَتَرْعَى حُرْمَتِي فِي مَنْ رَعَانِي
لَأَصْرُخُ طَاقَتِي لِرِجَالِ قَوْمِي	وَأَجْلِبُ كُلَّ قَاصِيهَا وَدَانِي
وَلَوْ قُطِّعْتُ بِالسَّيْفِ الْيَمَانِي	لَمَا خَلَّيْتُ فَحَّاشًا يَرَانِي
مِنَ الْأَحْرَارِ وَالْكُبَرَاءِ طُرًّا	فَكَيْفَ الْعَبْدُ مِنْ نَسْلِ الزَّوَانِي

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرّت عيناه واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدلت مشافره وزادت به النفرات وانشد يقول هذه الابيات

أَيَا أَبْرِيزَةُ لَا تَتْرُكِينِي	قَتِيلُ هَوَاكِ بِاللَّحْظِ الْيَمَانِي
فَقَلْبِي قَدْ تَقَطَّعَ مِنْ جَفَاكِ	وَجِسْمِي نَاحِلٌ وَالصَّبْرُ فَانِ
وَطَرْفُكِ قَدْ سَبَى الْأَلْبَابَ سِحْرًا	وَعَقْلِي نَازِحٌ وَالشَّوْقُ دَانِ
وَلَوْ أَجْلَبْتِ مِلْءَ الْأَرْضِ جَيْشًا	لَأَبْلُغُ مَأْرَبِي فِي ذَا الزَّمَانِ

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنى اتحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع العبد النحس ذلك منها غضب واحمرت عيناه وتقدم اليها وضربها بالسيف في ورائدها فقتلها وساق جوادها بعد ان اخذ من المال ونجا بنفسه في الجبال هذا ما كان من امر الغضبان واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها ولدت ولدا ذكرا مثل القمر فاخذته مرجانة واصلحت شانه وجعلته الى جنب امه فاخذ ثديها وهي ميتة وصرخت صرخة عظيمة وشقت اثوابها وحثت التراب على رأسها ولطمت على خديها حتى خرج الدم من وجهها وقالت واستاه واخيبتاه قتلت من يد عبد اسود لا قيمة له بعد فروسيتك ولم تزل تبكي واذا بغبار قد طلع وسد الاقطار فانكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وكان هذا العسكر عسكر الملك حردوب والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها من بغداد وهي عند الملك عمر بن النعمان

خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر بن النعمان فلما خرج وبعد عن بلدته مسيرة يوم واحد راى ثلث فرسان من بعيد فقصدهم ليسأ لهم من اين اتوا ويعلم خبر ابنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلثة ابنته وجاريتها والعبد الغضبان فقصدهم ليسالهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما اقبلوا عليهم رآها ابوها انها قتلت وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وفى الحال ضربوا الخيام فى الجبال ونصبوا قبة ومدورة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة بظاهر تلك الخيمة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت فى البكاء فلما افاق الملك من غشيته وسالها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذى قتل ابنتك عبد اسود من عبيد عمر بن النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر بن النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قيسارية وادخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على امه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل المسلمون ببنتى فان الملك عمر بن النعمان ياخذ وجهها قهرا وبعد ذلك يقتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من اخذ ثأر بنتى منه وكشف العار عن عرضي والا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي ما قتل ابنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها فى الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من جهة اخذ ثأرها فوحق المسيح لا ارجع عن الملك عمر بن النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولاعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث به المحدثون في جميع الاقطار وفي كل مكان ولكن ينبغى لك ان تمتثل امري فى كل ما اقوله فمن نوى على ما يريد يبلغ ما يريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد ابكار واتني بحكماء الزمان ودعهم يعلمونهن الحكمة والادب مع الملوك والمنادمة والاشعار ويتكلمون معهن بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين حتى يعلموهن اخبار العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو اقمنا على ذلك اربعة اعوام لبلغنا المرام فطوّل روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان اخذ الثأر بعد اربعين عاما قليل ونحن اذا علّمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لانه مغرم بحب الجواري وعنده ثلثمائة وست وستون جارية وازددن مائة

جارية

جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة بنتك فاذا تعلمت الجواري ما قلت لك عليه اخذتهن بعد ذلك واسافر بهن فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح وقام وقبل رأسها ثم ارسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى اطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا امره وسافروا الى بلاد بعيدة واتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه اكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا علموا الجواري ثم احضر لهم الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب اكرمهم اكراما زائدا واحضر الجواري بين ايديهم واوصاهم بالتعليم والحكمة والادب فامتثلوا امره هذا ما كان من امر الملك حردوب واما ما كان من امر الملك عمر بن النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احد عنها ولم يعلمه احد بذلك فعظم عليه ذلك وقال كيف يكون ان جارية تخرج من القصر ولم يعلم بها احد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما عدت اخرج الى الصيد والقنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد اتى من السفر فاعلم والده بذلك واخبره انها هربت وهو في الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم وكان الملك عمر بن النعمان قد احضر العلماء والحكماء ليعلموا العلم لاولاده ورتب لهم الرواتب فلما رأى ذلك شركان غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالي اراك تزداد ضعفا في جسمك وصفارا في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم اذا انا قتلتهم فمرض جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن انا اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة في الخارج من القلاع اقيم بها بقية عمري فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي احسن لي واجمل عين لا تنظر وقلب لا يحزن واطرق براسه الى الارض فلما سمع الملك عمر بن النعمان

كلامه عرف سبب ما هو فيه من التقصير فاخذ بخاطره وقال له يا ولدي اني اجيبك
لذلك وانا ما في ملكي اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها لك من هذا الوقت واحضر
الموقعين في الوقت والساعة وامرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام
فكتبوا له ذلك وجهزوه واخذ معه الوزير دندان واوصاه ابوه بالمملكة والسياسة
وقلده اموره والاقامة عنده وودعه ابوه وودعته الامراء واكابر الدولة ثم
سار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له اهلها الكاسات وصاحوا
بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه اهل الميمنة ميمنة والميسرة
ميسرة هذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر والده عمر بن النعمان فانه بعد
سفر ولده شركان اقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا ان اولادك تعلموا العلم وكملوا
الحكمة والادب والحشمة فعند ذلك فرح الملك فرحا شديدا وانعم على الحكماء حيث راى
ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر اربع عشرة سنة وطلع مشتغلا
بالديانة والعبادة محبا للفقراء واهل العلم والقرآن وصار اهل بغداد يحبونه
نساء ورجالا الى ان طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج وزيارة قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فلما راى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده و
قال له اني اتيت اليك لاستأذنك في ان احج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام
القابل امضي انا واياك فلما راى الامر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان
فوجدها قائمة تصلي فلما قضت الصلوة قال لها اني قد قتلني الشوق للحج الى بيت الله الحرام
وزيارة قبر النبي عليه الصلوة والسلام واستأذنت والدي فمنعني من ذلك فالمقصود
ان اخذ شيئا من المال واخرج الى الحج سرا ولم اعلم ابي بذلك فقالت له اخته بالله
عليك الا ما صحبتني معك ولا تحرمني من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لها اذا جن الظلام فاخرجي من هذا المكان ولا تعلمي احدا بذلك فلما كان
نصف الليل قامت نزهة الزمان واخذت شيئا من المال ولبست لبس الرجال وكانت
قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ولا زالت ماشية الى باب القصر فوجدت
اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب واركبها وسار في الليل واختلطا بالحج ومشيا
الى ان صارا في وسط الحج العراقي وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة الى ان
دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم اتيا لزيارة قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك ارادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان

لاخته يا اختي في خاطري زيارة بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه السلام فقالت له وانا كذلك واتفقا على ذلك فخرج واكترى له ولها مع المقادسة وجهز احالهما وتوجها مع الركب ففي تلك الليلة حصلت لاخته حمى باردة فتشوشت ثم شفت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه ولم يزالا سائرين الى ان دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان وزاد معه الضعف فنزلا في خان هناك واكتريا لهما مخزنا فنزلا فيه ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم هذا حكم الله فعند ذلك قعدت هي واخوها في ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهي تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها فنفد ما معها من المال وافتقرت حتى لم يبق معها ولا درهم فارسلت صبي الخان الى السوق بشيء من قماشها فباعه وانفقته على اخيها ثم باعت شيئا آخر ولم تزل تبيع من امتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها الاحصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد فقال لها اخوها يا اختي اني قد حسست بالعافية وفي خاطري شيء من اللحم المشوي فقالت له اخته والله يا اخي انا مالي وجه للشحاذة ولكن غدا ادخل بيت احد من الاكابر واخدم فيه واعمل بشيء نقتات به انا وانت ثم تفكرت ساعة وقالت له اني لايهون علي ان افارقك وانت في هذه الحالة ولكن اروح قهرا عني فقال لها اخوها ابعد العز تصبحين ذليلة فلاحول ولاقوة الا بالله ثم بكى وبكت وقالت له يا اخي نحن غرباء وقعدنا هنا سنة كاملة ما دق علينا احد الباب فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا اني اخرج واخدم وآتيك بشيء نقتات به الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكي ساعة وهو يبكي وهو متكئ ثم قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة كانت من ثياب الجمالين وكان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس اخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم اين تمضي ومازالت سائرة واخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث اخوها ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذا الحال يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من المخزن وصاح لصبي الخان وقال له اريد ان تحملني الى السوق فحمله والقاه في السوق فاجتمع عليه اهل القدس وبكوا عليه لما راوه على تلك الحالة فاشار اليهم بطلب شيئا يأكله فجاؤا له من بعض التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا له شيئا واطعموه

اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند راسه
بريقا فلما اقبل الليل انصرف عنه كل الناس وحملوا همه فلما كان نصف الليل تذكر
اخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام اهل
السوق واخذوا له من التجار ثلثين دراهم فضة واكتروا له جملا وقالوا
للجمال احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعله يبرأ ويطيب فقال
لهم على الرأس ثم قال الجمال في نفسه كيف امضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت
فخرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ومضي
الى حال سبيله فلما اصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على
ظهره فقال في نفسه لاي شيء ما يرمون هذا الميت الاهنا ورفصه برجله فتحرك
فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي روحه في اي موضع كان
ثم نظر في وجهه فرآه لانبات بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فاخذته الرأفة
عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لاحول ولا قوة الا بالله اني دخلت في خطيئة
هذا الصبي وقد اوصى النبي صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لاسيما اذا كان
الغريب مريضا فحمله واتى به الى منزله ودخل به على زوجته وامرها ان تخدمه
وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت
له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق واتى له بشئ من ماء الورد
والسكر ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر واخرج له قميصا نظيفا والبسه
اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك
وقال الحمد لله على عافية هذا الصبي اللهم اني اسالك بسرك المكنون ان تجعل
سلامة هذا الشاب على يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم اني اسالك بسرك
المكنون ان تجعل حيوة هذا الصبي على يدي ومازال الوقاد يتعهده ثلثة ايام
وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت
الصحة في جسمه ففتح ضوء المكان عينيه فدخل الوقاد عليه فرآه جالسا وعليه آثار
النشط فقال له ما حالك يا ولدي في هذا الوقت فقال الحمد لله فاني بخير
وعافية ان شاء الله تعالى في هذا الوقت فحمد الوقاد المولى على ذلك ونهض الى

السوق

السوق واشترى له عشرة فراريج واتى بهم الى زوجته وقال لها اذبحي له في كل يوم اثنين باكر النهار واحد اواخر النهار واحدا فقامت وذبحت له فروجا وسلقته واتت به اليه واطعمته اياه واسقته مرقته فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء حارا فغسل يديه واتكأ على الوسائد وغطته بملاءة فنام الى العصر فقامت وسلقت له فروجا اخر واتت به له وفسخته وقالت له كل ياولدي فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه ثم انه جلس عند راسه وقال له ماحالك ياولدي الآن فقال الحمد لله على العافية جزاك الله عني خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج واتى له بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل في الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشتري له كل يوم بدرهم سكرا وماء الورد وشراب البنفسج وماء الخلاف ويشتري له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وقد توجهت له العافية ففرح الوقاد وزوجته بعافية ضوء المكان فقال له الوقاد ياولدي هل لك ان تدخل معي الحمام قال نعم فمضى الى السوق واتى له بمكاري واركبه على حمار وجعل يسنده الى ان وصل معه الى الحمام فاجلسه وادخل الحمار الى المستوقد ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء المكان ياسيدي بسم الله ادخل اغسل لك جسدك فدخل هو واياه الى داخل الحمام واخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلان قد ارسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يغسله ويحك رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا انقص في حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك اتى به الوقاد الى منزله والبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاما رفيعا ولف له شد على رقبته وكانت زوجة الوقاد ذبحت له فروجين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد واذاب له السكر في ماء الخلاف وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من تلك الفراريج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية وقال للوقاد انت الذي من الله تعالى علي بك وجعل سلامتي على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ماسبب مجيئك الى هذه المدينة ومن اين انت فاني ارى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لي انت كيف وقعت بي حتى اخبرك بحديثي فقال له الوقاد اما انا فاني لما توجهت الى اشغالي وجدتك مرميا على القمامة قرب الصبح على باب المستوقد ولم اعرف من رماك فاخذتك عندي وهذه حكايتي فقال ضوء المكان

سبحان من يحيي العظام وهي رميم انك يا اخي ما فعلت الجميل الامع اهله وستجني ثمرة ذلك ثم انه قال للوقاد وانا الآن في اي البلاد فقال له انت في مدينة القدس فعنده ذلك تذكر ضوء المكان غربته وانتكر فراق اخته وبكى وباح بسره للوقاد وحكى له حكايته وانشد يقول

هُمُ حَمَّلُونِي فِي الْهَوَى غَيْرَ طَاقَتِي ... وَمِنْ اَجْلِهِمْ قَامَتْ عَلَيَّ قِيَامَتِي
اَلَا فَارْفُقُوا يَا هَاجِرُونَ بِمُهْجَتِي ... فَقَدْ رَقَّ لِي مِنْ بَعْدِ كُمْ كُلُّ شَامِتِ
وَلَا تَبْخَلُوا اَنْ تَسْمَحُوا لِي بِنَظْرَةٍ ... تُخَفِّفُ اَحْوَالِي وَفَرْطَ صَبَابَتِي
سَاَلْتُ فُؤَادِي الصَّبْرَ عَنْكُمْ فَقَالَ لِي ... اِلَيْكَ فَاِنَّ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ عَادَتِي

ثم زاد في بكائه فقال له الوقاد لا تبك واحمد الله تعالى على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة ايام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلني اليها فقال له الوقاد يا سيدي كيف ادعك تروح وحدك وانت شاب صغير وغريب فان شئت السفر الى دمشق فانا الذي اروح معك وان سمعت واطاعتني زوجتي مني وسافرت معي اقمت هناك فانه لا يهون علي فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافري معي الى دمشق الشام او تكوني مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليك فانه يطلب دمشق الشام فاني والله لا يهون علي فراقه واخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته اسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة وتم الامر ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وامتعة زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد وزوجته اتفقا مع ضوء المكان على انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته واشترى جملا ثم اكترى حمارا واركب ضوء المكان اياه وسافروا وما زالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هناك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيئا من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة ايام فبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه فلما ماتت حزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لا تحزن فاننا كلنا داخلون من هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل

لك يا ولدي ان تخرج بنا ونتنزه في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسارا الى ان اتيا تحت اصطبل والي دمشق فوجد اجمالا محملين صناديق وفرشا وقماشا من الديباج وجنائب مسرجة وبخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل من بعض الخدام وقال لمن هذه التقدمة فقال له المسؤل هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر بن النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وانشد يقول

أَيُّهَا الْغَائِبُونَ عَنْ جَفْنِ عَيْنِي	وَهُمُ فِي الْفُؤَادِ مِنِّي حُلُولُ
غَابَ عَنِّي جَمَالُكُمْ فَحَيَاتِي	لَيْسَ تَحْلُو وَلَا اشْتِيَاقِي يَحُولُ
إِنْ قَضَى اللهُ بِاجْتِمَاعِي عَلَيْكُمْ	أَذْكُرُ الْوَجْدَ فِي حَدِيثٍ يَطُولُ

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدي نحن ما صدقنا انك جاءتك العافية فطب نفسا ولا تبك فاني اخاف عليك من النكسة وما زال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات ثم انشد هذه الابيات

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَاحِلُ	وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَاشَكَّ نَازِلُ
نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ	وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلُ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَمَنْزِلِ رَاكِبٍ	أَنَاخَ عَشِيًّا وَهُوَ فِي الصُّبْحِ رَاحِلُ

ثم جعل ضوء المكان يبكي وينتحب على غربته والوقاد يبكي على فراق زوجته ولكنه ما زال يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كانك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فاني مسافر مع هؤلاء القوم وامشي معهم قليلا قليلا الى ان اصل الى بلادي فقال له الوقاد وانا معك فاني لا اقدر ان افارقك وانا عملت معك حسنة واريد ان اتممها بخدمتي لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عني خيرا ففرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا آخر وباع الجمل وعبى زاده وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار في السفر فاذا تعبت من الركوب انزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك واعانني على مكافاتك فانك فعلت معي من الخير ما لا يفعله احد مع اخيه ثم صبر الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذي

كانا فيه في القدس بعد ان التفت بالعباءة وخرجت لاجل ان تخدم احدا وتشتري لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوي فخرجت تبكي وهي لا تعلم اين تتوجه وكان خاطرها مشغولا عند اخيها وتفكرت الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى في دفع هذه البليات وانشدت تقول شعرا

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم والشوق حرك ما عندي من الألم
ولوعة البين في الاحشاء قد سكنت والوجد صيرني في حالة العدم
والوجد اقلقني والشوق احرقني والدمع باح بما قد كان مكتتم
وليس لي حيلة في الوصل اعرفها حتى تزحزح من ضعفي ومن سقمي
فنار قلبي بالاشواق موقدة ومن لظاها يظل الصب في نقم
يا من يلوم على ما حل بي وكفى اني صبرت على ما خط بالقلم
اقسمت بالحب ما لي سلوة ابدا يمين اهل الهوى مبرورة القسم
يا ليل بلغ رواة الحب عن خبري واشهد بعلمك اني فيك لم انم

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان بكت وصارت تمشي وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب فالتفت ذلك الشيخ الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال في نفسه ان هذه جميلة تدهش العقل ولكنها ذات تقشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بد لي منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها في الطريق في مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بنية هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد علي الاحزان فقال لها اني رزقت ست بنات مات لي منهن خمسة وبقيت واحدة وهي اصغرهن واتيت اليك لاسالك هل انت من اهل هذه المدينة او غريبة لاجل ان آخذك واجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن الاحزان على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل اولادي فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت في سرها عسى ان آمن على نفسي عند هذا الشيخ ثم اطرقت برأسها من الحياء فقالت يا عم انا بنت عرب غريبة ولي اخ ضعيف فانا امضي معك الى بنتك بشرط ان اكون عندها بالنهار وبالليل امضي الى اخي فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لاني غريبة وكنت عزيزة في قومي فاصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخي من بلاد الحجاز واخاف ان اخي لا يعرف لي مكانا فلما سمع البدوي كلامها قال في نفسه والله اني فزت بمطلوبي ثم التفت اليها

وقال لها ما بقي عندي اعز منك ولا اريدك الا لتؤانسي بنتي نهارا وتمضي الى اخيك من اول الليل وان شئت فانقليه الى عندنا ولم يزل البدوي يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان لانت له ووافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته نغمز من معه فسبقوه وهيأوا الهجان وحملوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد حتى اذا وصل اليهم سيروا بالجمال وسافروا وكان البدوي ابن زناء قاطع الطريق وخائن الرفيق وحراميا صاحب مكر وحيل لاعنده بنت ولا ولد وما كان الاعابر طريق فوقع بهذه المسكينة لامر قدره الله ولا زال البدوي يحدثها في الطريق الى ان خرج من مدينة القدس الى طاهرها واجتمع برفقته فوجدهم قد جهزوا الهجان فركب البدوي جملا واردفها خلفه وساروا الليل كله فعرفت نزهة الزمان ان كلامه حيلة عليها وان البدوي غرها فصارت تبكي وتصرخ طول الليل وهم مسافرون في الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم احد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الهجان وتقدم البدوي الى نزهة الزمان وقال لها يا مدينية ما هذا البكاء والله ان لم تسكتي من البكاء ضربتك الى ان تهلكي يا كورة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ النحس يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وانت غدرتني وتريد تعذبني فلما سمع البدوي كلامها قال لها يا كورة الك لسان تجاوبيني به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتي قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت اخاها وما كانت فيه من النعمة فبكت سرا ثم في ثاني يوم التفتت الى البدوي وقالت له كيف تعمل علي هذه الحيلة حتى اتيت بي الى هذه الجبال القفرة وما قصدك مني فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا كورة النحس الك لسان تجاوبيني به واخذ السوط ونزل به على ظهرها الى ان غشي عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطوري ان رايتك او سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته في كسك يا كورة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها في طوقها ونظرت الى حالها وذلها بعد عزها وما حل بها من الضرب وتفكرت في حال اخيها وفي مرضه ووحدته واغترابهما وارسلت دموعها على وجناتها وبكت سرا وانشدت تقول

مِنْ عَادَةِ الدَّهْرِ اِدْبَارٌ وَاِقْبَالٌ	فَمَا يَدُومُ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى حَالٌ
وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ اَجَلٌ	وَتَنْقَضِي بِجَمِيعِ النَّاسِ آجَالٌ

كم احمل الضيم والاهوال يا اسفي من عيشة كلها ضيم واهوال
لا اسعد الله اياما عززت بها دهرا وفي طي ذاك العز اذلال
قد خاب قصدي وآمالي بها انصرمت وقد تقطع بالتغريب اوصال
يامن يمر على دار بها سكني بلغه عني ان الدمع هطال

فلما فرغت من شعرها قام اليها البدوي وعطف عليها ورثى لها ومسح دموعها واعطاها قرص شعير وقال لها انا لا احب من يجاوبني في وقت الغيظ وانت بعد ذلك لا تجاوبيني بشيء من هذا الكلام الفاحش وانا ابيعك لرجل طيب مثلي يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل واحرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيئا يسيرا فلما انتصف الليل امرهم البدوي ان يسافروا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان البدوي لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها ان يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما فعلت فلما انتصف الليل واحرقها الجوع اكلت من القرص الشعير يسيرا ثم ان البدوي امر جماعته ان يسافروا فحملوا الجمال وركب البدوي جملا واردف نزهة الزمان خلفه وساروا وما زالوا سائرين مدة ثلاثة ايام فبعد ثلاثة ايام دخلوا مدينة دمشق ونزلوا في خان السلطان بجانب باب النائب ونزهة الزمان قد تغير لونها من الحزن وتعب السفر فصارت تبكي من اجل ذلك فاقبل عليها البدوي وقال لها يا حضرية وحق طرطوري ان لم تتركي هذا البكاء لا ابيعك الا ليهودي ثم انه قام واخذ بيدها وادخلها في مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون في الجواري وصار يكلمهم ويقول لهم عندي جارية اتيت بها معي واخوها ضعيف فارسلته الى اهلي لبلاد القدس لاجل ان يداووه الى ان يبرأ وقصدي ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهي تبكي وصعب عليها فراقه واريد ان الذي يحب ان يشتريها مني يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندي في القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هي بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانقلبت سيمتها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوي وقال له اعلم يا شيخ العرب اني اروح معك واشتري منك الجارية التي تمدحها

ورثى لها

وتشكر فيها وفي عقلها وادبها وحسنها وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك فقال له البدوي ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط عليّ ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان فربما تليق بعقله يعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وانا لي عنده حاجة وهو ان يكتب لي تحليل في الديوان بان لا يؤخذ مني مكسا ثم تكتب الى والده عمر بن النعمان بالوصية عليّ فان قبل الجارية مني وزنت لك ثمنها في الحال فقال البدوي قبلت منك هذا الشرط ومشيا الى ان اقبلا على المكان الذي فيه نزهة الزمان ووقف البدوي على باب المخزن وناداها يا ناجية وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوي الى التاجر وقال له ها هي قاعدة دونك وايا ها فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما اوصيتك فتقدم التاجر اليها بخلق حسن فرآها بديعة في الحسن والجمال لا سيما انها كانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لي فاني ابلغ بها عند السلطان ما اريد فقال لها التاجر السلام عليكِ يا بُنيّة كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل محتشم ووجهه حسن فقالت في نفسها اظن ان هذا جاء يشتريني ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكني من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن وهو ارجى لي للخير من هذا البدوي الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقي فاني اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها في الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام يا سيدي ورحمة الله وبركاته بهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم واما قولك كيف حالك فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله فرحا بها ثم التفت الى البدوي وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوي وقال له افسدت عليّ الجارية بهذا الكلام لاي شيء تقول انها جليلة مع انها من قطاعة الجواري ورعاع الناس ولا ابيعها لك فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل وقال له رئّض خلقك فانا اشتريها على هذه العيوب التي ذكرتها فقال البدوي وكم تدفع لي فيها فقال له التاجر ما يسمي الولد الا ابوه فاطلب فيها غرضك فقال له البدوي ما يتكلم الا انت فقال التاجر في نفسه هذا البدوي مقرقع ناشف الرأس والله انا لا اعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبي بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوي لا يعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب

ادفع لك فيها مائتي دينار سالمة ليدك خارجا عن الضمان وحق السلطان فلما سمع ذلك البدوي اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك والله ان اعطيتني مائتى دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك وانا ما عدت ابيعها بل اخليها عندى ترعي الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالي يا منتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطوري ان لم تذهب عني لاسمعنك ما لا يرضيك فقال التاجر في نفسه ان هذا البدوي مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيئا في ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطوري والله انها تساوي ملك كسرى وانا ما معي ثمنها ولكن ان طلب مني زيادة اعطيه ما يريد ولو اخذ جميع مالي ثم التفت الى البدوي وقال له يا شيخ العرب طول بالك وريض نفسك وقل لي ما لها من القماش عندك فقال له البدوي وما يصلح لهذه الكورة من القماش والله ان هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجواري لاجل الاشتراء فقال له البدوي دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهي عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجمالها وجلس الى جانبها وقال لها يا سيدتي ما اسمك فقالت له تسأل عن اسمي اليوم او قبل ذلك اليوم فقال لها انت لك اسم اليوم وقبل ذلك اليوم قالت نعم اسمي قبل ذلك اليوم نزهة الزمان واسمي اليوم غصة الزمان فلما سمع التاجر هذا الكلام منها تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اي والله يا سيدي ولكن فرق الزمان بيني وبينه وهو مريض في بيت المقدس فتحير عقله من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوي فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقها منه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت كيف ما جرى لها هذا الامر مع البدوي وبعدها عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت تقول هذه الابيات

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمُقِيمُ بِقَلْبِي	حَيْثُمَا كُنْتَ قَدْ وَقَاكَ إِلٰهِي

وَلَكَ اللهُ حَيْثُ اَمْسَيْتَ جَارُ ... خَائِفاً مِنْ صُرُوفِ دَهْرٍ وَخَطْبِ
غِبْتَ فَاسْتَوْحَشَتْ لِقُرْبِكَ عَيْنِي ... وَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي اَيَّ سَكْبِ
لَيْتَ شِعْرِي بِاَيِّ رَبْعٍ وَاَرْضٍ ... اَنْتَ مُسْتَوْطِنٌ بِدَارٍ وَشِعْبِ
اِنْ تَكُنْ شَارِبًا لِمَاءِ حَيَوةٍ ... حَضَرَ الْوِرْدِ فَالْمَدَامِعُ شُرْبِي
اِنْ شَهِدْتَ الرُّقَادَ يَوْمًا فَجَمْرٌ ... مِنْ سُهَادِي بَيْنَ الْفِرَاشِ وَجَنْبِي
كُلُّ شَيْءٍ اِلَّا فِرَاقُكَ سَهْلٌ ... عِنْدَ قَلْبِي وَغَيْرُهُ غَيْرُ صَعْبِ

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدي ثم ان البدوي قعد ينظر اليها وهي تغطي وجهها من التاجر حيث اراد ان يمسح دمعها عن خدها فاعتقد انها تمنعه من التقليب فقام اليها يجري وكان معه مقود جمل فثناه في يده وضربها به على اكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض في حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها وبكت وبكي التاجر معها فقال التاجر لابد ان اشتري هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوي وهي في غشيتها فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت تقول شعرا

وَارْحَمْنَا لِعَزِيزَةٍ ... بِالضَّيْمِ قَدْ صَارَتْ ذَلِيلَهْ
تَبْكِي بِدَمْعٍ هَاطِلٍ ... وَتَقُولُ مَا فِي الْوَعْدِ حِيلَهْ

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفي بالله لاتدعني عند هذا الظالم الذي لايعرف الله تعالى فاني ان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسي بيدي فخلصني منه يخلصك الله من نار جهنم فقام التاجر وقال للبدوي يا شيخ العرب هذه لبست غرضك بعني اياها بما تريد فقال البدوي خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واخليها هناك تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوي يفتح الله تعالى فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوي يفتح الله هذا اما هو راس مالها لانها اكلت عندي اقراص شعير بتسعين الف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك في طول زمانكم ما اكلتم بالف دينا شعيرا ولكن انا اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها غمزت عليك نائب دمشق فياخذها منك

فهر افقال البدوي تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوي بعتك اياها بهذا الثمن واقد رانني اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله واتى له بالمال واقبضه اياه فاخذه البدوي فقال في نفسه لابد ان اذهب الى القدس لعلي اجد اخاها فاجيئ به وابيعه ثم ركب وسافر الى ان وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسال عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان فانه لما اخذها القى عليها شيئا من قماشه ومضى بها الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم نزهة الزمان من البدوي ومضى بها الى منزله والبسها افخر الملبوس اخذها ونزل بها الى السوق واخذ لها مصاغا مما طلبته ووضعه في بقجة من الاطلس ووضعها بين يدي نزهة الزمان وقال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا اطلعت بك الى السلطان نائب دمشق ان تعلميه بالثمن الذي اشتريتك به وان كان قليلا في ظرفك فاذا وصلت اليه واشتراك مني اذكري له ما فعلت معك واطلبي لي منه منشورا سلطانيا بالوصية علي لاذهب به الى والده صاحب بغداد عمر بن النعمان لاجل ان يمنع من ياخذ مني مكسا على قماش اوغيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر يا سيدتي اني اراك كلما ذكرت بغداد تدمع عيناك الك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا اوغيره فاخبريني به فانا اعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم وان اردت رسالة انا اوصلها اليه فقالت والله مالي معرفة بتاجر ولا غيره وانما لي معرفة بالملك عمر بن النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال في نفسه والله اني وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولي عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك ان الملك عمر بن النعمان يكتب لك ما تريد فأتني بدواة وقرطاس فاني اكتب لك كتابا فاذا دخلت الى مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر بن النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالي والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهي تقرئك السلام واذا سالك عني فاخبره اني عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا

بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضًا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون المكي لابن سينا وحليت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت في الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت في سائر العلوم والفت في علم المنطق والبيان والحساب والجداول واعرف الروحاني والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت للتاجر ائتني بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا ينفعك في سفرك الى البلاد ويغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر ذلك منها صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين في قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضر التاجر ذلك بين يديها باس الارض تعظيما لها فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فيه شعرا

أَرَى النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيَّ قَدْ نَفَرَا ... أَأَنْتَ عَلَّمْتَ طَرْفِي بَعْدَكَ السَّهَرَا

وَمَا لِذِكْرِكَ يُصْلِي النَّارَ فِي كَبِدِي ... أَهَكَذَا كُلُّ صَبٍّ لِلْهَوَى ذَكَرَا

سَقْيًا لِأَيَّامِنَا مَا كَانَ أَطْيَبَهَا ... وَلَّتْ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ لَذَّاتِهَا وَطَرَا

أَسْتَعْطِفُ الرِّيحَ إِنَّ الرِّيحَ حَامِلَةٌ ... إِلَى الْمُتَيَّمِ مِنْ أَكْنَافِكُمْ خَبَرَا

يَشْكُو إِلَيْكَ مُحِبٌّ قَلَّ نَاصِرُهُ ... وَلِلْفِرَاقِ خُطُوبٌ تَصْدَعُ الْحَجَرَا

ثم انها لما فرغت من كتابة شعرها كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهي تقول من اختزمها الفكر وانحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق وهي للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد اذابها الكمد والنحول وشرح حالها يطول لامساعد لها غير العبرات وانشدت تقول هذه الابيات

مَا غَرَّدَتْ سَحَرًا وَرْقَاءُ فِي فَنَنِ ... إِلَّا تَحَرَّكَ عِنْدِي قَاتِلُ الشَّجَنِ

وَلَا تَأَوَّهَ مُشْتَاقٌ بِهِ طَرَبٌ ... إِلَى الْأَحِبَّةِ إِلَّا زَادَ فِي حَزَنِي

أَشْكُو الْغَرَامَ إِلَى مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي ... كَمْ فَرَّقَ الْوَجْدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

أَبْلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي ... وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ ... لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ثم افاضت دموع العين وبعد ذلك كتبت في اسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم لفت الدرج وناولته للتاجر فاخذه

وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صوّرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صوّرك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها الاثواب ثم ارسلي اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها فخرجت من الحمام وجلست على مصطبته وارسلت البلانة اعلمته وخرجت فوجدت المائدة حاضرة فاكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة ودفعتا الباقي لصنّاع الحمام وحارسه ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا واخذ كوفية بالف دينار وبدلة لباس تركية مزركشة وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصّعا بالدر والجوهر وجعل في اذنيها حلقا من ذهب مرصّعا بلؤلؤ بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من ذهب بين الرمانتين وقلادة من عنبر تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشر أكر وتسعة اهلّة كل هلال في وسطه فص من ياقوت وكل اكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلثة الاف دينار وكل اكرة بعشرين الف درهم فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال فلما لبسها امرها التاجر ان تتزين فتزينت باحسن الزينة وارخت على عينيها خاقونية ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبارك الله احسن الخالقين يا بخت من كانت هذه عنده وما زال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه الى ان دخل على السلطان شركان فلما دخل على الملك قبّل الارض بين يديه وقال ايها الملك السعيد اتيت اليك بهدية غريبة الاوصاف معدومة المثال في هذا الزمان جازت الحسن والاحسان فقال له الملك ارني اياها عيانا فخرج التاجر واتى بها وهي خلفه الى ان اوقفها قدام الملك شركان فلما رآها حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختا تسمى نزهة الزمان واخا يسمى ضوء المكان فكان يبغضهما لاجل المملكة فهذا سبب قلة معرفته بهما فعند ذلك لما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في

عصرها

عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال الملك للتاجر خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها ورح الى حال سبيلك فقال له سمعا وطاعة ولكن اكتب لي مرقوما على اني لا ادفع عشرا ابدا على تجارتي فقال الملك اني اول ما افعل ذلك ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار فلما سمع الملك هذا الكلام قال انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازن داره وقال له اعط لهذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار فيكون له مائة وعشرون الف دينار فائدة ثم احضر السلطان شركان القضاة الاربعة وسلمه المال بحضرتهم وقال للقضاة اشهدوا كم اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان اتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا فصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من المال ثم بعد ذلك امر الملك شركان بكتابة منشور للتاجر بعد ان سلم المال وكتب التوقيع مخلدا بانه لا يدفع على تجارته عشرا ولا مكسا ابدا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شركان امر للتاجر بكتابة منشور بعد ما سلم له المال وكتب له التوقيع مخلدا انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في مملكته وامر له بخلعة سنية وانصرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر فقال للقضاة اريد ان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه فقالوا لا باس بذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء اللاتي مع الجارية خلف الستارة يهنئنها ويقبلن يديها ورجليها لما علموا انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقلعن ثيابها وخففنها من ثقل الثياب وصرن ينظرن الى حسنها وجمالها فسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية ما مثلها في الجمال والعلم والحكمة والحساب وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة دينار وعشرين الف دينار واعتقها وكتب كتابه عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى تجاوبهم على ما يسألونها ويناظرونها فطلب النساء الاذن من ازواجهن ومضين الى القصر الذي فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها فحين رأت نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة داخلة عليها

قامت لهن على اقدامها وقابلتهن ووقفت الجواري خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تبتسم في وجوههن فاخذت بقلوبهن ثم اوعدتهن بكل خير وانزلتهن في مراتبهن كانها تربت معهن فتعجبن من عقلها وادبها مع حسنها وجمالها وقلن بعضهن لبعض ماهذه جارية بل ملكة بنت ملك فجلسن يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا اضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا واماكننا واوطاننا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جواريك فبالله لا تخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بينها ومن عندها من النساء وبين الملك شركان والقضاة الاربعة والتاجر وهم جالسون بجانب الملك فعند ذلك ناداها الملك شركان وقال لها ايتها الملكة العزيزة في زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والادب وادعى انك تعرفين في جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا شيأ مما ذكره لنا لذلك التاجر واذكري لنا من هذا الشيء بابا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة ايها الملك الباب الاول في السياسات والاداب الملكية وما ينبغي لولاة الامور الشرعية وما يلزم لهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها الملك ان محاسن الخلق مجموعة في الدين والدنيا فلا يتوصل احد الى الدين الا بالدنيا لانها نعم الطريق الى الاخرة وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال اهلها واعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغي لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمارة الدنيا التي هي طريق الى الاخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغي لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله الى الله ولا يتبع في ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسببت عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى السلطان لاجل ان ينصف بينهم ويضبط امورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال اردشير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على الناس ان يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوي ويكف باس العاتي والباغي واعلم ايها الملك انه على قدر حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئان في الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك

الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغي ان يكون ادينهم لانه هو الذي يقتدى به في امور الدين ويلزم الناس طاعته فيما امر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضي بسبب التسليم الى الاقدار واما ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروة ويكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوّم اعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل في جميع الانام واما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذي ولّاه فمآل ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى وفاقهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله واعلم ايها الملك ان اردشير يقال له جمر شديد وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها وقسمها على اربعة اقسام وجعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات والثاني خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة والثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء والرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل فبقيت واستمرت هذه الرسوم في الفرس الى ان ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو في جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء قصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم في الرخاء ولا تضيق عليهم في الشدة وروي ان اعرابيا جاء الى المنصور وقال له اجع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابي لما سمع منه هذا الكلام فقال ابو العباس الطوسي اخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لا تخطئ وامر للاعرابي بعطية واعلم ايها الملك انه كتب عبد الملك ابن مروان لاخيه عبد العزيز حين وجهه الى مصر تفقد كتابك وحجابك فان الثابت يخبرك عنه كتابك والترسيم تعرفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا استخدم خادما شرط عليه اربعة شروط ان لا يركب البراذين وان لا يلبس الثوب الرقيق وان لا يأكل من الفيء وان لا يؤخر الصلوة عن وقتها وقيل لا مال اجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب

ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كاداء الفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلاء و قال علي كرم الله وجهه اتقوا اشرار النساء وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن في امر ولا تضيقوا عليهن في معروف حتى لا يطمعن في المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وله اداب نذكرها ان شاء الله وقال عمر رضي الله عنه النساء ثلثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها واخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك واخرى غل يجعلها الله في عنق من يشاء والرجال ايضا ثلثة رجل عاقل اذا اقبل على رايه واخر اعقل منه وهو من اذا نزل به الامر لا يعرف عاقبته فيأتي ذوي الرأي فينزل عند ارائهم واخر حائر لا يعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لا بد منه في كل الاشياء حتى ان الجواري يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا في قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم

وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما احسن قول الشاعر

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى ... وَكَوْنُكَ اِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيْرُ

وقال الاخر

فَفِي الْحِلْمِ اِتْقَانٌ وَفِي الْعَفْوِ هَيْبَةٌ ... وَفِي الصِّدْقِ مَنْجَاةٌ لِمَنْ كَانَ صَادِقًا
وَمَنْ يَلْتَمِسْ حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ... يَكُنْ بِالنَّدَى فِي حَلْبَةِ الْمَجْدِ سَابِقًا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما راينا احدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيئا من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت واما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق انه دخل رجل على معوية من ندمائه فذكر اهل العراق وحسن رأيهم وزوجته ميسون ام يزيد تسمع كلامهما فلما انصرف قالت يا امير المؤمنين احب ان تأذن للقوم من اهل العراق بالدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معوية انظروا من بالباب فقالوا بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معوية اقرب مني يا ابا بحر وضرب بينهما سترا بحيث تسمع كلامهما فقال يا ابا بحر كيف رأيك لي قال افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظفار وانتف الابط واحلق العانة وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين

الجمعتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعوية لما ساله وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معوية كيف رأيك لنفسك قال اطأ بقدمي على الارض وانقلها على تمهل واراعيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال اطرق حياء وابدا بالسلام وادع ما لا يعنيني واقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا اجول عليهم اذا جالوا فقال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربوني قربت وان ابعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا امير المؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال احسن الخلق واظهر العشرة واوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع اعوج قال فما رأيك اذا اردت ان تجامعها قال اكلمها حتى تستطيب والثمها حتى تطرب فان كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها احسن تصوير ثم اقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدي ثم اصبه على جسدي ثم احمد الله على ما اعطاني من النعم فقال معوية احسنت في الجواب فقل ما حاجتك فقال حاجتي ان تتقي الله في الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معوية فلما ولى قالت ميسون لو لم يكن بالعراق الا هذا لكفاه ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب رضه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب رضي فاتفق انه رأى ابن عمر فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتي فبينما انا جالس واذا رسول عمر جاءني فذهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم في يده فقال لي ويحك يا معيقب اني وجدت في نفسك شيئا قلت وما ذلك قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر رضه الى ابي موسى الاشعري رضه كتابا مضمونه اذا جاءك كتابي هذا فاعط الناس الذي لهم واحمل الي

ما بقي يفعل فلما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة كتب الى ابي موسى رضي الله عنه مثل ذلك وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدي عثمان رضي الله عنه جاء ولده فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان رضي الله عنه ما يبكيك قال اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك اخذ فلم ار احدا قال له شيئا او ينزعه منه فقال عثمان رضي الله عنه واين تلقى مثل عمر رضي الله عنه وروى زيد بن اسلم عن ابيه انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم اني احسب هؤلاء ركبا اضر بهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضرعون فقال عمر رضي الله عنه السلام عليكم اصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار ما بالكم قالت اضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء القوم يتضرعون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ما اسكتهم به وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليسأله الله عنهم يوم القيامة به قال وما يدري عمر رضي الله عنه بحالهم قالت كيف يتولى امور الناس ويغفل عنهم قال اسلم فاقبل عمر رضي الله عنه علي وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملني هذا فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال احمل عني وزري يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول للمرأة ترددي الي وكان ينفخ تحت القدر وكان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ واخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم وانا ابرد لهم ولم يزالوا حتى اكلوا وشبعوا وترك الباقي عندها ثم اقبل علي وقال يا اسلم اني رايت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لي سبب الضوء الذي رايته و

ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر رضي الله عنه مر براع مملوك فاستباعه شاة فقال له انها ليست لي فقال انت القصد فاشتراه ثم اعتقه فقال اللهم كما رزقتني العتق الاصغر فارزقني العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطي الناس حقوقهم ويزيد في عطائهم واعطى رجلا اربعة الاف درهم وزاده الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم احد وقال الحسن رضي الله عنه اتى عمر رضي الله عنه بمال كثير فاتته حفصة رضي الله عنها فقالت له يا امير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق

قرابتي واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومك واغضبت اباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربي سنة من السنين ان يريني ابي حتى رايته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدي فقال لولا رحمة ربي لهلك ابوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثاني من الباب الاول من اخبار التابعين وسائر الصالحين قال الحسن البصري لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتاسف على ثلثة اشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما امل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان أيكون الرجل زاهدا ويكون له مال قال نعم اذا كان متى ابتلي صبر واذا اعطي شكر وقيل لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه وقال له يا بني اني لا ارى داعي الموت قد دعاني فعليك بتقوى الله في السر والعلانية والشكر لله وصدق الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد كما قال بعضهم شعر

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ	وَلٰكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللّٰهِ خَيْرُ الزَّادِ حَقًّا	وَعِنْدَ اللّٰهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدُ

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثاني من الباب الاول قيل لها وما هي قالت لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه في بيت المال ففزعت بنو امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبريني عن مرادك فقالت يا امير المؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستكشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة لقوم وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للناس وعذابا على آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهرا يشربون منه ثم قام ابو بكر الصديق خليفة بعده فترك النهر على حاله وعمل ما يرضي الله ثم قام عمر قائما فعمل عملا واجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولي معوية فاشتق الانهار منه ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان ويبس النهر الاعظم حتى

آل الامر اليّ فاحببت ان ارد النهر الى ما كان عليه فقالت قد ارددت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت الى بني امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتزويجكم الى عمر وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع اولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا امير المؤمنين كيف تترك اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد في حيوتك من ان تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا اولى من ان ترجعه الى الوالي بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم ايام حيوتي فكيف اشقى بهم بعد مماتي ان اولادي ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شانه او عاص فما كنت لان اعينه على معصية يا مسلمة اني حضرت واياك حين دفن بعض بني مروان فحملتني عيني عنده فرأيته في المنام افضي الى امر من امور الله عز وجل فهالني وراعني فعاهدت الله ان لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت في ذلك مدة حيوتي وارجو ان افضي الى عفو ربي قال مسلمة توفى رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل عليّ وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقات كنت احلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئبا او ذئابا فظننت انها كلاب ولم اكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اذا اصلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من الطين فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم تكلم بثلث كلمات فقال ايها الناس اصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا امر دنياكم واعلموا ان الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا امير المؤمنين لو عملنا لك متكئا لتعتمد عليه قليلا فقال اخاف ان يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظروا الى هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى افاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا امير المؤمنين رايت مصرعك بين ايدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله تعالى للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذي ابكاني فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم قام فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بابي انت وامي يا امير المؤمنين ما نستطيع ان نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهي لم تعرفه بحضور
القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول تحقق انه كتب عمر بن عبد العزيز
الى اهل الموسم اما بعد فاني اشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر اني امرق
من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمدته او يكون امر من اموره
بلغني او احاط به علمي وارجو ان يكون لذلك موضعا عن الغفران الا انه لا اذن مني بظلم احد
فاني مسئول عن كل مظلوم الا واي عامل من عمالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة
فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضي الله عنه ما احب ان يخفف عني الموت لانه آخر
ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو
خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فامر بوضعها في بيت المال قلت يا امير المؤمنين
انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالا لا شيء لهم فلو اوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من
اهل بيتك فقال ادن مني فدنوت منه فقال اما قولك افقرت اولادك فاوص اليهم او الى
من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي على اولادي وعلى من هو فقير من
اهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا واما
رجل معتكف على المعاصي فاني لم اكن لاقويه على معصية الله ثم بعث اليهم واحضرهم بين
يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالبكاء ثم قال ان اباكم ما بين
امرين اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار واما ان تفتقروا فيدخل ابوكم الجنة ودخول
ابيكم الجنة احب اليه من ان تستغنوا قوموا عصمكم الله فقد وكلت امركم الى الله وقال خالد بن
صفوان صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته
وخدمه فنزل في ارض وضربت له خيمة فلما اخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية
البساط فنظرت اليه فلما صارت عيني في عينه قلت له اتم الله نعمته عليك يا امير المؤمنين
وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك اذى ولم اجد لك نصيحة يا
امير المؤمنين ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال
هات ما عندك يا ابن صفوان فقال يا امير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك في عام
قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رايتم مثل ما انا فيه وهل اعطي احد
مثل ما اعطيته وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين في منهاجه
فقال ايها الملك انك سالت عن امر عظيم اتاذن لي في الجواب عنه قال نعم قال ارأيت

الذي انت فيه شيئاً لم يزل امر شيئاً زائلا فقال هو شيئ زائل قال فما لي اراك قد اعجبت بشيئ تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فاين المهرب واين المطلب قال ان تقيم في ملكك فتعمل على طاعة الله تعالى او تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك اجلك فاذا كان السحر فاني قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فاذا هو قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وامر بنزع ما عليه ولزم قصره فاتت الموالي والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا اهكذا فعلت باميرالمؤمنين افسدت لذته ونغصت حيوته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم في هذا الباب من النصائح اني لا اعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان اعلم ايها الملك وكم في هذا الباب من النصائح اني لا اعجز عن الاتيان بجميع ما في هذا الباب في مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير فقال القضاة ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان وما سمعنا بمثلها طول الزمان ولا طول عمرنا ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا في عمل العرس وهيئوا الطعام من جميع الالوان ففي الحال امتثلوا امره وهيئوا جميع الاطعمة وامر بنساء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لا ينصرفن حتى يحضرن الجلاء والعرس فما جاء وقت العصر حتى مدت السفرة مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين من مشوي واوز ودجاج واكل جميع الناس حتى اكتفوا ورسموا لكل مغنية في دمشق فحضرن وكذلك جواري الملك الكبار اللاتي يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما اتى المساء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدي الملك شركان واخذت المغاني والمواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأتها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس بسبع خلع ثم خففوا عنها ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان فاخذ وجهها فعلقت منه في وقتها وساعتها واعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وامر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما اصبح جلس على الكرسي وطلع له ارباب دولته وهنوه واحضر كاتب سره وامره ان يكتب كتابا

لوالده عمر بن النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وادب قد حوت فنون الحكمة وانه لابد من ارسالها الى بغداد لتزور اخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه وشكر عقلها وسلم على اخوته ووزيره دندان وعلى سائر الامراء وختم الكتاب وارسله الى ابيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع له بالجواب وناوله اياه فاخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر لولهان الذي فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر بن النعمان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندي ضاق علي المكان حتى لا استطيع صبرا ولا اقدر ان اكتم سرا وسبب ذلك اني ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب مني الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثاني او الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا كاملا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما اتيت وجدت اخاك واختك اخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج الى الحج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء واني يا ولدي قد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيئان معهم فلما جاء الحجاج سالت عنهما فما اخبرني عنهما احد فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين

وانشد يقول

خَيَالُهُمَا مَا لَيْسَ يَبْرَحُ سَاعَةً	جَعَلْتُ لَهُ فِي الْقَلْبِ اَشْرَفَ مَوْضِعِ
وَلَوْلَا رَجَاءُ الْعَوْدِ مَا عِشْتُ سَاعَةً	وَلَوْلَا خَيَالُ الطَّيْفِ لَمْ اَتَهَجَّعِ

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك اعرف انك لا تتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على ابيه وفرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلث خرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من

جواب شركان من عند الملك عمر بن النعمان

بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله ولحقه الغيظ وحملق عينيه وعرف الخرزة حق معرفتها ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من اين جاءتك هذه الخرزة ياجارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي وانت تقول ياجارية انا ملكة بنت ملك والان زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر بن النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق صار يتعجب ولكنه لم يعرّفها بنفسه فقال لها ياسيدتي هل انت بنت الملك عمر بن النعمان قالت نعم فقال لها احكي لي عن سبب فراقك لوالدك وبيعك فحكت له على ما جميع وقع لها من الاول الى الآخر واخبرته انها تركت اخاها مريضا في بيت المقدس واخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف اتزوج باختي ولكن والله لابد ان ازوجها لواحد من حجابي واذا ظهر امر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يانزهة الزمان انت اختي حقيقة وانا اقول استغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فاني انا شركان ابن الملك عمر بن النعمان فنظرت اليه وحققته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت لاحول ولاقوة الا بالله قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي ان ازوجك بالحاجب وادعك تربي بنتي عنده في بيته بحيث لايعلم احد بانك اختي وهذا الذي قدره الله تعالى علينا لامر اراده فما يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل ان يدري احد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمي البنت قال تسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها على اكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربة وانواع السفوف هذا كله واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فلما كان يوما من الايام اقبل بريد من عند الملك عمر بن النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فاخذه وقرأه واذا فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز اني حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال وصول

هذا الكتاب تجهز لنا المال والخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رايتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن في قصري وفي ملك يدي لانهن لم يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ما رايت هذا كثيرا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي الثمن جميعه فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن الى قصري وبقين في حوزي فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها لك وصحبتها خراج بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر بن النعمان قال في مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم بذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك اياها فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لها يا اختي ما عندك من الرأى فى رد الجواب قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلني صحبة زوجي الحاجب لاحكى لابي حكايتي واخبره بما وقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر واخبره بان التاجر باعني لك وانت زوجتني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهو كذلك فاخذ شركان ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع في تجهيز الخراج واعطاه للحاجب وامره بالسير مع الجارية والخراج الى بغداد ورسم له بمحفة يجلس فيها والجارية بمحفة اخرى فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة وجهز شركان الجمال والبغال وكتب كتابا وسلمه للحاجب وودع اخته نزهة الزمان وكان اخذ منها الخرزة وجعلها في عنق ابنته في سلسلة من خالص الذهب وسافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان وكان معه الوقاد يتفرجان تحت الطارمة فرأيا جمالا وبخاتي وبغالا محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقالوا له هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر بن النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن هو رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذي تزوج الجارية التي تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك

بكى بكاء شديدا وافتكر وتذكر امه واباه واخته ووطنه وقال للوقاد ما بقي لي هنا قعود بل اسافر مع القافلة هذه وامشي قليلا قليلا حتى اصل الى بلادي فقال له الوقاد انا ما امنت عليك من القدس الى دمشق فكيف امن عليك الى بغداد فانا اكون معك وصحبتك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد في تجهيز حاله وشد له حمارا وجعل خرجه على حماره وجعل فيه شيئا من الزاد وشد وسطه وتأهب ووقف حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معي فقال لا اركب ولكن اكون في خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له كذلك ان اتعب ثم ان ضوء المكان قال له سوف تنظر يا اخي ما افعل بك اذا وصلت الى اهلي وما زالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما جاء وقت القائلة امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا واسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماة ونزلوا فاقاموا بها ثلثة ايام و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم اقاموا في مدينة حماة ثلثة ايام ثم سافروا وما زالوا مسافرين حتى وصلوا الى مدينة اخرى فاقاموا بها ثلثة ايام ثم سافروا حتى دخلوا ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الى ابيه بغير اخته فبكى وان واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد يقول هذه الابيات

خَلِيلِيَّ كَمْ هَذَا التَّأَنِّي وَأَصْبِرُ ... وَلَمْ يَأْتِنِي مِنْكُمْ رَسُولٌ يُخَبِّرُ
أَلَا إِنَّ أَيَّامَ الْوِصَالِ قَصِيرَةٌ ... فَيَا لَيْتَ أَيَّامَ التَّفَرُّقِ تَقْصُرُ
خُذُوا بِيَدِي ثُمَّ اكْشِفُوا الثَّوْبَ تَنْظُرُوا ... ضَنَى جَسَدِي لَكِنَّنِي أَتَسَتَّرُ
وَإِنْ قَالَ لِي اسْلُوا هَوَاكُمْ أَقُلْ لَهُ ... فَوَاللهِ مَا أَسْلُوا إِلَى حِينِ أُحْشَرُ

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادي شيئا من الشعر لعل نار قلبي تنطفي فقال له الوقاد بالله عليك اترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ما كنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيئا مسبلا انواره

ونزهة الزمان لم تنم تلك الليلة فقلقت وتذكرت اخاها ضوء المكان وبكت فبينما هي تبكي اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكي وهو ينشد هذه الابيات شعر

لَمَعَ الْبَرْقُ الْيَمَانِي　　فَشَجَانِي مَا شَجَانِي
مِنْ حَبِيبٍ كَانَ عِنْدِي　　سَاقِيًا كَأْسَ التَّهَانِي
ذَكَّرَنِي مَنْ قَدْ رَمَانِي　　بِالْحِمَى لَمَّا رَمَانِي
يَا وَمِيضَ الْبَرْقِ هَلْ　　تَرْجِعُ أَيَّامُ التَّدَانِي
يَا عَذُولِي لَا تَلُمْنِي　　اِنَّ رَبِّي قَدْ بَلَانِي
بِحَبِيبٍ غَابَ عَنِّي　　وَزَمَانٍ قَدْ دَهَانِي
قَدْ نَأَتْ نُزْهَةُ قَلْبِي　　عِنْدَمَا وَلَّى زَمَانِي
وَحَوَى لِي الْهَمَّ صِرْفًا　　وَبِكَأْسٍ قَدْ سَقَانِي
وَأَرَانِي يَا خَلِيلِي　　مَيِّتٌ قَبْلَ التَّدَانِي
يَا زَمَانِي بِالتَّصَابِي　　عُدْ قَرِيبًا بِالتَّهَانِي
فِي سُرُورٍ مَعَ أَمَانٍ　　مِنْ سِهَامٍ قَدْ رَمَانِي
مَنْ لِمِسْكِينٍ غَرِيبٍ　　بَاتَ مَرْعُوبَ الْجَنَانِ
ظَلَّ فِي الْحُزْنِ فَرِيدًا　　بَعْدَ نُزْهَةِ الزَّمَانِ
حَكَمَتْ فِينَا بِرَغْمٍ　　كَفُّ أَوْلَادِ الزَّوَانِي

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة في تلك الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم واتني بهذا الذي ينشد هذه الاشعار فقال لها الخادم اني لم اسمعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من اخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم اسمعه ولم اعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد

سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد ان الست اغتاظت من انشاد الشعر فخاف وقال له والله ما هو انا
فقال له الخادم ومن هو الذي كان ينشد فدلني عليه فانت تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد
على ضوء المكان وقال في نفسه ربما ان الخادم يضره بشئ فقال والله لم اعرفه فقال له الخادم
والله انك تكذب فان ما هنا جالس يقظان الا انت فانت تعرفه فقال له الوقاد والله انا اقول
لك الحق ان الذي كان ينشد الشعر رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه
فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وانا امسكه واجئ به على باب المحفة التي فيها
سيدتنا او امسكه انت بيدك فقال له اذهب انت حتى آتيك به فخلاه الخادم وانصرف
ودخل على الست واعلمها بذلك وقال ما احد يعرفه وما هو الا عابر سبيل فسكتت واما
ضوء المكان فانه لما افاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم
الاسحار فهيج في قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته واراد ان ينشد فقال له الوقاد ماذا
تريد ان تصنع فقال له اريد ان انشد شيأ من الشعر لاطفئ به نار قلبي قال له انت
ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الا باخذي خاطر الخادم فقال له ضوء المكان
وماذا كان فاخبرني بما وقع فقال يا سيدي قد اتاني الخادم وانت مغشي عليك و
معه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون وهو يسأل على من كان
ينشد الاشعار فلم يجد احدا مستيقظا غيري فسألني فقلت له انه كان عابر سبيل فانصرف
وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته ثانيا فات به عندنا فلما سمع ضوء المكان
ذلك بكى وقال من يمنعني من النشيد فانا انشد ويجري علي ما يجري فانا قربت من بلادي
وما ابالي من احد فقال له الوقاد انت ما مرادك الا اهلاك نفسك فقال له ضوء المكان
لابد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وانا كان نيتي
اني لا افارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بابيك وامك وقد مضى لك عندي سنة
ونصف ما حصل لك مني ما يضرك فما الذي قام بك في النشيد ونحن في غاية التعب من
المشي والسهر والناس قد هجعوا ليستريحوا من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان
لا ارجع عما انا فيه ثم حركته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات شعر

قِفْ بِالدِّيَارِ وَحَيِّ الأَرْبُعَ الدُّرُسَا	وَنَادِهَا فَعَسَاهَا أَنْ تُجِيبَ عَسَى
فَإِنْ أَجَنَّكَ لَيْلٌ مِنْ تَوَحُّشِهَا	أَوْقِدْ مِنَ الشَّوْقِ فِي ظَلْمَائِهَا قَبَسَا
إِنْ صَلَّ صِلُّ عِذَارَيْهِ فَلَا عَجَبٌ	إِنْ يَجْنِنِي لَسْعًا أَنْ أَجْتَنِي لَعَسَا
يَا جَنَّةً فَارَقَتْهَا النَّفْسُ مُكْرَهَةً	لَوْلَا التَّأَسِّي بِدَارِ الْخُلْدِ مُتُّ أَسَى

وانشد ايضا هذين البيتين

كُنَّا وَكَانَتْ لَنَا الْأَيَّامُ خَادِمَةً	وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ فِي أَبْهَجِ الْوَطَنِ
مَنْ لِي بِدَارٍ أَحِبَّائِي وَكَانَ بِهَا	ضَوْءُ الْمَكَانِ وَفِيهَا نُزْهَةُ الزَّمَنِ

فلما فرغ من شعره صاح ثلث صيحات ثم وقع على الارض مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان الانشاد الاول تذكرت اباها واخاها ولما سمعت الانشاد الثاني المتضمن لذكر اسمها واسم اخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي انشد اولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اياها وأتني به برفق ولا تضره فان ابى ادفع له هذا الكيس الذي فيه الف دينار فان ابي فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن اي البلاد هو وارجع الي بسرعة ولا تغب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان ارسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اياك ان ترجع لي وتقول ما وجدته فخرج الخادم يضرب في الناس ويدوس في الخيم فلم يجد احدا مستيقظا وجميع الناس من التعب نائمون فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه ومسك يده وقال له انت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ما هو انا فقال له الخادم لا اتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني اخاف من سيدتي اذا انا رجعت لها بغيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ما هو انا ولا اعرفه وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال له الخادم قم انت معي واحك لسيدتي بفمك فاني ما رأيت احدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد اما جئت ورأيتني في هذا الموضع الذي انا فيه قاعد وعرفت مكاني وما احد يقدر ان ينقل عن موضعه الا امسكته الحراس فامض انت الى مكانك وان عدت تسمع احدا من هذه الساعة ينشد شيئا من الشعر سواء كان بعيدا او قريبا فيكون انا او احد اعرفه ولا تعرفه الا مني ثم انه قبل رأس الخادم واخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وجاء فاستتر ووقف من وراء الوقاد وخاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اجلس حتى احكي لك ما جرى فقام

فحكى له ما وقع فقال له دعني فاني ما عدت اذكر ولا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال
الوقاد لضوء المكان لاي شيء انت مطاوع نفسك والشيطان وانت لا تخاف من احد وانا
خائف عليك وعلى نفسي فبالله عليك ما بقيت تتكلم بشيء من الشعر حتى ندخل بلدك فاني
ما كنت اظنك على هذه الحالة اما علمت ان هذه الست زوجة الحاجب تريد زجرك لانك
اقلقتها وكأنها مريضة او سهرانة من تعب السفر وبعد المسافة وهذه ثاني مرة
وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا
وانشد يقول هذه الابيات

تَرَكْتُ كُلَّ لَائِمِ — مَلَامُهُ أَقْلَقَنِي
يَعْذِلُنِي وَمَا دَرَى — بِأَنَّهُ حَرَّضَنِي
قَالَ الوُشَاةُ قَدْ سَلَا — قُلْتُ لِحُبِّ الوَطَنِ
قَالُوا فَمَا أَحْسَنَهُ — قُلْتُ فَمَا أَعْشَقَنِي
قَالُوا فَمَا أَعَزَّهُ — قُلْتُ فَمَا أَذَلَّنِي
هَيْهَاتَ أَنْ أَتْرُكَهُ — لَوْ جُرِّعْتُ كَأْسَ الشَّجَنِ
وَمَا أَطَعْتُ لَائِمًا — فِي حُبِّهِ يَعْذِلُنِي

فلما فرغ من شعره كان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره وانتهى الا
والخادم على رأسه فلما راه الوقاد فر ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال له الخادم
السلام عليكم يا سيدي فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم
يا سيدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان يا سيدي اني اتيت اليك
في هذه الليلة ثلث مرات لان سيدتي تدعوك عندها قال ومن اين هذه الكلبة
التي تطلبني لعنها الله ولعن زوجها معها ونزل في الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد
عليه جوابا لان الست اوصته انه لا يؤذيه ولا يحضره الا بمراده هو فان لم يأت
معه يعطيه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له يا سيدي خذ هذه واذهب
معي يا ولدي نحن ما اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد ان تصل بخطواتك الكريمة معي
الى سيدتي تاخذ منها جوابا وترجع في خير وسلامة ولك عندنا بشارة عظيمة فلما
سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس وتخطاهم والوقاد ماش خلفه وناظر اليه و

يقول في نفسه يا خسارة شبابه في غد يشنقونه وما زال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وهم لا يبرونه ووقف وقال ما اخسه ان كان يقول علي هو الذي قال لي انشد الاشعار هذا اما كان من امر الوقاد واما ما كان من امر ضوء المكان فانه ما زال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها يا سيدتي قد احضرت لك بمن تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه آثار النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت دعه ينشد شيئا من الشعر حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاساله عن اسمه ومن اي البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له قل ما عندك من الشعر فان الست حاضرة بالقرب منك تسمعك وبعد ذلك اسالك عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن اذ اسالتني عن اسمي فانه محا ورسمي فني وجسمي بلي ولي حكاية لا اول لها يعرف ولا آخر لها يوصف وها انا في منزلة السكران الذي اكثر من الشراب وما تجلد على نفسه وحلت به الاوصاب وتاه عن نفسه واحتار في امره وغرق في بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت في البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن تحب مثل امك وابيك فساله الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع واعزهم عندي اختي التي فرق بيني وبينها الدهر فسكتت نزهة الزمان لما سمعته يقول هذا الكلام وقالت الله تعالى يجمع شمله بمن يحب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعني شيئا من مفارقتك لاهلك ووطنك فقال له الخادم كما امرته سيدته فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

أَمَا وَهَوَاهَا حِلْفَةً عِنْدَ ذِي وَجْدٍ لَأُكْرِمُ دَارًا قَدْ أَحَلَّتْ بِهَا هِنْدُ
هَوَاهَا هَوًى لَا يَعْرِفُ النَّاسُ غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ قَبْلٌ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ
كَأَنَّ ثَرَى الْوَادِي مُمَسَّكُ عَنْبَرٍ إِذَا مَا جَرَتْ يَوْمًا بِسَاحَتِهِ هِنْدُ
سَلَامٌ عَلَى مَحْبُوبَةٍ بِرُبَا الْحِمَى عَزِيزَةِ قَوْمٍ كُلُّ مَنْ حَوْلَهَا عَبْدُ
خَلِيلَيَّ مَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مَنْزِلٌ أَرِيحَا فَهَذَا الْبَانُ وَالْعَلَمُ الْفَرْدُ
فَلَا تَنْسَ أَلَّا مِنْ غَيْرِ قَلْبِي فَإِنَّهُ حَلِيفُ هَوًى لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ رَدُّ
سَقَى اللهُ نُزْهَةَ الزَّمَانِ سَحَائِبًا سُقْيًا فَلَا يَنْفَكُّ عَنْ مَتْنِهَا رَعْدُ

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرته فلما وقع بصرها على وجهه عرفته وحققته فصاحت قائلة يا اخي يا ضوء المكان فنظر الاخر اليها فعرفها فصاح قائلا يا اختي يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها في حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب في امرهما والقى عليهما شيئا سترهما به وصبر عليهما حتى افاقا فلما افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وانشدت هذه الابيات

الدهر اقسم لا يزال مكدري	حنثت يمينك يا زمان فكفري
السعد وافى والحبيب مساعدي	فانهض الى داعي السرور وشمري
ما كنت اعتقد السوالف جنة	حتى ظفرت من اللمى بالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم اخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات

كلانا سواء في الهوى غير انما	تجلد احيانا وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما	جنوني عليها حين انهى واوعد

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم بنا الى داخل المحفة واحك لي ما وقع لك وانا احكي لك على ما وقع لي فدخلا فقال ضوء المكان احكي لي انت اولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقع لها مع البدوي والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها له وان شركان اعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك ابوها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذي من علي بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان اخي شركان زوجني بهذا الحاجب لاجل ان يوصلني الى والدي وهذا ما وقع لي من الاول الى الاخر فاحك لي انت ما وقع لك بعد ذهابي من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الاول الى الاخر وكيف من الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه في الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها يا اختي ان هذا الوقاد فعل معي من الاحسان فعلا لا يفعله احد في احد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمني ويمشي ويركبني وكانت حياتي على يديه فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملي باخي على يديك فالكيس

الذي معك وما فيه لك فاذهب واتني بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فاتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسال عنه فحكت له ما وقع لهما من اوله الى آخره ثم قالت اعلم ايها الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر بن النعمان فانا نزهة الزمان وهذا اخي ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر بن النعمان فقال في نفسه مصيري ان آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهناه بسلامته وجمع شمله باخته ثم امر خدمه في الحال ان يهيئوا لضوء المكان خيمة ومركوبا من احسن الخيل فقالت له اخته انا قد قربنا من بلادنا فاتنا نختلي باخي ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا زمنا طويلا ونحن مفترقان فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم ارسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج من عندهما وارسل الى ضوء المكان ثلث بدلات من افخر الثياب وتمشي الى ان جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم وامره ان يأتي بالوقاد ويهيئ له حصانا يركبه ويرتب له سفرة طعام في الغداة والعشي ويأمره انه لا يفارقنا فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى ان وجده في آخر الركب وهو يشد حماره ويريد ان يهرب ودموعه تجري على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول قد نصحته في سبيل الله فلم يسمع مني يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق راسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد لما اراد ان يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على راسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فاظن انه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان علي وانه اشركني معه في الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذي كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لي انا ما انشدت الاشعار ولا

اعرف من انشدها وهو رفيقك فانا لا افارقك من هنا الى بغداد والذى يجري على رفيقك يجري عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ماخفت منه وقعت فيه ثم انشد هذا البيت

كَانَ الَّذِي خِفْتُ اَنْ يَكُوْنَا	اِنَّا اِلَى اللهِ رَاجِعُوْنَا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال انزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره واتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم وقال سرا اكرموه ولا تهينوه فلما راى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحيوة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم ما انا اخوه ولا قريبه وهذا الشاب لا يقرب لي ولا انا اقرب له وانما انا رجل وقاد في حمام ووجدته ملقيا على المزبلة مريضا وسار الركب والوقاد يبكي ويحسب في نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشيء بل يقول له قد اقلقت سيدتنا بانشادك الشعر انت وهذا الصبي ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرا واذا نزلوا تاتيهم الطعام فيأكل هو والوقاد في آنية واحدة فاذا اكلوا امر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما في غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان واخته نزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد ونزهة الزمان واخوها ضوء المكان فى حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وارادوا ان يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم واظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجي فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات واعلام وطبول وفرسان وابطال فتعجب الحاجب من امرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب ومن معه واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب اي شيء الخبر ومن اين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من انت ومن اين اتيت والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب امير دمشق الملك شركان بن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان واتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا منا ديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر بن النعمان قد مات وما مات

الا مسموما فتوجه وما عليك باس حتى نجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا في هذه السفرة وصار يبكي هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له من الوزير دندان فاذن له وامر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير في وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر بن النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر بن النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس في من يولونه بعده حتى اوقعوا القتل في بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشار به القضاة الاربعة لا يخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتي به ونسلطنه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثاني وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكره من خبر الملك عمر بن النعمان تاسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني الآن اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا في خدمته وقبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف

بين يديه ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على تخت
وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء وارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء
الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة واعطوا بقية الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا
قليلا قليلا حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الارض بين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم
رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم اقبل الحاجب على الوزير
دندان وقال له الرأي عندي ان اتقدم واسبقكم لاجل ان اهيئ للسلطان مكانا يناسبه
واعلم بقدومكم وانكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي
رايته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك
الامراء الكبار وارباب المناصب قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث
السلطان ضوء المكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر
غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج
المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه ما
ابرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد في السفر الى ان
وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة
مكان لجلوس السلطان ضوء المكان بن الملك عمر بن النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه
وامر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها فاستأذنوها في
شان ذلك فاذنت له فدخل عليها واجتمع بها وباخيها واخبرهما بموت ابيهما وان
ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر بن النعمان وهناهما بالملك
فبكيا على فقد ابيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفي غد
يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك الا ان تفعل ما اشاروا به
لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وانت لا تأمن على نفسك من الذي
يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما فاطرق براسه
ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلي عنه وتحقق ان الحاجب تكلم
بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف اعمل مع اخي شركان فقال يا ولدي اخوك يكون
سلطان دمشق وانت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز امرك فقبل منه ضوء المكان
ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التي كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله
النمشة وخرج من عنده وامر الفراشين ان يختاروا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة

عظيمة للسلطان يجلس فيها اذا اقدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وامر السقائين ان ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحون بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من في الخيام مشاة في خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب في خدمته بين يديه ووقفت مماليكه في دهليز الخيمة وشهروا في ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامر ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب في الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما راوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لايخالفون له امرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم امر الحاجب ان اخرج في تلك الساعة وامر بمد السماط وامر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان امر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلي بك وتخبرني بسبب قتل ابي فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولا يدخل احد من ارباب الخدمة

لاجل الخدمة عند الملك مدة ثلثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذي كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابي ام لم تعلمي بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريد ان تخبرني تفصيلا بسبب قتل ابي الملك عمر بن النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر بن النعمان لما اتى من سفره من الصيد والقنص وجاء الى المدينة سال عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد ما مضي لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقران القرآن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فاذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما راى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقران القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهن بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء او يهان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رويتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيئا مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذي الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم على ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحيوة والقصد من الحيوة عبادة الله

فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض في الامور من غير نظر في العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك ومالك واعلم ان العدو خصم تخصمه وتعرفه بالحجة وتحترز منه واما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرّا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا اظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على فرط القلوب من الأذى	فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها	مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا خير الاخوان اشدهم في النصيحة وخير الاعمال اجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على افواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد ان يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن اطاع الهوى ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ في الخصومة اثم ومن لم يحذر الحيف لم يامن السيف وها انا اذكر لك شيأ من آداب القضاة اعلم ايها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغي للقاضي ان يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي ايضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرّم حلالا وما اشكلت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسوّ بين الاخصام في الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض امرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت بينته اخذت له بحقه والا فحلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى

امر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضي ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته واصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهري ثلث اذا كن في قاض كان منعزلا اذا اكرم اللئام واحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتني فقال عمر قد بلغني عنك ان مقالك اكبر من مقامك وحكي ان الاسكندر قال لقاضيه اني وليتك منزلة واستودعتك فيها روحي وعرضي ومروتي فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمي فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف في عقلي فاحفظني فيما تكتبه عني ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تاخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدى الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلثة لا تعرف الا في ثلثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وايضا قال عليه السلام ان فى الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واعجب ما فى الانسان قلبه لان به زمام امره فان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا امن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة اشغله الهم وان اجهده الجزع اقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من اسوء الناس حالا قال من غلبت شهوته مروته وبعدت فى المعالي همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ما قاله قيس

وَإِنِّي لَأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ	يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَمَا هُوَ مُهْتَدِي
وَمَا الْمَالُ وَالْأَخْلَاقُ إِلَّا مُعَارَةٌ	فَكُلٌّ بِمَا يُخْفِيهِ فِي الصَّدْرِ مُرْتَدِي

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه	ضللت وإن تدخل من الباب تهتدي

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزاهدين فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لي قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى وقيل ان ابا ذر كان يقول الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضي بالحالة التي اختارها الله له وقال بعض الثقات صلى بنا ابن ابي اوفي صلاة الصبح فقرا يا ايها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر في الناقور خر ميتا ويروي ان ثابتا البناني بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعني قال ثابت في اي شيء قال الطبيب في ان لا تبكي قال ثابت فما فضل عيناي ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر بن النعمان وقال رجل لمحمد ابن عبد الله اوصني فقال اوصيك ان تكون في الدنيا مالكا زاهدا وفي الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد في الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان في بني اسرائيل قال احدهما للآخر ما اخوف عمل عملته قال له اني مررت ببيت فراخ فاخذت منه واحدة ورميتها في ذلك البيت ولكن بين الفراخ التي لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف ما عملته انت فقال اما انا فاخوف عمل اعمله اني اذا قمت الى الصلوة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من افضل الاولاد وقال عبد بن جبير صحبت فضالة ابن عبيد فقلت له اوصني فقال احفظ عني هذين الخصلتين ان لا تشرك بالله شيئا وان لا تؤذي من خلق الله احدا وانشد هذين البيتين

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم	وانف الهموم فما في الأمر من باس
إلا اثنتين فلا تقربهما أبدا	الشرك بالله والإضرار للناس

وما احسن قول الشاعر

إذا أنت لم يصحبك زاد من التقى	ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ان لا تكون كمثله	وانك لم ترصد كما كان ارصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن اذكر بعض ما يحضرني فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقن فيه راحة غير اني علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيئ وكان عطاء السلمي اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك فقال اني اريد ان اقبل على امر عظيم وهو الانتصاب بين يدي الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية وكذلك كان علي زين العابدين ابن الحسين يرتعد اذا قام للصلوة فسئل عن ذلك فقال اتدرون لمن اقوم ولمن اخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثوري رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلي بالناس فيسكت ويبطئ وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتى باهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت في القلب كما ينبغي لطارت فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثوري انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض ما يحضرني من اخبار الصالحين روي ان بشرا الحافي قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلي احدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال ابراهيم التمست من بشر الحافي شيئا من اسرار الحقائق فقال يا بني هذا العلم لا ينبغي ان نعلمه كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكوة الدرهم قال ابراهيم بن ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلي واذا ببشر يصلي فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا سقط منه دانق فقمت اليه واعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لي انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافي قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم

نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا في النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل في ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافي فقال يا اهل بشر لا ازال استشف الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر في السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس صابري فلا اوافقك على ما تريدين وقال رضي الله عنه سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ في جوف الليل ويقول الهي وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها علي في قديم ازلك فاغفر لي ما فرط مني فاني قد عصيتك بجهلي فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدي قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرني من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهي بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ايسر الناس فقال رجل اذهب عمره في طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروي ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدرا الرعاء فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيبا عليه السلام فقال لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعي اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك واراد ان لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي وانا امامك فمشت خلفه حتى دخل على شعيب عليه السلام والعشاء مهيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى عليه السلام يا موسى اني اريد ان اعطيك اجرة ما سقيت لهما فقال موسى عليه السلام انا من اهل بيت لا نبيع

شيأً من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن انت ضيفي واكرام الضيف عادتي وعادة ابائي باطعام الطعام فجلس موسى فاكل ثم ان شعيبا استاجر موسى ثماني حجج اي سنين وجعل اجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ وقال رجل لبعض اصحابه وكان له مدة لم يره انك اوحشتني لانني ما رايتك من منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلثين سنة الا انني لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لاحببت جارك اما علمت ان للجار على الجار حق كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ما شانكم في بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا اكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا اثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم وقال له انت استاذي وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما امرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به وعلمت اني لم اخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدي والدك تسع مرات وقالت قد سمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد وانا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلثة اقسام الثلث الاول للعلم والثاني للنوم والثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال الآخر ان هذا يحيي الليل كله فلما سمع ذلك قال اني استحي من الله ان اوصف بما ليس في فصار بعد ذلك يحيي الليل كله وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك في الصلوة وقال الشافعي رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروي عن عبد الله بن محمد السكري انه قال كنت انا وعمر نتحدث فقال لي ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي واتفق انني خرجت انا والحارث بن لبيب الصفار وكان الحارث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لي غفران ذنوبي من جودك وجملني

بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لا توضأ للصلوٰة اذ مر بي انسان فقال لي يا غلام احسن وضوك يحسن الله اليك فى الدنيا والاخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فاسرعت فى وضوئى وجعلت اقفو اثره فالتفت الي وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا افلا ازيدك قلت بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الاخرة راغبا واصدق في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضي فسالت عنه فقيل لي هذا الامام الشافعي وكان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الي منه شئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لوالدك كان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الي منه شئ وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وما ناظرت احدا قط الا لاجل اظهار الحق وما ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال رضي الله عنه اذا خفت على علمك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب وقيل لابي حنيفة ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة الاف درهم فما رضي فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاءه رسول امير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لي ولكن اكره ان يقع في قلبي مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن ان الج البحر ولا تبتل ثيابي ومن كلام الشافعي رضي الله تعالى عنه

أَلَا يَا نَفْسُ إِنْ تَرْضَيْ بِقُوتِي	فَأَنْتِ عَزِيزَةٌ أَبَدًا غَنِيَّهْ
دَعِي عَنْكِ الْمَطَامِعَ وَالْأَمَانِي	فَكَمْ أُمْنِيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيَّهْ

ومن كلام سفيان الثوري فيما اوصى به علي ابن الحسن السلمي عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عن من هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا واكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسال الله السلامة فيما بقي من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سالك

عن امر دينه واياك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال
والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله
واحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين
وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن امرك مفوضا الى الله في السر والعلانية
واخش الله خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدي الجبار واذكر
مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجواري
فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة
ادبهن فآواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها واخلى لها وللجواري بها القصر الذي كانت فيه
الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقمن عنده عشرة
ايام والعجوز معهن وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلواتها وقيامها في ليلها وصيامها
في نهارها فوقع في قلبه محبتها وقال لي يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت في
قلبي مهابتها فلما كان اليوم الحادي عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجواري اليها فقالت له
ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجواري فوق ما تتعامل به الناس فاني لا اطلب فيهن ذهبا ولا
فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك او كثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال ايتها السيدة و
ما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى
فان فعلت ذلك فهن ملك لك في قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها
وزهدها وورعها وعظمت في عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على انه
يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وانا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فائتني بكوز
ماء فاتاها بكوز ماء فاخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا
نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر
في الليلة الحادية عشر على ما في هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملأه نورا
وايمانا وفي غد اخرج الى اخواني وهم رجال الغيب فاني اشتقت اليهم ثم اجئ اليك اذا
مضت العشرة الاولى فاخذ والدك الكوز ثم نهض وافرد له خلوة في القصر ووضع الكوز
فيها واخذ مفتاح الخلوة في جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال
سبيلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار

صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها واتم الملك صوم العشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر فتح الكوز وشربه فوجد له في فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة في ورق اخضر لا يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لاني اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معي هذه الحلاوة وهي من حلاوة الآخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذي جعل لي اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها واكرمها واكرم الجواري غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وابوك صائم وعند رأس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الملك اعلم اني اخبرت رجال الغيب بما بيني وبينك من المحبة واعلمتهم باني تركت الجواري عندك ففرحوا حيث كانت الجواري عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا راوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريد ان اذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهن وربما انهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذي ياتينك به على اغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا اني اخشى مخالفتك لك ما رضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين وارجع بهن اليك فى راس الشهر وتكون انت قد اوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولا بد ان ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معهن لاجل ان تحصل لها البركة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان اباك قال للعجوز لما طلبت منه الجواري ان عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب ان يدعوا الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك اخذ في تمام صيامه فقالت له يا ولدي اني متوجهة الى

رجال الغيب فاحضر لي صفية فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكأس مختوم وناولته له وقالت له اذا كان يوم الثلثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوي التي في قصرك واشرب هذا الكأس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يديها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى اراك ايتها السيدة الصالحة فاني اودّ ان لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلثة ايام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التي في القصر وامر ان لا يدخل عليه احد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون في انتظاره الى اخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثاني يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة واعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق وهترا لحمه وتفتت عظمه فلما رايناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك واخذنا الكاس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من اساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذي نعلم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء الى بلادنا قد افسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم ارسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها مقتولة في الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ما حل به وانتم لا تتهموا احدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها انا اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولا بد ان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن اخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا ان العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد اخاك شركان ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضي الى اخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر بن النعمان فلما فرغ الوزير دندان من كلامه بكى ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وبكى الحاجب ايضا ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لا يفيدك شيئا ولا يفيدك الا انك تشد قلبك وتقوي عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف

مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امر ان يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه وجميع السلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرني بخزائن ابي فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما في خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له انت في مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض على الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ضوء المكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيئا ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما راينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر ابيه وجلس على السرير ووقف امراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السر ان يكتب كتابا الى اخيه شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الاخر ويذكر في اخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار وناخذ لوالدنا منهم الثار ونكشف عنا العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام وتقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك واخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه باحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير

دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغي ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام واسد ضرغام وبطل مصدام فلما اشرفت الكتائب وقدمت السحائب واقبلت العصائب وخفقت اعلام المواكب توجه شركان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو واخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند الصباح خرج ضوء المكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الاخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه ضوء المكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافئته الى الآن ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة واتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره وامرها وارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له وسالت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية وانها في غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر وتاتي العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهر وجعل ارباب الاقلام واهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك

وساروا في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان ويستريحون فيه ثلاثة ايام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت اهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع افريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر بن النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وامنت على نفسها قالت لابنها قر عينا فقد اخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر بن النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه صفية ابنته واعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر ونتجهز باهبة واسافر انا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز احوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا احوالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد ان نكون جميعا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر بن النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منه النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر بن النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم اقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنمسا ودوبره وجورنه وبندقيه وجنويز وسائر عساكر بني الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمر تتابع عساكرهم في الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بوادي النعمان واسع الاطراف وكان ذلك الوادي قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ارادوا ان يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلاثة ايام اخرى وفي اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبار وتمزق

الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحار فى دروع تحسبها سحبا مزردة على اقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين فى العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام فى عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة فى الليالى العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون يا لعيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهي لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب في هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير اني اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير اني اشير عليك بامر يعجز من تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون فى المراكب ويتوجهون فى البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تاتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم احد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال نعم الرأي رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك الوادي لم يشعروا الا والنار تلتهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم في مائة وعشرين الف فارس وفى اوائلهم ضوء المكان فلما راهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما راهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار يا حزب النبي المختار وقاتلوا اهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن واقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف وعشرين الفا وكانت عساكر الكفار نحو الف الف وستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا

قائلين ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادى الله اكبر حتى رد القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من الكفار في هذه الوقعة خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين ثلثة آلاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لا هو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من امر المسلمين واما ما كان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهي فانهم جمعوا امراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذي خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهي انه لا ينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح وتتمسكوا بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون اني قد عولت في غد على ان اصف لهم الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت في هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذي اراده خرء البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم في خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون في طلبه من اجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفي عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه في كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب في وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذي هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذي يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه

به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما في بلاد الروم اعظم منه ولا ارمي بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن منه بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه اصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الاسد نكهته ومن النمر وقاحته ومن الكفر سيمته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون اني اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر بن النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر وهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش في وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كانهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادي بالعربي ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجة في الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين ففزع اللئام منها والتفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر بن النعمان وكان اخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون في الميدان وسمع المنادي التفت لاخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو احب الي فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادي وهو يقول في الميدان لا يبرز لي الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلي الارض من المسلمين والا فهو من اخسر الخاسرين لانه هو الذي حرق الاكباد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح في يده كانه افعى من الحيات وانشد هذه الابيات

لِي أَشْقَرٌ سَمْحُ الْعِنَانِ مُغَايِرٌ	يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ
وَمُثَقَّفٌ لَدْنُ السِّنَانِ كَأَنَّمَا	أُمُّ الْمَنَايَا رُكِّبَتْ فِي عُودِهِ
وَمُهَنَّدٌ عَضْبٌ إِذَا جَرَّدْتُهُ	خِلْتَ الْبُرُوقَ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت

من يده كانها شهاب ثاقب فبهت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التى اخذها بها من النصرانى حتى كاد ان يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر والتقاها بيده الثانية في اقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهوى فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت في وسط الصليب الذي في وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار لوقا ابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما راوا لوقا بن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا اين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعلوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكان الخيل قد خلقت بلا قوائم ولا زال منادى الحرب ينادى الى ان كلت الايادي وذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلات الارض بالقتلى وعظمت الجراحات ولا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا في وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رايتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من

جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رايت انت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد في ان لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال له السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر في تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق في الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشف الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المركب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل في البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على رؤس الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل في الدماء وتقابضوا في اللحي وصاحت عساكر الاسلام بالصلوٰة والسلام على سيد الانام وبالثناء على الرحمٰن بما اولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والسعانين والمطران وتاخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وتقهقرت الجيوش واظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقرأة اول سورة البقرة وصارت القتلى تحت ارجل الخيل منبذ نثرة وصار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فمكنوا السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والا بريتم من المسيح ابن مريم الذي في المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحي والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب واقسم بالمعجزات وبابنته ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية اني لا اترك على الارض مجاهدا بالكلية واني مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا

وصار ملك الروم ينادي يا لاخذ ثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا اهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار واعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادي منادى المسلمين ويقول عليكم باعداء الدين يا محب النبي المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار يا راجي النجاة في اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا وجال في الكفرة حربا وطعانا وملاء الارض رؤسا وابدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت اعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل برمحين قناة وقوام بوفرة تغني عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لا تحسن الوفرة الا وهي	منشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعدة	يعلها من كل وافي السبال

ويقول الآخر

اقول له لما تقلد سيفه	كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب
فقال لحاظي سيفها لذوي الهوى	وسيفي لمن لم يدر ما لذة الحب

فلما راه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذى بالامس عاهدتني فما اسرع ما نسيتني ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ما خفي من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لامرين احدهما صغر سنه وصيانته من العين والثاني ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادي فاني لا امن عليك من الاعداء والمصلحة في ان لا تخرج من تلك العصائب لاجل ان ترمي الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان اني اردت ان اساويك في النزال ولا ابخل بنفسي بين يديك في القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتاسف الملك افريدون لما راى ما حل بالروم من الامر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفي اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان

وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو في عشرين الف ضرغام واحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن امام ومالت فرقة من المسلمين على من كان في المراكب واوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم في البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف بطريق ولم ينج من ابطالهم صغير ولا كبير واخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون في ذلك اليوم غنيمة ما غنم احد مثلها في سالف الزمان ولا سمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون الفا من الخيل غير الذخائر والاسلاب بما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتاييد هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى اهلها اولا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهي انا اعلم ان ولدي ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويرد اهل الارض الى الملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينما هم في وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المأتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظر ان يصل من العسكر الا من وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وقال لعل المسيح غضب عليهم حتى اوصل المسلمين اليهم فاقبل البطريق الكبير على الملك مهموما فقال له الملك يا ابانا قد وقع في عسكرنا الفناء وجازانا المسيح فقال البطريق لا تغتموا ولا تحزنوا فانه لا بد ان احدكم فعل ذنبا في حق المسيح وعوقب الجميع بذنبه ولكن الآن نقرأ لكم الدعاء في البيع حتى تندفع عنكم هذه العساكر المحمدية ثم بعد ذلك اتت العجوز ذات الدواهي وقالت ايها الملك ان عسكر المسلمين كثير ونحن ما نصل اليهم الا بالحيلة واني عولت ان اعمل حيلة ومكيدة وامضي الى هذه العساكر الاسلامية

لعلي ابلغ غرضي من المقدم عليهم واقتل فارسهم مثل ما قتلت اباه واذا تمت حيلتي عليه فما يرجع احد من عساكره الى بلاده فانهم كلهم اقوياء بسببه ولكني اريد من النصارى القاطنين بالشام الذي يخرجون لبيع بضائعهم في كل شهر وعام ان يساعدوني فان بهم يتم غرضي فقال لها الملك باي وقت تريدين ذلك الامر يكون فامرت بان يحضر لها مائة رجل من نجران الشام فاحضروهم عند الملك فقال لهم الملك اما تعلمون بما تم على النصارى من المسلمين قالوا نعم فقال لهم الملك اعلموا ان هذه المرأة وهبت نفسها للمسيح والأن عولت ان تذهب بكم في زي الموحدين لتدبير حيلة بعود نفعها علينا وتمنع المسلمين من الوصول الينا فهل انتم واهبون انفسكم للمسيح وانا اعطيكم قنطارا من الذهب فمن سلم منكم فله المال ومن مات فجازيه المسيح فقالوا ايها الملك قد وهبنا انفسنا للمسيح ونحن فداؤك فعند ذلك اخذت العجوز جميع ما تحتاج اليه من العقاقير ووضعتها في الماء وغلتهم على النار فانحل السواد وصبرت حتى بردت فارخت عليهم طرف منديل طويل ولبست فوق اثوابها ملوطة مطرزة بطراز وبيدها تسبيح وبعد ذلك دخلت على الملك فلم يعرفها ولا احد من الجالسين فكشفت لهم عن وجهها فما في المجلس احد الا شكرها على مكرها وفرح ابنها وقال لا عدم المسيح طلعتك فعند ذلك خرجت ومعها النصارى الذين من نجران الشام وساروا طالبين عسكر بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه فلما افاق من غشيته نفض الخوف جواب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهي وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم ابخر وجفن احمر وخد اصفر بوجه اغبش وطرف اعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لاجل ان تطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن وتهودت في بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهي آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجواري الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تاخرت عنها تكون في المحاق وكل جارية اعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فتغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها احسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تحيل على هلاكها وبسبب

ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جواري ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره ان ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة نساها انتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يَا مَنْ تَسَفَّلَ لِلْغَنِيِّ مَذِلَّةً	وَعَلَى الْفَقِيرِ لَقَدْ عَلاَ تَيَاهَا
وَيَزِينُ شُنْعَتَهُ بِجَمْعِ دَرَاهِمٍ	عَطْرُ الْقَبِيحَةِ لاَ يَفِي بِفُسَاهَا

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهي امرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك حردوب على الملك افريدون وقال له ايها الملك ما الحاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل براي امي ذات الدواهي وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهي مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم في قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم ينبغي انه لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا اهل الحصون والقلاع بل ياتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زي تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكي ما بين اطلس معدني وديباج ملكي وغير ذلك واخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا في ديارنا فلا ينبغي ان يتعرض لهم احد بسوء ولا ياخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم ومحل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من اهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهي قالت لمن معها اني اريد ان ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها ايتها الملكة مرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم عظيم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد اثر القيد في ساقيها ثم دهنتها بدم الاخوين وامرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها في صندوق واعلنوا في كلمة التوحيد وما عليكم

في ذلك من باس شديد فقالوا لها كيف نضربك وانت سيدتنا ذات الدواهي ام الملك
المباهي فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتي الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات
وبعد ان تضعوني في الصندوق خذوه في جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا
بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيئا من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين
فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به
وقولوا نحن كنا في بلاد الكفرة ولم ياخذوا منا شيئا بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا احد
فكيف تاخذون انتم اموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذي مضمونه ان لا يتعرض لنا
احد بمكروه فاذا قال وما الذي ربحتموه من بلاد الروم في تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص
رجل زاهد وقد كان في سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث
فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنا في
القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا
على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث في امر السفر فلما اصبحنا راينا صورة مصورة
في الحائط فلما قربنا منها تاملناها فاذا هي تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل
رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله انطقني لكم ليقوى يقينكم
ويهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف
الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذي يفتح القسطنطينية به ويهلك اهل الملة
النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلثة ايام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة
فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم لان فيها رجلا عابدا من
بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من ادين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد
خدعه بعض الرهبان وسجنه في سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفي انقاذه
ارضاء رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على
هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام
من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهي لما اتفقت مع من معها على
هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام
من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا

مدة ثلثة ايام ثم راينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه واقمنا هناك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات ينشد هذه الابيات

كَبِدِي أُكَابِدُهُ وَصَدْرِي ضَيِّقُ ... وَجَرَى بِقَلْبِي بَحْرُ هَمٍّ مُغْرِقُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَجٌ فَمَوْتٌ عَاجِلٌ ... إِنَّ الْحِمَامَ مِنَ الرَّزَايَا أَرْفَقُ
يَا بَرْقُ إِنْ جِئْتَ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا ... وَعَلاَ عَلَيْكَ مِنَ الْبَشَائِرِ رَوْنَقُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى اللِّقَاءِ وَبَيْنَنَا ... تِلْكَ الْحُرُوبُ وَبَابُ رَهْنٍ مُغْلَقُ
بَلِّغْ أَحِبَّتَنَا السَّلاَمَ وَقُلْ لَهُمْ ... إِنِّي بِدَيْرِ الرُّومِ قَاصٍ مُوثَقُ

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم كيف ادبر حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها واما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن يا شركان ممتثلا لامري في طاعة الله عز وجل لاني نويت ان اقتل عشرة ملوك عوضا عن ابي واذبح خمسين الفا من الروم وادخل القسطنطينية فقال له اخوه شركان روحي فداؤك من الردى ولا بد لي من الجهاد ولو اقيم في بلادهم سنين عديدة لكن يا اخي لي في دمشق ابنة واسمها قضى فكان وقلبي متعلق بحبها وهي من غرائب الزمان وسيكون لها شان فقال ضوء المكان وانا الآخر تركت جاريتي وهي حبلى على ميلاد وما ادري ما يرزقني الله به فيا اخي عاهدني ان رزقني الله ولدا ذكرا تسمح لي بابنتك قضى فكان ان تكون لولدي وتعطيني المواثيق والايمان فقال شركان حبا وكرامة ومد يده الى اخيه وقال ان جاءك ولد اعطيته ابنتي قضى فكان ففرح بذلك وصار يهنى بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنى الوزير دندان شركان واخاه وقال لهما اعلما ايها الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا انفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والراي عندي ان نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا ونستاصل اعدائنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن في النزال ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهم

على القتال وانشد قول من قال

أَطيبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الأَعَادِي	وَاحْتِمَالِي عَلَى ظُهُورِ الجِيَادِ
وَرَسُولٌ يَأْتِي بِوَعْدِ حَبِيبٍ	وَحَبِيبٌ يَأْتِي بِلَا مِيعَادِ

وقول الآخر

وَإِنْ عُمِّرْتُ جَعَلْتُ الحَرْبَ وَالِدَةً	وَالسَّمْهَرِيَّ أَخًا وَالمَشْرَفِيَّ أَبَا
بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِمًا	حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من ايدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم امر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدّوا في سيرهم حتى اشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسنح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة ايام فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كانها جنة اخذت زخرفها وازينت وسكرت اغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فتندهش العقل والناظر كما قال الشاعر

أُنْظُرْ إِلَى الرَّوْضِ النَّضِيرِ كَأَنَّمَا	نُشِرَتْ عَلَيْهِ مُلَاءَةٌ خَضْرَاءُ
إِنْ مَا سَمَحْتَ بِلَحْظِ عَيْنِكَ لَا تَرَى	إِلَّا غَدِيرًا جَالَ فِيهِ المَاءُ
وَتَرَى بِنَفْسِكَ عِزَّةً فِي دَوْحِهِ	إِذْ فَوْقَ رَأْسِكَ حَيْثُ سِرْتَ لِوَاءُ

وكما قال الآخر

النَّهْرُ خَدٌّ بِالشُّعَاعِ مُوَرَّدٌ	قَدْ دَبَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ البَانِ
وَالمَاءُ فِي سُوقِ الغُصُونِ خَلَاخِلٌ	مِنْ فِضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالتِّيجَانِ

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذي التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنمت اطياره نادى اخاه شركان وقال له يا اخي ان دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة ايام حتى ناخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين في هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيئا من بضائعهم التي معهم حيث كانوا في بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك امر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا ايها الملك انا كنا في بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيئا

فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن في بلاد هم فاننا لما راينا عساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد اخبرناك بما حصل لنا ثم اخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما اخذ منكم ولكن كان الواجب ان لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا ان الله سيرنا الى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به احد من الغزاة ولا انتم في غزواتكم فقال لهم شركان وما الذي ظفرتم به فقالوا ما نذكر ذلك الا في الخلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه احد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذي فيه اللعينة ذات الدواهي فاخذهم ضوء المكان واخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان النصارى الذين في هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان واخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى ابكوهما واخبروهما كما علمتهم الكاهنة ذات الدواهي فرق قلب شركان للزاهد واخذته الرافة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد ام هو في الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه و قتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم اسرعنا في الهرب خوفا من العطب وقد اخبرنا بعض الثقات ان في هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك اتوا بالصندوق واخرجوا منه تلك الملعونة كانها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهي مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد وافضل الزهاد خصوصا وجبينها يضيء من الدهان الذي دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان واخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها و رجليها وصارا ينتحبان فاشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامي فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما اني قد رضيت بما صنعه بي مولاي لاني ارى ان البلاء الذي نزل بي امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت اتمنى اني اعود الى بلادي لاجزعا من البلاء الذي حل بي بل لاجل ان اموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات ثم انشدت هذه الابيات

الحصن طود ونار الحرب موقدة	وانت موسى وهذا الوقت ميقات
الق العصا تتلقف كل ما صنعوا	ولا تخف حبال القوم حيات
فاقرا سطور العدى يوم الوغى سورا	فان سيفك في الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها واحضر لها الطعام فامتنعت وقالت اني لم افطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف افطر في هذه الساعة وقد جاد علي المولى بالخلاص من اسر الكفار ودفع عني ما هو اشق من عذاب النار فانا اصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء اقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقالا لها كل ايها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت في المحراب تصلي الى ان ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلثة ايام بلياليها وهي لم تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفي اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلوة فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى القاه وقد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة واتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وانا كذلك ولكن نحن في غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وانا الآخر اشتهي ان ارى هذا الزاهد لعله يدعو لي بقضاء نحبي في الجهاد ولقاء ربي فاني زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهي في خيمتها فرأوها قائمة تصلي فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهي لا تلتفت اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلوتها ثم اقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها ايها العابد اما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذي يقف بين يدي الله لا يكون له وجود في الكون حتى يسمع صوت احد او يراه ثم انهم قالوا اننا نشتهي ان تحدثنا بسبب اسرك وتدعو لنا في هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا انكم امراء المسلمين ما احدثكم بشيء من ذلك ابدا فانا في لا اشكو الا الى الله وها انا اخبركم بسبب اسري اعلموا انني كنت في القدس مع بعض الابدال وارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى انعم علي بالتواضع

والزهد فاتفق انني توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فداخلني العجب من حيث
لا ادري وقلت في نفسي من مثلي يمشي على الماء فقسا قلبي من ذلك الوقت وابتلاني الله بحب
السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت في اقطارها سنة كاملة حتى لم اترك موضعا الا عبدت
الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا
فلما رآني خرج اليّ وقبل يدي ورجلي فقال اني رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتني
الى بلاد الاسلام ثم انه اخذ بيدي وادخلني ذلك الدير ثم دخل بي الى بيت مظلم فلما دخلت
فيه غافلني واغلق علي الباب وتركني فيه اربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان
قصده بذلك قتلي صبرا فاتفق في بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له
دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها في الحسن ليس
لها مثيل فلما دخلوا الدير اخبرهم الراهب مطروحنا بخبري فقال البطريق اخرجوه لانه
لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبا في
المحراب اصلي واقرأ واسبح واتضرع الى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا
ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا علي واقبل علي دقيانوس
هو وجماعته وضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء
من يتكبر ويعجب بما انعم عليه ربه مما ليس في طاقته وانت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر
اما علمت ان الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني
وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلاثة ايام يرمون
اليّ قرصة من الشعير وشربة ماء وكل شهر او شهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الدير
وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس
عشرة سنة فجملة عمرها اربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم احسن
منها وكان ابوها يخاف عليها من الملك ان يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غير
انها تركب مع ابيها في زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها
انها جارية وقد خزن ابوها اموالها في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس
الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من انواع الذهب والفضة والجواهر
وسائر الاواني والتحف ما لا يحصي عدده الا الله تعالى فانتم اولى به من هؤلاء الكفرة
فخذوا ما في هذا الدير وانفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار
الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط لكرامة اكرمني الله

بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحتي بعد ان عاقبوه اشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فاخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها ابوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون اواني الذهب والفضة يشربون فيها ورايت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لوكان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لاتصلح الا لملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه لم يصدقها وما دخل كلامها في عقله وخشي ان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني اخاف ان يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر ان يدخل الدير فامر السلطان العسكر ان يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدنا ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير ثم ارسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وانت ايها الحاجب عوضا عني في الراي والتدبير وانت يا رستم تكون نائبا عن اخي في القتال ولا تعلموا احدا اننا لسنا معكم وبعد ثلثة ايام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو واخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان واخاه ضوء المكان والوزير دندان والمائة خيال سافروا الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما اصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر شركان واخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم اقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستاذنوها في الرحيل فاذنت لهم وامرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان واصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم

قليلا من العسكر فاطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس وسار الباقون بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما راينا مثله وكانت الكاهنة قد ارسلت كتابا على اجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في اخر الكتاب اريد ان تنفذ لي عشرة الاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعي ملك المسلمين واخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف اسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا نافخ نار ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح اولا واخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قراها انفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وامرهم ان يصلوا الى ذلك الدير فلما وصلوا الى البرج المعروف كمنوا فيه هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فراوا الراهب مطروحنا قد اقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيف واسقوه كاس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فاخرجوا منه من التحف والذخائر اكثر مما وصفته لهم وبعد ان جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال واما تماثيل فانها لم تحضر لا هي ولا ابوها خوفا من المسلمين فاقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادري ما حالهم فقال اخوه انا قد اخذنا هذا المال العظيم وما نظن ان تماثيل ولا غيرها ياتي الى هذا الدير بعد ان جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغي اننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا من التفطن بخداعها ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد اكمنت لهم عشرة الاف فارس فلما راوهم احاطوا بهم من كل جانب واشرعوا نحوهم الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فراوه جيشا عظيما وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا اخي ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولو كانوا

مائة الف فارس فقال ضوء المكان لوعلمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة الاف فارس فقال الوزير
دندان لو كان معنا عشرة الاف فارس في هذا المكان الضيق لاتفيد ناشيئا ولكن الله يعيننا
عليهم وانا اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيه مفاوز كثيرة لاني قد غزوت فيه مع
الملك عمر بن النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا
بنا لنخرج من هذا الشعب قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا
الحجارة ولم نملك فيهم اربا فاخذوا في الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد
وقال لهم ما هذا الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت مسجونا
تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قتل
منكم فالجنة ماواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال
عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في اعناقهم السيوف
ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة الله اشد القتال واعملوا في اعدائه
الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي رؤسهم
خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى افنى منهم عددا لايحصى وجملا لاتستقصى فبينما هو كذلك
اذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومي
اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها
وتأتي بعدها فرقة اخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على اعقابها فظن ان نصره
عليهم ببركة العابد وقال في نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمي
على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونني ولايستطيعون الاقدام علي بل كلما حملوا علي
يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما اقبل الليل
نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي الحجارة وقتل منهم في
ذلك اليوم خمسة واربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له
اثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان انا رأيته يقوي الفرسان بالاشارات
الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهي
قد اقبلت وفي يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا
وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما
راى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه واوصلوا الاذية اليه وقطعوه
بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق واتت بها والقتها

بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما راها شركان وثب قائما على قدميه
وقال الحمد لله على سلامتك ورؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدي اني قد
طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت ارمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم
اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بالف فارس فضربته حتى
اطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم و
ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اللعينة ذات الدواهي لما اخذت رأس البطريق رئيس
العشرين الف كافر اتت بها والقتها بين يدي ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان
وقالت لهم لما رايت حالكم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف
فاطحت راسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت براسه اليكم لتقوي نفوسكم على
الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريد ان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا
على باب القسطنطينية واتيكم من عندهم بعشرة الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف
تمضي اليهم ايها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني
من اعينهم فلا يرونني ومن راني لا يجسر ان يقبل عليّ فاني في ذلك الوقت اكون فانيا في الله وهو يقاتل
عني عداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضي اول
الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضي في هذه الساعة وان كنت تريد ان تجيء معي ولا يراك احد
فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولي لا يستر غير اثنين فقال شركان
اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا باس حيث ذهب معك وخلص من
هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فلياخذ معه الوزير دندان
او من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هولاء اللئام فاصطلحوا واتفقوا على هذا
الحال ثم ان العجوز قالت امهلوني حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون
فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا الله فقالت اذا اطاوعتكم لا تلوموني ولوموا انفسكم فالراي
عندي ان تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا
ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال
لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية
في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا

وشيطانا

وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذه حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه وقالوا العجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به ناخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان ان الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الا عميانا لاننا نراهم وهم لا يروننا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الاخر الذي بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر احدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذي حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما اهل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الاخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ما نري احدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود في ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما في المبيت وغابت العجوز ذات الدواهي عن اعينهما فصارا يتاسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدي الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذي نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه

بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلوة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر و
تاهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى ان وصلوا الى
الكفار فلما راهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم ووزيره الذي به
انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلنا كم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح
بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشيء
ولا نضركم بشيء فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفنا كم
وهذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق اسر اخيه والوزير دندان عظم
عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك فقال في نفسه يا ترى ما سبب اسرهما
هل حصل منهما اساءة ادب في حق الزاهد واعتراض عليه او ما شانهما ثم نهضوا الى قتال
الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين في ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف و
السنان وتهافتت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان
ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه في طلب الفرصة فوت حتى سال
الوادي بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين
ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة وبانت منهم الغلبة والخسارة ولم يبق
منهم الا القليل لم يكن منهم الاعلى الله والسيف تعويل وقد قتل منهم في هذا النهار خمسة و
ثلثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار الاف من الرجال والركبان
فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه
لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثاني يوم قال شركان لبقية العسكرات
ان خرجتم للقتال ما بقي منكم احد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأي الذي
عندي فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان
تدفعوا عن انفسكم من يدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا
بعشرة الاف فارس فيعينونا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه
فقال له اصحابه ان هذا الرأي هو الصواب وما في سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا
وملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه
وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل
الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا في طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضي هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسارى وان ابوا تركناهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لأولي الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فسلموا انفوسهم فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم فقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل ان يشفي غليله فينبغي اننا نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأي الصواب ثم امروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حراسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري وقد صرنا كالطير في الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه وتمطى فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس واخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني اريد ان اقتل من الحراس ثلثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلثة حتى نصير في زي الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الراي غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والراي السديد ان نسير الى خارج الشعب فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فاخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا وكان في ظن الكفار انه لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيه ومن معهما من العساكر وانهم لا يقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا

في امن من الكفار وصل شركان الى اصحابه فوجدهم في انتظاره واقفين على نار وهم من اجله في غاية الافتكار فالتفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندي رأي ولعله صواب فقالوا وما هو قال اريد ان تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله اكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون ان عسكر المسلمين احاطوا بهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأي غير صواب والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا احد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا باس واشتهي ان توافقوني على هذا الرأي وهو لا يكون الا خيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال اشتهي ان توافقوني على هذا الرأي وهو لا يكون الا خيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمعه الكفار فصاحوا على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم اثرا فقال رؤساؤهم ان الذي فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعي خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم واحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه ان الذي خفت من حصوله قد حصل وما بقي لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من اعلا الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وباعوا انفسهم في طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا باصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلوة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلزال وتفرقت

عساكر الكفار في عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وازالوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون في اعناق الكافرين الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون الف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما راوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين وهلاك قوم الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر في القيامة وكان السبب في مجيئهم الى هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع واستعدوا في كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القران وتسبيح الرحمن وكان السبب في اعلام الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهي من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال امير الترك لامير الديلم يا اميرانا يقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذي كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس يخبرهم ان ما عندنا من سلطان واننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان واخيه والوزير الاجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيمحقوننا بالسيف عن اخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأي ان تاخذ انت عشرة الاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا ومرج ملوخنا في طلب اخواننا واصحابنا فان اطعتموني كنتم سببا في الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم وان لم تطيعوني فلا لوم علي واذا توجهتم ينبغي ان ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعند ها قبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين الف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور والدير المشهور هذا ما كان من امر سبب مجيئهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما اوقعت السلطان ضوء المكان واخاه شركان والوزير دندان في ايدي الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار اني اريد ان الحق عسكر المسلمين واتحيل على هلاكهم لانهم في القسطنطينية فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك مني تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم ادخل

انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك حردوب ملك الروم واخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون احدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما اصبح الصباح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشت قليلا وهي تقول في نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت اعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم اتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم واصحابهم فلما عاينت ذلك اسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام اقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولى الله ما وراءك فقال لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان اصحابنا لما اخذوا المال من دير مطروحنا ارادوا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو باس من الكفار ثم ان الملعونة اعادت اليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان اكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام ايها الزاهد متى فارقتهم فقال في ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وانت ماش على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وهى الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا واسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فراوا ضوء المكان واخاه شركان ينادیان بالتهليل والتكبير والصلوة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا ببعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدى ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم في المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا في المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لكَ الحَمدُ يا مُستَوجِبَ الحَمدِ وَالشُّكرِ	فَمازِلتَ لي بِالعَونِ يا رَبِّ لي أَمري
رُبِّيتُ غَريباً فِي البِلادِ وَكُنتَ لي	كَفيلاً وَقَد قَدَّرتَ لي نَصرِي
وَأَعطَيتَني مالاً وَمُلكاً وَنِعمَةً	وَقَلَّدتَني سَيفَ الشَّجاعَةِ وَالنَّصرِ

وحتى كيف

وَخَوَّلْتَنِي ظِلَّ الْمَلِيكِ مُعَمَّرًا
وَقَدْ جُدْتَ لِي مِنْ فَيْضِ جُودِكَ بِالْغَمْرِ

وَسَلَّمْتَنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ حَذِرْتُهُ
بِمَشُورَةِ الصَّدْرِ الْوَزِيرِ فَتَى الدَّهْرِ

بِفَضْلِكَ قَدْ صُلْنَا عَلَى الرُّومِ صَوْلَةً
وَقَدْ رَجَعُوا بِالضَّرْبِ فِي حُلَلٍ حُمْرٍ

وَأَظْهَرْتُ أَنِّي قَدْ هُزِمْتُ هَزِيمَةً
وَعُدْتُ عَلَيْهِمْ عَوْدَةَ الضَّيْغَمِ الْغَمْرِ

تَرَكْتُهُمُ فِي الْقَاعِ صَرْعَى كَأَنَّهُمْ
نَشَاوَى بِكَأْسِ الْمَوْتِ لَا قَهْوَةِ الْخَمْرِ

وَصَارَتْ بِأَيْدِينَا الْمَرَاكِبُ كُلُّهَا
وَصَارَ لَنَا السُّلْطَانُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

وَجَاءَ إِلَيْنَا الزَّاهِدُ الْعَابِدُ الَّذِي
كَرَامَتُهُ شَاعَتْ لَدَى الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

أَتَيْنَا لِأَخْذِ الثَّارِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ
وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ النَّاسِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي

وَقَدْ قَتَلُوا مِنَّا رِجَالًا فَأَصْبَحُوا
لَهُمْ غُرَفٌ فِي الْخُلْدِ يَعْلُو عَلَى نَهْرِ

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هناه اخوه شركان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدّين المسير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان هنا اخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها لما اتت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبته واسرعت في سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها واتت به الى السرادق الذي فيه الحاجب فلما راها نهض لها قائما واشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سالها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى اخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم وانى اردت فى هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن اخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهي استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل احد ولكنه فى الجهاد احمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهي دعا باخ الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة الاف فارس ابطال عوابس وامره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح راى

شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من
عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار
ثم انه اتى الى اخيه ضوء المكان وقال له لا تخف ابدا فاني افديك بروحي من الردى فان
كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام وان كان هؤلاء اعداؤنا فلا بد من
قتالهم لكن اشتهي ان اقابل العابد قبل موتي لاسأله ان يدعو لي ان لا اموت الا شهيدا فبينما هم
كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف
حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما اتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده و
قبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم واخي بهرام
ماهم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذي اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر
انه لقي اخي بهرام ورستم وارسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد احاطوا بهم وهم كثيرون
وما ارى الامر الا بخلاف ذلك وانتم منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له
كان سائرا على قدميه وقطع في يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجد فقال شركان لا شك
انه ولي الله واين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرضهم على قتال اهل الكفر
والطغيان ففرح شركان بذلك وحمد الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على
من قتل منهم وقالوا كان ذلك في الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدين في سيرهم فبينما هم كذلك
واذا بغبار قد طار حتى سد الاقطار واظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال اني اخاف ان يكون
الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت
ذلك الغبار عمود من الظلام اشد سوادا من حالك الايام ولا زالت تقرب منهم تلك الدعامة
وهي اشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال
فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي يا امة خير الانام ومصباح
الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فادركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من ايدي الكفرة
اللئام فانهم هجموا عليهم في الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا في مكانهم آمنين
فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل
يد الزاهد ورجليه وكذلك اخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير
دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لاني ما عرفت
للمتنطعين في الدين غير المفاسد فاتركوا اصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين
عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر بن النعمان ودست اراضي هذه الكفار فقال

له شركان دع هذا الظن الفاسد اما نظرت الى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد من الارض بعد ان اوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب ايها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب واظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صَلَّى وَصَامَ لِأَمْرٍ كَانَ يَطْلُبُهُ	لَمَّا قَضَى الْأَمْرَ لَا صَلَّى وَلَا صَامَا

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال كانه الثعلب المحتال للاغتيال وصار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار وسيف الروم يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما ادرك المسلمين وهم في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وكان السبب في خذلان المسلمين ان اللعينة ذات الدواهي عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك ان تفرق بين عسكر المسلمين لاجل ان يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم باعلى صوتها وقالت ادلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب واوصلوه الى ملككم افريدون ليقراه هو وولدي ملك الروم ويعملا بما فيه من امره ونواهيه فادلوا اليها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون اما بعد فاني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت قوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى ارسلت اثنا عشر الف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقي منهم الا القليل فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم في بقية هذا النهار وتهجمون عليهم في خيامهم ولكنكم لا تخرجون الا سواد

واقتلوهم عن اخرهم فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وارجو من المسيح ان لا ينسى فعلي الذي قد فعلته فلما وصل كتابها الى الملك افريدون فرح فرحا شديدا وارسل في الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهي واحضره وقرا الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر امي فانه يغني عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك افريدون لاعدم المسيح طلعة امك ثم انه امر البطارقة ان ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر في القسطنطينية وخرجت العساكر النصرانية والعصابة الصليبية وجردوا السيوف الحداد واعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غايب فربما هجموا علينا واكثر عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى يا عسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة وما ضاق امر الا اوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبرت المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحاة الحرب بالطعن والضرب وعملت الصوارم والرماح وملا الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان واعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القران واصطدم حزب الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس الابدان وطافت الملائكة الاخيار على امة النبي المختار ولم يزل السيف يعمل الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد احاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا ان ينجوا من العذاب المهين وطمع المشركون في اهل الايمان الى ان طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره ورجا ان الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم وولى الجبان وانهزم وقضى قاضي الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات المروج وتاخرت المسلمون عن اماكنهم وملكت الروم بعض خيامهم ومساكنها وعزم المسلمون على الانكسار والهزيمة والفرار فبينما هم كذلك اذ وصل شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما اقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك امير الديلم بهرام ورستم واخوه تركاش فانهم لما راوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملا الاقطار واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهناه بتاييده ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على اعدائهم واخلصوا لله في جهادهم فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلاميه صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا

بيطارقة الديور ونادوا بحق ومريم والصليب المسيح وانقبضت ايديهم عن القتال وقد اقبل الملك افريدون على ملك الروم وصار احدهما في الميمنة والاخر في الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا للنزال وان كانوا في فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء المكان وقال له يا ملك الزمان لاشك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن احب ان اقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد يا صاحب الرأي السديد فقال شركان اريد ان اكون في قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان في الميسرة وانت في الميمنة والامير بهرام في الجناح الايمن والامير رستم في الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال اني رسول عليكم اجمعين وما على الرسول الا البلاغ فاعطوني الامان والاقالة حتى ابلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدي السلطان وخضع له خضوع راجي الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال اني رسول من عند الملك افريدون فاني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل الرحمانية وبينت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين في الهيجاء فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم اني فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه فان قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا اجبناه الى ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكن منه خلاف وها انا ابرز اليه واحمل عليه فاني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلني فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع اليه ايها الراهب وقل له ان البراز يكون في غد لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه لاشك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت

تو بقهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان
هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا
عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بعمود الحديد
ولا يخشى من الباس الشديد فلما سمع افريدون قول الراهب من ان شركان اجاب الى
البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لا طاقة لاحد به ثم
بات الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس
بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل
الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للباس
الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم ابتر وقنطارية خولنج من غريب
عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لم يعرفني
فسوف يراني انا افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج
في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوي الفا من الذهب الاحمر
وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندي بجوهر يقد الرقاب ويهون
الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى افريدون
وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان
ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان
ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن
والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان افريدون
غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار
ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح
والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرار وبطل مغوار غير انك غدار وطبعك ما هو
طبع الاخيار لاني ارى فعلك غير حميد وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبوا الى العبيد
وها هم اخرجوا لك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد اعياني قتالك و
اتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيئا من عدتك
ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول
اصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان واراد ان يشير اليهم
ويامرهم ان لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بافريدون هز حربته وارسلها الى شركان

فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد ادركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوص سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف انه قد قتله فصاح على الكفار ونادوا بالفرح فهاجت اهل الطغيان وبكت اهل الايمان فلما رأى ضوء المكان اخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال واتوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني البتار وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما رأى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق الناس اليه الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنأته القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته واقبل عليه الملك حردوب وقال له قوى المسيح ساعدك ولا زال مساعدك واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهي ما تدعو به لك واعلم ان المسلمين ما بقي لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون في غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار هذا ما كان من امر الكفار واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده في اسوء الاحوال واشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم

وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفى آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكى فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على جرح اخيه وتلا شيأ من القرآن وعوّذه بآيات الرحمن وما زال ساهرا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وادار لسانه فى فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال قد حصل له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانى بخير فى هذه الساعة وقد عمل علىّ هذا الملعون حيلة ولولا انى زغت اسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدرى فالحمد لله الذى نجانى وكيف حال المسلمين فقال ضوء المكان هم فى بكاء من اجلك فقال انى بخير وعافية واين الزاهد وكان عند راسه قاعدا فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدى عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح واراد الملك ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا اقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى اذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ووقف فى وسط الميدان وقال اين افريدون حتى اذيقه عذاب الهون فاراد الملعون ان يولى وهو مغبون فلما رآه الملك حردوب هذا الحال اقسم عليه ان لا يخرج اليه وقال له يا ملك بالامس كان قتالك واليوم قتالى وانا بشجاعته لا ابالى ثم خرج وفى يده صارم وتحته حصان كانه الابجر الذى كان لعنتر وذلك الحصان ادهم مغاير كما قال الشاعر

قَدْ سَابَقَ الطَّرْفَ بِطَرْفٍ سَابِقٍ	كَأَنَّهُ يُرِيدُ اِدْرَاكَ الْقَدَرْ
دُهْمَتُهُ تُبْدِي سَوَادًا حَالِكًا	كَأَنَّهَا لَيْلٌ اِذَا اللَّيْلُ عَكَرْ
صَهِيلُهُ يُطْرِبُ مَنْ يَسْمَعُهُ	كَأَنَّهُ الرَّعْدُ اِذَا الرَّعْدُ زَجَرْ
لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ جَرَى مِنْ قَبْلِهَا	وَالْبَرْقُ لَا يَسْبِقُهُ اِذَا ظَهَرْ

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه واظهر ما في بطنه من عجائبه
واخذا في الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء
المكان وهجم على ملك الارمن حردوب وضربه ضربة اطاح بها رأسه وقطع
انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم
اليه فقابلهم في حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان
وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلوة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا
وانزل الله النصر على المؤمنين والخزي على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا
بثأر الملك عمر بن النعمان وثار ولده شركان وكشف رأسه وصاح للاتراك وكان
بجانبه اكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم
غير الفرار وتولي الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس
واسروا ما يزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام
ثم غلق الروم الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين
مؤيدين منصورين واتوا خيامهم ودخل الملك ضوء المكان على اخيه فوجده
في اسر الاحوال فسجد شكرا للكريم المتعال ثم اقبل عليه وهنأه بالسلامة
فقال له شركان انا كلنا في بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه
المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما دخل على اخيه
شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح واقبل عليه وهنأه بالسلامة
فقال شركان انا كلنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه
لكم فانه ما برح اليوم وهو يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين
سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على اعدائكم فاحك لي يا اخي ما وقع
لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون حردوب واخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى
عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل
ولدها الملك حردوب انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع

الغزار ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين انها فرحت وانها تبكي من شدة
الفرح ثم انها قالت في نفسها وحق المسيح ما بقي في حياتي فائدة ان لم احرق
قلبه على اخيه شركان كما احرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة
الصليبية الملك حردوب ولكنها اكتمت ما بها ثم ان الوزير دندان والملك شركان
والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزاق والادهان واعطوه
الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا واعلموا به العساكر
فتباشر المسلمون وقالوا في غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال
لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى اماكنكم و
تناموا ولا تسهروا فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه وما بقي
عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدث معها
قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا
مثل الاموات هذا ما كان من امر شركان وغلمانه واما ما كان من امر العجوز ذات
الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان
فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كانها دبة معطا او آفة رقطا واخرجت
من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لاذابها ثم جردته من غمده
واتت عند رأس شركان وجرته على رقبته فذبحته وازالت رأسه عن جسده
ثم وثبت على قدميها واتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم
خرجت من الخيمة واتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت
الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا
بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي
الى هنا في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من اولياء الله وانا ذاهب اليه
ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لاتبع هذا الزاهد في هذه الليلة
فقام ومشى خلفها فلما احست الملعونة بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت
ان تفتضح وقالت في نفسها ان لم اخدعه بحيلة فاني افتضح معه فاقبلت اليه
من بعيد وقالت ايها الوزير اني سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد ان اعرفه
استأذنه في مجيئك اليه واقبل عليك واخبرك فاني اخاف ان تذهب معي بغير
استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها

استحى ان يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته واراد ان ينام فما طاب له منام
وكادت الدنيا ان تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه انا امضى
الى شركان واتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد
الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة ازعجت من كان نائما
فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند
ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان
اخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان
يصيح ووجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر
وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان
وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام واما الحاجب فانه صاح واكثر
من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك اما علمتم بالذي فعل
باخي هذه الفعال ومالي لا ارى الزاهد الذي عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه
الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبي نفر منه في الاول والآخر لانني اعرف ان كل متنطع
في الدين خبيث ماكر واعاد على الملك قصته وانه اراد ان يتبعه فما امكنه ثم ان الناس ضجوا
بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد
الذي هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور
وحزنوا على فضله المشهور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور
وحزنوا على فضله المشهور ثم انتظروا باب المدينة ان يفتح فما فتح ولا بان
لهم على الاسوار اثر احد فتعجبوا غاية العجب فقال الملك ضوء المكان والله لا احول
عنهم ولو اقعد سنين واعواما حتى آخذ بثار اخي شركان واخرب القسطنطينية
واقتل ملوك النصرانية ولو تدركني المنية واستريح من الدنيا الدنية
ثم امر باحضار الاموال التي اخذوها من دير مطروحنا وجمع العساكر
وفرق الاموال وما ترك احدا حتى اعطاه واكتفاه من المال ثم احضر

من كل طائفة ثلثمائة فارس وقال لهم ارسلوا النفقات الى بيوتكم
لانى مقيم هنا على هذه المدينة سنين واعواما حتى آخذ ثار اخي
شركان ولو اموت فى هذا المكان فلما سمعت العساكر هذا الكلام
اخذوا ما اعطاه لهم من الاموال واجابوا بالسمع والطاعة واحضر
ضوء المكان القصاد واعطاهم الكتب واوصاهم بايصالها و
ايصال الاموال الى بيوت العساكر وان يخبروهم بانهم سالمون مطمئنون
واعلموهم اننا فى حصار القسطنطينية اما ان نخربها او نموت ولو قمنا شهورا
واعواما ما نرحل عنها الا بفتحها ثم امر الوزير دندان ان يكتب كتابا الى
اخته نزهة الزمان وقال له اعلمها بما وقع لنا وما نحن فيه واوصها
بولدي لاني لما خرجت كانت زوجتي قريبة من الولادة وما هي الآن
الا ولدت فان كانت رزقت ولدا كما سمعت فاسرع فى العود واتني
بالاخبار ثم وهبهم شيأ من المال فاخذوه وسافروا من وقته وساعته
وخرج الناس لوداعهم واوصوهم على اموالهم ثم بعد مسيرهم اقبل
الملك على الوزير دندان وامره ان يامر الناس بالزحف من قرب السور فزحفوا
فلم يجدوا احدا على الاسوار فتعجبوا من ذلك وبقي السلطان مهموما لذلك
حزينا على فراق اخيه شركان متحيرا على الزاهد الخوان فاقاموا
على ذلك ثلثة ايام فلم يروا احدا هذا ما كان من امر المسلمين
واما ما كان من امر الروم وسبب غيابهم عن القتال فى هذه الثلثة ايام فان
ذات الدواهي لما قتلت شركان اسرعت فى مشيها واتت الى السور وصاحت
بلسان الروم للحراس ان يدلوا لها الحبل فقالوا لها من انت فقالت انا ذات الدواهي
فعرفوها وادلوا لها الحبل فربطت نفسها وسحبوها فلما وصلت اليهم دخلت
على الملك افريدون فقالت له ما هذا الذي سمعته من المسلمين فانهم قالوا
ان ابني حردوب قتل فقال نعم فصاحت وبكت وما زالت تبكي حتى ابكت
افريدون ومن حضر عنده ثم اعلمت افريدون انها ذبحت شركان
وثلثين من الغلمان ففرح افريدون بذلك وشكرها وقبل يديها ودعى
لها بالصبر على ولدها فقالت وحق المسيح اني لم ارض بقتل كلب من كلاب
المسلمين فى ثار ملك من ملوك الزمان ولا بد اني اعمل حيلة وادبر مكيدة

افتك

اقتل بها السلطان ضوء المكان والوزير دندان والحاجب ورستم وبهرام و
عشرة آلاف فارس من عسكر الاسلام ولا تروح راس ولدي براس شركان
ولا يكون ذلك ابدا ثم قالت للملك افريدون اعلم يا ملك الزمان اني
اريد ان اقيم على ولدي الاحزان واقطع الزنار واكسر الصلبان فقال افريدون
افعلي ماشئت فاني لا اخالف لك امرا ولو عملت حزنك زمانا طويلا لكان
قليلا فان المسلمين لو ارادوا يحاصروننا سنين واعواما لم ينالوا منا
اربا ولا ينالهم منا غير التعب والنصب ثم ان الملعونة لما فرغت من
الداهية التي عملتها والمخازي التي لنفسها ابدتها اخذت دواة وقرطاسا
وكتبت فيه من عند شواهي ذات الدواهي الى حضرة المسلمين اعلموا
اني دخلت بلادكم وغششت بلؤمي كرامكم وقتلت سابقا
ملككم عمر بن النعمان في وسط قصره وقتلت ايضا في وقعة الشعب
والمغارة رجالا كثيرا وآخر من قتلته شركان وغلمانه ولو ساعدني الزمان
وطاوعني الشيطان لابد من قتل السلطان والوزير دندان وانا الذي اتيت اليكم
في زي الزاهد وانطلقت عليكم من الحيل والمكائد فان شئتم سلامتكم
بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك انفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا فلو اقمتم سنين
واعواما فما تبلغون منا مراما والسلام وبعد ان كتبت الكتاب اقامت
في حزنها على الملك حردوب ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا
وامرته ان يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين
ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد ولدها وقالت
لمن تسلطن بعده الابد ان اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام هذا ما كان
من امرها واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلاثة ايام في هم واغتمام
وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب
وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فامر السلطان الوزير
دندان ان يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع
عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافرا
منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين
ولكن والله لا احول من هنا حتى املأ فرجها بسيح الرصاص واسجنها

سجن الطير في الاقفاص وبعد ذلك اربطهما من شعرها واصلبها على باب القسطنطينية
ثم تذكر اخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي
واخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين
رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة
فرق اموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على اخيه
وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان
وقال له طب نفسا وقر عينا فان اخاك ما مات الا باجله وليس في
هذا الحزن فائدة وما احسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة	ابدا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن في وقته	واخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنواح وقو قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان قلبي مهموم من
اجل موت ابي واخي ومن اجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي
فبكى الوزير هو والحاضرون ومازالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة
من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة
امير من امرائه مضمونه ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته
نزهة الزمان اخت الملك كان ماكان ولكن هذا الغلام سيكون
له شان بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب وقد امرت العلماء والخطباء
ان يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلوة واننا طيبون بخير والامطار
كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم
والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال ضوء المكان
الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ماكان
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اتاه الخبر بان زوجته
ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري حيث

رزقت ولدا اسمه كان ماكان ثم قال للوزير دندان اني اريد ان اترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات واموراً من الخيرات فقال الوزير نعم ما اردت ثم امر بنصب الخيام على قبر اخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه شركان وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

خرجوا به ولكل باكٍ خلفه	صعقات موسى يوم دكّ الطور
حتى اتوا جدثاً كأن ضريحه	في قلب كل موحّد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى	رضوى على ايدي الرجال تسير
كلا ولا من قبل دفنك في الثرى	ان الكواكب في التراب تغور
أتجاور الديماس رهن قرارة	فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له بردّ حياته	لمّا انطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم اتى الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وانشد الوزير قول الشاعر

تركت الذي يفنى ونلت الذي يبقى	ومثلك اقوام فقد سبقوا سبقا
وفارقت هذي الدار من غير ريبة	فعن هذه الدنيا تسرّ بما تلقى
وكنت من الاعداء تبدي وقاية	اذا ما سهام الحرب حاولت الرشقا
ارى هذه الدنيا غروراً وباطلاً	وجلّ مراد الخلق ان يطلبوا الحقّا
حباك اله العرش فوز الجنة	واسكنك الهادي بها مقعداً صدقا
واني وقد امسيت فيك بحسرة	ارى الغرب يحزن نابفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديداً ونثرت عيونه الدموع درّاً نضيداً ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وانشد شعراً مخمساً

اين العطاء وكف جودك في الثرى	والجسم بعدك بالسقام قد انبرى
يا حادي الاضعان سرك ما ترى	كتبت دموعي فوق خدي اسطرا

تعني بها وتلذ منها منظرا

والله ما حدثت عنك ضمائري	كلا ولا خطرت علاك بخاطري
الا وقد جرح الدموع محاجري	واذا صرفت الى سواك نواظري

جذب الغرام عنان طرفي في الكرى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام واقبل السلطان على الوزير دندان واخذ ايتشاوران في امر القتال واستمرا على ذلك اياما ولياليَ وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال اني اشتهي سماع اخبار الناس واحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج مابقلبي من الهم الشديد ويذهب عني البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همك الا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا امر سهل لانني لم يكن لي شغل في حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفي هذه الليلة احدثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيه الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فما صدق ان الليل اقبل حتى امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فاحضروا له جميع ذلك ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما احضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكي لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة اعلم ايها الملك السعيد انه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وما جرى

طم

لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلي عن مثل حزن يعقوب
وهو انه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال اصبهان يقال لها المدينة
الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان شاه وكان صاحب جود و
احسان وعدل وامان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من
كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان واقام في المملكة مدة
مديدة من الزمان وهو في عز وامان الا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات
وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق انه ارسل الى
وزيره يوما من الايام واحضره بين يديه وقال له يا وزيري انه قد ضاق صدري
وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل
الملوك الحكام على كل امير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفهم الاولاد وتتضاعف
لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا
تكثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الراي يا وزير فاشر علي
بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع
من عينيه بالانسجام وقال له هيهات يا ملك الزمان ان اتكلم فيما هو من خصائص
الرحمن اتريد ان ادخل النار بسخط الملك الجبار فاشتري جارية فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان الملك
اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري خساسة اصلها حتى يجتنبها ولا اشرف عنصرها
حتى يتسرى بها فاذا افضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سفاكا
للدماء ويكون مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته
ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما
امره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا اتسبب في هذا بشراء جارية ابدا وانما
مرادي ان تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا
فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات الملوك المسلمين فاني اخطبها
واتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضاء رب العباد فقال له
الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك امنيتك فقال له اعلم ايها الملك انه بلغني
ان الملك زهر شاه صاحب الارض البيضاء له بنت بارعة الجمال يعجز عن
وصفها القيل والقال ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال
قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل

ان اقبلت فتنت وان ادبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها ... لم يحك طلعتها شمس ولا قمر
كأنما ريقها شهد وقد مزجت ... به المدامة لكن ثغرها درر
ممشوقة القد من حور الجنان لها ... وجه جميل وفي الحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد ... وفي طريق هواها الخوف والخطر
ان عشت فهي المنى ما شئت اذكرها ... او مت من دونها لم يجد في العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندى ايها الملك ان ترسل الى ابيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا بالتصاريف الدهور ليتلطف في خطبتها لك من ابيها فانها لا نظير لها في قاصي الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا رهبانية في الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم اقبل على الوزير وقال له اعلم ايها الوزير انه لا يتوجه الى هذا الامر الا انت لكمال عقلك وادبك فقم الى منزلك واقض اشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي اشغلت بها خاطري ولا تعد الي الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل ثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداؤدية وصناديق المال التي يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على راسه الرايات والاعلام واوصاه الملك ان ياتي اليه في مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالي النار مشغولا بحبها في الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوى براري وقفارا حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وامره ان يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه ان الملك زهرشاه كان جالسا في بعض المتنزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف انه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول اخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب

الارض الخضراء وجبال اصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول واخذه و
توجه الى قصره وقال اين فارقت الوزير فقال فارقته في اول النهار على شاطئ
النهر الفلاني وفي غد يكون واصلا اليك ادام الله نعمته عليك ورحم
والديك فامر زهرشاه بعض وزرائه ان ياخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه
وارباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه
نافذ في الارض هذا ما كان من زهرشاه واما ما كان من امر الوزير فانه استقر
في مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح واشرقت الشمس
على الروابي والبطاح لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وارباب دولته
وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير
بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا
الى قصر الملك ودخلوا بين يديه في باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان
الذي لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه
حتى وصل الى ايوان عال وفي صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر و
الجوهر وله اربعة قوائم من انياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس
الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر و
الملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وارباب دولته واقفون في خدمته فلما دخل
الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم
بكلام البلغاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك
زهرشاه ثبت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم
بكلام البلغاء واشار الى الملك بالطف التفات وانشد هذه الابيات

وَاَتَى وَاَقْبَلَ فِي الغَلَائِلِ يَنْثَنِي ... يُولِي النَّدَى لِلْمُعْتَفِى وَالمُجْتَنِي
وَرْقِي فَمَا تَغْنِي التَّمَائِمُ وَالرُّقَا ... وَالسِّحْرُ مِنْ لَحَظَاتِ تِلْكَ الاَعْيُنِ
قُلْ لِلْعَوَاذِلِ لَا تَلُومُوا اِنَّنِي ... طُولَ المَدَى عَنْ حُبِّهِ لَا اَنْثَنِي

حتى فؤادي خانني ووفى له	وكذا الرقاد صبا اليه وملني
يا قلب ما امسيت وحدك رأفة	فامكث لديه وان تكن اوحشتني
لا شيء يطرب مسمعي بسماعه	الا الثناء لزهر شاه اجتبني
ملك اذا انفقت عمرك كله	في نظرة من وجهه لتت الغني
واذا انتخبت له دعاء صالحا	لم تلق غير مشارك ومؤمن
يا اهل ذا الملك الذي من فاته	ورجا سواه فما اراه بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهر شاه واكرمه غاية الاكرام واجلسه بجانبه وتبسم في وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط في ذلك الايوان فاكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من في المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه واثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال ايها الملك الكبير والسيد الخطير اني سعيت اليك وقدمت عليك في امر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو اني قد اتيتك رسولا خاطبا وفي بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال اصفهان وقد ارسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف الغزيرة وهو في مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهر شاه ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك اثنى على ذي الجلال والاكرام وقال وهو في حالة القيام ايها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما اقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه ونتنافس فيه وابنتي جارية من جملة جواريه وهذا اجل مرادي ليكون ذخري واعتمادي ثم انه احضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكل وزيره في الزواج وتولى الملك زهر شاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهر شاه ثم ان الملك اخذ في تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر في اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج

اليه العروسة امر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش
فى الصناديق وهيئوا الجوارى الروميات والوصائف التركيات واصحب العروسة
بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع لها محفة من الذهب الاحمر مرصعة
بالدر والجوهر وافرد لها عشرين بغلا للسير وصارت تلك المحفة كانها
مقصورة من المقاصير وصاحبتها كانها حورية من الحور الحسان وخدرها
كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال
والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلثة فراسخ ثم ودع الوزير
ومن معه ورجع الى الاوطان فى فرح وامان وتوجه الوزير بابنة الملك وسار
ولم يزل يطوى المراحل والقفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل
يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده
ثلثة ايام ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع
الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان
شاه وخلع على الرسول وامر عساكره ان يخرجوا فى موكب عظيم الى ملاقاة العروسة
ومن معها بالتكريم وان تكونوا فى احسن البهجات وان ينشروا على رؤسهم
الرايات فامتثلوا امره ونادى منادى فى المدينة انه لاتبقى بنت مخدرة ولا حرة
موقرة ولا عجوز مكسرة الاوتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها
وسعت كبراؤهم فى خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها فى الليل الى قصر
الملك واتفق ارباب الدولة على ان يزينوا الطريق وان يقفوا حتى تمر بهم
العروسة والخدام قدامها والجواري بين يديها وعليها الخلعة التى اعطاها
لها ابوها فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم
تزل المحفة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق احد الا وقد خرج
ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة
وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب

القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فاضاء المكان ببهجتها واشرقت جهاته بحلى زينتها فلما اقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهي بين الجواري كالقمر بين النجوم او الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك واوقع الله محبتها في قلبه فازال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والقهر واقام عندها نحو شهر فعلقت منه في اول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل في رعيته الى ان وفت اشهرها وفي آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسي الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا واعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

اللهُ خَوَّلَ مِنْهُ آجامَ العُلا	أسَدًا وآفاقَ الرِّآسَةِ كَوْكَبًا
هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الأَسِنَّةُ والأَسِرَّةُ	والمَحافِلُ والصَّحافِلُ والظُّبى
لا تَرْكَبُوهُ عَلَى النُّهُودِ فَإنَّهُ	لَيَرى ظُهُورَ الخَيْلِ أوْطَأَ مَرْكَبا
وَلْتَفْطِمُوهُ عَنِ الرَّضاعِ فَإنَّهُ	لَيَرى دَمَ الأَعْداءِ أحْلى مَشْرَبا

ثم ان الدايات اخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدي الدلال وتربى في حجر الاقبال ولازالت الايام تجري والاعوام تمضي حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك احضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وامرهم ان يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضر له استاذا يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر اربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر في الفروسية وفاق اهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت في محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهرة كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذى ... غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى
سكران ما شرب المدام وانما ... امسى بخمر رضابه متنبذا
اضحى الجمال بأسره في اسره ... فلاجل ذلك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطري ... ما دمت في قيد الحيوة ولا اذا
ان عشت عشت على هواه وان امت ... وجدا به وصبابة يا حبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبي العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

اضحى ليوسف في الجمال خليفة ... تخشاه كل العاشقين اذا بدا
عرج معي وانظر اليه لكي ترى ... في خده علم الخلافة اسودا

وكما قال الآخر

ما ابصرت عيناك احسن منظرا ... فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة ... الحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الآخر

عجبت بخال يعبد النار دائما ... بخدك لم يحرق بها وهو كافر
واعجب من ذا ان باللحظ مرسلا ... يصدق بالآيات وهو لساحر
وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما ... لكثرة ما شقت عليه المرائر

وكما قال الآخر

اني لاعجب من سؤال الناس عن ... ماء الحيوة بأي ارض منهمر
ولقد اراه بثغر ظبي اغيد ... حلو اللمى وعليه شاربه الخضر
ومن العجائب ان موسى يلتقي ... معه هنالك ساد لا لم يصطبر

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران اصحاب واحباب وكل من تقرب اليه يرجوانه يصير سلطانا بعد موت ابيه وانه يكون عنده اميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر

عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة ايام فامتثلوا امره به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا في البر ولم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشا رائعة واشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا واوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند راس الحلقة في المكان الفلاني فامتثلوا امره ونصبوا الحبائل واوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شيء كثير من اصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت في وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقي وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسمه وافرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وارسله اليه وفرق البعض على ارباب دولته وبات تلك الليلة في ذلك المكان فلما اصبح الصباح اقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه ائتني بخبر هؤلاء واسالهم لاي شيء نزلوا في هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من انتم واسرعوا في رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا في هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم ان كل من نزل عنده صار في امان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من اجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شيء جاؤا به من اجلي فما ادخل المدينة ولا ارحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى ان اشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك في خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم

واخذ منها ما يصلح له ووفى لهم بالثمن ثم ركب واراد ان يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا ان جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني بجبين ازهر ووجه اقمر الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا ان جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانين والانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طَالَ الفِرَاقُ وَدَامَ الهَمُّ وَالوَجَلُ ... وَالدَّمعُ مِن مُقلَتِي يَا صَاحِ مُنهَمِلُ
وَالقَلبُ وَدَّعتُه يَومَ الفِرَاقِ وَقَد ... بَقِيتُ فَردًا فَلَا قَلبٌ وَلَا أَمَلُ
يَا صَاحِبِي قِف مَعِي حَتَّى أُوَدِّعَ مَن ... مِن نُطقِهَا تُشتَفَى الأَمرَاضُ وَالعِلَلُ

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من امره فلما افاق رنا بفاتك اللحظات وانشد هذه الابيات

حَذَارِ حَذَارِ مِن طَرفِهَا فَهوَ سَاحِرٌ ... وَلَيسَ بِنَاجٍ مَن رَمَتهُ المَحَاجِرُ
فَإِنَّ العُيُونَ السُّودَ وَهِيَ نَوَاعِسٌ ... تَقُدُّ السُّيُوفَ البِيضَ وَهِيَ بَوَاتِرُ
وَلَا تُخدَعُوا مِن رِقَّةٍ فِي كَلَامِهَا ... فَإِنَّ الحُمَيَّا لِلعُقُولِ تُخَامِرُ
مُنَعَّمَةُ الأَطرَافِ لَو مَسَّ جِسمُهَا ... حَرِيرًا لَأَدمَاهُ وَهَا أَنتَ نَاظِرُ
بَعِيدَةُ مَا بَينَ الخَلخَالِ وَالطُّلَا ... وَأَينَ الشَّذَا مِن طِيبِهَا وَهُوَ عَاطِرُ

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في امره وتمشى اليه فلما افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على راسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاي شئ لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شئ يصلح لحضرة سعادتك فقال لابد ان تعرض علي ما معك وتخبرني بحالك فاني اراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما ازلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك ثم

ان تاج الملوك امر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وامر الشاب ان يجلس على البساط وقال له اعرض علي بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لا تذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لا بد من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأنّ واشتكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

بما بجفنك من غنج ومن كحل	وما بقدك من لين ومن ميل
وما بثغرك من خمر ومن شهد	وما بطبعك من لطف ومن ملل
عندي زيارة طيف منك يا املي	احلى من الأمن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة واخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي الفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وانشد يقول

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب	ونجم الثريا من وصالك اقرب
بعاد وهجر واشتياق ولوعة	ومطل وتسويف به العمر يذهب
فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي	ولا البعد يدنيني ولا انت تقرب
وما منك انصاف ولا لك رحمة	ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب
وفي حبكم ضاقت جميع مذاهبي	علي فلا ادري الى اين اذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما اخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك ارني اياها قال له يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ...

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض

بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر ادعك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لا بد من كوني انظر اليها والح عليه واغتاظ فاخرجها من تحت ركبته وبكى وان واشتكى واكثر من الانات وانشد هذه الابيات

لا تعذليه فان العذل يوجعه	قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
استودع الله في البطحاء لي قمرا	بالحي من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني	صفو الحياة واني لا اودعه
وكم تشفع بي يوم الفراق ضحى	وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق	عني بفرقته لكن ارقعه
لا يستقر لجنبي مضجع وكذا	لا يستقر له مذ بنت مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا بيد	عسراء تمنعني حظي وتمنعه
وصبني للقضا صرفا عند ما املأته	كاسا تجرع منها ما اجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك اري احوالك غير مستقيمة فاخبرني ماسبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يامولاي ان حديثي عجيب وامري غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال اخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذي علم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال له اعلم يامولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري وكان لي بنت عم تربيت هو انا واياها في بيت ابي لان اباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوجاني بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وانا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهز ابي ادوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب و

الدخول على بنت عمي اراد ابي ان يكتب الكتاب بعد صلوة الجمعة ثم توجه الى اصحابه من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي وعزمت اصحابها من النساء ودعت اقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا في دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على ان يجيئوا بيتنا بعد صلوة الجمعة ثم مضى ابي وعمل الحلويات واطباق السكر وما بقي غير كتب الكتاب وقد ارسلتني امي الى الحمام وارسلت خلفي بدلة جديدة من افخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت في الطريق ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لي فرجعت افتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت في نفسي اشتغل بهذا الامر الى ان يقرب وقت الصلوة ثم اني دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقانا من اثر الحمام والقماش الجديد الذي على جسدي فساح عرقي وفاحت روائحي فقعدت في راس الزقاق لارتاح على مسطبة وفرشت تحتي منديلا مطرزا كان معي فاشتد علي الحر فعرق جبيني وصار العرق يتحدر على وجهي ولم يمكنني مسح العرق عن وجهي بالمنديل لانه مفروش تحتي فاردت ان آخذ فرجيتي وامسح به وجنتي فما ادري الا ومنديل ابيض وقع علي من فوق وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم فمسكته بيدي ورفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت راسي الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عيني في عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة في شباك من نحاس لم ترعيني اجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لساني فلما رأتني نظرت اليها فوضعت اصبعها في فمها ثم اخذت اصبعها الوسطى والصقتها باصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم ادخلت راسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت في قلبي النار وزاد به

الاستغار واعقبتني النظرة الفحسرة وتحيرت فلم اسمع ما قالت ولم افهم ما به اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حسا ولم ار شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت على حيلي من مكاني واخذت المنديل معي ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لي من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأنني في الجنة ثم نشرته بين يدي فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بَعَثْتُ اِلَيْهِ اَشْكُو مِنَ الْجَوَى	بِخَطٍّ رَقِيقٍ وَالْخُطُوطُ فُنُونُ
فَقَالَ خَلِيلِي مَا لِخَطِّكَ هٰكَذَا	رَقِيقًا دَقِيقًا لَا يَكَادُ يَبِينُ
فَقُلْتُ لِأَنِّي فِي نُحُولٍ وَدِقَّةٍ	كَذَاكَ خُطُوطُ الْعَاشِقِينَ تَكُونُ

ثم بعد ان قرأت الابيات اطلقت في بهجة المنديل نظر العين فرأيت في احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كَتَبَ الْعِذَارُ وَيَا لَهُ مِنْ كَاتِبٍ	سَطْرَيْنِ فِي خَدَّيْهِ بِالرَّيْحَانِ
وَاحَيْرَةَ الْقَمَرَيْنِ مِنْهُ اِذَا بَدَا	وَاِذَا انْثَنَى وَاخَجْلَةَ الْاَغْصَانِ

ومسطر في الحاشية الاخرى هذان البيتان

كَتَبَ الْعِذَارُ بِعَنْبَرٍ فِي لُؤْلُؤٍ	سَطْرَيْنِ مِنْ سَبَجٍ عَلَى تُفَّاحِ
اَلْقَتْلُ فِي الْحَدَقِ الْمِرَاضِ اِذَا رَنَتْ	وَالسُّكْرُ فِي الْوَجَنَاتِ لَا فِي الرَّاحِ

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق في فؤادي لهيب النار وزاد بي الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت وانا لا ادري لي حيلة في الوصال ولا استطيع في العشق تفصيل الاجمال فما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمي جالسة تبكي فلما رأتني مسحت دموعها واقبلت علي وقلعتني الثياب وسألتني عن سبب غيابي واخبرتني ان جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا في بيتنا وحضر القاضي والشهود واكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورك من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورك تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لي ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا في السنة القابلة لانه غرم في هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لي ما الذي جرى لك في هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها يا بنت

عمي لا تسألي عما جرى لي وذكرتُ لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى آخره فاخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

مَنْ قَالَ أَوَّلُ الهَوَى اخْتِيَارُ	فَقُلْ كَذَبْتَ كُلُّهُ اضْطِرَارُ
وَلَيْسَ بَعْدَ الاضْطِرَارِ عَارُ	دَلَّتْ عَلَى صِحَّتِهِ اخْبَارُ

مَا زُيِّفَتْ عَلَى صَحِيحِ النَّقْدِ

فَإِنْ تَشَا فَقُلْ عَذَابٌ يَعْذُبُ	أَوْ ضَرَبَانٌ فِي الحَشَى أَوْ ضَرْبُ
أَوْ نِعْمَةٌ أَوْ نِقْمَةٌ أَوْ أَرَبُ	تَأْنَسُ النَّفْسُ بِهِ أَوْ تَعْطَبُ

قَدْ حِرْتُ بَيْنَ عَكْسِهِ وَالطَّرْدِ

وَمَعْ ذَا أَيَّامُهُ مَوَاسِمُ	وَثَغْرُهَا عَلَى الدَّوَامِ بَاسِمُ
وَنَفَحَاتُ طِيبِهَا مَوَاسِمُ	وَهُوَ لِكُلِّ مَا يَشِينُ حَاسِمُ

مَا حَلَّ قَطُّ قَلْبَ نَذْلٍ وَغْدِ

ثم انها قالت لي فما قالت لك وما اشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشيء غير انها وضعت اصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها واشارت الى الارض ثم ادخلت رأسها واغلقت الطاقة ولم ارها بعد ذلك فاخذت قلبي معها فقعدتُ الى غياب الشمس انتظر انها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وجئت الى بيتي وهذه قصتي واشتهي منك أن تعينيني على ما بليت به فرفعت رأسها اليّ وقالت يا ابن عمي لو طلبت عيني لاخرجتها لك من جفوني ولا بد ان اساعدك على حاجتك واساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما اشارت به قالت اما وضع اصبعها فى فمها فانه اشارت الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانها تعض على وصالك بالنواجذ واما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين واما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك ولما وضع اصبعها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عني بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمي انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندي من التفسير لاشاراتها ولو كنت ادخل

واخرج لجمعت بينك وبينها في اسرع وقت واسترکما بذيلي قال الغلام فلما سمعتُ ذلك منها شكرتها على قولها وقلت في نفسي انا اصبر يومين ثم قعدت في البيت يومين لا ادخل ولا اخرج ولا آكل ولا اشرب ووضعت راسي في حجر بنت عمي وهي تسليني وتقول لي قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا وقرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجّه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت اثوابي وبخّرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رايتها وقعت مغشيا علي ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرايت معها مرآة ومنديلا احمر وحين راتني شمّرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وادلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت راسها ثم جذبتهما من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيرانا لا اعلم ما اشارت به واستمريت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

مَالِي وَلِلَّاحِي عَلَيْكَ يُعَنِّفُ	كَيْفَ السُّلُوُّ وَأَنْتَ غُصْنٌ أَهْيَفُ
يَا طَلْعَةً سَلَبَتْ فُؤَادِي وَانْثَنَتْ	مَا لِلْهَوَى الْعُذْرِيِّ عَنْهَا مَصْرِفُ
تُرْكِيَّةُ الْأَلْحَاظِ تَفْعَلُ بِالْحَشَى	مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ الصَّقِيلُ الْمُرْهَفُ
حَمَّلْتَنِي ثِقْلَ الْغَرَامِ وَلَيْسَ لِي	جَلَدٌ عَلَى حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعَفُ
وَلَقَدْ بَكَيْتُ دَمًا لِقَوْلِ عَوَاذِلِي	مِنْ جَفْنِ مَنْ تَهْوَى يُرُوعُكَ مُرْهَفُ

يا ليتَ قلبي مثلُ قلبكَ انما	جسمي كخصرِكَ بالنحافةِ متلفُ
لكَ يا اميري في الملاحةِ ناظرٌ	صعبٌ عليَّ وحاجبٌ لا ينصِفُ
كذَبَ الذي قالَ الملاحةُ كلُّها	في يوسفَ كم في جمالكَ يوسُفُ
اتكلّفُ الاعراضَ عنكَ مخافةً	من اعينِ الرقباءِ كم اتكلّفُ

فلما سمعتُ شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت عليّ الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت اليّ وحملتني وقلعتني اثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سالتني عن ماجري لي فحكيت لها جميع ماحصل لي منها فقالت يا ابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام واما اشارتها بالمرآة وادلاء المنديل الاحمر ورفعه وابراز راسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكان الصباغ حتى ياتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي انك تصدقيني في هذا التفسير لاني رايت في الزقاق صباغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حرّ الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفرّ لوني وتغيرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفتُ وضعفتْ بنت عمي من اجلي وصارت تذكر لي احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلي في كل ليلة الى ان انام وكنت استيقظ فاجدها سهرانة من اجلي ودمعها يجري على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمي وسخنت لي ماء وحمتني به والبستني ثيابي وقالت لي توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى راس الزقاق وكان ذلك في يوم السبت فرايت دكان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذن العصر واصفرّت الشمس واذّن المغرب ودخل الليل وانا لا ادري لها اثرا ولا اسمع حسا ولا خبرا فخشيت على نفسي وانا جالس وحدي فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رايت ابنة عمي عزيزة قائمة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق في الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد أعرابية بان أهلها	فحنت إلى بان الحجاز ورنده
إذا آنست ركبا تكفكف شوقها	بنار قراه والدموع بورده
بأعظم من وجدي بحبي وإنما	يرى أنني أذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت إلي فرأتني فمسحت دموعها ودموعي بكمها وتبسمت في وجهي وقالت لي يا ابن عمي هناك الله بما أعطاك فلأي شيء لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها أربك فلما سمعت كلامها رفصتها برجلي في صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء في جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح سال دمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفصت ابنة عمي في صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد في جبهتها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت في الحال وأحرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذي سال على البساط وكان ذلك شيء ما كان ثم انها أتتني وتبسمت في وجهي وقالت لي بلين الكلام والله يا ابن عمي ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها ولكن قد كنت مشغولة بوجع رأسي وكان في خاطري أن أخرج الدم وفي هذه الساعة قد خفت رأسي وخفت جبهتي فأخبرني بما كان من أمرك في هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لي منها في ذلك اليوم وبعد كلامي بكيت فقالت يا ابن عمي ابشر بنجاح قصدك وبلوغ أملك ان هذه علامة القبول وذلك انها غابت عنك لانها تريد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أولا وهل أنت صادق في محبتها أولا وفي غد توجه اليها في مكانك الأول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت أفراحك وزالت أحزانك وصارت تسليني على ما بي وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لي الطعام فرفصته برجلي فانكبت كل زبدية في ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل إلى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لي ابنة عمي عزيزة والله يا ابن عمي ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة

الزبادي ومسحت الطعام وجلست تسامرني وانا ادعو الله ان يصبح الصباح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المصطبه واذا بالطاقة قد انفتحت وابرزت راسها منها وهي تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصريه ممتلئة بزرع اخضر وفي يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة في يدها وادخلتها في الكيس ثم ربطته ورمته في البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على راس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطرت قلبي من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهي لم تكلمني بكلمة قط فاشتد لذلك غرامي وزاد وجدي وهيامي ثم اني رجعت على عقبي وانا باكي العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرايت ابنة عمي قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها ان تخبرني بشيء مما عندها من الغرام لما رات ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرايت على راسها عصابتين احدهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهي في اسوء الحالات تبكي وتنشد هذه الابيات

أَعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ	وَقَدْ عِشْتُ دَهْراً لَا أَعُدُّ اللَّيَالِيَا
خَلِيلَيَّ وَاللهِ لَا أَمْلِكُ الَّذِي	قَضَى اللهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
قَضَاهَا لِغَيْرِي وَابْتَلَانِي بِحُبِّهَا	فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرَ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا

فلما فرغت من شعرها نظرت اليّ فراتني وهي تبكي فمسحت دموعها ونهضت اليّ ولم تقدر ان تتكلم مما هي فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمي اخبرني بما حصل لك منها في هذه المرّة فاخبرتها بجميع ما حصل لي فقالت لي اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ آمالك اما اشارتها لك بالمرآة وكونها ادخلتها في الكيس فانها تقول لك الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام وعلا نور النهار فتعال ولما اشارتها لك بالقصرية التي فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذي وراء الزقاق ولما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه واي موضع وجدت فيه القنديل مضيئاً فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرني

فان هواك قاتلي فلما سمعت كلام ابنة عمي صحت من فرط الغرام وقلت كم تعديني واتوجه اليها ولا احصل مقصودي ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولي النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الآمال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم انشدت هذين البيتين

دَرِّجِ الأَيَّامَ تَنْدَرِجِ	وَبُيُوتُ الهَمِّ لاَ تَلِجِ
رُبَّ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ	قَرَّبَتْهُ سَاعَةُ الفَرَجِ

ثم انها اقبلت عليّ وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر ان تاتيني بشئ من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت اليّ وقلعتني ثيابي ثم قالت يا ابن عمي اقعد حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتي الليل الا وانت عند محبوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل واقول يارب عجل بمجيء الليل فلما اتى الليل بكت ابنة عمي بكاء شديدا واعطتني حبة مسك خالص وقالت يا ابن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمحت لك بما تمنيت فانشدها هذا البيت

أَلاَ أَيُّهَا العُشَّاقُ بِاللهِ خَبِّرُوا	إِذَا اشْتَدَّ عِشْقٌ بِالفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لا انشد هذا البيت الشعر الا وقت خروجي من عندها فقلت سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم ازل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرايت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والابنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرايت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب

ونارنج واترج وكباد وبينها انواع الرياحين من ورد وياسمين واس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمتُ بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكنني ما وجدت في هذه الدار احدا من خلق الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكنني ما وجدت فيه احدا من خلق الله تعالى ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور ولا من يحرس تلك الحوائج فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى ان مضي اول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي الم الجوع لان لي مدة من الزمان ما اكلت طعاما لشدة وجدي فلما رايت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت الم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادي واحدة حلوي والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلوي وحامض فاكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة واكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوي واكلت ملعقة او اثنتين او ثلثا او اربعا واكلت بعض دجاجة واكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم ولم اعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني حر الشمس لان لي اياما ما ذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلفت يمينا وشمالا فلم اجد احدا ووجدت نفسي نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتاسفت على نفسي

فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هَبَّ رِيحٌ مِنَ الحِمَى وَنَسِيمٌ … فَأَهَاجَ الهَوَى بِنَشْرِ هُبُوبِهْ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا هَلُمَّ إِلَيْنَا … كُلُّ صَبٍّ بِحَظِّهِ وَنَصِيبِهْ
لَوْ قَدَرْنَا مِنَ الغَرَامِ اعْتَنَقْنَا … كَاعْتِنَاقِ المُحِبِّ صَدْرَ حَبِيبِهْ
حَرَّمَ اللهُ بَعْدَ وَجْهِ ابْنِ عَمِّي … كُلَّ عَيْشٍ مِنَ الزَّمَانِ وَطِيبِهْ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ قَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي … ذَائِبٌ مِنْ حَرِّ الهَوَى وَلَهِيبِهْ

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت عليّ بلين كلامها وقالت لي يا ابن عمي انت في عشقك قد لطف الله بك حيث احبك من تحب وانا في بكائي وحزني على فراقك من يلمني ويعذرني ولكن لا يؤاخذك الله من جهتي ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلعتني اثوابي ونشرتها وقالت والله ماهذه روائح من حظي بمحبوبه فاخبرني بما جرى لك يا ابن عمي فاخبرتها بجميع ماجرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمي اني خائفة عليك منها واعلم يا ابن عمي ان تفسير الملح هوانك مستغرق في النوم فكانك بشيع الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغي لك ان تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعي انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هي محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك واما الفحم فان تفسير اشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما انت صغير ولم يكن له همة الا الاكل والشرب والنوم وهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت والله ان هذا هو الصحيح لاني نمت والعشاق لاينامون فانا الظالم لنفسي وما كان اضر علي من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم اني زدت في البكاء وقلت لابنة عمي دليني على شئ افعله وارحميني يرحمك الله والا اموت وكانت بنت عمي تحبني محبة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمي دليني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبني محبة عظيمة فقالت على راسي وعيني ولكن يا ابن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت ادخل واخرج لكنت اجمع بينك وبينها في اقرب زمن واغطيكما بذيلي ولا افعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى ابذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي واطع امري واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس في الموضع الذي كنت فيه واحذر ان تاكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت ادعو الله ان يأتي الليل فلما اتى الليل اردت الانصراف فقالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الراس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رايتها اولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم اقدر على منعها فقمت واتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج و حوله اربع زبادي من الطعام فيها اربعة الوان فاكلت من كل لون لقمة واكلت ما تيسر من الحلوى واكلت قطعة لحم وشربت من الزردة واعجبتني فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت اجفاني فاخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي اتكئ عليها ولا انام فاغمضت عيني ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره و كانه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وانا مغتاظ الى ان وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جَسَدٌ نَاحِلٌ وَقَلْبٌ جَرِيحٌ ... وَدُمُوعٌ عَلَى الخُدُودِ تَسِيحُ
وَحَبِيبٌ صَعْبُ التَّجَنِّي وَلَكِنْ ... كُلُّمَا يَفْعَلُ المَلِيحُ مَلِيحُ
يَا ابْنَ عَمِّي مَلَأْتَ بِالوَجْدِ قَلْبِي ... إِنَّ طَرْفِي مِنَ الدُّمُوعِ قَرِيحُ

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها واقبلت

علىّ وقبلتنى واخذت تضمنى الى صدرها وانا اتباعد عنها واعاتب نفسى فقالت
لى يا ابن عمى كانك نمت فى هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنى لما انتبهت وجدت
كعب عظم وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خرّوب وما ادرى لاىّ شئ
فعلت هكذا ثم بكيت واقبلت عليها وقلت لها فسّرى لى اشارة فعلها
هذا وقولى لى ماذا افعل وساعدينى على الذى انا فيه فقالت على الراس والعين
اما فردة الطاب التى وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت
وقلبك غائب وكانها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك
من العاشقين واما نواية البلح فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان
قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة الهبت
فى الفؤاد جمرة واما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى ان قلب المحب متعوب
وتقول لك اصبر على فراقنا صبر ايوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت فى فؤادى
النيران وزادت بقلبى الاحزان فصحت وقلت قدّر الله علىّ النوم لقلة بختى
ثم قلت لها يا ابنة عمى بحيا تى عندك ان تدبرى لى حيلة اتوصل بها اليها فبكت
او قالت يا عزيز يا ابن عمى ان قلبى ملآن بالفكر ولا اقدر ان اتكلم ولكن رح الليلة
الى ذلك المكان واحذر ان تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأى والسلام فقلت
لها ان شاء الله لا انام وانما افعل ما تامرينى به فقامت ابنة عمى واتت لى
بالطعام وقالت لى كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى فى خاطرك شئ فاكلت
كفايتى ولما اتى الليل قامت بنت عمى واتتنى ببدلة عظيمة والبستنى اياها و
حلفتنى ان اذكر لها البيت المذكور وحذرتنى من النوم ثم خرجت من
عند بنت عمى وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان
وجعلت افتح عينى باصابعى واهز راسى حين جنّ الليل فادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان
وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عينى باصابعى واهزّ
راسى حين جنّ الليل فجعت من السهر وهبّت علىّ روائح الطعام فازداد

جوعي و توجهت الى السفرة وكشفت غطاءها واكلت من كل لون لقمة واكلت
قطعة لحم واتيت الى باطية الخمر وقلت في نفسي اشرب قدحا فشربته ثم
شربت الثاني والثالث الى غاية عشرة وقد ضربني الهواء فوقعت على الارض
كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرايت نفسي خارج البستان وعلى
بطني شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت واخذتهما واتيت بهما الى البيت فوجدت
ابنة عمي تقول اني في هذا البيت مسكينة حزينة ليس لي معين
الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولي ورميت السكين والدرهم من يدي
وغشي علي فلما افقت من غشيتي عرفتها بما حصل لي وقلت لها انني لم انل اربي
فاشتد حزنها علي لما رات بكائي ووجدي وقالت لي اني عجزت وانا
انصحك عن النوم فلم تسمع نصحي فكلامي لا يفيدك شيئا فقلت لها اسالك بالله
ان تفسري لي اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت اما الدرهم
الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين
وعيني اليمين ان رجعت ثاني مرة ونمت لاذبحنك بهذه السكين وانا
خائفة عليك يا ابن عمي من مكرها وقلبي ملآن بالحزن عليك فما اقدر ان
اتكلم فان كنت تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها
واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام على
عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت
عمي اسالك بالله ان تساعديني في هذه البلية فقالت على عيني وراسي ولكن
ان سمعت كلامي واطعت امري قضيت حاجتك فقلت لها اني اسمع كلامك
واطيع امرك فقالت اذا كان وقت الرواح اقول لك ثم ضمتني الى حضنها
ووضعتني على الفراش ولا زالت تكبسني حتى غلبني النعاس واستغرقت
في النوم فاخذت مروحة وجلست عند راسي تروح على وجهي الى آخر
النهار ثم نبهتني فلما انتبهت وجدتها عند راسي وفي يدها المروحة
وهي تبكي ودموعها قد بلت ثيابها فلما راتني استيقظت مسحت دموعها
وجاءت بشيء من الاكل فامتنعت منه فقالت لي اما قلت لك اسمع مني وكل
فاكلت ولم اخالفها وصارت تضع الاكل في فمي وانا امضغ حتى امتلأت ثم اسقتني
نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدي ونشفتهما بمحرمة ورشت علي ماء

الورد

الورد وجلست معها وانا فى عافية فلما اظلم الليل البستنى ثيابى وقالت يا بن عمى اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك فى هذه الليلة الا فى آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها فى هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتى ثم بكت فاوجعنى قلبى عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التى وعدتنى بها فقالت لى اذا انصرفت من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وانا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وانا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل علىّ حتى كانه سنة فمكثت ساهرا حتى مضى ثلثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندى الجوع من كثرة السهر فقمت الى السفرة واكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسى واردت ان انام واذا انا بنور اقبل على بعد فنهضت وغسلت يدى وفمى ونبهت نفسى فما كان الا قليل واذا بها اتت ومعها عشر جوار وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهى كما قال الشاعر

تتيه على العشاق فى حلل خضر	مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت انا التى	كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها ما اقاسى من الهوى	فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة	فقد انبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الاشواق ثم اقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها واقبلت علىّ وحضنتنى لصدرها وباستنى وبستها ومصت شفتى الفوقانية ومصصت شفتها التحتانية ثم مددت يدى الى خصرها وغمزته وما نزلنا فى الارض الا سواء وحلت سراويلها فنزلت فى خلاخل رجليها واخذنا فى الهواش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى ان ارتخت مفاصلها وغشى عليها ودخلت فى الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

اهنى ليالى الدهر عندى ليلة	لم اخل فيها الكاس من اعمالى

فرقت فيها بين جفني والكرى	وجمعت بين القرط والخلخال

واجتمعنا ونمنا الى الصباح واردت ان انصرف واذا بها امسكتني وقالت لي قف حتى اقول لك على شيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما اردت الانصراف امسكتني وقالت قف حتى اخبرك بشيء واوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامي فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت انا واياها اني اتي اليها كل ليلة في ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحي نسيت الشعر الذي اوصتني به بنت عمي وحين اعطتني الخرقة اللتي فيها صورة الغزال قالت لي هذا عمل اختي فقلت لها وما اسم اختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمي فوجدتها راقدة فلما رأتني قامت ودموعها تجري ثم اقبلت علي وباست صدري وقالت هل فعلت ما اوصيتك به من انشاد البيت فقلت لها اني نسيته وما اشغلني عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

يا طالبا للفراق مهلا	ولا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر	وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمي هب لي هذه الخرقة فوهبتها لها فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابي قالت بنت عمي اذهب مصحوبا بالسلامة فاذا انصرفت من عندها فانشدها البيت الشعر الذي اخبرتك به اولا ونسيته فقلت لها اعيديه فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية في انتظاري فلما رأتني قامت وقبلتني واجلستني في حجرها ثم اكلنا وشربنا وقضينا اغراضنا كما تقدم فلما اصبح الصباح انشدتها الشعر وهو

الا ايها العشاق بالله خبروا	اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته ذرفت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يُدَارِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ سِرَّهُ	وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَيَخْضَعُ

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمي وخرجت واتيت الى ابنة عمي فوجدتها راقدة وامي عند رأسها تبكي على حالها فلما دخلت عليها قالت لي امي تبًّا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسال عن مرضها فلما رأتني ابنة عمي رفعت رأسها وقعدت وقالت لي يا عزيز هل انشدتها البيت الذي اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتني بيتًا آخر وحفظته فقالت بنت عمي اسمعني اياه فلما اسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وانشدت هذين البيتين

وَكَيْفَ يُدَارِي وَالهَوَى قَاتِلُ الفَتَى	وَفِي كُلِّ يَوْمٍ قَلْبُهُ يَتَقَطَّعُ
لَقَدْ حَاوَلَ الصَّبْرَ الجَمِيلَ وَلَمْ يَجِدْ	لَهُ غَيْرَ قَلْبٍ فِي الصَّبَابَةِ يَجْزَعُ

ثم قالت لي ابنة عمي اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذين البيتين الذي سمعتهما فقلت لها سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها في البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما اردت الانصراف انشدتها ذينك البيتين الى آخرهما فلما سمعتهما سالت مدامعها من المحاجر وانشدت قول الشاعر

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ صَبْرًا لِكِتْمَانِ سِرِّهِ	فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي سِوَى المَوْتِ أَنْفَعُ

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمي وجدتها ملقاة مغشيا عليها وامي جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامي فتحت عينيها وقالت يا عزيز هل انشدتها البيتين قلت لها نعم ولكن لما سمعتهما بكت وانشدتني هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمي غشي عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذين البيتين وهما هذان

سَمِعْنَا أَطَعْنَا ثُمَّ مُتْنَا فَبَلِّغُوا	سَلَامِي عَلَى مَنْ كَانَ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُ
هَنِيئًا لِأَرْبَابِ النَّعِيمِ نَعِيمُهُمْ	وَلِلْعَاشِقِ المِسْكِينِ مَا يَتَجَرَّعُ

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على جري عادتي فوجدت الصبية في انتظاري فجلسنا واكلنا وشربنا وعملنا شغلنا ونمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته بنت عمي فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتفجرت وقالت آواه آواه والله ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمي

قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها
لك فانت الذى قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتنى ان لك ابنة عم
ما كنت قربتك منى فقلت لها انها كانت تفسر لى تلك الاشارات التى كنت تشيرين
بها الىّ وهى التى علمتنى كيف اصل اليك وافعل معك ولولا هى ما وصلت
اليك فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها
على شبابها ثم قالت لى رح انظرها فذهبت وخاطرى متشوش ومازلت
ماشيا الى ان اتيت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لى ان عزيزة
وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتنى امى قالت ان خطيئتها
فى ذمتك وعنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت
الدار فلما رأتنى امى قالت ان خطيئتها فى ذمتك فلا سامحك الله من دمها
تبًّا لك من ابن عم ثم ان ابى جاء وجهزناها واخرجناها وشيعنا جنازتها
ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلثة ايام ثم رجعنا
ودخلنا البيت وانا حزين عليها فاقبلت علىّ امى وقالت لى ان قصدى ان اعرف
ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها وانى يا ولدى كنت اسأل منها فى كل
الاوقات عن سبب مرضها فما اطلعتنى على شئ ولم تخبرنى به فبالله عليك
اخبرنى عما كنت تفعل معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيئا فقالت الله يقتص لها
منك فانها ما ذكرت لى شيئا بل كتمت امرها حتى ماتت وهى راضية عنك
ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينها وقالت لى يا امرأة عمى جعل الله ولدك
فى حل من دمى ولا آخذه بما فعل معى وانما نقلنى الله من الدار الدنيا
الفانية الى الدار الآخرة الباقية فقلت يا بنتى سلامتك وسلامة شبابك
وصرت اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمى قولى
لابنك اذا اراد الرواح الى الموضع الذى يروحه كل يوم يقول هذين الكلمتين
عند انصرافه منه الوفاء مليح ❊ والغدر قبيح ❊ فان هذه شفقة منى

عليه لاكون شفوقة عليه فى حياتى وبعد مماتى ثم اعطتنى لك حاجة وحلفتنى انى لا اعطيها لك حتى اراك تبكى عليها وتنوح والحاجة عندى فاذا رأيتك على الصفة التى ذكرتها اعطيتك اياها فقلت لها ارنى اياها فما رضيت ثم انى اشتغلت بلذاتى فما ذكرت اناموت ابنة عمى لانى كنت طائش العقل وكنت اود فى نفسى ان اكون طول ليلى ونهارى عند محبوبتى وما صدقت ان الليل اقبل حتى مضيت الى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتنى وتعلقت بى وبادرت الى رقبتى وسالتنى عن بنت عمى فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختوم ومضى لها اربع ليال وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتنى بها قبل موتها لكنت اكافئها على ما فعلت معى من المعروف فانها خدمتنى واوصلتك الىّ ولولاها ما اجتمعت انا واياك وانا خائفة عليك ان تقع بك رزية بسبب خطيئتها فقلت لها انها قد جعلتنى فى حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما اخبرتنى به امى فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التى عندها فقلت لها ان امى قالت لى ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتنى وقالت لى اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها خلصتك منى وقد كنت اضمرت على ضررك فانا لا اضرك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معى وقد صار بينى وبينك مودة فقالت انت مولع بى ولكنك صغير السن وغشيم وقلبك خال عن الخداع فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت عاشت لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك وكانت انجتك من الهلكة والآن اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فاياك ثم اياك فانك غشيم وغير عارف بخداع النساء ومكرهن والتى كانت تفسر لك الاشارات قد ماتت وانى اخاف عليك ان تقع فى رزية فما تلقى من يخلصك منها بعد موت بنت عمك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لى انى اخاف عليك ان تقع فى رزية فما تلقى من يخلصك منها فواحسرتاه على بنت عمك وليتنى علمت بها قبل موتها حتى كنت اكافئها على ما فعلت معى من المعروف وازورها رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت وصلت الىّ ابدا وانى اشتهى عليك امرا فقلت ما هو قالت وهو ان توصلنى الى قبرها حتى ازورها فى القبر الذى هى فيه واكتب عليه ابياتا فقلت لها فى غد ان شاء الله تعالى ثم انى نمت معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى ليتك اخبرتنى ببنت عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح * والغدر قبيح * فلم تجبنى فلما كان الصباح قامت واخذت كيسا فيه دنانير وقالت لى قم وارنى قبرها حتى ازوره واكتب عليه هذه الابيات واعمل عليه قبة وانرحم عليها واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التى كتمت سرها حتى شربت كاس منونها ولا باحت بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى نفد ما فى الكيس ووصلنا الى القبر فلما عاينت القبر بكت ورمت نفسها عليه ثم انها اخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات

مَرَرْتُ بِقَبْرٍ دَارِسٍ وَسْطَ رَوْضَةٍ	عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَانِ سَبْعُ شَقَائِقِ
فَقُلْتُ لِمَنْ ذَا الْقَبْرُ جَاوَبَنِي الثَّرَى	تَأَدَّبْ فَهَذَا الْقَبْرُ بَرْزَخُ عَاشِقِ
فَقُلْتُ رَعَاكَ اللهُ يَا مَيِّتَ الْهَوَى	وَأَسْكَنَكَ الْفِرْدَوْسَ أَعْلَى الشَّوَاهِقِ
مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ حَتَّى قُبُورُهُمْ	عَلَيْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
فَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَزَرَعْتُ حَوْلَكَ رَوْضَةً	وَأَسْقَيْتُهَا مِنْ دَمْعِيَ الْمُتَدَافِقِ

ثم مضت وهى تبكى ومضت معها الى البستان فقالت لى بالله انك لا تنقطع عنى ابدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى واظبتها واتردد عليها وكنت كلما بت عندها تحسن الىّ وتكرمنى وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى

عزيزة لابي فاعيد همالها ومازلت على ذلك الحال من اكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بي هم ولاحزن ونسيت بنت عمي ولم ازل على ذلك الحال مدة سنة كاملة وعند راس السنة دخلت الحمام واصلحت شاني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدح شراب وشممت روائح قماشي المصبخ بانواع الطيب وانا منشرح الصدر ولم اعلم غدر الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي الذهاب اليها وانا سكران لا ادري اين اتوجه فذهبت اليها فمال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما انا ماش في ذلك الزقاق فنظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة موقودة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب الذي اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب فنظرت بعيني واذا انا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها واذا هي تبكي وتنشد هذه الابيات

رَسُولُ الرِّضَا اَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... حَدِيثُكَ مَا اَحْلَاهُ عِنْدِي وَاَطْيَبَا
فَيَا مُهْدِيًا مِمَّنْ اُحِبُّ سَلَامَهُ ... عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ مَاهَبَّتِ الصَّبَا

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف ان تقرأ فقلت لها بفضولي نعم يا خالتي العجوز فقالت لي خذ هذا الكتاب واقرأه لي وناولتني الكتاب فاخذته منها وفتحته وقراته عليها فاذا هو كتاب مضمونه من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت فرج الله همك كما فرجت همي ثم اخذت الكتاب ومشت خطوتين فحصل لي حصر البول فقعدت على قرافيصي لاريق الماء ثم اني قمت وتجمرت وارخيت اثوابي واردت ان امشي واذا بالعجوز قد اقبلت علي وطأطأت على يدي وقبلتها وقالت لي يا سيدي ربنا يهنيك بشبابك اترجاك ان تمشي معي خطوات الى ذلك الباب فاني قلت لهم ماقلته لي في قراءة الكتاب فلم يصدقوني فامش معي خطوتين

واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واستقبل مني دعوة صالحة فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة عشر سنين فانه سافر بمتجر ومكث في بلاد الغربة مدة فقطعنا الرجاء منه وظننا انه مات ثم بعد مدة وصل الينا هذا الكتاب من عنده وله اخت وهي تبكي عليه اناء الليل واطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لابد ان تاتيني بمن يقرأ هذا الكتاب بحضرتي حتى تطمئن قلبي ويطيب خاطري وانت تعلم يا ولدي ان المحب مولع بسوء الظن فانعم علي بان تذهب معي وتقرأ لها هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة وانا انادي اخته تسمع من داخل الباب وتفرج عنا كربة وتقضي حاجتنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه مائة كربة وفي حديث آخر من نفس عن اخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وانا قصدتك فلا تخيبني فقلت لها سمعا وطاعة تقدمي فمشت قدامي ومشيت وراها قليلا حتى وصلت الى باب دار حسنة كبيرة وبابها مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت انا خلف الباب فصاحت العجوز بالعجمية فما اشعر الا وصبية اتت بخفة ونشاط وهي مشمرة لباسها الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهي كما قال في وصفها الشاعر

يا من يشمر عن ساق ليعرضه	على المحبين حتى يفهم الباقي
وطاف يسعى بكاس نحو عاشقه	ما افتن الناس غير الكاس والساقي

وزان ساقيها اللذين كانهما عمودان من مرمر خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت ابطيها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفي يديها زوجان من الاساور وبافقال من لؤلؤ الكبار وفي رقبتها القلادة من ثمين الجوهر وفي اذنيها قرطان من اللؤلؤ وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهي كانها كانت تعمل شغلا فلما رأيتها بهت لها وهي كانها الشمس المضيئة فقالت هي بلسان فصيح عذب ما سمعت احلى منه يا امي اهذا الذي جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها الي بالكتاب وكان بينها وبين الباب

نحو نصف قصبة فمد دت يدي لاتناول منها الكتاب فدخلت رأسي واكتافي من الباب لاقرب منها واقرأ الكتاب فما اشعر الا والعجوز قد وضعت رأسها في ظهري ودفعتني ويدي فيها الكتاب فما ادري الا وانا في وسط الدار وبقيت من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الا قفل الباب. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك فلما دفعتني العجوز لم اشعر الا وانا من داخل الدهليز ودخلت العجوزة اسرع من البرق الخاطف وما كان لها شغل الا قفل الباب واما الصبية فانها لما رأتني من داخل الدهليز اقبلت عليّ وضمتني الى صدرها ورمتني على الارض وركبت على صدري وعصرت بطني بيدها فغبت عن الدنيا ثم اخذتني بيدها فما قدرت ان اتخلص منها من شدة ما حضنتني ثم دخلت بي والعجوز قدامها والشمعة موقودة معها حتى قطعت بي سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بي الى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيال بالاكر ثم خلتني وقالت لي افتح عينيك ففتحت عيني وانا دائخ من شدة ما ضمتني وعصرتني فرأيت بناء القاعة كلها رخام من ابهج المرمر وجميع فرشها من حرير وديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكتان من النحاس الاصفر وسرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومقاعد وبيت سعادة لا يصلح الا للملك مثلك ثم قالت لي يا عزيز ايما احب اليك الموت ام الحياة فقلت لها الحياة فقالت لي اذا كانت الحيوة احب اليك فتزوج بي فقلت انا اكره ان اتزوج بمثلك فقالت لي ان تزوجت بي تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن بنت الدليلة المحتالة فقالت لي وقد ضحكت هي التي لك في صحبتها اليوم سنة واربعة اشهر اهلكها الله تعالى وابتلاها بمن هو اشد منها والله ما يوجد امكر منها وكم قتلت ناسا قبلك وكم فعلت افعالا وكيف سلمت منها ولك في صحبتها هذه المدة ولم تقتلك او تشوش عليك فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتي ومن عرفك بها فقالت انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدي

ان تحكى لى جميع ما وقع لك معها حتى اعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها و دمعت عيناها و دقت يدا على يد لما سمعت بموت بنت عمى عزيزة و قالت فى سبيل الله شبابها وعوضك الله فيها خيرا والله يا عزيز انها ماتت وهى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولاهى لكنت هلكت وانا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن فى ملآن ما اقدر ان اتكلم فقلت لها اى والله قد حصل كله ذلك فهزت راسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها اوصتنى ان اقول لها هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت لى يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها ومن القتل من يدها والآن قد اطمأن قلبى عليك منها ولا بقت تقتلك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت اتمناك يوما بعد يوم وما قدرت عليك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك وقد تمت عليك الحيلة وانت الآن غشيم لا تعرف مكر النساء ولا دواهى العجائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف به وانت شاب مليح وانا ما اريدك الا بسنة الله و رسوله صلى الله عليه وسلم ومهما اردت من مال و قماش يحضر لك سريعا وما اكلفك بشئ ابدا وايضا عندى دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وما اريد منك الا ان تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيديها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت على حيلها وتبسمت وقالت لى يا نور عينى اما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما اعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فخجلت انا من كلامها ثم انى قلت اهذه صنعة الديك فقالت نعم وما اريد منك الآن الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيديها وقالت يا امى احضرى من عندك واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ومعها شقة حرير ثم انها اوقدت اربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا علىّ وجلسوا فقامت الصبية وارخت عليها ازارا ووكلت بعضهم فى ولاية عقد النكاح فكتبوا الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر المقدم والمؤخر وان فى ذمتها لى عشرة آلاف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما كتبوا الكتاب اشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان لى فى ذمتها عشرة آلاف درهم ثم انها اعطت الشهود اجرتهم وانصرفوا من حيث اتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت اثوابها واتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها واخذت بيدى وطلعت بى الى فوق السرير وقالت لى ما فى الحلال من عيب ونامت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعتها بغنجة ثم كشفت الثوب الى فوق نهودها فلما رأيتها على هذه الحالة لم املك نفسى دون ان اولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهى تتأوه وتظهر الخشوع والبكاء من غير دموع ثم قالت يا حبيبى اعمل واذكرتنى فى الحال قول من قال،

وَلَمَّا كَشَفْتُ الثَّوْبَ عَنْ سَطْحِ كُسِّهَا	وَجَدْتُ بِهَا ضِيقًا كَخُلْقِي وَأَرْزَاقِي
فَأَوْلَجْتُ فِيهَا نِصْفَهُ فَتَنَهَّدَتْ	فَقُلْتُ لِمَا هَذَا فَقَالَتْ عَلَى الْبَاقِي

ثم قالت يا حبيبى اعمل خلاصك فانا جاريتك خذه هاته كله بحيا تى عندك هاته حتى ادخله بيدى واحطه فى فؤادى ولم تزل تسمعنى الغنج والبكاء والشهيق فى خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا فى الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح واردت ان اخرج واذا هى اقبلت علىّ تضحك وتقول بوه بوه هل تحسب ان دخول الحمام مثل خروجه وما اظن الا انك تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فما انت الا زوجى بالكتاب والسنة وان كنت سكرانا فاصح لعقلك ان هذه الدار التى انت فيها ما تفتح الا فى كل سنة يوما قم وانظر الى الباب الكبير فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت واعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لى يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواما عديدة ومن هذه الساعة لا يفتح الباب الا بعد سنة وانا اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت واى شئ يضرك وانت تعرف

صنعة الديك التي اخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت انا وطا وعنها فيما قالت ومكثت عندها وانا اعمل صنعة الديك آكل واشرب وانيك حتى مرّ علينا عام اثني عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقتُ منها ولدا و عند راس السنة سمعت فتح الباب واذا برجال دخلوا بكعك و دقيق وسكر فاردت اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل ماد خلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء واردت ان اخرج وانا خائف مرعوب واذا هي قالت والله ما ادعك تخرج حتى احلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك فحلفتني بالايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق انى اعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي انى غايب عن هذا المكان سنة كاملة وجئته على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل الصبيه باقية على حالها اولا ولكن لابد انى ادخل وانظر قبل ان اروح الى امي وانا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عزيزا قال لتاج الملوك ثم انى دخلت البستان ومشيت حتى اتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة وراسها على ركبتيها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما راتني قالت الحمد لله على السلامة وهمّت ان تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطاطأت راسي ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت ان اجئ اليك في هذه الليلة قالت لاعلم لي بذلك والله ان لي سنة لم اعرف طعم النوم ولم اذق الّا انى سهرانة كل ليلة في انتظارك وانا على تلك الحالة من يوم خرجت من عندي واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني انك تروح الى الحمام وتجئ فقعدت انتظرتك اول ليلة وثاني ليلة وثالث ليلة فما اتيت الا بعد هذه المدة وانا دائما منتظرة لمجيئك وهذا شان العشاق فانى اريد منك انك تحكي لي على سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت انى تزوجت اصفر لونها

ثم قلت لها انى اتيتك هذه الليلة واروح قبل طلوع النهار فقالت اما كفاها انها عملت عليك الحيلة وتزوجت بك وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق انك تعود اليها من ليلتك قبل طلوع النهار ولم تسمح نفسها لك بان تنفسح عند امك او عندى ولم يهن عليها ان تبيت عند احد منا ليلة واحدة بعيداً عنها فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وانا عرفتك قبلها ولكن رحم الله بنت عمك عزيزة فانها جرى لها ما لم يجر لاحد وصبرت على ما لم يصبر عليه احد وماتت مقهورة منك وهى التى حمتك منى وكنت اظنك تحبنى فخليت سبيلك مع انى كنت اقدر ما اخليك تروح سالما بشئ واقدر على حبسك وهلاكك ثم بكت بكاء شديدا واغتاظت واقشعرت فى وجهى ونظرت الىّ بعين الغضب فلما رايتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصى وخفت منها وصارت هى مثل الغولة المهولة وصرت انا مثل الفولة على النار ثم قالت لى ما بقى فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتى لانه لا ينفعنى الا العزب واما الرجل المتزوج فانه ما ينفعنا بشئ وقد بعتنى بالحزمة الدفرة والله لا بد لاحسرن تلك العاهرة عليك ولا تبقى لى ولا لها ثم انها صرخت صرخة عظيمة فما اشعر الا وعشرة جواراتين ورمينى على الارض فلما بقيت تحت ايديهن قامت هى واخذت سكينا وقالت لاذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا اقل من جزائك على ما فعلت معى ومع ابنة عمك قبلى فلما نظرت الى روحى وانا تحت يد جواريها وتعفر خدى بالتراب ورايتها تسن السكين تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ❊

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما رأيت روحى تحت يد جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيتها تسن السكين تحققت الموت فعند ذلك استغثت بها فلم تزدد الا قساوة وامرت الجوارى ان يكتفننى فكتفننى ورمينى على ظهرى وجلسن على بطنى ومسكن رأسى وقامت جاريتان جلستا على اقصاب رجلاى وجاريتان مسكتا يداى وقامت هى ومعها جاريتان فامرتهما ان يضربا لى

فضربتاني حتى اغمي علي وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي ان موتي
مذبوحا احسن واهون علي من هذا الضرب وتذكرت قول بنت عمي
فانها كانت تقول لي كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي
وما بقي لي حس ولا نفس ثم سنت السكين وقالت للجواري اكشفن عنه فالهمني
المولى ان اقول الكلمتين اللتين قالتهما بنت عمي واوصتني بهما فقلت يا سيدتي
اما علمت ان الوفاء مليح * والغدر قبيح * فلما سمعت ذلك صاحت وقالت
يرحمك الله يا عزيزة الله يعوضها في شبابها الجنة والله انها نفعتك في
حياتها وبعد وفاتها وخلصتك من يدي بسبب هاتين الكلمتين ولكن
لا يمكن ان اتركك هكذا ولا بد ان اعمل فيك اثرا لاجل نكاية تلك العاهرة
المهتوكة التي حجبتك عني ثم صاحت على الجواري وامرتهن ان يربطن رجلاي
بالحبل ثم قالت لهن اركبن عليه ففعلن ذلك ثم قامت من عندي وانت بطاجن
من نحاس وعلقته على كانون نار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وانا غائب
عن الدنيا ثم اتت الي وحلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وامسكته وناولته
لجاريتين وقالت لهما جرا الحبل فجرتاه فغشي علي وصرت من شدة الالم في
دنيا غير هذه الدنيا وجاءت بموسى من حديد وقطعت ذكري وبقيت
مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وانا مغمى علي فلما افقت كان
الدم قد انقطع فامرت الجواري ان يحللنني فاسقتني قدح شراب ثم قالت لي
رح الآن للتي تزوجت بها وبخلت علي بليلة واحدة رحم الله بنت عمك التي
هي سبب نجاتك ولم تبح سرها ولولا انك اسمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب
في هذه الساعة لمن تشتهي وانا ماكان لي عندك غير الذي قطعته والآن ما بقي
لي عندك شيء ولا لي فيك رغبة ولا حاجة لي بك فقم وملس على راسك
وترحم على بنت عمك ثم رفصتني برجلها فقمت وما قدرت ان امشي فتمشيت
قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسي فيه وانا
غائب عن الوجود واذا بزوجتي خرجت وحملتني وادخلتني القاعة فوجدتني
مثل المرأة ثم اني نمت واستغرقت في النوم فلما قمت وصحوت وجدت
نفسي مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

	المسباح	

فلما
۵۲

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ثم اني لما فقت وصحوت وجدت نفسي ملقى على باب البستان فقمت وانا ائن واتضجر ومشيت حتى اتيت الى منزلي فدخلت فيه فوجدت امي تبكي علي وتقول يا هل ترى يا ولدي انت في اي ارض فدنوت منها ورميت نفسي عليها فلما نظرت الي وحست بي وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد فتفكرت بنت عمي وما فعلت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبني فبكيت عليها وبكت امي فقالت امي يا ولدي ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى اغمي علي فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا وكدت ان اغمى علي من شدة البكاء ومازلت في هذا البكاء والنحيب الى نصف الليل فقالت لي امي ان لوالدك عشرة ايام وهو ميت فقلت لها اني لا افكر في احد ابدا غير ابنة عمي لاني استحق كل ما حصل لي حيث اهملتها وهي تحبني فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لي فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لي شيئا من المأكول فاكلت قليلا وشربت واعدت لها قصتي واخبرتها بجميع ما وقع لي فقالت الحمد لله الذي جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لي يا ولدي الآن اخرج لك الوداعة التي وضعتها عندي بنت عمك فانها لك وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتى اراك تتذكرها وتبكي عليها وتنقطع علاقتك من غيرها والآن علمت فيك هذه الشروط ثم قامت وفتحت صندوقا واخرجت منه هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال المصور وهي التي كنت وهبتها لها اولا فلما اخذتها

وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

يَا رَبَّةَ الحُسْنِ مَنْ بِالصَّدِّ اَغْرَاكِ ... حَتَّى قَتَلْتِ بِفَرْطِ الحُبِّ مُضْنَاكِ

اِنْ كُنْتِ لَمْ تَذْكُرِينَا بَعْدَ فُرْقَتِنَا ... فَاللهُ يَعْلَمُ اَنَّا مَا نَسِينَا لَكِ

عَذَّبْتِنِي بِالتَّجَنِّي وَهُوَ يَعْذُبُ لِي ... هَلْ تَجُودِينَ لِي يَوْمًا بِرُؤْيَاكِ

مَا كُنْتُ اَحْسَبُ اَنَّ الحُبَّ فِيهِ ضَنَا ... وَلَا عَذَابَ نُفُوسٍ قَبْلَ اَهْوَاكِ

حتى تولّع قلبي بالغرام فما	امسى اسير الهوى في لحظ عيناك
رقّ العذول لحالي في الهوى ورثى	وانت يا هند لم ترثي لمضناك
تا الله لو متّ لم اسلوك يا املي	ولو فنيت غراما لست انساك

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت على وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا بن عمي اني جعلتك في حل من دمي وارجوا الله ان يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا اصابك شئ من بنت الدليلة المحتالة فلا ترجع تروح اليها ولا لغيرها واصبر على بليّتك ولولا اجلك مديد لكنت هلكت من زمان ولكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تخليها تفارقك فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا اغبت عنّي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فقرأت ماكتبته لي بنت عمي و اوصتني به وهي تقول احتفظ بهذا الغزال ولا تدعه يفارقك فانه كان يؤانسني اذا اغبت عني و بالله عليك ان قدرت على من عملت هذا الغزال تتباعد عنها ولا تخليها تقربك ولا تتزوج بها وان لم تحصل لك ولا قدرت عليها ولا وجدت لك اليها سبيلا فلا تقرب بعدها واحدة من النساء واعلم ان صاحبة هذا الغزال تعمل كل سنة غزالا وترسله الى اقصى البلاد لاجل ان يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها اهل الارض واما محبوبتك بنت الدليلة المحتاله فوصل اليها هذا الغزال فصارت تصدّم به الناس وتريه لهم وتقول ان لي اختا تصنع هذا وهي كذّابة في قولها هتك الله سترها وهذه وصيتي وما اوصيتك بهذه الوصية الّا لانني اعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتك وتتذكرني فما ينفعك فلا تعرف قدري الّا بعد

موتى واعلم ان الصبية التي صنعت هذا الغزال بنت ملك جزائر الكافور وست الاحرار فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت امي لبكائي ولا زلت انظر اليها وابكي الى ان اقبل الليل ولم ازل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز هؤلاء التجار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة فاشارت علي امي ان اتجهز معهم واسافر لعلي انسلى ويذهب ما بي من الحزن وقالت لي اشرح صدرك واترك هذا الحزن عنك وتغيب سنة او سنتين او ثلاثة حتى تعود القافلة فلعل ينشرح صدرك وينجلي خاطرك ولا زالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجري وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة طول سفري ابدا ففي كل منزلة ننزل بها افتح هذه الخرقة وانظر فيها الى هذا الغزال فاتذكر ابنة عمي وابكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الا الضرر وهي لم تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم فانا ارجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة كاملة وانا في حزن زائد وما زاد همي وحزني الا اني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصنع الغزلان وهذا الغزال الذي معك من جملة رقمها فلما علمت ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لاني بقيت مثل المرأة ولا حيلة لي وما بقي معي آلة مثل الرجال واني من يوم فراقي لجزائر الكافور وانا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما ادري هل يمكنني ان ارجع الى بلدي واموت عند والدتي اولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى وان واشتكى ونظر الى صورة الغزال وجرت دموعه على خدوده و سالت وانشد يقول هذين البيتين

وَقَائِلٍ قَالَ لِي لَابُدَّ مِنْ فَرَجٍ	فَقُلْتُ لِلْغَيْظِ كَمْ لَابُدَّ مِنْ فَرَجِ
فَقَالَ لِي بَعْدَ حِينٍ قُلْتُ يَا عَجَبِي	مَنْ يَضْمَنُ الْعُمْرَ لِي يَا بَارِدَ الْحُجَجِ

وقول الآخر

اَللّٰهُ يَعْلَمُ اَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ	بَكَيْتُ حَتّٰى اسْتَلَفْتُ الدَّمْعَ بِالدَّيْنِ
فَقَالَ لِي عَاذِلِي اِصْبِرْ تَنَالُهُمْ	فَقُلْتُ يَا عَاذِلِي الصَّبْرُ مِنْ اَيْنِ

وهذه حكايتى ايها الملك فهل سمعت اغرب من هذا الحديث فتعجب تاج الملوك
غاية العجب وانه لما سمع قصة الشاب انطلقت فى فؤاده النيران بسبب ذكر الست
دنيا وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع
تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران لما سمع
بجمال السيدة دنيا وعرف انها هى التى ترقم الغزلان وزاد به الوجد والهيام
فقال للشاب والله لقد جرى لك شئ ما جرى لاحد غيرك مثله ولكن لك
عمر تقضيه وقصدى ان اسالك عن شئ فقال عزيز وما هو قال تحكى لى كيف رأيت
تلك الصبية التى عملت هذا الغزال فقال يا مولاى انى اتيتها بحيلة وهو انى
لما دخلت مع القافلة الى بلدها كنت اخرج وادور فى البساتين وهى كثيرة
الاشجار وحارس تلك البساتين شيخ كبير طاعن فى السن فقلت له يا شيخ
لمن هذا البستان فقال لى هو لابنة الملك الست دنيا ونحن تحت قصرها
فاذا ارادت ان تتفرج تفتح باب السر وتتفرج فى البستان وتتشمم روائح
الازهار فقلت له انعم علىّ بان اقعد فى هذا البستان حتى تأتى وتمر لعلى
احظى منها بنظرة فقال الشيخ لا باس بذلك فلما قال لى ذلك اعطيته بعض
دراهم وقلت له اشتر لنا شيئا نأكله فاخذهم وهو فرحان وفتح الباب
ودخل وادخلنى معه وسرنا وما زلنا سائرين الى ان اتينا الى مكان لطيف
وقال لى اجلس هنا الى ان اذهب واعود اليك بعد ان احضر لى شيئا
من الفواكه وتركنى ومضى وغاب ساعة ورجع ومعه خروف مشوى
فاكلنا حتى اكتفينا وقلبى مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن جالسان
واذا بالباب قد انفتح فقال لى قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشى اسود
اخرج راسه من باب الريح وقال يا شيخ هل عندك احد فقال لا فقال
له اغلق باب البستان فاغلق الشيخ باب البستان واذا بالست دنيا طلعت
من باب السر فلما رأيتها ظننت ان القمر قد طلع من الافق واضاء فنظرت
لها ساعة زمانية وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد

ساعة اغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت انا من البستان وطلبت منزلي وعرفت اني لا اصل اليها ولا انا من رجالها خصوصا وانا قد صرت مثل المرأة ليس لي آلة رجال وهي بنت ملك وانا رجل تاجر فمن اين لي وصول الى مثل هذه او غيرها فلما تجهزت اصحابي هؤلاء تجهزت انا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه البلدة حتى اذا وصلنا الى هذا المكان واجتمعنا بك وسألتني فاخبرتك وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل باله وفكره بحب السيدة دنيا وحار في امره ثم انه نهض وركب جواده واخذ عزيزا معه وعاد به الى مدينة ابيه وافرد لعزيز دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والملبس وتركه ومضى الى قصره ودموعه تجري على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ولم يزل تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده متغير اللون نحيف الجسم باكي العين فعلم انه مهموم لامر نزل به فقال له يا ولدي اخبرني عن حالك وما الذي جرى لك حتى تغير لونك ونحل جسمك فاعاد له جميع ما جرى له وما سمعه من قصة عزيز وقصة السيدة دنيا وانه عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولدي انها بنت ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلثين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له يا ولدي ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل الى قصر امك ففيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن اعجبتك منهن خذها واذا لا ناخذ ونخطب لك بنتا من بنات الملوك تكون احسن منها فقال له يا ابي لا اريد غيرها ابدا وهي صاحبة الغزال الذي رايته ولا بد لي منها والا اهج في البراري والقفار واقتل نفسي بسببها فقال له ابوه امهلني حتى ارسل الى ابيها واخطبها منه وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي في امك لعل الله ان يبلغك المرام وان لم يرض زلزلت عليه مملكته بجيش اخره عندي واوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له يا ولدي هل انت تعرف

الطريق قال نعم قال له اشتهي منك ان تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم ان الملك احضر وزيره وقال له دبّر لي رأيا في امر ولدي يكون صوابا واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها لولدي فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زاد به الوجد والحال وطال عليه المطال فلما جنّ عليه الليل بكى وانّ واشتكى وانشد يقول شعر

جَنَّ الظَّلَامُ وَدَمْعِي زَائِدُ الْمَدَدِ	وَالْوَجْدُ مِنْ شِدَّةِ النِّيرَانِ فِي كَبِدِي
سَلُوا اللَّيَالِيَ عَنِّي وَهِيَ تُخْبِرُكُمْ	إِنْ كَانَ شُغْلِي غَيْرَ الْهَمِّ وَالْكَمَدِ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مِنْ وَلَهِي	وَالدَّمْعُ مُنْهَمِلٌ فِي الْخَدِّ كَالْبَرَدِ
وَقَدْ بَقِيتُ وَحِيدًا لَيْسَ لِي أَحَدٌ	كَمِثْلِ صَبٍّ بِلَا أَهْلٍ وَلَا وَلَدِ

ثم لما فرغ من شعره غشي عليه ساعة فلم يفق الا وقت الصباح فاتى خادم ابيه ووقف عند راسه ودعاه الى والده فراح معه فلما رآه ابوه وجده قد تغيّر لونه فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهّز عزيزا مع وزيره واعطاهم الهدايا فسافروا ايا ما وليالي الى ان اشرفوا على جزائر الكافور فعند ذلك اقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك يخبره بقدومهم فراح الرسول فلم يكن غير ساعة الا وحجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا في خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا واقاموا في ضيافته ثلثة ايام فلما كان اليوم الرابع قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدّثه بالامر الذي جاء فيه فبقي الملك حائرا في ردّ الجواب لان ابنته لا تحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج فاطرق الملك براسه الى الارض ساعة ثم رفع راسه ودعا بخادم من بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا واعد عليها ما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وذهب وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان اني لما دخلت واخبرت الست دنيا بما سمعت غضبت غضبا شديدا ونهضت الي بعصاة وارادت كسر راسي ففررت منها هاربا وقالت لي ان كان ابي يغصبني على الزواج فالذي اتزوّج به اقتله فقال ابوها للوزير ولعزيز قد سمعتما فانتما تعلمان واخبرا الملك بذلك وسلما وان ابنتي لا تحبّ الرجال ولا تشتهي الزواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك وانكما تخبران الملك بما سمعتماه بان ابنتي لاتحب الزواج فرجعوا من غير فائدة ومازالوا مسافرين الى ان دخلوا على الملك واخبروه بما جرى فعند ذلك امر النقباء ان ينادوا على العساكر بالسفر من اجل الحرب والجهاد فقال له الوزير ايها الملك لاتفعل ذلك فان الملك لاذنب له وان ابنته حين علمت بذلك ارسلت تقول ان غصبني ابي على الزواج اقتل من اتزوج به واقتل نفسي بعده وانما الامتناع منها فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على تاج الملوك وقال ان انا حاربت اباها وظفرت بابنته فهي تقتل نفسها فلا يفيد لي شئ ثم ان الملك اعلم ابنه تاج الملوك بذلك فلما علم ذلك قال لابيه يا ابي انا لااطيق الصبر عنها فانا اروح اليها واتحايل في اتصالي بها ولو اموت ولاافعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال اروح في صفة تاجر فقال الملك ان كان ولابد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه اخرج له شيئا من خزائنه وهيّأ له متجرا بمائة الف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا تلك الليلة هناك وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولارقاد بل هجم عليه الفكر وهزّة الشوق الى محبوبته فتوسّل بالخلاّق ان يمنّ عليه بالتلاق وبكى وانّ واشتكى وانشد يقول

ترى هل لنا بعد البعاد وصول	فاشكو اليكم صبوتي واقول
تذكرتكم والليل في غفلاته	واسهرتموني والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولا زالا كذلك يبكيان الى ان اصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر فسألته عن حاله فاعاد عليها الخبر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودّعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستاذنه ان يرحل فاذن له واعطاه خمسين الف دينار وامر ان تضرب له خيمة في خارج المدينة فضربت له الخيمة فاقام فيها يومين وسافر واستانس تاج الملوك بعزيز وقال له يا اخي

انا ما بقيت اطيق ان افارقك فقال عزيز وانا الآخر كن لك وانا احب ان اموت تحت رجليك ولكن يا اخي قلبي اشتغل بوالدتي فقال له تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون الا خيرا وسافروا وكان الوزير قد اوصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز يسامره وينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار وهم يجدون في السير ليلا ونهارا مدة شهرين كوامل فطالت الطريق على تاج الملوك وزادت به النيران فانشد يقول

طال المسير وزاد الهم والقلق ... وفي الفؤاد هوى زادت به الحرق
اقسمت يا منيتي يا منتهى املي ... بحق من خلق الانسان من علق
لقد حملت غراما منك يا سؤلي ... لم تحملنه جبال الشم بالارق
ياست دنياي ان الحب اهلكني ... وردني ميتا ما في من رمق
لولا الرجاء بوصل منك يطمعني ... ما كان شخصي اتى في السير منطلق

ثم لما فرغ من انشاده بكى وبكى عزيز معه لانه جريح القلب فرق قلب الوزير لبكائهما وقال يا سيدي طب نفسا وقر عينا فما يكون الا الخير فقال تاج الملوك يا وزير طالت مدة السفر فاخبرني كم بيننا وبين البلد فقال له عزيز ما بقي الا القليل ثم ساروا يقطعون الاودية والاوعار والبراري والقفار فبينما تاج الملوك ذات ليلة نائما اذ راى في النوم ان محبوبته معه وهو يعانقها ويضمها الى صدره فانتبه مرعوبا فزعا طائر العقل وانشد يقول شعر

خليلي هام القلب والدمع ساجم ... ووجدي عزيز والغرام ملازم
ونوحي كنوح الثاكلات من البكا ... اذا جن ليلي تحت نوح الحمائم
وان هبت الارياح من نحو ارضكم ... وجدت لها بردا على الارض قائم
سلام عليكم كلما هبت الصبا ... وما طار قمري وناحت حمائم

فلما فرغ تاج الملوك من انشاده اقبل عليه الوزير وقال له ابشر هذه علامة الخير فطب قلبا وقر عينا ولا بد ان تبلغ مقصودك واقبل عليه عزيز وصبره وصار يلهيه ويحادثه ويحكي له الحكايات وهم يجدون في السير ولم يزالوا مسافرين اياما وليالي الى مدة شهرين آخرين فلما كان يوما من الايام اشرقت عليهم الشمس ولاح لهم من البعد شيء ابيض فقال تاج الملوك لعزيز ما هذا البياض فقال عزيز يا مولاي هذه القلعة البيضاء وهذه

المدينة التي انت طالبها ففرح تاج الملوك ولم يزالوا مسافرين الى ان قربوا من
المدينة فلما قربوا منها فرح تاج الملوك غاية الفرح وزال عنهما الهم والترح
ثم دخلوها وهم في سيمة التجار وابن الملك في زي تاجر كبير ثم اتوا الى مكان
يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز اهذا المحل للتجار فقال
عزيز نعم وهو الخان الذي كنت انا نزلت فيه فانزلوا فيه وانا خوا فيه مطيهم
وحطوا رحالهم وخزنوا امتعتهم في المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان
الوزير اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه واكتروا لهم دارا واسعة البنيان
معدة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز يدبران حيلة لتاج الملوك و
تاج الملوك حائر لا يدري ما يفعل ولم يجد له حيلة غير انه تاجر في قيصرية
البز ثم ان الوزير اقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه اذا كان مقامنا
هنا على هذه الحالة فاننا لا نبلغ مرادنا ولا نقضي لنا حاجة وقد خطر
ببالي شيء وهو ان شاء الله فيه الصلاح فقال له تاج الملوك وعزيز افعل
ما بدا لك فان المشائخ فيهم البركة لا سيما انك قد مارست الامور فقل لنا
ما خطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأي انا نكتري لك دكانا في سوق البز تقعد فيها للبيع و
الشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البز والتفاصيل واذا سكنت
وقعدت في تلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك
جميلة ولكن اجعل عزيزا امينا عندك واجلسه في داخل الدكان ليناولك التفاصيل
والاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأي سديد
ومليح فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة سنية تجارية ولبسها وقام يمشي
وغلمانه خلفه واعطى لاحدهم الف دينار معه ليقضي لها مصالح الدكان
وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك ونظروا
الى حسنه وجماله تحيروا وصاروا يقولون ان رضوان فتح ابواب الجنان وغفل عنها
فخرج منها هذا الشاب البديع الحسن وآخر يقول لعل هذا من الملائكة
فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان العريف فدلوهم عليها فما زالوا
سائرين حتى وصلوا عند العريف فسلموا عليه فقام اليهم هو ومن عنده
من التجار واجلسوهم وعظموهم لاجل الوزير فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا
ومعه الشاب تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ

والد هذين الشابين فقال لهم الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا ها هو واذا هو اقبل فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه شيخا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان وعبيد فعند ذلك حياهم العريف بتحية الاحباب وبالغ فى اكرامهم واجلسهم الى جانبه وقال لهم هل لكم من حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انا رجل كبير طاعن فى السن ومعى هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا اقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا اهلها وانى قد اتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها واشتهى منك دكانا تكون جيدة من احسن المواضع حتى اجلسهما فيها ليتجرا ويتفرجا على هذه البلدة ويتخلقا باخلاق اهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال العريف لا باس بذلك فنظر العريف الى الولدين وفرح بهما واحبهما حبا زائدا وكان العريف مغرما بفاتك اللحظات ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال فى نفسه هذه صيدة مليحة سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين فعند ذلك وقف العريف لخدمتهما كالغلام بين ايديهما ثم انه قام وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط القيصرية ولم يكن اكبر ولا اوجه منها فى السوق عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وخشب الابنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة الشيخ التاجر وقال له خذ يا سيدى جعلها الله منزلا مباركا على ولديك فاخذ منه المفاتيح ثم انهم مضوا الى الخان الذى وضعوا فيه امتعتهم وامروا الغلمان ان ينقلوا جميع ما معهم من البضائع والقماش الى تلك الدكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخذ مفاتيح الدكان وصحبته تاج الملوك وعزيز ذهبوا الى الخان وامروا الغلمان ان ينقلوا معهم من البضائع والقماش والتحف وكان شيأ كثيرا يساوى خزائن من المال فنقلوا جميع ذلك ثم مضوا الى الدكان ووضعوا امتعتهم فيها وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فاغتسلوا و

وتنظفوا ولبسوا الثياب الفاخرة وتطيبوا واخذوا غاية حظهم من الحمام وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر وضار فى الحمام على حد قول الشاعر

بُشْرَى لِقَيِّمِهِ اِذْ لَامَسَتْ يَدُهُ	جِسْمًا تَوَلَّدَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنُّورِ
مَازَالَ يُظْهِرُ لُطْفًا مِنْ صِنَاعَتِهِ	حَتَّى جَنَى الْمِسْكَ مِنْ تِمْثَالِ كَافُورِ

ثم خرجا منه فلما سمع العريف بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت وجوههما وصارا كانهما قمران زاهيان او غصنان مثمران فلما رآهما قام على حيلة وقال يا اولادى حماما مكم نعيم دائم فقال له تاج الملوك يا عذب الكلام انعم الله عليك يا والدى لايش ما حضرت عندنا واستحميت معنا ثم نزل الاثنان على يد العريف وقبلاها ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان حشمة وتعظيما له لانه كبير التجار والسوق وتقدم منه الاحسان فى حقهما باعطائهما الدكان فلما رأى اردافهما فى ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يطق الصبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يُطَالِعُ الْقَلْبُ بَابَ الْاِخْتِصَاصِ بِهِ	وَلَيْسَ يَقْرَأُ فِيهِ مَبْحَثُ الشَّرِكَهْ
لَا غَرْوَ فِي كَوْنِهِ يَرْتَجُّ مِنْ ثِقَلٍ	فَكَمْ لِذَا الْفَلَكِ الدَّوَّارِ مِنْ حَرَكَهْ

وايضا قال

رَأَى اثْنَيْنِ عَيْنِي يَمْشِيَانِ عَلَى الثَّرَى	وَدِدْتُهُمَا لَوْ يَمْشِيَانِ عَلَى عَيْنِي

فلما سمعا منه ذلك اقسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثانى مرة فما صدق بذلك واسرع الى الحمام ودخلا معه والوزير لم يكن خرج من الحمام فلما سمع به خرج وتلقاه من وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فمسك تاج الملوك يده من ناحية وعزيز يده الاخرى من ناحية ودخلا به الى خلوة اخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فزاد عليه هيمانه فحلف تاج الملوك انه لا يغسله غيره وحلف عزيز ان لا يصب عليه الماء غيره فامتنع وهو يتمنى ذلك فقال له الوزير انهما اولادك خلهما يغسلانك وينظفانك فقال العريف ابقاهما الله لك والله لقد حلت فى مدينتنا البركة والسعادة بقدومكم وممن بصحبتكم وانشد يقول هذين البيتين

اَقْبَلْتَ فَاخْضَرَّتْ لَدَيْنَا الرُّبَى	وَقَدْ زَهَتْ بِالزَّهْرِ لِلْمُجْتَلِي

وَنَادَتِ الْأَرْضُ وَمَنْ فَوْقَهَا	أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ مُقْبِلِ

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يغسله وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن ان روحه في الجنة حتى انما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه وهو ينظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك اتوا لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم وخرجوا من الحمام فاقبل الوزير على العريف وقال له ياسيدى ان الحمام نعيم الدنيا فقال العريف جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ في الحمام مما قالته البلغاء فقال تاج الملوك انا انشد لك بيتين فانشد يقول

إِنَّ عَيْشَ الْحَمَّامِ أَطْيَبُ عَيْشٍ	غَيْرَ أَنَّ الْمُقَامَ فِيهِ قَلِيلُ
جَنَّةٌ تُكْرَهُ الْإِقَامَةُ فِيهَا	وَجَحِيمٌ يَطِيبُ فِيهَا الدُّخُولُ

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وانا كذلك احفظ في الحمام بيتين فقال له العريف انشدني اياهما فانشد يقول

وَبَيْتٍ لَهُ مِنْ جَلْمَدِ الصَّخْرِ زَهْرُهَا	أَنِيقٌ إِذَا مَا أُضْرِمَتْ حَوْلَهُ النَّارُ
تَرَاهُ جَحِيمًا وَهْوَ فِي الْحَقِّ جَنَّةٌ	وَأَكْثَرُ مَا فِيهَا شُمُوسٌ وَأَقْمَارُ

فلما فرغ عزيز من شعره اعجب العريف ماقاله وبنظر في صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا انتما مني ثم اطرب بالنغمات وانشد يقول هذه الابيات

يَا حُسْنَ نَارٍ وَالنَّعِيمِ عِدَا لَهَا	تَحْيَى بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَبْدَانُ
فَاعْجَبْ لِبَيْتٍ لَا يَزَالُ نَعِيمُهُ	غَضًّا وَتُوقَدُ تَحْتَهُ النِّيرَانُ
عَيْشُ السُّرُورِ لِمَنْ أَلَمَّ بِهِ وَقَدْ	سُفِحَتْ عَلَيْهِ دُمُوعُهَا الْغُدْرَانُ

ثم سرح في رياض حسنهما نظر العين وانشد هذين البيتين

وَأَتَيْتُ مَنْزِلَهُ فَلَمْ أَرَ حَاجِبًا	إِلَّا وَتَلْقَانِي بِوَجْهٍ ضَاحِكِ
وَدَخَلْتُ جَنَّتَهُ وَزُرْتُ جَحِيمَهُ	فَشَكَرْتُ رِضْوَانًا وَرَأْفَةَ مَالِكِ

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان العريف عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من شدة حر الحمام فاستراحوا واكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة في منزلهم على اتم مايكون من الحظ والسرور فلما اصبح الصباح

قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم واصطبحوا ولما طلعت الشمس وفتحت الدكاكين والاسواق قاموا بعد ذلك وتمشوا وخرجوا من المنزل واتوا الى السوق وفتحوا الدكان وكانت الغلمان قد هيّأوها احسن هيئة وفرشوا فيها السجاجيد والبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل مرتبة تساوي مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره شريط من الذهب وفى وسط الدكان الفرش الفائق اللائق بالمقام فجلس تاج الملوك على مرتبة وعزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين ايديهم وتسامعت بهم اهل البلد فازدحموا عليهم فباعوا بعض بضائعهم وبعض قماشهم وشاع فى المدينة ذكر تاج الملوك وحسنه وجماله ثم اقاموا على ذلك اياما وفى كل يوم تتزايد الناس عليهم وتهرع اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك واوصاه بكتمان سره واوصى عليه عزيزا ومضى الوزير الى الدار ليختلي بنفسه ويدبر امرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وتاج الملوك يقول لعزيز عسى احد يجئ من عند الست دنيا ولم يزل تاج الملوك على ذلك اياما وليالى وهو قلق الفؤاد لا يعرف النوم ولا الرقاد وقد تمكن منه الغرام وزاد به الوجد والهيام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر ليلة التمام فبينما تاج الملوك جالس واذا هو بامرأة عجوز اقبلت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز اقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين وجعلك فتنة للناظرين ثم تاملت وقالت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسّم فى وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم اجلسها الى جانبه وصار يروح عليها بمروحة حتى استفاقت واستراحت فالتفتت العجوز الى تاج الملوك

وقالت له يا ولدي يا كامل الاوصاف والمعاني هل انت من هذه الديار فقال لها تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله يا سيدتي عمري ما دخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا اقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت اكرم بك من قادم على الرحب والسعة واي شيء جئت به معك من القماش ارني شيأ مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يعلم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندي كلما تشتهين وعندي شيء لا يصلح الا للملوك وبنات الملوك فاخبريني بالشيء الذي تريدينه لمن حتى اقلب عليك كل شيء يصلح لاربابه واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له اريد قماشا يصلح للست دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتني بالبقجة الفلانية فاتى بها عزيز وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك انتخبي ما يصلح لها فان هذا شيء لا يوجد عند غيري فاختارت العجوز شيأ يساوي الف دينار وقالت بكم هذا وصارت العجوز تحدثه وتحك بين افخاذها بكلوة يدها فقال لها تاج الملوك وهل انا اساوم مثلك في هذا الثمن الحقير الحمد لله الذي عرفني بك فقالت له العجوز اسم الله عليك اعوذ وجهك المليح برب الفلق الوجه مليح واللفظ فصيح هنيأ لمن تنام في حضنك وتضم قدك وتحظى بشبابك وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن وجمال مثلك فضحك تاج الملوك حتى انقلب على قفاه ثم قال يا قاضي الحاجات على ايدي العجائز الفاجرات هن قاضيات الحاجات ثم قالت له يا ولدي ما اسمك فقال اسمي تاج الملوك فقالت العجوز ان هذا اسم الملوك واولاد الملوك وانت في زي التجار فقال لها عزيز من محبته عند والديه واهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز صدقت كفاكم الله شر العين وشر الاعادي والحساد ولو فتت بمحاسنكم الاكباد ثم اخذت القماش ومضت وهي باهتة في حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا وقالت لها يا سيدتي جئت لك بقماش مليح فقالت لها اريني اياه فقالت يا سيدتي ها هو فقلبيه يا عيني وابصريه فلما رأته الست دنيا بهتت فيه وقالت لها يا دادتي ان هذا قماش مليح ما رأيته في مدينتنا فقالت العجوز يا ستي ان بائعه احسن منه كأن

رضوان افتح ابواب الجنان و سها فخرج منها شاب هو الذی یبیع هذا القماش وانا اشتهی فی هذه اللیلة انه ینام عندك ویکون بین نهودك فانه ا فی مدینتك با فتنة مثمنة لاجل الفرجة وهو فتنة لمن یراه فضحکت الست دنیا من کلام العجوز وقالت اخزاك الله یا عجوز النحس انك خرفت وما بقی لك عقل ثم قالت هاتی القماش حتی انظره نظرا جیدا فاعطتها ایاها فنظرته ثانیا فرأته قلیلا وثمنه کثیرا فاعجبها لانها ما رأت فی عمرها مثله فقالت والله انه قماش ملیح فقالت لها العجوز یا سیدتی والله لو رأیت صاحبه لعرفت انه احسن من یکون علی وجه الارض فقالت لها الست دنیا هل کنت سالته ان کان له حاجة یعلمنا بها فنقضیها له فقالت له العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة لاعدمت معرفتك وهل احد یسلم ویخلو من حاجة فقالت لها الست دنیا اذهبی الیه وسلمی علیه وقولی له شرفت بقدومك ارضنا و مدینتنا ومهما کان لك من الحوائج قضیناها لك علی الرأس والعین فرجعت العجوز الی تاج الملوك فی الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح والسرور وقام لها قائما علی قدمیه واخذ یدها واجلسها الی جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته بما قالته لها الست دنیا فلما سمع ذلك فرح غایة الفرح وانسع صدره وانشرح و دخل فی قلبه سرور و قال فی نفسه قد قضیت حاجتی ثم قال للعجوز لعلك ان تاخذی لها من عندی رسالة و تأتینی بجوابها فقالت سمعا وطاعة فعند ذلك قال لعزیز ائتنی بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات اخذ القلم بیده وکتب هذه الابیات شعر

کَتَبْتُ اِلَیْكَ یَا سُؤْلِیْ کِتَابًا	بِمَا اَلْقَاهُ مِنْ اَلَمِ الْفِرَاقِ
فَاَوَّلُ سَطْرِهِ نَارٌ بِقَلْبِیْ	وَثَانِیْهِ غَرَامِیْ وَاشْتِیَاقِیْ
وَثَالِثُهٗ فَنٰی عُمْرِیْ وَصَبْرِیْ	وَرَابِعُهٗ جَمِیْعُ الْوَجْدِ بَاقِیْ
وَخَامِسُهٗ مَتٰی عَیْنِیْ تَرَاکُمْ	وَسَادِسُهٗ مَتٰی یَوْمُ التَّلَاقِیْ

ثم کتب فی امضائه ان هذا الکتاب من اسیر الاشواق * المسجون فی سجن الاشتیاق * الذی لیس له منه اطلاق * الا بالوصال والتلاق * بعد البعد والفراق * لانه یقاسی من فرقة الاحباب * الیم الوجد والعذاب ثم افاض دمع العین وکتب هذین البیتین

كتبت اليك والعبرات تجري	ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بآيس من فضل ربي	عسى يوماً يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للعجوز وقال لها اوصليه الى الست دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم اعطاها الف دينار وقال يا امي اقبلي هذه هدية مني على سبيل المحبة فاخذتها منه ودعت له وانصرفت ولم تزل ماشية حتى دخلت على الست دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي ايش طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت يا سيدتي انه قد ارسل معي هذا الكتاب ولا اعلم مافيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من اين الى اين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت من اين كنا حتى اتصلنا ووصلنا الى السوقة آواه آواه وقالت والله لولا خوفي من الله لقتلته وصلبته على دكانه فقالت العجوز وايش في هذا الكتاب حتى انه ازعج قلبك وغير خاطرك يا ترى هل فيه شكاية مظلمة او فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا كلام عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن اين هذا الشيطان كان يعرفني فقالت لها العجوز يا سيدتي انت قاعدة في قصرك العالي وما يصل اليك احد ولا الطير الطائر سلامتك وسلامة شبابك من اللوم والعتاب وما عليك من نبيح الكلاب فانت سيدة بنت سيد فلا تؤاخذيني حيث جئت اليك بهذا الكتاب ولا اعلم بما فيه ولكن الرأي ان تردي اليه جوابا وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود الى مثل ذلك فقالت السيدة دنيا اخاف ان اكاتبه فيطمع في فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يا مدعي الحب والبلوى مع السهر	وما تلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يا مغرور من قمر	وهل ينال المنى شخص من القمر
اني نصحتك عما انت طالبه	فاقصر فانك في هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد	اتاك مني عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق	ومن انار ضياء الشمس والقمر

لَئِنْ رَجَعْتَ اِلَى مَا اَنْتَ ذَاكِرُهُ	لَاُصْلِبَنَّكَ فِي جِذْعٍ مِنَ الشَّجَرِ

ثم طوت الكتاب واعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما اصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد ان يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فاخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ ما فيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى اضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وامر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء اشد يدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له يا ولدي واي شئ في هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهددني بالقتل والصلب وتنهاني عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتي خيرا من حيوتي فخذي جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحيوة شبابك لابد اني اخاطر معك بروحي وابلغك مرادك واوصلك الى ما في خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه اجازيك عليه وتلتقيه في ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شئ قدير ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

اَمْسَتْ تُهَدِّدُنِي بِالْقَتْلِ وَاحَرَبِي	وَالْقَتْلُ لِي رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ مَقْدُورُ
وَالْمَوْتُ اَهْنَى لِصَبٍّ اَنْ تَطُولَ بِهِ	حَيٰوتُهُ وَهْوَ مَمْنُوعٌ وَمَقْهُورُ
بِاللّٰهِ زُورُوا مُحِبًّا قَلَّ نَاصِرُهُ	فَاِنَّنِي عَبْدُكُمْ وَالْعَبْدُ مَأْسُورُ
يَا سَادَتِي فَارْحَمُونِي فِي مَحَبَّتِكُمْ	فَكُلُّ مَنْ يَعْشَقُ الْاَحْرَارَ مَعْذُورُ

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك اخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلا بد ان ابلغك مقصودك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب

نفسا وقرّ عينا فلا بد ان ابلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت
الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها
الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز اما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها
واي شيء هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولي
له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام
في مكتوب وانا آخذ المكتوب معي لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت
فيها هذه الابيات .

أَيَا غَافِلًا عَنْ حَادِثَاتِ الطَّوَارِقِ	وَلَيْسَ إِلَى نَيْلِ الْوِصَالِ بِسَابِقِ
أَتَزْعُمُ يَا مَغْرُورُ أَنْ تُدْرِكَ السُّهَا	وَمَا أَنْتَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ بِلَاحِقِ
فَكَيْفَ تُؤَمِّلُنَا وَتَرْجُو وِصَالَنَا	لِتَحْظَى بِضَمٍّ لِلْقُدُودِ الرَّوَاشِقِ
فَدَعْ عَنْكَ هَذَا الْقَصْدَ خِيفَةَ سَطْوَتِي	بِيَوْمٍ عَبُوسٍ فِيهِ شَيْبُ الْمَفَارِقِ

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها
قام على قدميه وقال لا اعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب
مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال اني اشتهي من يقتلني الآن
حتى استريح فان القتل اهون عليّ من هذا الامر الذي انا فيه ثم اخذ دواة وقلما
وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فَيَا مُنْيَتِي لَا تَبْتَغِي الْهَجْرَ وَالْجَفَا	وَزُورِي مُحِبًّا فِي الْمَحَبَّةِ غَارِقُ
وَلَا تَحْسَبِينِي فِي الْحَيَوٰةِ مَعَ الْجَفَا	فَرُوحِي مِنْ بَعْدِ الْأَحِبَّةِ طَالِقُ

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها لا تؤاخذيني فقد اتعبتك بدون فائدة
وأمر عزيزا ان يدفع لها الف دينار وقال لها يا امي ان هذه الورقة لا بد
ان يعقبها كمال الاتصال او كمال الانفصال فقالت له يا ولدي والله ما اشتهي لك
الا الخير ومرادي ان تكون هي عندك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة وهي
الشمس الطالعة وان لم اجمع بينكما فليس في حيوتي فائدة وانا قد قطعت عمري في المكر
والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين في الحرام
ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة
دنيا وقد اخفت الورقة في شعرها فلما جلست عندها حكّت رأسها وقالت
يا سيدتي عساك ان تفلي شوشتي فان لي زمانا ما دخلت الحمام فكشفت السيدة

دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كاني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة هاتيها حتى اودبها له ربما يكون فيها حساب يحتاجه ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة من بعض حيلك ولولا انك ربيتني لبطشت بك في هذا الوقت وقد بلاني الله بهذا التاجر وكل ما جرى لي منه من تحت رأسك وما ادري من اي ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر على غيره وانا اخاف ان ينكشف امري وخصوصا في رجل ما هو من جنسي ولا من اقراني فاقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر احد ان يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة ابيك ولا باس ان تردّي له الجواب فقالت يا دادتي ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت في امره فان امرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد في تجاسره فقالت لها العجوز اكتبي له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طَالَ العِتَابُ وَفَرْطُ الجَهْلِ اَغْرَاكَا ... فَكَمْ يَخُطُّ يَدِي فِي الشِّعْرِ اَنْهَاكَا
وَاَنْتَ تَزْدَادُ عِنْدَ النَّهْيِ فِي طَمَعٍ ... وَلَسْتُ اِلَّا بِكَتْمِ السِّرِّ اَرْضَاكَا
اُكْتُمْ هَوَاكَ وَلَا تَجْهَرْ بِهِ اَبَدًا ... وَاِنْ نَطَقْتَ فَاِنِّي لَسْتُ اَرْعَاكَا
وَاِنْ رَجَعْتَ اِلَى مَا اَنْتَ تَذْكُرُهُ ... فَقَدْ اَتَاكَ غُرَابُ البَيْنِ يَنْعَاكَا
وَعَنْ قَلِيلٍ يَكُونُ المَوْتُ مُنْدَفِعًا ... عَلَيْكَ وَالدَّفْنُ تَحْتَ الاَرْضِ مَثْوَاكَا
وَتَتْرُكُ الاَهْلَ يَا مَغْرُورُ فِي نَدَمٍ ... عَلَى فِرَاقِكَ طُولَ الدَّهْرِ يَنْعَاكَا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانه لا يصل اليها فشكا امره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه ما بقي شيء يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا اخي يا عزيز اكتب لها عن لساني مثل ما تعرف فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يَا رَبِّ بِالخَمْسَةِ الاَشْيَاخِ سَعِّدْنِي ... وَمَنْ بُلِيتُ بِهِ فَاجْعَلْهُ فِي شَجَنِي
فَاَنْتَ تَعْلَمُ اَنِّي فِي جَوَى لَهَبٍ ... وَقَدْ جَفَانِي حَبِيبٌ لَيْسَ يَرْحَمُنِي
فَلَمْ اَرِقَّ لَهَا فِيمَا بُلِيتُ بِهِ ... وَكَمْ تَجُورُ عَلَى ضَعْفِي وَتَظْلِمُنِي

اهيم في غمرات لا انفصال لها	ولا ارى مسعفا يارب يسعفني
وكم اروم سلوا في محبتها	وكيف اسلو وصبري في الغرام فني
يا مانعي في الهوى طيب الوصال فهل	امنت من نكبات الدهر والمحن
الست في عيشة مسرورة وانا	مغرب فيك عن اهلي وعن وطني

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه اعجبه ثم ناوله للعجوز فاخذته العجوز وتوجهت به الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأتها وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذى جرى لى من تحت راس هذه العجوز النحس فصاحت على الجوارى والخدم وقالت امسكوا هذه الملعونة الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها فلما افاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفى من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشى عليها ثم امرتهم ان يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما افاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت وتمشت حتى اتت الى تاج الملوك واخبرته بجميع ماجرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا امى ماجرى لك ولكن كل شئ بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى لا ازال اسعى حتى اجمع بينك وبينها واوصلك الى هذه العاهرة التى احرقتنى بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبرينى ما سبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت مناما اوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا نصب شركا فى الارض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شئ من الطيور الا وقد اتى الى ذلك الشرك ورأت فى الطيور حمامتين ذكرا وانثى فبينما هى تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت فى الشرك وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور وفرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ونزلت ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التى فيها رجل الذكر وصارت تجذب بمنقاره حتى خلصت رجله من الشرك وطارت هى واياه فجاء بعد ذلك الصياد واصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك فى الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد الانثاه فجاء الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر

مثل هذا اما فيه خير والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها قال لها
تاج الملوك يا امي اريد ان انظر اليها نظرة واحدة ولو كان في ذلك مماتي فتحيلي
لي بحيلة حتى انظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها
وانها تخرج اليه في كل شهر مرة من باب السر وبعد عشرة ايام قد جاء اوان
خروجها الى الفرجة فاذا ارادت الخروج اجئ اليك واعلمك حتى تخرج وتصادفها
واحرص على انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها
بمحبتك فان المحبة اعظم اسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو
وعزيز واخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاه لها ثم ان تاج الملوك قال
لعزيز يا اخي ليس لي حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتي منها و وهبتها لك بجميع
ما فيها لانك تغربت معي وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان
وصار تاج الملوك يسئله عن غريب احواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل
له وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل
فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم افخر ما عنده وخرجوا وخلفهم
ثلثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا الخولي
جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال
اشتهي ان تاخذ هذه النفقة وتشتري لنا شيأ ناكله فاننا غرباء ومعي هؤلاء
الاولاد واردت ان افرجهم فاخذ البستاني الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا
وجميعه ملككم واجلسوا حتى احضر لكم بما تاكلون ثم توجه الى السوق ودخل
الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستاني الى السوق ثم
بعد ساعة اتى ومعه خاروف مشوى وخبز مثل القطن ووضعه بين ايديهم
فاكلوا وشربوا وبعد ذلك احضر لهم حلوى فتحلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا
يتحدثون فقال الوزير اخبرني عن هذا البستان هل هو لك ام انت مستاجره فقال
الشيخ ما هو لي وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك في كل شهر
من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتامل الوزير في البستان فرأى هناك قصرا
عاليا الا انه عتيق فقال الوزير يا شيخ اريد ان اعمل هنا خيرا تذكرني به فقال
يا سيدي وما تريد ان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع
الخولي بذكر الذهب قال يا سيدي مهما شئت فافعل ثم اعطاه الدنانير

وقال له ان شاء الله تعالى نفعل فى هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيضا ونقاشا وصائغا جيدا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم البستان وامرهم بتبييض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم امر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل فى صدر هذا الايوان صورة آدمى صياد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه طيور وحمامة واشتبكت بمنقارها فى الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل فى الجانب الآخر مثل الاول وصور صورة الحمامة وحدها فى الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغوا من هذه الاشياء التى ذكرها الوزير واعطاهم اجرتهم انصرفوا وانصرف الوزير ومن معه وودعوا البستانى ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا اخى انشد نى بعض الاشعار لعل صدرى ينشرح وتزول عنى هذه الافكار ويبرد ما بقلبى من لهيب النار فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات وانشد هذه الابيات

جَمِيعُ مَا قَالَتِ الْعُشَّاقُ مِنْ كَمَدٍ	حَوَيْتُهُ مُفْرَدًا حَتَّى وَهَى جَلَدِي
وَاِنْ تُرِدْ مَوْرِدًا مِنْ اَدْمُعِي اتَّسَعَتْ	لِلْوَارِدِينَ بِحَارُ الدَّمْعِ فِي مَدَدِ
وَاِنْ تُرِدْ تَنْظُرُ الْعُشَّاقَ مَا صَنَعَتْ	اَيْدِي الْغَرَامِ بِهِمْ فَانْظُرْ اِلَى جَسَدِي

ثم افاض العبرات وانشد هذه الابيات

مَنْ كَانَ لَا يَعْشَقُ الْاَجْيَادَ وَالْحَدَقَ	ثُمَّ ادَّعَى لَذَّةَ الدُّنْيَا فَمَا صَدَقَ
فَاِنَّ فِي الْعِشْقِ مَعْنًى لَيْسَ يُدْرِكُهُ	مِنَ الْبَرِيَّةِ اِلَّا كُلُّ مَنْ عَشِقَ
لَا خَفَّفَ اللّٰهُ عَنْ قَلْبِي صَبَابَتَهُ	بِمَنْ هَوِيتُ وَلَا عَنْ جَفْنِيَ الْاَرَقَ

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

زَعَمَ ابْنُ سِينَا فِي اُصُولِ كَلَامِهِ	اَنَّ الْمُحِبَّ دَوَاؤُهُ الْاَلْحَانُ
وَوِصَالُ مِثْلِ حَبِيبِهِ مِنْ جِنْسِهِ	وَالنُّقْلُ وَالْمَشْرُوبُ وَالْبُسْتَانُ
فَصَحِبْتُ غَيْرَكَ لِلتَّدَاوِي مَرَّةً	وَاَعَانَنِي الْمَقْدُورُ وَالْاِمْكَانُ
فَعَلِمْتُ اَنَّ الْحُبَّ دَاءٌ قَاتِلٌ	فِيهِ ابْنُ سِينَا طِبُّهُ هَذَيَانُ

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته

وقال له قد ازلت عني بعض ما بي فقال الوزير قد وقع للمتقدمين ما يحير السامعين فقال له ان كان يحضرك شيء من جنس هذا فاسمعني ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ وَصْلَكَ يُشْتَرَى	بِكَرَائِمِ الأَمْوَالِ وَالأَشْبَاحِ
وَظَنَنْتُ جَهْلًا أَنَّ حُبَّكَ هَيِّنٌ	تُفْنَى عَلَيْهِ نَفَائِسُ الأَرْوَاحِ
حَتَّى رَأَيْتُكَ تَجْتَبِي وَتَخُصُّ مَنْ	أَحْبَبْتَهُ بِلَطَائِفِ الأَمْنَاحِ
فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُنَالُ بِحِيلَةٍ	وَلَوَيْتُ رَأْسِي تَحْتَ طَيِّ جَنَاحِي
وَجَعَلْتُ فِي عُشِّ الغَرَامِ إِقَامَتِي	فِيهِ غُدُوِّي دَائِمًا وَرَوَاحِي

هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة في البستان وهي لا تخرج الا بالعجوز ارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت اني اريد ان اخرج الى البستان لاتفرج على اشجاره واثماره وينشرح صدري بازهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن اريد ان اذهب الى بيتي والبس اثوابي واحضر عندك فقالت لها اذهبي الى بيتك ولا تتاخري عني فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس افخر اثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستاني وسلم عليه ثم اختف في البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من افخر ملابس الملوك تساوي خمسة آلاف دينار وشدا في وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولي جالسا هناك فلما رآه البستاني نهض له على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج في البستان ولم يعلم البستاني ان بنت الملك تدخل البستان في هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر الا والخدم والجواري خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولي ذهب تاج الملوك واعلمه بمجيئها وقال له يا مولاي كيف يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا باس عليك فاني اختفي في بعض مواضع البستان فاوصاه البستاني بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هي وجواريها والعجوز في البستان قالت

العجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لاننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك
ياسيدتى انى اقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولى
ماعندك فقالت العجوز ياسيدتى ان هؤلاء الخدم لاحاجة لك بهم فى هذا
الوقت ولا ينشرح صدرك مادا مو امعنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا
صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها
وجمالها وهى لاتشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما راى من بارع حسنها
وصارت العجوز تسارقها فى الحديث الى ان اوصلتها الى القصر الذى امر الوزير
بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد
والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة مارايتها فى المنام وصارت تنظر الى
صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يادادتى انى كنت الوم الرجال
وابغضهم ولكن انظرى الصياد كيف ذبحت الطيرة الانثى وتخلص الذكر واراد
ان يجئ الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل
عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربتا من المكان المختفى فيه تاج الملوك فاشارت
اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت
منها التفاتة فرأته وتاملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتى من اين
هذا الشاب المليح فقالت لا اعلم به غير انى اظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ
من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى
عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة
فقالت للعجوز يادادتى ان هذا الشاب مليح فقالت العجوز صدقت ياسيدتى
ثم ان العجوز اشارت الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام
وزاد به الوجد والهيام فسار ولم يقف وودع الخولى وانصرف الى منزله
وقد هاج بتاج الملوك الشوق الا انه لم يخالف العجوز واخبر الوزير وعزيز
بان العجوز اشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا ان العجوز
تعلم ان فى رجوعك مصلحة ما اشارت عليك به هذا ماكان من امر تاج الملوك
والوزير وعزيز واما ماكان من امر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها
الغرام وزاد بها الوجد والهيام وقالت للعجوز انا ما اعرف اجتماعى بهذا الشاب
الا منك فقالت لها العجوز اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انت لاتريدين

الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال لكن والله ما يصلح لشبابك الا هو
فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني وساعديني باجتماعي عليه ولك
عندي الف دينار وخلعة بالف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة
لا محالة فقالت العجوز امضي انت الى قصرك وانا اتسبب في اجتماعكما وابذل روحي
في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك
فلما رآها نهض لها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام واجلسها الى جانبه فقالت
له ان الحيلة قد تمت وحكت لها ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون
الاجتماع قالت في غد فاعطاها الف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت
ولا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من
خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد اكون به عندك ففرحت السيدة
دنيا بذلك واعطتها الف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت
الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك والبسته
لبس النساء وقالت له امش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك
ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت
وخرج خلفها وهو في زي النسوان وصارت تعلمه وتجسره في الطريق
حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت
وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الى ان جاوزت به سبعة
ابواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قو قلبك واذا زعقت عليك
وقلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز
فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه ابواب فعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس
فان مرادك فيه فقال تاج الملوك واين تروحين انت فقالت له ما اروح موضعا
غير اني ربما اتاخر عنك واعاقني الخادم الكبير واتحدث معه ثم مشت وهو خلفها
حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة
جارية فقال لها ما شان هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد
سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريد ان تشتريها فقال لها الخادم انا لا
اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرني الملك وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحاجب قال للعجوز انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرنى الملك فقالت له العجوز وقد اظهرت الغضب انا اعرف انك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فانى اعلمها بذلك واخبرها انك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبرى يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما امرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة ابواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظارها فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجوارى خوفا من الفضيحة ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كونى انت بوابة ثم اختلت هى وتاج الملوك ولم يزالا فى ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر فلما قرب الصباح خرجت من عنده واغلقت عليه الباب ودخلت مقصورة اخرى وجلست على جرى عادتها واتت ايها الجوارى فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجوارى اخرجن الآن من عندى فانى اريد ان انشرح وحدى فخرجت الجوارى من عندها واتت الى تاج الملوك ثم اتتهما العجوز ومعها شئ من الاكل فاكلوا واخذا فى الصراش الى وقت السحر فاغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ماكان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا واما ماكان من امر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه ابدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا ولدى ماذا نصنع فقال الوزير يا ولدى ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى ابيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا فى الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية فى الليل والنهار الى ان دخلا على الملك سليمان شاه واخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت به الندامة وامر ان ينادى فى مملكته بالجهاد ثم برز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار

فى عسكر يسد الافق متوجها فى طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من امر هؤلاء
واما ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما اقاما على حالهما نصف سنة
وهما كل يوم يزدادان محبة فى بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام
والوجد والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها اعلمى يا حبيبة القلب والفؤاد
انى كلما اقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما لانى ما بلغت المرام بالكلية
فقالت له وما تريد يا نور عينى وثمرة فؤادى ان شئت غير الضم والعناق و
التفاف الساق على الساق فافعل الذى يرضيك وليس لله فينا شريك فقال
ليس مرادى هكذا وانما مرادى ان اخبرك بحقيقتى فاعلمى انى لست بتاجر بل انا
ملك ابن ملك واسم ابى الملك الاعظم سليمان شاه الذى انفذ الوزير رسولا الى
ابيك ليخطبك فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها قصته من الاول الى
الآخر وليس فى الاعادة افادة واريد الآن ان اتوجه الى ابى ليرسل رسولا
الى ابيك ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا
لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق بالامر المقدر ان النوم غلب عليهما
فى تلك الليلة من دون الليالى واستمر الى ان طلعت الشمس وفى ذلك الوقت
كان الملك شهرمان جالسا فى دست مملكته وبين يديه امراء دولته اذ
دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدى الملك
واخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة الف دينار لما فيه من الجواهر واليواقيت
والزمرد ومما لا يقدر عليه احد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من
حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور
خذ هذه العلبة وامض بها الى السيدة دنيا فاخذها الخادم ومضى حتى
وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته
فقال الخادم الى هذه الساعة وانتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم
انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت
على وجهها هاربة هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الخادم فانه
عرف انها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا
معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير فى امره وهمّ ان
يعود الى الملك فانتبهت السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها

وقالت له ياكافور استر ما ستر الله فقال انا لا اقدر ان اخفي شيأً عن الملك
ثم قفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل اعطيت العلبة
لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة ها هي وانا لا اقدر ان اخفي عنك شيأ
اعلم اني رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فرش واحد وهما متعانقان
فامر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به
الغيظ فاخذ نمشة وهمّ ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه
وقالت لابيها اقتلني قبله فنهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت
الى تاج الملوك وقال له ويلك من اين انت ومن ابوك وما جسرك على ابنتي فقال
تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك
فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الا
وهو قد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان
يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان
الرأي عندي ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف
اضرب عنقه فانه خائن فاخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور
الامراء اولا وثانيا وقصد بذلك ان يكون في الامر توان فزعق عليه الملك
وقال له الى متى تتشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك فرفع
السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه وادرك شهر
زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه
واراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين
فقال الملك للسياف لا تعجل ثم ارسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه
وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت
لهم الارض وما ادري خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه
ثم التفت الى وزيره وقال له اما خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم
كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم

الوزير فابتداه بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسالهم عن شان قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم ان الذى نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذى شاعت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك ان ابنه عندك وفى مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور المحمود وان كان فقد من بلادك او اصابه شئ فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلادك قفرا ينعق فيه الغراب وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من رسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينيه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة فرحه بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا فى امره وخاف خوفا شديدا لما تحقق ان مجئ هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى عند تاج الملوك وقبل راسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدى لا تؤاخذنى ولا تؤاخذ المسئ بفعله فارحم شيبتى ولا تخرب مملكتى فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا باس عليك وانت عندى بمنزلة والدى ولكن الحذر ان يصيب محبوبتى السيدة دنيا شئ فقال يا سيدى لا تخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفى عن الملك ما راه ثم ان الملك شهرمان امر كبراء دولته ان ياخذوا تاج الملوك ويمضوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملبوسه ويأتوا به سرعة ففعلوا ذلك وادخلوه الحمام والبسوه البدلة التى افردها له الملك شهرمان ثم اتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو واوقف له جميع اكابر دولته فى الخدمة ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن فى تلك المدة مضينا الى والدك

فاخبرناه بانك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع
بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا غاية الفرح لك
والسرور لنا فقال لهما لم يزل الخير يجرى على ايديكما اولا واخرا هذا والملك شهرمان
دخل على بنته الست دنيا فوجدها تولول وتبكى على تاج الملوك واخذت سيفا
وركزت قبضته فى الارض وجعلت ذبابته على راس قلبها بين نهديها وانحنت
على السيف وصارت تقول لابد ان اقتل نفسى ولا اعيش بعد حبيبى فلما دخل
عليها ابوها وراها فى هذه الحالة صاح عليها وقال لها يا سيدة بنات الملوك
لا تفعلى وارحمى اباك واهل بلدتك ثم تقدم اليها وقال لها حاشيتك ان يصيب
والدك بسببك سوء ثم اعلمها بالقصة ان محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها
وقال لها ان امر الخطبة والزواج يتعلق برايك فتبسمت وقالت له اما قلت لك انه
ابن السلطان والله لابد ان اخليه حتى يصلبك على خشبة تساوى درهمين فقال لها
ابوها يا بنتى ارحمينى يرحمك الله فقالت له هيا بالعجل رح وائتنى به بسرعة بلا امهال
فقال لها على الراس والعين ثم رجع من عندها عاجلا ودخل على تاج الملوك وساره
بهذا الكلام وقام هو واياه واتيا اليها فلما رات تاج الملوك عانقته بحضرة ابيها
وتعلقت به وقبلته وقالت له اوحشتنى ثم التفتت الى ابيها وقالت هل رايت
احدا يفرط فى مثل هذه الذات الجميلة ومع ذلك انه ملك ابن ملك ومن الاحرار
المصانين عن الرذائل فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد عليهما الباب بيده
ومضى الى وزير الملك سليمان شاه ومن بصحبته من الرسل وامرهم ان يعلموا ملكهم
ان ولده فى خير وسرور وهو فى الذ عيش مع معشوقته فتوجهوا الى الملك
ليعلموه بذلك ثم ان الملك شهرمان امر باخراج التقادم والعلوفات والضيافات
الى عساكر الملك سليمان شاه فلما اخرجوا جميع ما امر به اخرج مائة جواد و
مائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وساق
الجميع قدامه هدية وركب هو واكابر دولته وخواصه حتى صاروا خارج
المدينة فلما علم السلطان سليمان شاه بذلك قام وتمشى خطوات الى لقائه
وكان الوزير وعزيز اعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه
ثم ان الملك سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بحضنه واجلسه بجانبه على السرير
وتحادثا وانبسطا مع بعضهما فى الكلام ثم قدم لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدمت

لهم الحلويات فتحلوا والفواكه والنقل فتفكهوا وتنقلوا ولم يكن غير ساعة الا وتاج الملوك قد اقبل عليهم في زي عظيم وزينة فلما رآه والده قام اليه واحتضنه وقبله و قام جميع من كان جالسا واجلسه المكان بينهما وجلسوا يتحدثون ساعة فقال الملك سليمان شاه للملك شهرمان اني اريد ان اكتب كتاب ولدي على ابنتك على رؤس الاشهاد ليشتهر ذلك كما هو السنّة فقال له السمع والطاعة فعند ذلك ارسل الملك شهرمان الى القاضي والشهود فحضروا وكتبوا كتاب تاج الملوك على الست دنيا و فرقت البقاشيش والسكر وانطلق البخور والطيب وكان يوم فرح وسرور وفرحت جميع الاكابر والعساكر بذلك وشرع الملك شهرمان في تجهيز ابنته ثم ان تاج الملوك قال لوالده ان هذا الشاب عزيز رجل من الكرام وقد خدمني خدمة عظيمة و تعب معي وسافر معي واوصلني الى بغيتي وصبر معي ويصبر لي حتى قضيت حاجتي وله الآن معي سنتان وهو مشتت من بلاده وقصدي اننا نهيّئ له تجارة من هنا ويسافر مجبور الخاطر فان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت فعند ذلك هيئوا له مائة حمل من افخر القماش واغلاه واقبل عليه تاج الملوك وانعم عليه بالمال الجزيل وودّعه وقال له يا اخي وصديقي خذ هذه الاحمال واقبلها مني على سبيل الهدية والمحبة وتوجّه الى بلادك مع السلامة فقبلها منه وقبّل الارض بين يديه وبين يدي والده وودّعهم وركب تاج الملوك مع عزيز حتى شيّعه قدر ثلاثة اميال واخذ خاطره واقسم عليه ان يرجع بعدها فقال له عزيز والله يا سيدي لولا والدتي ما فارقتك ولكن يا سيدي لا تقطع اخبارك عني فقال له وهو كذلك ورجع تاج الملوك وسافر عزيز حتى وصل الى بلاده فدخل ولم يزل سائرا حتى دخل على امه فوجدها بنت له قبرا في وسط الدار وصارت تزوره فلما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تبكي وتقول شعرا

وانّي لصبّارٌ على كلّ حادثٍ	ولكنّني من خطّة البين اجزعُ
ومن ذا يطيق الصبر بعد خليله	ومن ذا الوشاك البين لا يتضعضعُ

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

ما لي مررت على القبور مسلّما	قبر الحبيب فلم يردّ جوابي
قال الحبيب وكيف ردّ جوابكم	وانا رهين جنادلٍ وترابِ
اكل التراب محاسني فنسيتكم	وحجبت عن اهلي وعن احبابي

فبينما هي كذلك واذا بعزيز اقبل ودخل عليها فلما راته وقعت مغشيا عليها من
الفرح فنضح على وجهها الماء فافاقت وقامت واخذته في حضنها وضمته
وضمها وسلم عليها وسلمت عليه وسالته عن سبب غيابه فحكى لها على ما وقع
له من الاول الى الآخر واخبرها ان تاج الملوك اعطاه من المال والامتعة مائة
حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته في بلدته يبكي على ما وقع له من بنت
الدليلة المحتالة التي خصته هذا ما وقع لعزيز واما ما كان من امر تاج الملوك
فانه دخل بمحبوبته الست دنيا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز
ابنته للسفر مع زوجها وابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف فحملوا وساروا و
سار معهم الملك شهرمان ثلثة ايام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك شاه سليمان
بالرجوع فرجع وما زال تاج الملوك ووالده وزوجته وعساكرهم سائرين في
الليل والنهار حتى اشرفوا على مدينتهم فتواترت الاخبار بقدومهم فزينت لهم المدينة
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شاه سليمان لما اقبل على مدينته زينت له ولولده
المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك على كرسي مملكته وولده تاج الملوك بجانبه
فاعطى ووهب واطلق من كان مسجونا عنده ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت
به المغاني والملاهي شهرا كاملا والمواشط تجلي للسيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء وهن
لا يمللن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع مع ابيه وامه
وما زالوا في ارغد عيش واهناه حتى اتاهم هازم اللذات فعند ذلك قال ضوء المكان
للوزير دندان ان مثلك من يشرح القلب الحزين وينادم الملوك ويسلك
في تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون القسطنطينية حتى مضى
عليهم اربع سنين فاشتاقوا الى اوطانهم وضجرت العساكر وملوا من السهر والحصار
وادامة الحرب في الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش
فلما حضروا قال لهم اعلموا اننا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما بل ازددنا
هما وغما وقد اتينا لنخلص من ثار الملك عمر ابن النعمان فقتل منا اخي شركان فصارت
الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهي

فانها هي التي قتلت السلطان في مملكته واخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت اخي وقد التزمت وحلفت بالايمان العظيمة انه لا بد من اخذ الثار فما انتم قائلون فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فاطرقوا رؤسهم ثم قالوا الراي للوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والراي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاوثان فقال الملك نعم هذا الراي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وانا الآخر ايضا قد اقلقني الشوق الى ولدي كان ماكان والى ابنة اخي قضى فكان لانها في دمشق ولا اعلم ما كان من امرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان امر المنادي ان ينادي بالرحيل بعد ثلاثة ايام فابتدؤا في تجهيز احوالهم وفي اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات وتقدم الوزير دندان في مقدم العسكر وسار الملك في وسطه وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش وما زالوا سائرين في الليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس وزال عنهم الهم والباس والتقت الحضار بالغياب وذهب كل امير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ماكان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ماكان ثم رجع وجلس على كرسي مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا في خدمته فعند ذلك طلب ضوء المكان صاحبه الوقاد الذي كان احسن اليه في غربته فاحضر فلما حضر بين يديه قام له الملك اعظاما لحقه واجلسه الى جانبه وكان الملك قد حدث للوزير بما فعله معه من الخير والمعروف فعظمته الامراء وعظمه الوزير وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل ووجهه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذي هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فاقبل عليه الملك وابتش في وجهه وحياه اعظم التحيات وقال له ما اسرع ما نسيتني فعند ذلك تنبه الوقاد فامعن فيه النظر وتحققه فعرفه وقام واقفا على الاقدام وقال يا حبيبي من الذي عملك سلطانا

فضحك عليه فاقبل عليه الوزير وشرح له القصة وقال له انه كان لخاك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولابد ان يصل اليك منه خير كثير وها انا اوصيك اذا قال لك تمنّ عليّ فلا تتمن الا شيئاً عظيماً لانك عنده عزيز فقال الوقاد اخاف ان اتمنى عليه شيئاً فلا يسمح لي به او لا يقدر عليه فقال له الوزير كلما تمنيته يعطيك اياه وما عليك شيء فقال له والله لابد اني سأتمنى عليه الشيء الذي في خاطري وكل ليلة احلم به وارجو من الله تعالى ان يسمح لي به فقال له الوزير طيّب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع اخيه لاعطاك وولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال معاذ الله قد انقضت ايام قعودي في حضرتك فقال له السلطان لا بل هي باقية الى الآن فانك كنت سبباً لحياتي والله لو طلبت مني مهما اردت لاعطيتك اياه ولكن تمنّ على الله ثم عليّ فقال له يا سيدي اني اخاف فقال لا تخف فقال اخاف ان اتمنى شيئاً فلا تسمح لي به فقال وما هو فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتي لشاركتك فيها فتمنّ ما تريد ودع الكلام قال الوقاد اخاف فقال لا تخف فقال اخاف ان اتمنى شيئاً لا تقدر عليه فعند ذلك غضب السلطان وقال له تمنّ ما اردت فقال له اتمنى على الله ثم عليك ان تكتب لي مرسوماً بعرافة جميع الوقادين الذين بمدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمنّ غير هذا فقال يا سيدي انا ما قلت لك اني اخاف اتمنى شيئاً لا تسمح لي به او لا تقدر عليه فلكزه الوزير ثانياً وثالثاً وفي كل مرة يقول اتمنى عليك فقال له السلطان تمنّ واسرع فقال اتمنى عليك ان تجعلني رئيس الزبالين في مدينة القدس او في مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ايش تكون حتى تضربني ومالي ذنب فانك انت الذي قلت لي تمنّ شيئاً عظيماً ثم قال دعوني اسير الى بلادي فعرف السلطان انه يلعب فصبر عليه قليلاً ثم اقبل عليه وقال له يا اخي تمنّ عليّ شيئاً عظيماً لائقاً بمقامنا فقال يا ملك الزمان اني اتمنى على الله ثم على الملك ان تولّيني نائب دمشق موضع اخيك فقال الملك ان الله اعطاك فقبّل الارض بين يديه وامر الملك بوضع كرسي له في مرتبته وخلع عليه خلعة النيابة وكتب له التوقيع بذلك وختمه له وقال للوزير ندان ما يروح معه غيرك واذا اردت العود وجئت فاحضر معك

ابنة اخي قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم اخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وامر الملك ان يخرجوا للوقاد خدما وحشما وتختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبني فليكرم هذا ويقدم له هدية عظيمة فقدمت له الامراء كل واحد بقدر همته وسماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد ولما تكاملت حوائجه خرج وصحبته الوزير دندان وطلع الى الملك ليودعه ويطلب منه اذنا بالسفر فقام له الملك وعانقه واوصاه بالعدل بين الرعية ثم امره ان ياخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين وودع بعضهم بعضا وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك والخدم فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير ومقدم الديلم بهرام ومقدم العجم رستم ومقدم العرب تركاش وهم في خدمته وتوديعه وما زالوا سائرين معه ثلثة ايام ثم عادوا الى بغداد ولم يزل السلطان الزبلكان والوزير دندان ومن معهم من العساكر سائرين الى ان وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان سلطن على دمشق سلطانا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل الى دمشق زينت له المدينة وخرج كل من في دمشق للفرجة ودخل السلطان الى دمشق في موكب عظيم وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان في خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان في تجهيز بنت السلطان شركان الست قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيئا من المال فابى الوزير دندان وقال له انت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال وبعد هذا نقبل منك ونرسل اليك نطلب مالا للجهاد او غير ذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداع الوزير دندان واحضر قضى فكان واركبها في المحفة وارسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من امر السلطان الزبلكان

واما ماكان من امر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان وسار حتى وصل الى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى اشرف على بغداد وارسل اعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فاراد الوزير دندان ان يترجل فاقسم عليه الملك ضوء المكان ان لا يفعل فساق جواده حتى جاء الى جانبه وساله عن الزبلكان المجاهد فاعلمه انه بخير واعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلثة ايام ثم بعد ذلك تعال عندى فقال حبا وكرامة ثم ان الوزير توجه الى منزله وطلع الملك الى قصره ودخل على ابنة اخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها وفصّل لها ثيابا واعطى لها مصاغا وحليا عظيما وامر ان يبيتوها مع ابنه كان ماكان فى مكان واحد فطلعا اذكى اهل زمانهما واشجع غير ان قضى فكان طلعت صاحبة تدبير وعقل وخبرة بعواقب الامور وطلع كان ماكان سخيا كريما لا يفكر فى عاقبة شئ فكبر الاثنان وصار لهما من العمر عشر سنين وصارت قضى فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البر وتسوق به وتتوسع فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد وكمل الاهبة والاستعداد فاحضر الوزير دندان وقال له اعلم انى عزمت على شئ فاذكره لك واريد اطلاعك عليه فاسرع فى رد الجواب فقال الوزير دندان ما هو يا ملك الزمان قال عزمت ان اسلطن ولدى كان ماكان وافرح به فى حياتى واقاتل قدامه الى ان يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبّل الوزير دندان الارض بين يدى الملك ضوء المكان وقال له اعلم ايها الملك والسلطان صاحب العصر والاوان ان ما خطر ببالك مليح غير انه ما هو وقته الآن لخصلتين الاولى ان ولدك كان ماكان صغير السن والثانية ما جرت به العادة ان من سلطن ولده فى حياته لا يعيش بعد ذلك الا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير اننا نوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا والينا وقد تزوج اختى فهو فى منزلة اخى فقال له الوزير افعل ما بدا لك فنحن مطيعون امرك فارسل الملك الى الحاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدى كان ماكان قد علمتم انه فارس اهل زمانه وليس له نظير فى حربه وطعانه وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير عمه وهو وصى عليه فقال

الحاجب يا ملك الزمان ما انا الا غريس نعمتك فقال ضوء المكان ايها الحاجب ان ولدي
كان ماكان وابنة اخي قضى فكان اولاد عم واني قد زوجتها به واشهد الحاضرين
على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عن وصفه اللسان وبعد ذلك دخل على اخته
نزهة الزمان واعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداي ابقاك الله وتعيش
لهما انت مدى الزمان فقال يا اختي اني قضيت من الدنيا ما بقلبي وامنت على ولدي
ولكن ينبغي ان تلاحظيه بعينك وتلاحظي امه ثم صار يوصي الحاجب ونزهة الزمان
على ولده وبنت اخيه وزوجته ليالي واياما وقد ايقن بكاس الحمام ولزم الوساد
وصار الحاجب يتعاطى احكام العباد والبلاد وبعد سنة احضر ولده كان ماكان
الوزير دندان وقال يا ولدي ان هذا الوزير والدك من بعدي واعلم اني راحل
من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن بقي في قلبي
حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدي فقال يا ولدي
ان اموت ولم آخذ بثار جدك عمر بن النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها
ذات الدواهي فان اعطاك الله النصر لا تنم عن اخذ الثار وكشف العار من الكفار
واياك من مكر العجوز واقبل ما يقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم
الزمان فقبل منه ولده ذلك ثم هملت عيناه بالدموع وازداد به المرض وصار امر
المملكة للحاجب صهره وكان رجلا كبيرا فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك
سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ولم تزل تنهكه الامراض اربع سنين و
قعد الحاجب الكبير بالملك وارتضى به اهل المملكة واكابر الدولة ودعت له جميع البلاد
هذا ما كان من امر ضوء المكان والحاجب واما ما كان من امر ابن الملك كان ماكان
فليس له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك بنت
عمه قضى فكان وكانت تخرج هي واياه من اول النهار الى الليل فتدخل هي الى امها
ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند راس ابيه تبكي فيخدمه بالليل الى
الصباح ثم يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات
فبكى وانشد يقول هذه الابيات

تفانى قوّتي ومضى زماني	وها انا قد بقيت كما تراني
فيوم العز كنت اعز قومي	واسبقهم الى نيل الاماني
ترى قبل الممات ارى لولدي	يكون على الورى ملك مكاني

بضرب السيف وطعن السنان	ويفتك بالعداة لاخذ ثاري
اذا مولاي لايشفي جناني	انا المغبون في هزل وجد

فلما فرغ من شعره وضع راسه على الوسادة فغفلت عينه فنام فرأى في منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملأ البلاد عدلا ويملكها وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا من هذه البشارة التي رآها ثم انه بعد ايام قلائل طرقه الممات فاصاب اهل بغداد لموته غم عظيم وبكى عليه الوضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كانه ما كان وتغير حال كان ماكان وعزله اهل بغداد وجعلوه هو وعياله في مكان على حده ثم فلما رأت ام كان ماكان ذلك صارت في اذل الاحوال فقالت لا بد لي من قصد الحاجب الكبير وارجو الرأفة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذي صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وبكت بكاء شديدا وقالت لها ان الميت ماله صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولازلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذناك ورأت عيناك ماكنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والآن انقلب علينا الزمان وخاننا الدهر والاوان وقصدنا بالعدوان واتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائي للاحسان لانه اذا مات الرجل ذلت بعده النساء والبنات ثم انشدت وتقول هذه الابيات شعر

وماغائب الاعمار عنا بغائب	كفاك بان الموت بادي العجائب
موارد ها ممزوجة بالمصائب	وماهذه الايام الا مراحل
احاطت بهم مستعظمات النوائب	وماضر قلبي مثل فقد اكارم

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ماكان فقربتها واقبلت عليها وقالت انا الان والله غنية وانت فقيرة فوالله ماتركنا افتقادك الا خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك ان ما نهديه اليك صدقة مع ان جميع مانحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ومحلنا محلك ولك مالنا وعليك ماعلينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا في القصر ملاصقا لمكانها واقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ماكان والبسته ثياب الملوك وافردت لهما الجواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك

فانظري بها بعد غيرك فاكرمي مثواها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب لما اخبرته نزهة الزمان بخبر زوجة اخيها قال لها اكرمي مثواها واعتني بفقرها هذا ما كان من امر نزهة الزمان وزوجها وام ضوء المكان واما ماكان من امر كان ماكان وبنت عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران او قمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من احسن البنات المخدرات بوجه جميل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وقد رشيق وثغر الذ من الرحيق وريق كالسلسبيل كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كَأَنَّ سُلَافَ الخَمْرِ مِنْ مَاءِ رِيقِهَا	وَعُنْقُودَهَا مِنْ ثَغْرِهَا العَذْبِ يُقْطَفُ
وَأَعْنَابِهَا مَالَتْ إِذَا مَا ثَنَيْتَهَا	فَسُبْحَانَ خَلَّاقٍ لَهَا لَيْسَ يُوصَفُ

وقد جمع الله تعالى فيها كل المحاسن فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان واما الريق فانه يهزأ بالرحيق تسر القلب والناظر كما قيل فيها الشاعر

مَلِيحَةُ الوَصْفِ قَدْ تَمَّتْ مَحَاسِنُهَا	أَجْفَانُهَا تَفْضَحُ التَّكْحِيلَ بِالكُحُلِ
كَأَنَّ أَلْحَاظَهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا	سَيْفٌ بِكَفِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِي

قال الراوي واما كان ماكان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال ليس له في الوصف والحسن مثال تلوح الشجاعة بين عينيه وتشهد له ولا تشهد عليه وتميل القلوب القاسية اليه اكحل الطرف كامل الوصف فلما اخضر شاربه وصار له عذار كثرت فيه الاشعار

مَا بَانَ عُذْرِي فِيهِ حَتَّى عَذَّرَا	وَمَشَى الدُّجَى فِي خَدِّهِ فَتَحَيَّرَا
رَشَأٌ إِذَا رَنَتِ العُيُونُ لِحُسْنِهِ	سَلَّتْ لَوَاحِظُهُ عَلَيْهَا خِنْجَرَا

وقول الآخر

نُسِجَتْ نُفُوسُ العَاشِقِينَ بِخَدِّهِ	نَمْلًا وَتَمَّ بِهَا النَّجِيعُ الأَحْمَرُ
فَاعْجَبْ لَهُمْ شُهَدَاءَ وَمَسْكَنُهُمْ لَظَى	وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا الحَرِيرُ الأَخْضَرُ

فاتفق في بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت تتعيد على بعض اقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والاقحوان يتبسم عن

بارق ثغرها فجعل كان ماكان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهي كالقمر الزاهر فقوى جنانه واطلق بالشعر لسانه فانشد يقول

مَتَى يَشْتَفِي قَلْبُ الْكَئِيبِ مِنَ الْبُعْدِ	وَيَضْحَكُ ثَغْرُ الْوَصْلِ مِنْ زَائِلِ الصَّدِّ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً	بِوَصْلِ حَبِيبٍ عِنْدَهُ بَعْضُ مَا عِنْدِي

فلما سمعت قضى فكان هذه الابيات اظهرت له الملامة والعتاب وشمخت شمخة فاغتاظت بكان ماكان وقالت له اتذكرني في شعرك لاجل ان تفضحني بين اهلك والله ان لم ترجع عن هذا المقال لاشكينك للحاجب الكبير سلطان خراسان وبغداد صاحب العدل والانصاف ينزل بك الذل والهوان فسكت كان ماكان واغتاظ وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت من ابن عمها الى امها فقالت لها يا بنتي لعله ما ارادك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيئاً يعيبك فاياك ان تعلمي بذلك احداً فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعله كامس مضى ذكره هذا وشاع في بغداد حب كان ماكان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ماكان ضاق صدره وعيل صبره وقل حيله ولم يخف على الناس حاله واشتهى ان يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من عتبها وغضبها فانشد يقول

إِذَا خِفْتُ يَوْماً عِتَابَ الَّتِي	تُكَدِّرُ أَخْلَاقُهَا الصَّافِيَهْ
صَبَرْتُ عَلَيْهَا كَصَبْرِ الْفَتَى	عَلَى الْكَيِّ فِي طَلَبِ الْعَافِيَهْ

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطاناً سموه الملك ساسان فجلس على تخت المملكة وسار في الناس سيرة حسنة فبينما هو جالس يوماً اذ وصلت اليه ابيات كان ماكان فندم على ما فات ودخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار لمن اعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين ما دامت العيون ترمق والجفون تخفق وان ابن اخيك كان ماكان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال اوجب لان مثلها يجب ان تحجب فقالت صدقت ايها الملك العاقل فلما كان الغد جاء كان ماكان على جري عادته ودخل على عمته نزهة الزمان وسلم عليها فردت

عليه السلام وقالت له يا ولدى عندى كلام ماكنت احب ان اقوله ولكن اخبرك به رغماء عنى فقال لها قولى فقالت ان اباك الحاجب ابا قضى فكان قد سمع بما انشدته فيها من الشعر فامر بحجبها عنك فاذا كان يا ولدى لك عندنا حاجة فانا ارسلها اليك من وراء الباب ولا تنظر قضى فكان ولا عدت ترجع هنا من هذا الوقت فلما سمع كلامها قام وخرج ولم ينطق بحرف واحد ودخل على والدته اعلمها بما قالته عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وانت تعلم ان حديث حبك لقضى فكان شاع وانتشر له ذكر فى كل مكان وكيف انت تأكل زادهم وبعد ذلك تعشق بنتهم فقال ومن يأخذها غيرى وهى بنت عمى وانا احق بها فقالت له امه بطل هذا الكلام واسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سبب حرمانك منها وسبب هلاكك وكثرة احزانك ولم يبعثوا النا فى هذه الليلة عشاء ناكله ونموت جوعا ونحن لو كنا فى بلد غير هذه لكنا هلكنا من الم الجوع اوذل السؤال فلما سمع كان ماكان من امه هذا الكلام زادت حسرته ودمعت عينيه فان واشتكى وانشد يقول

اقلى من اللوم الذى لا يفارق	فقلبى الى من تيمته لعاشق
ولا تطلبى عندى من الصبر ذرة	فصبرى وبيت الله منى طالق
اذا سامنى اللوام نهيا عصيتهم	وها انا فى دعوى المحبة صادق
وقد منعونى عنوة ان ازورها	وها انا والرحمن ما انا فاسق
وان عظامى حين تسمع ذكرها	تشابه طيرا خلفهن بواشق
الا قل لمن قد لام فى الحب اننى	لوجهك حقا بنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل اخرج من القصر واسكن فى اطراف المدينة فخرجت به امه من القصر وجاء بجوار قوم صعاليك وسكنوا وصارت امه تتردد الى قصر الملك ساسان وتأخذ منه ماتقتات به هى واياه هذا ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ماكان وقالت لها يا عمتاه كيف حال ولدك فقالت يا بنتى انه باكى العين حزين القلب واقع فى شرك هواك وانشدتها ما قاله من الابيات فبكت قضى فكان وقالت والله ماهجرته لكلامه ولا لبغضاله ولكن خوفا عليه من الاعداء وان عندى من الشوق له اضعاف ماعنده لى ولا يقدر لسانى على وصف شوقى له ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ماقطع الجد عنه احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول والصبر فى كل الامور

اجمل ولعل من قضى علينا بالفراق ان يمن لنا بالتلاق ثم انشدت تقول هذين البيتين

ايا ابن العم عندى من غرامي	كامثال الذى قد حل عندك
ولكني كتمت الناس وجدي	فهلا كنت انت كتمت وجدك

فلما سمعت منها ام كان ماكان ذلك شكرتها وودعت لها وخرجت من عندها واعلمت ولدها كان ماكان بذلك فزاد طمعه فيها وقويت نفسه بعد ان كان قطع ياسه وخمدت انفاسه وقال والله ما اريد سواها وانشد يقول شعر

دع اللوم لا اصغي الى قول لائم	فقد بحت بالسر الذي كنت كاتما
وقد غاب عني من ارجي وصاله	وقد سهرت عيني وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالي وهو يتقلب على جمر المقالي حتى مضى من العمر سبعة عشر سنة وقد كمل حسنه وتم ظرفه فسهر ليلة من الليالي وحدث نفسه وقال ما لى اسكت على نفسي حتى اذوب ولا ارى حبيبي وما لى عيب الا الفقر والله انى اريد ان ارحل من هذه البلاد واشت فى البراري والقفار فان مقامي فى هذه البلاد عنا ولا لى فيها صديق ولا حبيب يسليني واريد ان اسلي نفسي بالغربة عن الوطن حتى اموت واستريح من هذا الذل والمحن ثم انه انشد وجعل يقول هذه الابيات شعر

دع مهجتي تزداد في خفقانها	ليس التذلل في العدى من شانها
واعذر فان حشاشتي كصحيفة	لا شك ان الدمع من عنوانها
ها بنت عمي قد بدت حورية	نزلت الينا عن رضى رضوانها
من رام الحاظ العيون معارضا	بسيوفها لم ينج من عدوانها
سا سير ارض الله غير مقصر	كي ان انال الرزق من حرمانها
سا سير في الارض الوسيعة منقذا	نفسي وامنحها سوى حرمانها
واعود مسرور الفؤاد منعما	واقاتل الابطال في ميدانها
ولسوف استاق الغنائم عائدا	واصول مقتدرا على اقرانها

ثم ان كان ماكان خرج من القصر حافيا ماشيا فى قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة اعوام وصحبته رغيف ناشف له ثلثة ايام وخرج فى حندس الظلام واتى الى باب الازج ببغداد فوقف هناك ولما فتح باب المدينة كان اول من خرج منه كان ماكان وساح على وجهه فى القفار ليلا ونهارا ولما اتى الليل طلبته امه فلم تجده ابدا فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشيء من متاعها فانتظرته

اول يوم وثاني يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم تقع له على خبر فضاق صدرها وصرخت وعيطت وقالت يا ولدي يا انيسي هيجت احزاني لقد كان بي ماكفاني حتى بعدت عن اوطاني فلا اريد بعدك بطعام ولا التذ بمنام وما بقي لي الا البكاء والاحزان يا ولدي من اي البلاد انا اديك واي بلد تاويك ثم صعدت الزفرات وانشدت تقول هذه الابيات

عَلِمْنَا بِأَنَّا بَعْدَ غَيْبَتِكُمْ نُبْلَى　　وَمَدَّتْ قِسِيَّ لِلْفِرَاقِ لَنَا نَبْلًا

وَقَدْ خَلَّفُونِي بَعْدَ شَدِّ رِحَالِهِمْ　　أُعَالِجُ كَرْبَ الْمَوْتِ إِذْ قَطَعُوا الرَّمْلَا

لَقَدْ هَتَفَتْ بِي جُنْحَ لَيْلٍ حَمَامَةٌ　　مُطَوَّقَةٌ نَاحَتْ فَقُلْتُ لَهَا مَهْلًا

لَعَمْرُكَ لَوْ كَانَتْ كَمِثْلِي حَزِينَةً　　لَمَا لَبِسَتْ طَوْقًا وَلَا خَضَبَتْ رِجْلًا

وَفَارَقَنِي إِلْفِي فَلَاقَيْتُ بَعْدَهُ　　دَوَاعِي هَمٍّ لَا تُفَارِقُنِي أَصْلًا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت في البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد فابكت العباد والبلاد وصار الناس يقولون اين عينك يا ضوء المكان وشكوا من تحامل الزمان وقالوا يا هل ترى ما جرى على كان ماكان حتى بعد عن وطنه وطرد من المكان وكان ابوه يشبع الجيعان ويامر بالعدل والامان وزادت امه في البكاء والانان فوصل الخبر الى الملك ساسان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ساسان وصل اليه خبر كان ماكان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر بن النعمان وقد بلغنا انه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان كلامهم غضب عليهم وامر بشنق واحد منهم وعلقه فوقعت هيبته في قلوب بقية الدولة ولم يقدر احد منهم ان يتكلم ثم ان ساسان تذكر ما صنعه معه ضوء المكان من الجميل وانه اوصاه به فحزن على كان ماكان وقال لا بد من التفتيش عليه في سائر البلاد ثم انه احضر تركاش وامره ان ينتخب مائة فارس ويأخذهم ويدور على كان ماكان فذهب وغاب عشرة ايام ورجع وقال لم اطلع له على خبر ولا وقفت له على اثر ولا احد اخبرني عنه بخبر فحزن الملك ساسان على ما فعل معه واما امه

فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار ومضى عليها عشرون يوما كبارا فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ماكان من امر كان ماكان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا فى امره ولم يعلم اين يروح فسار فى البر ثلثة ايام وحده فلم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر اهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من انهارها ويقيل وقت الحر فى كل قائلة تحت اشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى وسار فيها ثلثة ايام وفى اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات مخضبة النبات مليحة الجنبات وهذه الارض قد شربت من كاسات الغمام على اصوات الرعود والحمام فاخضرت جوانبها وطاب فلاها فتذكر كان ماكان بلاد ابيه بغداد فانشد من فرط ما هو فيه يقول

خَرَجْتُ وَفِي أَمَلِي عَوْدَةٌ　　وَلٰكِنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي مَتَى
وَشُرِّدْتُ فِي حُبِّ مَنْ لَمْ أَجِدْ　　سَبِيلًا إِلَى دَفْعِ مَا قَدْ أَتَى

فلما فرغ من شعره بكى ثم مسح دموعه واكل من ذلك النبات ما يتقوت به وتوضأ وصلى ما فاته من الفرائض فى هذه المدة وجلس يستريح ذلك اليوم بطوله فى ذلك المكان فلما جاء الليل نام ولم يزل نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان يقول هذه الابيات

مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَرَى لَكَ بَارِقًا　　مِنْ ثَغْرِ مَنْ تَهْوَى وَوَجْهٍ رَائِقُ
صَلُّوا عَلَيْهَا فِي الدُّيُورِ أَسَاقِفُ　　خَرُّوا إِلَيْهَا بِالسُّجُودِ تَسَابُقُ
وَالْمَوْتُ أَسْهَلُ مِنْ صُدُودِ حَبِيبِهِ　　لَمْ يَغْشَنِي مِنْهَا خَيَالٌ طَارِقُ
يَا فَرْحَةَ النُّدَمَاءِ حَيْثُ تَجَمَّعُوا　　وَأَقَامَ مَعْشُوقٌ هُنَاكَ وَعَاشِقُ
لَاسِيَّمَا وَقْتَ الرَّبِيعِ وَزَهْرِهِ　　طَابَ الزَّمَانُ بِمَا إِلَيْهِ تَسَابُقُ
يَا شَارِبَ الصَّهْبَاءِ دُونَكَ هٰذِهِ　　أَرْضُ النَّعِيمِ وَمَاؤُهَا يَتَدَفَّقُ

فلما سمع كان ماكان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلق فى قلبه لهيب النيران وقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير احدا فى جنح الظلام فزاد وجده وفزع واخذه القلق ونزل من مكانه الى اسفل الوادى ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات ويقول هذه الابيات شعر

إِنْ كُنْتَ تَكْتُمُ مَا فِي الْحُبِّ إِشْفَاقًا　　فَأَطْلِقِ الدَّمْعَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِطْلَاقًا
بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِي عُهُودُ هَوًى　　لِذَا إِلَيْهِمْ أَظَلُّ الدَّهْرَ مُشْتَاقًا

يرتاح قلبي اليهم ثم يطربني	نسيم برد اذا ما هب اشواقا
يا سعد هل ربة الخلخال تذكرني	بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالي الوصل تجمعنا	يوما ويشرح كل بعض ما لاقا
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها	كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لا متع الله طرفي من محاسنها	ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يا لسعة في فؤادي ما رايت لها	سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ماكان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثاني مرة ولم ير شخصه علم ان ذلك القائل عاشق مثله ومنع من الوصل الى من يحبه فقال في نفسه هذا يصلح ان يضع راسه الى راسي واجعله انيسالي في هذه الغربة ثم تنحنح ونادى قائلا ايها السائر في الليل العاكر تقرب مني وقص علي قصتك لعلك ان تجدني معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت ذلك الكلام نادى ايها المجيب لدعوتي والسامع لقصتي من تكون من الفرسان وهل انت من الانس او الجان عجل علي بكلامك قبل دنو حمامك فاني لي سائرا في هذه البرية نحو عشرين يوما فلم ار شخصا ولا اسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ماكان هذا الكلام قال في نفسه هذا قصته مثل قصتي فاني انا الآخر لي ايضا عشرون يوما وانا سائر لم ار شخصا ولا اسمع صوتا وقال في نفسه لم ارد عليه جوابا حتى يطلع النهار ثم سكت فناداه صاحب الصوت ايها الداعي ان كنت من الجان فاذهب بسلام وان كنت انسيا فالبث مليا حتى يطلع الفجر والنهار ويذهب الليل بالاعتكار ثم لبث المنادي مكانه ولبث كان ماكان مكانه ولم يزالا ينشدان الاشعار ويبكيان بالدموع الغزار حتى طلع ضوء النهار وذهب الليل بالاعتكار فنظر اليه كان ماكان فوجده رجلا من عرب البادية الا انه شاب في سنه وعليه ثياب رثة متقلد بسيف صدئ في جفنه وآثار العشق عليه لائحة فاتى اليه وتقدم وسلم عليه فرد البدوي عليه السلام وحياه بالاكرام لانه احتقره لما راى من صغر سنه وحالته حالة فقير فقال له يا فتى من اي القوم انت والى من تنتسب من العربان وما قصتك وانت سائر في الليل وهو فعل الابطال وقد كلمتني في الليل كلاما لا يتكلم به الا كل فارس همام وبطل ضرغام والآن روحك في قبضتي ولكني ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي وتكون عندي برسم خدمتي فلما سمع كان ماكان فظاعة كلامه بعد ما ابداه

من حسن نظامه علم انه احتقره وطمع فيه فقال له بكلام لين فصيح يا وجه العرب
دعنا من صغر سنى واخبرنى عن سبب سيرك بالليل فى القفار وانشادك الاشعار
واراك تذكر انني اخذ منك فمن تكون انت وما حملك على هذا المقال فقال له اسمع
يا غلام انا صباح ابن رماح بن همام وقومى من عرب الشام ولى بنت عم اسمها
نجمه كل من رآها اتته النعمة ومات والدى وتربيت عند عمى ابى نجمه فلما كبرت
انا وكبرت بنت عمى حجبها عنى وحجبنى عنها لما رانى فقير الحال قليل المال فدخلت
العرب الكبار وسادات القبائل وسقت عليه فاستحى منهم واجاب ان يعطينى
بنت عمى ولكنه اشترط على فى مهرها خمسين راسا من الخيل وخمسين ناقة عشاريات
وخمسين جملا محملة براً ومثلها شعير وعشرة عبيد وعشر جوار وحملنى ما لا اطيق
واكثر على فى الصداق وها انا مسافر من الشام الى العراق ولى عشرون يوما ما نظرت
احدا سواك وعزمت الى ادخل بغداد وانظر من يخرج منها من التجار المياسير
الكبار فاخرج فى اثرهم واغير على اموالهم واقتل رجالهم واسوق جمالهم واحمالهم فمن
تكون انت من الناس فقال كان ماكان ان قصتك مثل قصتى غير ان مرضى اخطر من
مرضك لان ابنة عمى بنت ملك واهلها لا يكفيهم منى ما ذكرت ولا يرضيهم شئ
مثل هذا فقال صباح لعلك مهبول او من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك
بنت ملك وانت ما عليك سيمة الملوك وما انت الا صعلوك فقال يا وجه العرب
لا تستغرب هذا الحال وما فات فات وان شئت منى البيان فانا كان ماكان بن الملك
ضوء المكان ابن الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وارض خراسان وقد جار على الزمان
فمات والدى وتسلطن الملك ساسان وخرجت من بغداد خفية لئلا يرانى انسان
فها انا قد اوضحت لك البيان ولى عشرون يوما ما رايت احدا غيرك فقصتك
مثل قصتى وحاجتك مثل حاجتى فلما سمع ذلك صباح صاح وافرحتى قد
بلغت منيتى وليس لى اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك وخرجت فى زى
صعلوك ولا بد ان اهلك يطلبونك واذا وجدوك عند احد فدوك بالاموال الجزيلة
فدونك هيّا فادر كتافك يا غلامى وامش قدامى فقال كان ماكان لا تفعل يا اخا
العرب لان اهلى لا يشترونى بفضة ولا ذهب ولا بدرهم نحاس وانا رجل
فقير ولا معى قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق واتخذنى من الرفاق و
اخرج بنا من ارض العراق لنجول فى نواحى الافاق لعلنا نظفر بالمهر والصداق

ويحظى من بنات عمنا بالتقبيل والعناق فلما سمع صباح ذلك الكلام غضب وزاد به
الاعجاب والالتهاب وقال له ويلك اتزادد لي في الجواب يا اخس الكلاب آدركتا فلك
ولا انزلت عليك العذاب فتبسم كان ماكان وقال له كيف ادركك الكتاف اما عندك
انصاف اما تخشى معايرة العرب بان ان تسوق رجلا مثلا سيرا في الذل والهوان
وانت ما اختبرته في الميدان لتعلم هل هو فارس او جبان فضحك صباح وقال
يا لله العجب انك في سن الغلام ولكنك كبير الكلام لان هذا القول لا يصدر
الاعن البطل المصدام فما تريد من انصاف فقال له كان ماكان ان كنت تريد ان
اسير معك وفي خدمتك فارم سلاحك وخفف ثيابك وادن مني وصارعني
فكل من صرع منا صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال له
اظن ان كثرة كلامك تدل على قرب حمامك ثم نهض ورمى سلاحه وشمر اذياله
ودنا من كان ماكان فدنا منه الآخر وتجاذبا فوجده البدوي يفوق
عنه ويرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه في الارض
فوجدهما كالماذنتين المؤسستين او وتدين مدفوقين او جبلين راسخين فعرف
من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال في نفسه ليتني قاتلته
بسلاحي ثم ان كان ماكان قبض عليه وتمكن منه وهزه فحس البدوي ان
امعاءه تقطعت في بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام
بل هزه ورفعه من الارض وقصد به النهر ليرميه فيه فناداه البدوي
يا ايها البطل ما الذي عزمت عليه فقال اريد ان ارميك في هذا النهر فهو
يعبر بك الى الدجلة والدجلة تدخل بك الى نهر عيسى ونهر عيسى
يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك
ويعرفون مروتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يا فارس البطاح
لا تفعل فعل القباح اطلقني بحيوة بنت عمك زينة الملاح فعند ذلك وضعه كان
ماكان في الارض فلما راى نفسه خالصا التفت الى سيفه وترسه واخذهما
وتعديشا ورنفسه في الغدر به والهجوم عليه فعرف كان ماكان من عينيه
ذلك فقال له قد عرفت ما في قلبك حيث ملكت سيفك وترسك ومالك في
الصراع يد طويلة وانت عديم الحيل ولو كنت على فرس تجول وبسيفك علي تصول
كنت من زمان مقتول وانا ابلغك ما تختار حتى لا يبقى في قلبك انكار فاعطني الترس

واهجم علىّ بسيفك فاما ان تقتلني واما ان اقتلك فقال له دونك ها هو ورمى له الترس وجرّد سيفه وهجم به على كان ماكان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له ما بقى الا هذه الضربة الفاصلة فتخرج غير قاتلة ويأخذها كان ماكان فى الترس وتروح ضائعة ولا يضربه لان ما معه شئ يضرب به ولم يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلّت يده وعرف خصمه منه ذلك فهجم عليه واحتضنه وهزّه والقاه فى الارض وادار كتافه وكتّفه بحمائل سيفه وجرّه من رجليه وقصد به النهر فناداه صباح اى شئ تريد تصنع بى ايها الشاب وفارس الزمان وبطل الميدان فقال له الم اقل لك ان قصدى ان ارسلك الى اهلك وقومك فى النهر حتى لا يشتغل خاطرك ولا خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس ابنة عمك فضجّ صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يا فارس الزمان واطلقنى واجعلنى لك من بعض الغلمان ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

تَغَرَّبْتُ عَنْ اَهْلِي فَيَا طُولَ غُرْبَتِي	وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ اَمُوتُ غَرِيبَا
اَمُوتُ وَاَهْلِي لَيْسَ يَعْرِفُ مَقْتَلِي	وَاَوْدِى غَرِيبًا لَا اَزُورُ حَبِيبَا

فرحمه كان ماكان وقال له تعاهدنى بالعهود والمواثيق على انك تكون لى نعم الرفيق وتصحبنى فى كل طريق فقال نعم وعاهده على ذلك فاطلقه كان ماكان فقام صباح واراد ان يقبل يد كان ماكان فمنعه من ذلك فقام البدوى وفتح جرابه واخرج منه ثلث قرصات شعير ووضعها قدام كان ماكان وجلس هو واياه على حافة النهر واكل الاثنان مع بعضهما ولما فرغ من الاكل توضأ وصلّيا وجلسا يتحدثان على ما لقياه من اهلهما ومن صروف الزمان فقال له كان ماكان الى اين تعزم فقال صباح عزمى الى بغداد بلدك اقيم بها حتى يرزق الله لى بالصداق فقال له دونك والطريق وها انا هنا فودعه البدوى وطلب طريق بغداد وقام كان ماكان وقال فى نفسه يا نفسى اىّ وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا ارجع خائبا ولا بد لى من الفرج ان شاء الله تعالى ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه وقال اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الحجر اسألك ان ترزقنى بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلوته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس اقبل على

جواد وقد انعقد ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ماكان جالسا وبعد ساعة وصل
اليه الفارس وهو فى اخر نفس وقد ايقن بالفناء لانه كان به جرح بالغ فلما وصل
اليه جرى دمعه على خده مثل افواه القرب وقال لكان ماكان يا وجه العرب
اتخذ نى ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلى واسقنى قليلا من الماء وان كان
شرب الماء لا يصلح للمجروح سيما وقت خروج الدم والروح وان عشت دفعت لك ما يجبر
كسرك وفقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحت ذلك الفارس جواد
من جياد الحصان يكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل اعمدة الرخام فلما نظر اليه
كان ماكان والى ذلك الحصان اخذه الهيمان وقال فى نفسه ان مثل هذا الحصان
لا يوجد فى هذا الزمان ثم انه انزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء
وصبر عليه حتى اخذ الراحة واقبل عليه وقال له من هذى فعل بك هذه الفعال فقال الفارس
انا اخبرك بحقيقة الحال انا رجل سلال غيار طول دهرى اسل الخيل واختلسها فى
الليل والنهار وانا يقال لى غسان آفة كل حجرة وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى
بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد كنت
سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه فبينما انا كذلك اذ خرجت عجوز
معظمة عند الروم وامرها عندهم نافذ تسمى شواهى ذات الدواهى وهى فى الخداع
متناهى ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير وهم برسم خدمتها
والحصان وقصدت هى بغداد وخراسان وتريد الدخول على الملك ساسان لتطلب
منه الصلح والامان فخرجت فى اثرهم طمعا فى الحصان ومازلت تابعهم ولا اقدر اصل
اليه لان العبيد شداد الحرص عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلو
مدينة بغداد فبينما انا اشاور نفسى فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى
سد الاقطار فانكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على
التجار ومقدمهم بطل كانه الضيغم الهراش يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب
كاسد يجعل الابطال كالفراش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لكان ماكان فخرج على العجوز
ومن معها كهرداش واطبق عليهم وصاح بهم وهاش وما كان الا ساعة

حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم منهم الحصان وسار بهم فرحان فقلت في
نفسي ضاع تعبي وما بلغت اربي ثم صبرت حتى انظر ما يؤل اليه الامر فلما رأت
العجوز نفسها في الاسر بكت وقالت للمقدم كهرداش ايها الفارس الهمام والبطل
الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد ثم انها خادعته
بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فاطلق العبيد واطلقها ثم سار
هو واصحابه وتبعتهم حتى وصلوا الى هذه الديار وانا الاحظه واتبعه فلما وجدت
اليه سبيلا سرقته وركبته واخرجت من مخلاتي سوطا وضربته فلما احسوا بي
لحقوني واحاطوا بي من كل مكان ورموني بالسهام والسنان وانا ثابت عليه وهو
يقاتل عني بيديه ورجليه الى ان اخرج بي من بينهم مثل السهم الراشق والنجم الطارق
ولكن لما اشتد الكفاح اصابني بعض الجراح وقد مضى لي على ظهره ثلثة ايام لم اذق
مناما ولا التذ بطعام وقد ضعفت مني القوى وهانت عليّ الدنيا وانت
احسنت الي وشفقت علي واراك عاري الجسد ظاهر الكمد ويلوح عليك اثر النعمة فمن
انت ومن اين اقبلت والى اين تريد فقلت له انا اسمي كان ماكان ابن الملك ضوء المكان
ابن الملك عمر ابن النعمان قد مات والدي وتربيت يتيما وتولى بعده رجل لئيم وصار
ملكا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من اوله الى اخره فقال له السلال و
قد رق له والله انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وسيكون لك شان و
تصير افرس اهل هذا الزمان فان قدرت ان تحملني وانت راكب وراءي وتوديني
الى بلادي يكن لك الشرف في الدنيا والاجر في يوم التنادي فانه ما بقي لي قوة
امسك بها نفسي وان كانت الاخرى فانت بالجواد اولى من غيرك فقال له كان ماكان
والله لو قدرت احملك على اكتافي او اقاسمك عمري لفعلت من غير هذا الجواد لاني
من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يدفع سبعين بلاء عن
صاحبه فاعزم على المسير وتوكل على اللطيف الخبير فاراد ان يحمله على الحصان ويسير
متوكلا على الله المستعان فقال له اصبر عليّ قليلا فغمض عينيه وفتح يديه وقال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقال يا عظيم اغفر لي الذنب
العظيم فانه لا يغفر الذنب العظيم الا العظيم وتهيأ للممات وانشد هذه الابيات

ظَلَمْتُ العِبَادَ وَطُفْتُ البِلَادِ ... وَأَمْضَيْتُ عُمْرِي بِشُرْبِ الخُمُورِ
وَخُضْتُ السُّيُولَ لِسَلِّ الخُيُولِ ... وَهَدْمِ الطُّلُولِ بِفِعْلِ النُّكُورِ

وامري عظيم وجرمي جسيم	وقالوا مني تمام الامور
وامّلت اني انال المنى	بذاك الحصان فاعيي مسيري
وطول الحيوة اسل الخيول	فكانت وفاتي عند الفقير
وآخر امري اني تعبت	لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فقام كان ماكان وحفر له حفرة وواراه في التراب ثم اتى الى الجواد فقبله ومسح وجهه وفرح فرحا شديدا وقال ما احد حظي بمثل هذا الحصان ولا هو عند الملك ساسان هذا ما جرى لكان ماكان واما ماكان من امر الملك ساسان فانه اتته الاخبار ان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا ان ما لهم ملك غير كان ماكان واستوثق الوزير من العسكر بالعهود والايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم اول من آخر وعزم الوزير ان يقصد بهم مدينة بغداد ويملك تلك البلاد ويقتل من خالفه من العباد واقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملّك كان ماكان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار وعلم ان الدولة انحرفت عليه الصغار والكبار فزاد به الغم وكثر عليه الهم وفتح الخزائن وفرق على ارباب دولته الاموال وتمنى ان كان ماكان يقدم عليه ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله اميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتطفى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد بينما الملك ساسان في اريكته حيران اذ سمع بقدوم كان ماكان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولاقوه ومشوا بين يديه الى القصر يقبلون الاعتاب ودخلت الجواري والطواشية الى امه وبشروها بقدومه فاتت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا اماه دعيني امضي الى عمي الملك ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان هذا وقد تحيرت عقول اهل القصر والدولة في حسن ذلك الحصان وقالوا ما ملك مثل هذا انسان فدخل كان ماكان الى الملك ساسان وسلم عليه فقام له فقبل كان ماكان يديه ورجليه وقدم له الحصان هدية فرحب به وقال له اهلا وسهلا بولدي كان ماكان والله لقد ضاقت بي الدنيا لغيابك والحمد لله على سلامتك

قد عاله كان ماكان ثم نظر الملك الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان
الذى كان رآه من سنة كذا وكذا فى حصار عبدة الصلبان مع ابيه ضوء المكان
حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه ابوك لاشتراه بالف جواد ولكن الآن
عاد العز الى اهله وقد قبلناه ومنالك وهبناه وانت احق به من كل انسان لانك
سيد الفرسان ثم امر الملك ساسان ان يحضروا لكان ماكان الخلع وقاد له
الخيول وافرد له فى القصر اكبر الدور واقبل عليه العز والسرور واعطاه مالا
جزيلا واكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة امر الوزير دندان ففرح بذلك
كان ماكان وزال عنه الذل والهوان ودخل بيته واقبل على امه وقال يا امى
كيف حال ابنة عمى فقالت والله يا ولدى ان شغلى بغيبتك شغلنى عن كل احد
حتى محبوبتك سيما هى كانت سببا لغيبتك وفرقتك فشكى اليها حاله وقال يا امى
امضى اليها واقبلى عليها لعلها تجود علىّ بنظرة وتزيل عنى هذه الحسرة فقالت
له ان المطامع تذل رقاب الرجال فدع عنك ما يفضى الى الوبال فانى لا امضى اليها
ولا ادخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من امه ذلك اخبرها بما قاله السلال
من ان العجوز ذات الدواهى طرقت بلادهم وقصدها ان تدخل بغداد وهى التى
قتلت عمى وجدى ولا بدلى من اخذ الثار واكشف عنا العار ثم ترك امه واقبل
على عجوز نحس عاهرة ماكرة محتالة اسمها سعدانة وشكى اليها حاله وما يجده
من حب بنت عمه قضى فكان وسألها ان تمضى اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز
السمع والطاعة ثم انها فارقته وذهبت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه
ثم عادت اليه واعلمته بان قضى فكان تسلم عليك ووعدتك انها فى نصف
الليل تأتى اليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز لما اتت الى كان ماكان واخبرته ان بنت
عمك تسلم عليك وهى تاتى اليك هذه الليلة فى نصف الليل ففرح كان ما
كان وجلس ينتظر انجاز وعد بنت عمه قضى فكان فما كان نصف الليل الا وهى
اتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت
له كيف تدعى انك تحبنى وانت خلى البال نائم على احسن الحال فانتبه وقال

والله يا منية القلب انى ما نمت الاطمعا فى خيال منك يطرقنى فعند ذلك عاتبته بلطيف الكلمات وانشدت تقول هذه الابيات

لَوْ كُنْتَ تَصْدُقُ فِي الْمَحَبَّةِ مَا	جَنَحْتَ إِلَى الْمَنَام
يَا مُدَّعِي طُرُقِ الْمَحَبَّةِ	فِي الْمَوَدَّةِ وَالْغَرَام
وَاللهِ يَا ابْنَ الْعَمِّ مَا	قَذِيَتْ عُيُونُ الْمُسْتَهَام

فلما سمع كان ماكان ذلك من بنت عمه استحى منها وقام واعتذر اليها وتعانقا وتشاكيا الم الفراق ولم يزالا كذلك الى ان طلع الفجر وانتشر فى الافاق فعزمت قضى فكان على الذهاب فعند ذلك بكى كان ماكان وصعد الزفرات وانشد يقول هذه الابيات

فَيَا زَائِرًا مِنْ بَعْدِ فَرْطِ صُدُودِهِ	وَفِي الثَّغْرِ مِنْهُ الدُّرُّ فِي نَظْمِ عِقْدِهِ
فَقَبَّلْتُهُ أَلْفًا وَعَانَقْتُ قَدَّهُ	وَبِتُّ وَخَدِّي لَاصِقٌ تَحْتَ خَدِّهِ
إِلَى أَنْ أَتَى الصُّبْحُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَنَا	كَحَدِّ حُسَامٍ لَاحَ مِنْ جَوْفِ غِمْدِهِ

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها فاطلعت على سرها بعض الجوارى فذهبت جارية منهن الى الملك فاعلمت الملك ساسان فدخل اليها وجرد عليها الحسام واراد ان يقتلها فدخلت عليه امها نزهة الزمان وقالت له بالله لاتفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان واعلم ان كان ماكان ماهو ولد زنا وانها تربت معه وانه صاحب عرض ومروة ولايفعل امرا يعاب عليه فاصبر ولاتعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم خبر الوزير دندان انه قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ماكان فقال لها والله لابد ان ارميه فى بلية بحيث لاارض تقله ولاسماء تظله وانى ما انعمت عليه وطيبت خاطره الا لاجل اهل مملكتى ودولتى لئلا يميلوا اليه وسوف ترين مايكون ثم تركها وخرج يدبر امر مملكته هذا ماكان من امر الملك ساسان واما ماكان من امر كان ماكان فانه اقبل على امه فى ثانى يوم وقال لها ياامى انى عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالى وحسن حالى خطبت بنت عمى قضى فكان من عمى الملك ساسان فقالت له يا ولدى ان اموال الناس غير سائبة لك لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجا

تاكل السباع وتوحش البقاع وتقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ماكان هيهات ان ارجع عن عزيمتي الا اذا بلغت منيتي ثم ارسل العجوز الى فضى فكان يعلمها انه سائر يتسبب لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لا بد ان تسالها حتى تاتيني منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت اليه بالجواب وقالت له انها تاتى اليك فى نصف الليل فاقام سهرانا الى نصف الليل فاخذه القلق فلم يشعر الا وهي داخلة عليه وهي تقول روحي لك الفداء من السهر فنهض لها قائما وقال يا منية القلب روحي لك الفداء من جميع الاسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكي يابنت العم فانا اسأل الذي حكم علينا بالفراق ان يمن علينا بالتلاقي والوفاق ثم عول كان ماكان على السفر ودخل على امه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القاتول وشق المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رماح خارج من المدينة فلما رآه جرى فى ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال له صباح يا اخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا السيف والثياب وانا الى الآن لا املك غير سيفي وترسي فقال له كان ما كان مايرجع الصياد بصيد الا على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك ان تأتي معي وتخلص النية فى صحبتي وتسافر معي فى هذه البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت انا ديك الا مولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه وكان ماكان وراءه واستغرقوا فى البرار بعدة ايام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفى اليوم الخامس اشرفا على تل عال تحته مرابع وغدير سياح فيها ابل وبقر وغنم وخيول ملأت الروابي والبطاح واولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ماكان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال ليأخذ النياق والجمال فقال الصباح انزل بنا على هذا المال الذي عن اهله وحيد وقاتل معي القريب والبعيد حتى يكون لنا فى اخذ المال نصيب فقال صباح يامولاى ان اصحاب هؤلاء خلق كثيرون وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا فى هذا الخطب الجسيم فاننا نكون من هولهم على خطر عظيم وما يرجع احد منا لاهله سليمان ويخرم من ابنة عمه يتيما فضحك كان ماكان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شن الغارات وصاح وترنم وانشد بهذه الابيات

وَآلُ نُعْمَانَ نَحْنُ ذُو الْهِمَمِ   وَالسَّادَةُ الضَّارِبُونَ فِي الْقِمَمِ
قَوْمٌ إِذَا مَا الصِّيَاحُ قَامَ لَهُمْ   قَامُوا بِأَسْوَاقِهِ عَلَى قَدَمِ
تَنَامُ عَنْ الْفَقِيرِ بَيْنَهُمُ   وَلَا يَرَى فِيهِ صُورَةَ الْعَدَمِ
وَإِنَّنِي أَرْتَجِي مُعَاوَنَةً   مِنْ مَالِكِ الْمُلْكِ بَارِئِ النَّسَمِ

ثم انه حمل على تلك النوق مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدّامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفي اوائلهم فارس تركي الّا انه شد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ماكان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذا الفعال اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية والابطال البحرية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الّا كل بطل عابس وهم مائة فارس الذين خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الّا به فلما سمع كان ماكان هذا الكلام صاح قائلا يا لئام هذا هو الحصان الذي تعنون وانتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين اذني القانول فخرج عليهم مثل الغول وصار كان ما كان عطف على الفارس فطعنه ورماه واخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع اعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فصاح عليهم يا اولاد الزواني سوقوا المال والخيول والاخضبت من دمائكم سناني فساقوا المال واخذوا في الانطلاق فانحدر اليه صباح واعلن بالصياح وزادت به الافراح واذا بغبار طلع وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فهرب صباح وطلع على اعلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفار وقال ما انا فارس الّا في اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس احاطوا بكان ماكان وداروا به من كل جانب ومكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له الى اين تمضي بهذا المال فقال له كان ماكان اخذه واذهب به واحرمك منه فدونك والقتال واعلم ان من دونه اسدا اروع وبطلا سميدع وسيف اينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام نظر اليه فوجده فارسا كالاسد الضرغام الّا ان وجهه كالقمر الطالع ليلة اربعة عشر والشجاعة تلوح بين عينيه وكان ذلك الفارس هو المقدم على المائة فارس واسمه كهرداش

فلما رای الى كان ماكان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من اجمل النساء وجها قد اعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ومن كل معنى لطيف ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تختشى سطوتها وابطال ذاك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لا تتزوج ولا تملك نفسها الا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربنى الا من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى ان يقاتل جارية خاف من العار فقال له بعض خواصه انت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت اقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذه الاحوال فابى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى ان جرت له مع كان ماكان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن فهاب وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ماكان وقال ويلك يا فاتن قد اتيتنى لتريني شجاعتك فانزلى عن جوادك حتى اتحدث معك فانى قد سقت هذه الاموال وخنت للرفيق وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذى ماله مثيل وتزوجينى حتى تخدمك بنات الملوك وتصيرى ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ماكان هذا الكلام صارت نيران غيظه فى اضطرام ونادى ويلك يا كلب الاعجام دع عنك فاتنا وما به تزتاب وتقدم الى الطعن والضراب فعن قريب تبقى على التراب ثم انه جال وصال ومد واستطال فلما نظره كهرداش علم انه فارس همام وبطل ضرغام وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذارا خضر فوق خده كأس نبت خلال ورد احمر فهاب من كرته وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عار ولو كان فارسا شجاعا وقرما مناعا فعند ذلك حمل عليه فارس ضيغم وتحته جواد ادهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كانه الابجر الذى كان لعنتر كما قال فيه الشاعر

قَدْ جَاءَكَ المُهْرُ الَّذِي نَزَلَ الوَغَى	حَزْلاً يَخْلِطُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ	وَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

فحمل على كان ماكان وابتدروتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا بضربا
يحير الافكار ويغشي الابصار فسبقه كان ماكان بضربه تبطل شجاع
فقطعت منه العمامة والمغفرة والى راسه وصلت فمال عن الجواد كانه البعير
اذا انحدر ثم تقدم اليه الثاني وحمل عليه وكذا الثالث والرابع والخامس ففعل
بهم كالاول ثم حملت عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت بهم الحرق
فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فلما نظر كهرداش الى هذه الفعا
خاف من الارتحال وعرف ان عنده ثبات الجنان واعتقد انه اوحد الابطال
والفرسان فقال لكان ماكان قد وهبت لك دمك ودم اصحابي فخذ من المال
ماشئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن ثباتك والحيوة اولى بك
فقال له كان ماكان لاعدمت مروة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز
بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك
طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده مايوجب
العطب فقال لكان ماكان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام في حومة
الزحام فاسأل عني فانا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب للملوك
الكبار وقطع الطريق على جميع السفار واخذ اموال التجار وهذا الحصان الذي تحتك طلبتي
واريدان تعرفني كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان هذا الجواد
كان سائرا الى عمي الملك ساسان وقائدته عجوز كبيرة ومعها عشرة عبيد
فجدموتها وانت تعديت عليها واخذته منها ولنا عندها ثار من جهة جدي الملك
عمر بن النعمان وعمي الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن ابوك لا ام لك فقال
اعلم اني كان ماكان ابن ضوء المكان ابن عمر بن النعمان فلما سمع كهرداش هذا
الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له
توجه بامان فان اباك كان صاحب فضل علينا واحسان فقال له كان ماكان
انا والله ما اوقرك يا مهان حتى اقهرك في حومة الميدان فاغتاظ البدوي
ثم حمل كل منهما على صاحبه وتصايحا فشدت لهما الخيل آذانها ورفعت اذنابها
ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما ان السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا
كالكباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ
عنها كان ماكان ثم كر عليه وطعنه في صدره فاطلع السنان من ظهره

وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ماكان وقال له احسنت يا فارس الزمان انى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم ان صباحا قطع راس كهرداش فضحك كان ماكان وقال له ويلك يا صباح كنت اظن انك فارس الحرب والكفاح فقال له لاتنس عبدك من هذه الغنيمة لعلى اصل بسببها الى زواج بنت عمى نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ماكان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد وروا ما معه من الغنيمة والاموال وراس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار راس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد اراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله واتت اهل بغداد الى كان ماكان يسألونه بما جرى له من الاخبار فاخبرهم بما جرى فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال ساق ما معه الى ان اوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه راس كهرداش الى باب القصر ووهب للناس واعطاهم الخيل والجمال فاحبه اهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم اقبل على صباح وانزله فى بعض الاماكن الفساح واعطاه شيئا من الغنيمة ثم دخل على امه واخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا انى اريد ان ابوح لكم بسرى وابدى لكم مكنون امرى اعلموا ان كان ماكان هو الذى يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع انه له قبائل من الاكراد والاتراك وامرنا معه آيل الى الهلاك واكثر جيشنا من اقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفى بعد الاحسان وخاننى فى الايمان وبلغنى انه جمع عساكر البلدان وقصد ان يسلطن كان ماكان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلى بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له ايها الملك انه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه منا احد واعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه وان شئت بعده ابعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لابد من اخذ الميثاق فتحالفوا على انهم لابد ان يقتلوا كان ماكان فاذا اتى الوزير دندان سمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما اعطوه العهد والميثاق على ذلك اكرمهم

غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان فحصل عندها غم زائد وارسلت الى العجوز التي عادتها ان تاتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها امرتها ان تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها واخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغي بنت عمي سلامي وقولي لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما احسن قول القائل ✤ ✤ ✤

الملكُ لله من يظفرْ بنيلِ مُنًى	يردده قهراً ويضمن نفسه الدركا
لو كانَ لي أو لغيري قدرُ أنملةٍ	من البسيطة كان الأمرُ مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه واخبرتها بما قاله واعلمتها بان كان ماكان اقام في المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يميناً وشمالاً فاطلقها فقال له صباح لاي شيء اطلقت هذه الغزالة فضحك كان ماكان واطلق الباقي وقال له ان من المروءة اطلاق الغزالات التي لها اولاد وما تتلفت تلك الغزالة الا لان لها اولاداً فاطلقتها واطلقت الباقي في كرامتها فقال له صباح اطلقني حتى اروح الى اهلي فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوي كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان ماكان خرج الى الصيد والقنص فارسل اميراً من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارساً ودفع لهم المال ثم امرهم ان يقتلوا كان ماكان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا باهاليها قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ماكان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوي فبينما هو سائر اذ رأى في طريقه شاباً على باب دار فالقى كان ماكان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن في جوانبها يموج

ووضع القصعتين قدام كان ماكان وقال له تفضّل علينا بالاكل من زادنا فامتنع
كان ماكان من الاكل فقال له الشاب مالك ايها الانسان لا تأكل فقال له كان ما
كان انه على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ماكان اعلم ان الملك
ساسان غصب ملكي ظلما وعدوانا مع ان ذلك الملك كان لابي وجدي
من قبلي فاستولى عليه قهرا بعد موت ابي ولم يعتبرني لصغر سني فنذرت
انني لا آكل لاحد زادا حتى اشفي فؤادي من عدوي فقال له الشاب ابشر فقد
وفى الله نذرك واعلم انه مسجون في مكان واظنه ان يموت قريبا فقال له
كان ماكان في اي بيت هو معتقل فقال له في تلك القبة العالية فنظر كان
ماكان الى قبة عالية ورأى الناس في تلك القبة يدخلون وعلى ساسان
يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ماكان ومشى حتى وصل الى تلك القبة
وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل واكل ما تيسر ووضع ما بقي
من اللحم في مزودة ثم جلس في مكانه ولم يزل جالسا الى ان اظلم الليل ونام
الشاب الذي ضيّفه ثم ذهب كان ماكان الى القبة التي فيها ساسان وكان
حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذي في مزوده وما زال يرمي للكلاب
لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك ساسان ووضع
يده على راسه فقال له بصوت عال من انت فقال انا كان ماكان الذي سعيت
في قتله فاوقعك الله في سوء تدبيرك اما يكفيك اخذ ملكي وملك ابي
وجدي حتى تسعى في قتلي فحلف ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع في قتله
وان هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ماكان وقال له اتبعني فقال لا اقدر ان
اخطو خطوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ماكان اذا كان الامر كذلك نأخذ
لنا فرسين ونركب انا وانت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان و
وسارا الى الصباح ثم صليا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان
فجلسوا فيه يتحدثون ثم قام كان ماكان الى ساسان وقال له هل بقي في قلبك
مني امر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم يرجعون الى بغداد فقال
صباح البدوي انا اسبقكما لابشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت
اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهي الانوار
في دياجي الاعتكار فقابلها كان ماكان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح

للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا في كان ماكان وشهد له الفرسان انه
اشجع اهل الزمان وقالوا لا يصح ان يكون سلطانا علينا الا كان ماكان ويعود اليه
ملك جده كما كان واما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له اني
ارى الناس ليس لهم حديث الا في كان ماكان ويصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان
فقال لها ليس الخبر كالعيان فاني رايته ولم ار فيه صفة من صفات الكمال وما كل
ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضا في مدحه ومحبته واجرى الله
على السنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب اهل بغداد والوزير دندان الغادر
الخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون مالك الاقطار ويرضى
ان يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ما ذا عولت
فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا في قصده ويدخل تحت امري
وطاعتي ولا يبقى له الا خدمتي فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب
فكيف بالاقارب والصواب ان تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى
من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا	وكنت احق منه ولو تصاعد
اَنِلْهُ حقّ رتبته تجده	ينيلك ان دنوت وان تباعد
ولا تقل الذي تدريه فيه	تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم في الخدر اجمل من عروس	ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال
لولا ان قتلك عار وشنار لعلوت بالسيف راسك واخمدت انفاسك فقالت حيث
غضبت مني فانا امزح معك ثم وثبت اليه وقبلت راسه ويديه وقالت له الصواب
ما تراه وسوف اتدبر انا وانت في حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح
وقال لها عجلي بالحيلة وفرجي كربتي فلقد ضاق علي باب الحيل فقالت له سوف
اتحيل لك على تلاف مهجته فقال لها باي شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها
باكون فانها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من اخس العجائز وعدم
الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ماكان وقضى فكان غير ان كان
ماكان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك
ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأي هو الصواب ثم احضر

الجارية باكون وحدثها بما جرى وامرها ان تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له امرك مطاع ولكن اريد يا مولاى ان تعطيني خنجرا قد سقى بماء الهلاك لاعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم احضر لها خنجرا يكاد ان يسبق القضا وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وتحفظ النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الدار مفكرة فيما يكون به الدمار واتت الى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضى فكان وكان في تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها في قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهي تقول آن اوان الوصال ومضت ايام الانفصال فلما سمعت ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم انها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ماكان اليها وخلع اثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم اني انام عندك الليلة واحدثك بما سمعت من الكلام واسليك بحديث كل متيم امرضه الغرام فقال لها كان ماكان حدثيني بحديث يفرح به قلبي ويزول به كربي فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل اثوابها فقالت له اعلم ان اعذب ما سمعت اذني ان رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشي في الاسواق ويفتش على شئ يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكلته في اصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية وما زال يغرف الماء على راسه الى ان تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه جلس على الفسقية وما زال يغرف الماء على راسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد احدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت في مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش ان معلما كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على راسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما راى ذلك قال في نفسه

كان هؤلاء غلطوا في او من طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له ان البلان قال له ياسيدى قد ازف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك و قال فى نفسه ماشاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان واخذ بيده وادار على وسطه ميزرا من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحواشج ولم يزالوا به حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطيخة واجلسوه على كرسى من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يامولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع الميزر من وسطه وصار يضحك الى ان غشى عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال فى نفسه مابالهم يخاطبوننى خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم فى هذه الساعة وبعد ذلك يعرفوننى ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا فى رقبتى ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل ان مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها واخرج منها ثلث فوط من الحرير فرمى الاولى على راسه والاخرى على اكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشى قبقابا فلبسه واقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان واجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام راى فى حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يازليط قد جاء الظهر وانت نائم ففتح عينيه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له ان كل هذه اضغاث احلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذى نبهه وقال كنت اصبر حتى لحطه فقال له الناس ما تستحى يا حشاش وانت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو فى المنام فلما سمع كان ماكان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يادادتى ان هذا حديث عجيب فانى ماسمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك

غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ماكان بخارف
حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة
عند راسه حتى مضى غالب الليل فقالت فى نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة
ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ماكان وارادات ذبحه واذا بام كان
ماكان دخلت عليهما فلما راتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف
فصارت تنتفض كانها اخذتها الحمى فلما راتها ام كان ماكان تعجبت ونبهت
ولدها من النوم فلما استيقظ وجد امه جالسة فوق راسه وكان السبب
فى حياته مجيئها وسبب مجئ امه اليه ان قضى فكان سمعت الحديث و
الاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمى الحقى ولدك قبل ان تقتله العاهرة
باكون واخبرتها بما جرى من اوله الى آخره فخرجت وهى لا تعقل ولا تنتظر شيأ
حتى دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما
استيقظه قال لامه لقد جئت يا امى فى وقت طيب ووالدتى باكون حاضرة
عندى فى تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتى عليك هل
تعرفين حكاية احسن من الحكايات التى حدثتنى بها فقالت له الجارية
واين ما حدثتك به سابقاً مما احدثك به الآن فانه اعذب ولكن احكيه
لك فى غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهى لا تصدق بالنجاة فقال لها
مع السلامة ولمحت بمكرها ان امه عندها خبر بما حصل فذهبت الى
حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدى هذه ليلة مباركة حيث
نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فاخبرته بالامر
من اوله الى آخره فقال لها يا والدتى ان الحى ماله قاتل وان قتل لايموت و
لكن الاحوط لنا اننا نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد
فلما اصبح الصباح خرج كان ماكان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد
خروجه حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة الزمان اوجبت خروج
نزهة الزمان ايضاً من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة
الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على
غزو ملك الروم واخذ الثار ثم توجهوا ووقعوا فى اسر الملك
رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح

الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ماكان والوزير دندان وجماعتهم فحضروا
بين يديه واجلسهم بجانبه وامر باحضار الموائد فاحضرت فاكلوا وشربوا
واطمأنوا بعد ان ايقنوا بالموت لما امر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما ارسل
الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد ان اطمأنوا قال لهم الملك انى رايت مناما و
قصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الا الوزير دندان فقال له الوزير
خيرا رأيت يا ملك الزمان فقال له ايها الوزير رأيت انى فى حفرة على صفة بئر
اسود وكان اقواما يعذبونني فاردت القيام فلما نهضت وقعت على اقدامى
وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب
فمددت يدى لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطى بهما
فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا ايها الوزير منامى والذى رايته فى لذيذ
احلامى فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان ان رؤياك تدل على ان لك
اخا او ابن اخ او ابن عم او احدا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو
من الغصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ماكان ونزهة الزمان
وقضى فكان والوزير دندان ومن معهم من الاسارى وقال فى نفسه اذا رميت
رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم ورجعت الى بلادى عن قريب
لئلا يخرج الملك من يدى ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وامره أن يضرب
رقبة كان ماكان من وقته وساعته واذا بداية الملك قد اقبلت فى تلك الساعة
فقالت له ايها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى
الذين فى قبضتى وبعد ذلك ارمى رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل انا واصحابى
عليهم حملة واحدة فنقتل الذى نقتله ونهزم الباقى وتكون هذه وقعة
الانفصال وارجع الى بلادى عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور فى مملكتى فعند
ما سمعت منه دايته هذا الكلام اقبلت عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك
ان تقتل ابن اخيك واختك وابنة اختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ
غيظا شديدا وقال لها يا ملعونة الم تعلمى ان امى قد قتلت وان ابى قد مات مسموما
واعطيتنى خرزة وقلت لى ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لا تصدقينى فى
الحديث فقالت له كل ما اخبرتك به صدق ولكن شأنى وشأنك عجيب وامرى
وامرك غريب فاننى انا اسمى مرجانة واسم امك ابريزة وكانت ذات حسن وجمال

وشجاعتها تضرب بها الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال واما ابوك فانه الملك عمر بن النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولاريب ولارجم غيب وكان قد ارسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذى قد كان وكان اخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند امك الملكة ابريزة فى قصرها ونزلنا واياها فى خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فصارع مع امك وغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام فى قصرها فبلغ ابوها ذلك الخبر من امه العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وكانت امك قد اسلمت على يد شركان اخيك فاخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد سرّا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على ابيك الملك عمر بن النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع فى قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع امك ثلث خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى الثانية لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود يقال له الغضبان واخبرته بالخبر سرا ورغبته فى ان يسافر معنا فاخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت امك قد قربت ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا فى مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدثت العبد نفسه بالخنا فاتى فلما قرب منها راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان فى تلك الساعة قد طلع فى البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشى العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ماراح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى امك ابنته وهى فى ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألنى عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد ابيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد وعند ذلك احتملنا امك وهى قتيلة ودفناها وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت لك الخرزة التى كانت مع الملكة ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال

لم يمكنى ان اخبرك بحقيقة الامر لانى لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد امرنى جدك بالكتمان ولا قدرة لى على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر بن النعمان فلما استقليت بالمملكة لخبرتك وما امكننى ان اعلمك الا فى هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ما عندى من الخبر وانت برأيك اخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة وقالت هذا الملك رومزان اخى من ابى عمر بن النعمان وامه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان اخذته الحدة وصار متحيرا فى امره واحضر فى وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك انه من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر بن النعمان فقام من تلك الساعة وحل كتاف اخته نزهة الزمان فقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها واخذته حنية الاخوة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ماكان وقام ناهضا على قدميه واخذ السيف من يد السياف فايقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فامر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحى حديثك الذى شرحته لى لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم ايها الملك ان هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لى اكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة فى رقبة السلطان كان ماكان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدى اعلم انه قد زاد فى تلك الساعة صدق يقينى لان هذه الخرزة التى فى رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التى وضعتها فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ماكان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى كان ماكان وقالت له ارنى هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فاخذتها

منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها لها فلما صار الخرزتان فى يد الجارية ناولتها الملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ماكان وان اباه الملك عمر بن النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ماكان وعلا الصياح بكثرة الافراح وفى تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الافرنج والروم واما عسكر العراق فانهم قد اقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين وللحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فاخبروه بالخبر فامر قضى فكان ابنة اخيه شركان ان تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عم السلطان كان ماكان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والاحزان حتى وصلت الى الزبلكان وسلمت عليه واعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان ظهر انه عمها وعم كان ماكان وحين اقبلت عليه وجدته باكى العين خائفا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من اولها الى آخرها فزادت افراحهم وزالت اتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ماكان وقد استشاره هو والوزير دندان فى امر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليها ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشتفى غيظنا الا باخذ الثار وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وارباب دولته وفرح السلطان كان ماكان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ارضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم

ان الملك رومزان جلس واجلس ابن اخيه السلطان كان ماكان الى جانبه فقال كان
ماكان الى عمه الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله
ان اعارضك فى ملكك فعند ذلك اشار عليهما الوزير دندان ان يكون الاثنان
فى الملك سواء وكل واحد يحكم يوما فارتضيا بذلك وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح **

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهما اتفقا على ان كل واحد يحكم يوما ثم
اولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح واقاموا على ذلك مدة من
الزمان كل ذلك والسلطان كان ماكان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان وبعد
تلك المدة بينما هم قاعدون فرحانون بهذا الامر واصلاح الشأن اذ ظهر
لهم غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار وقد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث
وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف اسلم فى بلاد الكفر وانهب فى بلادكم
وهى بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال
له انا تاجر من التجار ولى غائب عن الاوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت
فى البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام وان معى كتابا من مدينة دمشق كان قد
كتبه لى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك انى كنت قد اهديت اليه جارية
فلما قربت من تلك البلاد وكان معى مائة حمل من تحف الهند واتيت بها
الى بغداد التى هى حرمكم ومحل امنكم وعدلكم فخرجت علينا عربان ومعهم
اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالى ونهبوا اموالى وهذا شرح حالى ثم
ان التاجر بكى بين يدى الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق اليه
وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ماكان وحلفوا انهم يخرجون اليهم فخرجوا
اليهم فى مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بالوف وذلك
التاجر سار امامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول
الليل الى السحر حتى اشرفوا على واد غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم
قد تفرقوا فى ذلك الوادى وقسموا بينهم احمال ذلك التاجر وبقى البعض
فاطبق عليهم المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك

رومزان هو وابن اخيه كان ماكان فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا نحو
ثلثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم اخذوا ما معهم من مال
التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك
رومزان هو وابن اخيه الملك كان ماكان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع
بين ايديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلثة اشخاص
وهم الذين جمعونا من سائر النواحى والاقطار فقالا لهم ميزوهم لنا باعيانهم فميزوهم
لهما فامرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه
للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعده انهم يعوضون له
جميع ما ضاع منه فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة
الزمان وقد كان هذا التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوى وهى بكر وقدمها
لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ما جرى ثم ان الملك كان ماكان وقف على الكتابين
وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثانى
الذى كانت كتبته للتاجر الذى ضاع منه المال واخبرها كان ماكان بقصة التاجر من اولها
الى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات ووصت
عليه اخاها الملك رومزان وابن اخيها الملك كان ماكان فامر له باموال وعبيد وغلمان
من اجل خدمته وارسلت اليه نزهة الزمان مائة الف درهم من المال وخمسين
حملا من البضائع وقد اتحفته بهدايا وارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له وسلمت
عليه واعلمته انها بنت الملك عمر بن النعمان وان اخاها الملك رومزان وان ابن اخيها
الملك كان ماكان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها واجتماعها
باخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم
دخلت الى خدرها واقام التاجر عندهم ثلثة ايام ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام
وبعد ذلك احضر الملوك الثلثة اشخاص اللصوص الذى كانوا رؤساء قطاع الطريق
وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا انى رجل بدوى اقف فى الطريق
لاخطف الصغار والبنات الابكار وابيعهم للتجار ودمت على ذلك مدة من الزمان
الى هذه الايام واغرانى الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش من
الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا
على اعجب ما رأيت فى خطفك الصغار والبنات فقال لهم اعجب ما جرى لى يا ملوك

الزمان انني من مدة اثنين وعشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس
ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها كانت خدامة وعليها
ثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة في تلك
الساعة وحملتها على جمل وسبقت بها وكان في املي انني اذهب بها الى اهلي في البرية
واجعلها عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديدا فدنوت منها
وضربتها ضربا وجيعا واخذتها وسرت بها الى مدينة دمشق فرآها معي تاجر
فتحير عقله لما رآها واعجبته فصاحتها واراد اشتراؤها مني ولم يزل يزيد لي في
ثمنها حتى بعتها له بمائة الف درهم فعند ما اعطيتها له رأيت منها فصاحة
عظيمة وبلغني ان التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى الملك صاحب دمشق
فاعطاه قدر المبلغ الذي دفعه الي مرتين وهذا يا ملوك الزمان اعجب ما جرى
لي ولعمري ان ذلك الثمن قليل في تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا
ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ما حكاه صار الضياء في وجهها ظلاما و
صاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقدس
بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من
الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت
السيف وقامت الى البدوي لتقتله واذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها
تقتلني حتى احكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن اخيها كان ماكان يا عمتي
دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك
الآن احك لنا حكاية فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني
فقالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم باعجب ما وقع له وقال اعلموا اني من مدة يسيرة
ارقت ليلة ارقا شديدا وما صدقت ان الصباح يصبح فلما اصبح الصباح قمت من وقتي
وساعتي وتقلدت سيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد
والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا ونحن
رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا
فقصدناها ففرت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها ولم تزل شاردة ونحن
خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير
الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم

ندرا في السماء طارت ام في الارض غارت فرددنا رؤس الخيل واردنا الرواح ثم رأينا ان الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا افيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد الياس ورددنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانا في اولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيولنا فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لا نبات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا اخا العرب اخبرني من انت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال اخبرني من انت وما الخيل التي معك فقلت انا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي اعد بين العرب بخمس مائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام التفت الى الجارية المليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وما حضر من الطعام فقامت الجارية تسحب اذيالها والحجول الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم اقبلت وفي يدها اليمنى اناء من فضة مملوء ماء بارد وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وما حضر من لحوم الوحوش فما استطعت ان اخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت

كَأَنَّ الْخِضَابَ عَلَى كَفِّهَا	غُرَابٌ عَلَى ثَلْجَةٍ وَاقِفُ
تَرَى الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ مِنْ وَجْهِهَا	قَرِيبَيْنِ خَافٍ وَذَا خَائِفُ

ثم قلت للشاب بعد ان اكلت وشربت يا وجه العرب اعلم اني اوقفتك على حقيقة خبري واريد ان تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب اما هذه الجارية فهي اختي فقلت اريد ان تزوجني بها طوعا والا اقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك اطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الي وقال لي لقد صدقت

فی دعواك انك فارس معروف وبطل موصوف وانك اسد البيداء ولكن ان هجمتم علیّ غدرا وقتلتمونی قهرا واخذتم اختی فان هذا یكون عارا علیكم وان كنتم علی ما ذكرتم من انكم فرسان تعدون من الابطال ولا تبالون بالحرب والنزال فامهلونی قلیلا حتی البس آلة حربی واتقلد بسیفی واعتقل رمحی واركب فرسی واصیر انا وایاكم فی میدان الحرب فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بی وقتلتمونی فهذه الجاریة اختی لكم فلما سمعت منه هذه الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف ثم رددت رأس جوادی الی خلفی وقد زاد بی الجنون فی محبة تلك الجاریة ورجعت الی اصحابی ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذی عندها وشجاعته وقوة جنانه وكیف یذكر انه یصادم الف فارس ثم اعلمت اصحابی بجمیع ما فی الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع فی تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظیمة وانا اوصیكم ان كل من قتل هذا الغلام یأخذ اخته فقالوا رضینا بذلك ثم ان اصحابی لبسوا آلة حربهم وركبوا خیلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت الیه اخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهی تنادی بالویل والثبور من خوفها علی اخیها وتنشد هذه الابیات

إِلَى اللهِ أَشْكُو مِحْنَةً وَكَآبَةً	لَعَلَّ إِلٰهَ العَرْشِ يُرْهِقُهُمْ رُعْبَا
يُرِيدُونَ قَتْلَكَ يَا أُخَيَّ تَعَمُّدًا	وَلَا شَيْءَ مِنْ قَبْلِ القِتَالِ وَلَا ذَنْبَا
وَقَدْ عَرَفَتْ ذَا الخَيْلِ أَنَّكَ فَارِسٌ	وَأَشْجَعُ مَنْ حَلَّ المَشَارِقَ وَالغَرْبَا
تُحَامِي عَنِ الأُخْتِ الَّتِي قَلَّ عَزْمُهَا	فَأَنْتَ أَخُوهَا وَهْيَ تَدْعُو لَكَ الرَّبَّا
فَلَا تَتْرُكِ الأَعْدَاءَ تَمْلِكُ مُهْجَتِي	وَتَأْخُذُنِي قَهْرًا وَتَأْسِرُنِي غَصْبَا
وَلَسْتُ وَحَقِّ اللهِ أَبْقَى بِبَلْدَةٍ	إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهَا وَإِنْ مُلِئَتْ خِصْبَا
وَأَقْتُلُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً	وَأَسْكُنُ لَحْدًا فِيهِ أَفْتَرِشُ التُّرْبَا

فلما سمع اخوها شعرها بكی بكاء شدیدا ورد رأس جواده الی اخته واجابها علی شعرها بقوله

قِفِي وَانْظُرِي مِنِّي وُقُوعَ عَجَائِبٍ	إِذَا مَا التَقَيْنَا حِينَ أُثْخِنُهُمْ ضَرْبَا
وَإِنْ بَرَزَ اللَّيْثُ المُقَدَّمُ فِيهِمُ	وَأَشْجَعُهُمْ قَلْبًا وَأَثْبَتُهُمْ لُبَّا
سَأَسْقِيهِ مِنِّي ضَرْبَةً ثَعْلَبِيَّةً	وَأَتْرُكُ فِيهِ الرُّمْحَ يَسْتَغْرِقُ الكَعْبَا
وَإِنْ لَمْ أُقَاتِلْ عَنْكِ أُخْتِي فَلَيْتَنِي	قُتِلْتُ وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَنْهَبُنِي نَهْبَا

أُقَاتِلُ عَنْكِ مَا اسْتَطَعْتُ تَكَرُّمًا	وَهٰذَا حَدِيثٌ بَعْدَنَا يَمْلَأُ الْكُتُبَا

فلما فرغ من شعره قال يا اختى اسمعى ما اقوله لك وما اوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكنى احدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا اخى ان اراك صريعا وامكّن الاعداء منى فعند ذلك مد الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودّعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل انتم ضيفان او تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لى منكم فارس بعد فارس فى هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه فارس شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم ابيك فانى حالف انى ما اقتل من اسمه موافق لاسمى واسم ابيه موافق لاسم ابى فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمى بلال فاجابه الشاب بقوله

كَذَبْتَ فِي قَوْلِكَ مِنْ بِلَالِ	وَجِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالْمُحَالِ
اِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاسْتَمِعْ مَقَالِي	اَنَا مُجَنْدِلُ الْاَبْطَالِ فِي الْمَجَالِ
بِصَارِمٍ مَاضٍ كَمَا الْهِلَالِ	فَاصْبِرْ لِطَعْنٍ مُرْجِفِ الْجِبَالِ

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب فى صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يَا اَيُّهَا الْكَلْبُ رَخِيمُ الرِّجْسِ	فَاَيْنَ غَالٍ سِعْرُهُ مِنْ بَخْسِ
وَاِنَّمَا اللَّيْثُ الْكَرِيمُ الْجِنْسِ	مَنْ لَمْ يُبَالِ فِي الْوَغَى بِنَفْسِ

ثم لم يمهله الشاب دون ان تركه غريقا فى دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

اِلَيْكَ اَقْبَلْتُ وَفِي قَلْبِي لَهَبْ	مِنْهُ اُنَادِي عِنْدَ صَحْبِي فِي الْحَرْبْ
لَمَّا قَتَلْتَ الْيَوْمَ سَادَاتِ الْعَرَبْ	فَالْيَوْمَ لَا تَلْقَى فِكَاكًا مِنْ طَلَبْ

فلما سمع الشاب كلامه اجابه بقوله

كَذَبْتَ بِئْسَ اَنْتَ مِنْ شَيْطَانِ	قَدْ جِئْتَ بِالزُّورِ وَبِالْبُهْتَانِ
الْيَوْمَ تَلْقَى فَاتِكَ السِّنَانِ	فِي مَوْقِفِ الْحَرْبِ وَالطِّعَانِ

ثم طعنه فى صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمى هلال فانشد يقول

لحظات اذا اردت خوض بحري	وجئت بالزور وكل الامري
انا الذي تسمع مني شعري	اختلس النفس ولست تدري

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هي السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت اصحابي قد قتلوا قلت في نفسي ان نزلت اليه في الحرب لم اطقه وان هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلني الشاب دون ان انقض علي وجذبني بيده فاطاحني من سرجي فوقعت مغشيا علي ورفع سيفه واراد ان يضرب عنقي فتعلقت باذياله فحملني بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها واقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمني الى اخته وقال لها دونك واياه واحسني مثواه لانه دخل في ذمامنا فقبضت الجارية على اطواق درعي وصارت تقودني كما تقود الكلب ففكت عن اخيها لامة الحرب والبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه و قالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت في الحرب اخي	لوامع غرتي مثل الشعاع
الا لله درك من شجاع	تذل لحربه اسد البقاع
فقلت لها سلي الابطال عني	اذا ما فر ارباب القراع
انا المعروف في سعدي وجدي	وعزمي قد علا اي ارتفاع
ايا حماد قد نازلت ليثا	يريك الموت يسعى كالافاعي

فلما سمعت شعره حرت في امري ونظرت الى حالتي وما صرت اليه من الاسر وتصاغرت الي نفسي ثم نظرت الى الجارية اخت الشاب والى حسنها فقلت في نفسي هذه سبب الفتنة وصرت اتعجب من جمالها واجريت العبرات وانشدت هذه الابيات

خليلي كف عن لومي وعذلي	فاني للملامة غير واع
كلفت بغادة لم تبد الا	دعتني في محبتها الدواعي
اخوها في الهوى امسى رقيبي	وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام فدعاني الى الاكل معه ففرحت وامنت على نفسي من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب في راسه واحمر وجهه فالتفت الي وقال لي ويلك ياحماد هل تعرفني ام لا فقلت وعيشك ما ازددت الا جهلا فقال يا حماد انا عباد

بن تميم بن تغلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حيّاني بقدح شربته وحيّاني بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمني وحلفني الى لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين انى لا اخونه قط بل اكون له معينا فعند ذلك امر اخته ان تاتيني بعشر خلع من الحرير فاتت بها وافرغتها على بدني وهذه بدلة منها على جسدي وامرها ان تاتيني بناقة من احسن النياق فاتتني بناقة محملة من التحف والزاد وامرها ايضا ان تحضر لي الحصان الاشقر فاحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك واقمت عندهم ثلثة ايام في اكل وشرب والذى قد اعطاه لى موجود عندى الى الآن وبعد الثلثة ايام قال لي يا اخي يا حماد اريد ان انام قليلا لاريح نفسى وقد استأمنتك على نفسى فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بني تغلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس الى ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت رأسه عن جثته فعلمت بي اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقت ماعليها من الثياب وانشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ ان ذا اشأم الخبر	وما للامرئ مما الحكيم قضى مفر
وانت صريع يا اخي متجندل	ووجهك يحكي حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيتهم	ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب	ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
واصبح حماد لك اليوم قاتلا	وقد خان ايمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا ان ينال مراده	لقد كذب الشيطان في كل ما امر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ملعون الجدين لماذا قتلت اخي وخنته وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده ايضا ان يزوجني لك في اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمة في الارض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلي ومن خوفي وعجلتي لم التفت الى احد من اصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية اعجب من حكاية الاولى مع البنت الخدامة التى خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل

النور في عينها بالظلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من البدوي هذا الكلام تبدل الضياء في عينها بالظلام وقامت جردت السيف وضربت به البدوي حمادا على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لاي شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في اجلي حتى اخذت ثاري بيدي ثم انها امرت العبيدان يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فاصدقنا في حديثك قال انا اسمي الغضبان واخبرهم بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي احياني واخذت ثار امي بيدي واخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذي اكتراه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذي في دمشق الشام فذهب به والقاه في المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق في حديثك فحكى له جميع ماوقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه في المارستان وكيف جاء له اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب بعد ان رماه على المزبلة التي بجانب مستوقد الحمام فلما تم كلامه اخذ السلطان كان ماكان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذي احياني حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابي فانني سمعت هذه الحكاية بعينها من والدي السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقي علينا الا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا في الرزايا ومن لنا بها حتى ناخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ماكان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل

والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريد ان تحضري عندي
من كل بدّ انت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن
شئتم من اكابر النصارى من غير عسكر فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا
فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا
وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هي والملكة صفية ام نزهة الزمان ومن صحبهم
ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول واخبرهم بحضورها فقال
رومزان المصلحة تقتضي اننا نلبس لبس الافرنج ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها
وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان
قالت وحق الرب المعبود لولا اني اعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدمهم امامهم
وخرجوا يقابلون العجوز في الف فارس فلما وقعت العين في العين ترجّل رومزان
عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على
اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ماهذا يا ولدي فلم تتم كلامها حتى نزل اليهما
كان ماكان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجواري والغلمان
واخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وامرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها
ثلثة ايام ثم اخرجوا العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وعلى رأسها طرطور احمر
من الخوص مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادي هذا جزاء من يتجارى على
الملوك وعلى اولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى اصحابها ماجرى
لها اسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ماكان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان
تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وامروا الكتاب ان يؤرخوها في الكتب حتى تقرأ من بعدهم
واقاموا بقية الزمان في اهنأ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات
وهذا آخر ما انتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر بن النعمان وولده شركان
وولده ضوء المكان وولد ولده كان ماكان وبنته نزهة الزمان وبنتها قضى فكان
ثم ان الملك قال لشهرزاد اشتهي ان تحكي لي شيأ من حكاية الطيور فقالت لها اختها
لم ار الملك في طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة وارجو ان تكون
عاقبتك معه محمودة وكان الملك ادركه النوم فنام وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان طاؤوس يأوي الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غير انه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاؤوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان في طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في تلك الجزيرة واكلا من اثمارها وشربا من انهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة اقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التي عليها الطاؤوس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاؤوس في ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت انني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاؤوس لا تخافي حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي وغمي بقربكما وقد اتيت راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاؤوس وقالت لها اهلا وسهلا ومرحبا لا باس عليك ومن اين يصل الينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر فمن البر لا يقدر ان يصل الينا ومن البحر لا يمكن ان يطلع علينا فابشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمي ايتها الطاؤوسة انني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا ارى مكروها فنمت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني واخاطبه وسمعت قائلا يقول لي ايتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمي ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم احد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وانا الى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته

ويصيدنى بحبائله ولم يات على آخر النهار الا وقد ضعفت قوتى وبطلت همتى ثم انى اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت امشى وخاطرى مكدر وقلبى مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا اصفر اللون فلما رآنى ذلك الشبل فرح بى فرحا شديدا واعجبه لونى وكونى لطيفة الذات فصاح علىّ وقال لى اقربى منى فلما قربت منه قال لى ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمى بطة وانا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت فى هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدى الاسد له ايام وهو يحذرنى من ابن آدم فاتفق انى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لى نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا اسد انى قد لجأت اليك فى ان تقتل ابن آدم وتجزم رأيك فى قتله فانى اخاف على نفسى منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفى من خوفك من ابن آدم مع انك سلطان الوحوش ومازلت يا اختى احذر الشبل من ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كان فيه ومشى وتمشيت وراءه ففرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وانا امشى وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجرى وتارة يتمرغ فلما رآه الاسد صاح عليه فاتى اليه خاضعا فقال له ايها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السلطان انا جنسى حمار وسبب قدومى الى هذا المكان هروبى من ابن آدم فقال له الشبل وهل انت خائف من ابن آدم ان يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفى ان يعمل حيلة علىّ ويركبنى لان عنده شيأ يسميه البرذعة فيجعلها على ظهرى وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطنى وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبى وشيأ يسميه اللجام فيجعله فى فمى ويعمل لى منخاسا ينخسنى به ويكلفنى ما لا اطيق من الجرى واذا عثرت لعننى وان نهقت شتمنى وبعد ذلك اذا كبرت ولم اقدر على الجرى يجعل لى رحلا من الخشب ويسلمنى الى السقايين فيحملون الماء على ظهرى من البحر فى القرب ونحوها كالجرار ولا ازال فى ذل وهوان وتعب حتى اموت فيرمونى فوق التلال للكلاب فاىّ شئ اكبر من هذا الهم واىّ مصيبة اكبر من هذه المصائب فلما سمعتُ ايها الطاؤوسة كلام الحمار اقشعر جسدى من ابن آدم

وقلت للشبل يا سيدي ان الحمار معذور وقد زادني كلامه رعبا على رعبي فقال للشبل للحمار الى اين انت سائر فقال له الحمار اني نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها انا اريد ان انطلق ولم ازل اجري من شدة خوفي منه فعسى اجد لي موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك الكلام وهو يريد ان يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينيه الى ناحية الغبرة وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الاسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل فقال له يا سيد الوحوش انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال له لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وانت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن ادم مع عظم جثتك وسرعة جريك وانا مع صغر جسمي قد عزمت على ان التقي مع ابن آدم فابطش به واكل لحمه واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها في وطنها وها انت لما اتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك وارجعتني عما اردت ان افعله فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع انك لو رفصته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كاس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من شدة حيله ومكره يصنع لي شيأ يقال له الشكال ويضع في اربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام واذا اراد ان يركبني يعمل لي شيأ في رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطي ويضع في فمي شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عن ما اقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهري ولم اقدر على سرعة الجري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون فلا ازال دائرا فيها ليلا ونهارا الى ان اهرم فيبيعني للجزار

فيذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في اثري فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام واذا بغبرة قد ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يبعبع ويخبط برجليه في الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن انه ابن آدم فاراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما انا يا اختي مع الشبل في هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك في هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع في انفي خيطا ويسميه خزاما ويجعل في رأسي مقودا ويسلمني الى اصغر اولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملونني اثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملونني في الاشغال الشاقة آناء الليل والنهار واذا كبرت وشخت او انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عن ما اقاسي من ابن آدم فقال له الشبل اي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب واظنه يأتي عند انصرافي فلم يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى اهج في البراري والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف افترسه واطعمك من لحمه واهشم عظمه واشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان انا خائف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر ثم انشد قول الشاعر

فما للساكنين سوى الرحيل	اذا حل الثقيل بارض قوم

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام واذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول في مشيه وما زال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا اختي وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام ومشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار في وجهه وقال له بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اسعد الله مساك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك اجرني

تمادها نى و بشره زمانى لانى ما وجدت لى نصيراً غيرك ثم ان النجار وقف بين
يدى الاسد وبكى وان واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له اجرتك مما تختشاه فمن
الذى قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذى ما رأيت عمرى مثلك ولا احسن
صورة ولا افصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار ياسيد الوحوش اما انا فنجار واما
الذى ظلمنى فانه ابن آدم وفى صباح هذه الليلة يكون عندك فى هذا المكان فلما
سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وشخر ونخر وارتمت
عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرنّ فى هذه الليلة الى الصباح ولا ارجع الى
والدى حتى ابلغ مقصدى ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انى ارى خطوك
قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لانى ذو مروءة واظن انك لا تقدر ان تماشى الوحوش
فاخبرنى الى اين تذهب فقال له النجار اعلم اننى رائح الى وزير والدك الفهد لانه
لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفاً عظيماً وارسل اليّ
رسولاً من الوحوش لاصنع له بيتاً يسكن فيه و يأوى اليه ويمنع عنه عدوّه حتى
لا يصل اليه احد من بنى آدم فلما جاءنى الرسول اخذت هذه الالواح وتوجهت
اليه فلما سمع الشبل كلام النجار اخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لابد ان تصنع
لى هذه الالواح بيتاً قبل ان تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلى فامض الى الفهد
واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له ياسيد الوحوش ما اقدر ان
اصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم اجئ الى خدمتك واصنع لك بيتاً
يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع
لى هذه الالواح بيتاً ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه واراد ان يمزح معه فلطشه
بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشياً عليه فضحك الشبل عليه وقال له
ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع
النجار على ظهره اغتاظ غيظاً شديداً ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه فقعد
النجار على حيله وضحك فى وجهه وقال له ها انا اصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح
التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحاً
لانه جعله على صورة الصندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء كبيراً وثقب
فيه ثقباً كثيرة واخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل فى هذا البيت من هذه
الطاقة حتى اقيسه عليك ففرح الشبل بذلك واتى الى تلك الطاقة فرآها ضيقة

فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق فبقى ذنبه خارجا فى آخره فاراد الشبل ان يتأخر الى ورائه ويخرج فقال له النجار امهل واصبر حتى انظر هل يسع ذنبك معك فامتثل الشبل امره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره فصاح الشبل قائلا يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى اخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على ما فات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت فى القفص وما بقى لك خلاص من ضيق الاقفاص يا اخبث الوحوش فقال يا اخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به فقال له النجار اعلم يا كلب البر انك قد وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا اختى علم انه ابن آدم الذى حذره منه ابوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وانا ايضا تحققت انه هو بلا شك فيه ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت انظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا اختى ابن آدم حفر حفرة فى ذلك المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة والقى عليه الحطب واحرقه بالنار فكبر يا اختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاؤوسة من البطة هذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الطاؤوسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا اختى انك امنت من ابن آدم لاننا فى جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى ان يسهل الله امرك وامرنا قالت انى اخاف ان يطرقنى طارق والقضاء لا ينفعك عنه ابق فقالت اقعدى عندنا وانت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا اختى انت تعلمين قلة صبرى ولولا انى رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاؤوسة ان كان على جبيننا شئ نستوفاه وان كان دنا اجلنا فمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها واجلها فبينما هما فى هذا الكلام انطلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القضاء والقدر فبعد ساعة انكشفت الغبرة وبان من تحتها ظبى فاطمأنت البطة والطاؤوسة ثم قالت

للبطة يا اختي ان الذي نظرت وحذرت منه ظبي وها هو قد اقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبي انما ياكل الحشايش من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئني ولا تهتمي فان الهم ينحل البدن فلم تتم الطاؤوسة كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت ظل الشجرة فلما رأى الطاؤوسة والبطة سلم عليهما وقال لهما اني دخلت الى هذه الجزيرة اليوم فلم ار اكثر منها خصبا ولا احسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاؤوسة تودده اليهما اقبلتا عليه ورغبتا في عشرته فصار قوا وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم ومشربهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فارست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا اجتماع الظبي والطاؤوسة والبطة فاقبلوا عليهم فلما رأتهم الطاؤوسة صعدت الى الشجرة ثم طارت في الجو وشرد الظبي في البرية فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاؤوسة ماجرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا ارى الآفات الا مراصدة لكل احد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاؤوسة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهناها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد اخذها العدو وكرهت المقام في تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وانشدت تقول

انَّ يومَ الفِراقِ قطَّعَ قلبي	قطَّعَ اللهُ قلبَ يومِ الفِراقِ

ثم قالت ايضا هذا البيت

تمنَّيتُ الوِصالَ يعودُ يوماً	لِاُخبِرَهُ بِما صنعَ الفِراقُ

فاغتم الظبي غما شديدا ثم رد عزم الطاؤوسة عن الرحيل فاقامت مع الظبي آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاؤوسة يا اختي قد علمت ان الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهم ومن مكر بني آدم وخداعه قالت قد علمت يقينا ان ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها اني اخاف عليك من تركك للتسبيح لان كل شئ خلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع كلام الطاؤوسة قال احسن الله صورتك واقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان تسبيح الظبي سبحان الديان ذي الجبروت والسلطان

ان بعض العباد كان يتعبد فى بعض الجبال وكان يأوى الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوى سوى الجبل الذى فيه العابد وكان السبب فى اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول فى تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم الرزق وبانى السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام فى ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق فى المدن والقرى والجبال وقيل انه كان فى بعض الجبال رجل من الرعاة وكان صاحب دين وعقل وعفة وكان له اغنام يرعاها وينتفع بالبانها واصوافها وكان ذلك الجبل الذى يأوى اليه الراعى كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ولا على غنمه ولم يزل مقيما فى الجبل مطمئنا لا يهمه شئ من امر الدنيا لسعادته واقباله على صلوته وعبادته فقدر الله انه مرض مرضا شديدا فدخل العابد فى كهف الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوى بالليل الى الكهف فاراد الله تعالى ان يختبر ذلك الراعى ويمتحنه فى طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك فى صورة امرأة حسناء فجلس بين يديه فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها ايتها المرأة ما الذى دعاك الى المجئ هنا وليس لى حاجة بك ولا بينى وبينك ما يوجب لدخولك عندى فقالت له ايها الانسان اما ترى حسنى وجمالى وطيب رائحتى اما تعلم حاجة النساء من الرجال والرجال من النساء فما الذى يمنعك منى وقد اخترت قربك واحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا احد نخشاه واريد ان اقيم معك طول مقامك فى هذا الجبل واكون انيسة لك فقد عرضت نفسى عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وانت ان باشرتنى زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على ما فاتك من قرب النساء فى سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصحى وادن منى فقال لها الراعى اخرجى عنى ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا ادنو

منك ولا حاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الآخرة ومن رغب في الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلي بصحبتك فقالت له ايها التايه عن السداد والضال عن طريق الرشاد اقبل بوجهك الي وانظر الى محاسني واغتنم قربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة واصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما اساء هم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك فقال لها الراعي ان كلما تقولينه نكرته وكرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك اخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والخسران فارجعي عني ايتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم القى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج عنه وصعد الى السماء وكان قريبا من الراعي قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم مكانه فرأى في منامه كأن قائلا يقول له ان بالقرب منك في مكان كذا رجلا صالحا فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره فلما اصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين ماء تجري فاستراح هناك وجلس في ظل تلك الشجرة فاذا هو بوحوش وطيور اتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا منه ورجعوا وشردوا فقال العابد لا حول ولا قوة الا بالله اني لم استرح هنا الا ضررا على هذه الوحوش والطيور فقام وقال معاتبا لنفسه لقد اضر بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان فما العذر لربي و بين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فاني كنت سببا لشرودهم عن شربهم وعن رزقهم ومرعاهم فواخجلتي من ربي يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم بكى وانشد يقول هذه الابيات

اَمَا وَاللّٰهِ لَوْ عَلِمَ الْاَنَامُ	لِمَا خُلِقُوْا لَمَا غَفَلُوْا وَنَامُوْا
فَمَوْتٌ ثُمَّ بَعْثٌ ثُمَّ حَشْرٌ	وَتَوْبِيْخٌ وَاَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ اِذَا اُنْهِيْنَا اَوْ اُمِرْنَا	كَاَهْلِ الْكَهْفِ اَيْقَاظٌ نِيَامُ

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى سائحا على وجهه حتى اتى الى الراعي فدخل اليه وسلم عليه فرد عليه السلام

وعانقه وبكى فقال له الراعي ما الذي اتى بك الى هذا المكان الذي لم يدخله احد من الناس علىّ فقال له العابد اني رأيت في منامي من يصف لي مكانك ويأمرني ان اسير اليك واسلم عليك فاتيتك ممتثلا لما امرتُ به فقبله الراعي وطابت نفسه بصحبته وجلس معه في الجبل يعبدان الله في ذلك الغار فحسنت عبادتهما ولم يزالا في ذلك المكان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم والبانها متجردين عن المال والبنين الى ان اتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما فقال الملك يا شهرزاد لقد زهدتني في ملكي وندمتني على ما فرط مني في قتل النساء والبنات فهل عندك شيء من حديث الطيور قالت نعم زعموا ان طير الماء صعد على صخرة في وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف واذا هو برمة انسان جرها الماء حتى اسندها الى تلك الصخرة وقد انتفخت وارتفعت فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم فوجد فيها ضرب سيوف وطعن رماح فقال طير الماء في نفسه اظن ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة فقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء حائرا وهو يتعجب فبينما هو كذلك واذا بنسور وعقبان احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لا صبر لي على الاقامة في هذا المكان فطار منه يفتش على موضع يأويه الى حين تنفد تلك الجيفة وتروح سباع الطيور عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا في وسطه شجرة فنزل عليها متغيرا كئيبا حزينا على فراق وطنه وقال في نفسه ما زالت الاحزان تتبعني وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله اليّ فصار فرحي غما وسروري حزنا وهما فاخذتها وافترستها سباع الطيور مني وحالوا بيني وبينها فكيف ارجو ان اكون سالما في هذه الدنيا من الكدر واطمئن اليها وقد قيل في المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحثو عليه التراب اعز الناس اليه واقربهم لديه وما للفتى خير من الصبر على همومها ومكارهها وقد فارقت مكاني ووطني وكنت كارها الفرقة لاخواني واحبابي وخلاني فبينما هو في فكرته واذا بذكر من السلاحف قد انحدر الى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدي ما الذي جنبك وابعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما احسن قول بعض الشاعر

اذا حلّ الثقيل بارض قوم	فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف ان كان الامر كما وصفته والحال مثل ذكرته فانا لا ازال بين يديك ولا افارقك لاقضى لك حاجتك وانى بخدمتك فانه قيل لا وحشة اشد من وحشة الغريب المنقطع عن اهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدلها شئ من المصائب واحسن ما يسلّى به العاقل نفسه الاستيناس فى الغربة والصبر على الرزية والكربة وارجو ان تحمد صحبتى معك واكون لك خادما ومعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت فى قولك ولعمرى انى وجدت للفراق الما وغما مدة بعدى عن مكانى وفراقى لاخوانى وخلاّنى لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكّر واذا لم يجد الفتى من يسلّيه من الاصحاب ينقطع عنه الخير ابدا ويثبت الشر سرمدا وليس للعاقل الاّ التسلى بالاخوان عن الهموم فى جميع الاحوال وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على المصيبة ونوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع فى كل امر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروتك وما زالا يتحدثان مع بعضهما الى ان قال طير الماء للسلحف انا لم ازل اخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء اقبل عليه وقبّله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تتبرك بك وتعرف فى مشورتك الخير فكيف تحمل الهمّ والضير ولم يزل يسكّن روع طير الماء حتى اطمأنّ ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الاّ عظاما فرجع واخبر السلحف بزوال العدوّ من مكانه وقال له اعلم انى احبّ الرجوع الى مكانى لاتملّى بخلاّنى فانه لا صبر للعاقل على فراق وطنه فاتيا الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافانه فانشد طير الماء يقول

ولربّ نازلة يضيق لها الفتى	ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها	فرجت وكنت اظنها لا تفرج

ثم انهما سكنا فى تلك الجزيرة فبينما طير الماء مسرورا آمنا اذ ساق القضاء اليه بازيا جائعا فضربه بمخلبه فى بطنه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه تسبيحه سبحان ربنا فيما قدّر ودبّر سبحان ربنا فيما اغنى وافقر هذا ما كان من حديث طير الماء وجوارح الطيور فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتنى بحكاياتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شئ من حكايات الوحوش

قالت نعم

اعلم

ايها الملك ان ثعلبا وذئبا الفا وكرا فكانا يأويان اليه مع بعضهما ويبيتان فيه وكان الذئب قاهرا للثعلب فلبثا على ذلك مدة من الزمان فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له اعلم ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها من مكان الى مكان وكل ذلك من حيله ومكره فعليك بالرفق والانصاف وترك الشر والاعتساف فانه اهنى لعيشك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الرد وقال له مالك والكلام في عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه فلما افاق ضحك في وجه الذئب واقبل معتذرا اليه من الكلام الشين قائلا له هذين البيتين شعر

إِنْ كُنْتُ قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا سَالِفًا	فِي حُبِّكُمْ وَأَتَيْتُ شَيْئًا مُنْكَرًا
أَنَا تَائِبٌ عَمَّا جَنَيْتُ وَعَفْوُكُمْ	يَسَعُ الْمُسِيءَ إِذَا أَتَى مُسْتَغْفِرًا

فقبل الذئب عذره وكف عنه اشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا بمعزل عن ما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تقولن عن ما لا تسأل عنه ولا تجب ما لا تدعى اليه وذر الذى لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذلن النصيحة للاشرار فانهم يجازونك عليها شرا فلما سمع الثعلب كلام الذئب تبسم في وجهه ولكنه اضمر له مكرا وقال لابد ان اسعى واكون سببا لهلاك هذا الذئب وصبر على اذى الذئب وقال في نفسه ان البطر والافتراء يكونان سببا للهلاك ويوقعان في الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف و الاداب اشرف الاكتساب ومن الرأي مداراة هذا الباغي ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال له ان الرب يغفر للعبد المذنب ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب وانا عبد ضعيف وقد ارتكبت في نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لي من الم

لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكني لا اشتكي من الرهذه
اللطمة بسبب ما حصل لي بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت مني مبلغا عظيما
عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب اوله صعب شديد وآخره احلى
من العسل المصفى فقال الذئب قد غفرت ذنبك واقلت عثرتك فكن من قوتي
على حذر واعترف لي بالعبودية فقد علمت قهري لمن عاداني فسجد له الثعلب
وقال له اطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من
الذئب مداريا مصانعا له ثم ان الثعلب اتى الى الكرم يوما فرأى في حائطه
ثلمة فانكرها وقال في نفسه ان هذه الثلمة لا بد لها من سبب وقد قيل في المثل
من رأى خرقا في الارض فلم يجتنبه ويتوقى عن الاقدام عليه كان بنفسه مغرورا و
للهلاك متعرضا وقد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب في الكرم حتى يقدم
اليه العنب في الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع في الهلاك واني
ارى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل في المثل الحذر نصف الشطارة ومن الحذر ان ابحث
هذه الثلمة وانظر لعلي اجد عندها مكيدة تؤدي الى التلف ولا يحملني الطمع
على ان القي نفسي في الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر وتأملها فاذا هي
حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذي يفسد الكرم
فقال لنفسه انك نلت ما املته ورأى عليها غطاء خفيفا رقيقا فتأخر عنها وقال
الحمد لله حيث حذرتها وارجو ان يقع فيها عدوي الذئب الذي نغص عيشي
فيخلو لي الكرم واستقل به وحدي واعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا
عاليا وانشد يقول

لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ هٰذَا الْوَقْتَ	فِي ذِي الْبِئْرِ ذِئْبَا
طَالَ مَا قَدْ سَاءَ قَلْبِي	وَسَقَانِي الْمُرَّ عَضْبَا
لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ هٰذَا	أَبْقَى وَيَقْضِي الذِّئْبُ نَحْبَا
ثُمَّ يَخْلُو الْكَرْمُ مِنْهُ	وَأَرَى لِي فِيهِ نَهْبَا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى اتى الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامر
الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئا لك بما فتح الله عليك وسهل لك
من تلك الغنيمة السائغة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل
على ما وصفت قال اني انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات وافترسه

الذئب ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب في قول الثعلب وادركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب منها فتا كالميت وتمثل بهذا البيت شعر

أَتَطْمَعُ مِنْ لَيْلَى بِوَصْلٍ وَإِنَّمَا	تُضَرُّ بِأَعْنَاقِ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة التسليق وهدم حائط البستان وعلى الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة هوى فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزال عنه الهم والترح واطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

رَقَّ الزَّمَانُ لِحَالَتِي	وَرَثَى لِطُولِ تَحَرُّقِي
وَأَنَالَنِي مَا اشْتَهِي	وَأَزَالَ مِمَّا أَتَّقِي
فَلَأَصْفَحَنَّ عَمَّا جَنَا	هُ مِنَ الذُّنُوبِ السُّبَّقِ
فَالذِّئْبُ لَيْسَ لَهُ خَلَا	صٌ مِنْ هَلَاكٍ مُوبِقِ
وَالْكَرْمُ لِي وَحْدِي وَمَا	لِي مِنْ شَرِيكٍ أَحْمَقِ

ثم انه نظر في الحفرة فرأى الذئب يبكي ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له امن رحمتك لي بكيت يا ابا الحصين قال لا والذي قذفك في هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضي واسفا على كونك لم تقع في هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعي بك لكنت ارحت واسترحت ولكن ابقيت الى اجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له الذئب كالمازح ايها المسيء في فعله رح لوالدتي واخبرها بما حصل لي لعلها تحتال على خلاصي فقال له الثعلب لقد اوقعك في الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت في حفرة لست منها بسالم الم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل السائر يقول من لم يفكر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا ابا الحصين انما كنت تظهر محبتي وترغب في مودتي وتخاف من شدة قوتي فلا تحقد علي بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان اجره على الله وقد قال الشاعر

ازْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ	مَا خَابَ قَطُّ جَمِيلٌ أَيْنَمَا زُرِعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ	فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زَرَعَا

فقال

فقال له الثعلب يا اجهل السباع واحمق الوحوش في البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وانت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا	إِنَّ الظَّلُومَ عَلَى حَدٍّ مِنَ النِّقَمِ
تَنَامُ عَيْنَيْكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ	يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللّٰهِ لَمْ تَنَمِ

فقال له الذئب يا ابا الحصين لا تؤاخذني بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من احسن الذخائر وما احسن قول الشاعر

بَادِرْ بِخَيْرٍ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا	فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ أَنْتَ مُقْتَدِرًا

ولم يزل الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شئ تخلصني به من الهلاك فقال له الثعلب ايها الذئب الجاهل المغرور الماكر الغادر لا تطمع في الخلاص فان هذا جزاء لقبيح فعالك وقصاص لجزائك بالشدقين وانشد هذين البيتين

لَا تُكْثِرَنَّ خِدَاعِي	فَلَنْ تَنَالَ مَنَالَا
مَا رُمْتَ مِنِّي مُحَالٌ	زَرَعْتَ فَاحْصُدْ وَبَالَا

فقال له الذئب يا حليم السباع انت عندي اوثق من ان تسلمني في هذه الحفرة ثم بكى واشتكى وافاض دمع العينين وانشد هذين البيتين

يَا مَنْ أَيَادِيهِ عِنْدِي غَيْرُ وَاحِدَةٍ	وَمَنْ مَوَاهِبُهُ تَنْمُو عَنِ الْعَدَدِ
مَا نَابَنِي مِنْ زَمَانِي قَطُّ نَائِبَةٌ	إِلَّا وَجَدْتُكَ فِيهَا آخِذًا بِيَدِي

فقال له الثعلب ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لا رغبة في احسانك والان نزلت بك الرجفة وحلت بك النقمة وانشد هذين البيتين

يَا أَيُّهَا الْمُلْتَمِسُ الْخَدِيعَةْ	وَقَعْتَ فِي نِيَّتِكَ الشَّنِيعَةْ
فَذُقْ وَبَالَ الْمِحْنَةِ الْفَظِيعَةْ	وَكُنْ مَعَ الذِّئَابِ فِي قَطِيعَةْ

فقال له الذئب ايها الحليم لا تكن بلسان اهل العداوة ناطقا وبعينهم محدقا وكن وافيا بعهد ائتلافي قبل ان يفوت وقت التلافي وقم وتسبب لي في حبل تشد طرفه في شجرة وتدلي طرفه الاخر الي حتى اتعلق به لعلي انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ما حوته يدي من الذخائر فقال له الثعلب لقد

اكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا تطمع في ذلك فلن تنال مني ما تمسك
به نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لي من الغدر والمكر واين
انت من الرجم بالحجارة واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة
ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فبئس القرار فقال له الذئب يا ابا الحصين كن
قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خلص نفسا
من الهلاك فقد احياها ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولا تتبع الفساد
فان الحكماء نهوا عنه ولا فساد اظهر من كوني في تلك الحفرة اتجرع غصص الموت
وانظر الى الهلاك وانت قادر على خلاصي من الارتباك فجد علي بالخلاص و
افعل معي جميلا فقال له الثعلب ايها الفظ الغليظ اني اشبهك في حسن علانيتك
وقولك واقبس قبح نيتك وفعلك بالبازي مع الحجل فقال الذئب وكيف ذلك
فقال الثعلب دخلت يوما كرما لاكل من عنبه فبينما انا فيه اذ رايت بازيا انقض
على حجل فلما علقه واقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه
البازي وناداه ايها الجاهل اني رأيتك في البرية جائعا فرحمتك والتقطت
لك حبا وامسكتك لتأكل فهربت مني ولم اعرف لهروبك وجها الا الحرمان
فاظهر وخذ ما اتيتك به من الحب فكله هنيأ مريأ فلما سمع الحجل قول البازي
صدقه وخرج اليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل هذا الذي
ذكرت انك اتيت لي به من البرية وقلت لي كله هنيأ مريأ فكذبت علي جعل الله
ما تأكله من لحمي في جوفك سما قاتلا فلما اكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات
لوقته ثم قال له الثعلب اعلم ايها الذئب ان من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريبا
وانت غدرت بي اولا فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الامثال و
لا تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما انا فيه من سوء الحال لاني قد
حصلت في موضع يرثي لي منها العدو فضلا عن الصديق واصنع حيلة اتخلص
بها وكن فيها غياثي وان كان عليك في ذلك مشقة فقد يتحمل الصديق
لصديقه اشد النصب ويخاطر بنفسه فيما فيه نجاته من العطب فقد قيل
ان الصديق الشفيق خير من الاخ الشقيق فان تسببت في نجاتي ونجوت
لاجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لاعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح
به الكروم الخصبة وتجني الاشجار المثمرة فطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب

وهو يضحك ما احسن ما قالته العلماء فى كثير الجهل مثلك قال الذئب وما
قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء ان الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدا
من العقل قريبا من الجهل واما قولك ايها المغرور الماكر الاحمق قد يتحمل الصديق
المشقة فى تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفنى بجهلك وقلة عقلك
كيف اصادقك مع خيانتك احسبتنى لك صديقا وانا لك عدو شامت وهذا
الكلام اشد من القتل ورشق السهام ان كنت تعقل واما قولك تدفع لى من الآلة
ما يكون عدة لى وتعلمنى من الحيل ما اصل به الى الكرم المخصبة واجتنى به
الاشجار المثمرة فما لك ايها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها
من الهلاك فما ابعدك من المنفعة لنفسك وما ابعدنى من القبول لنصيحتك
فان كان عندك حيلة فتحيل لنفسك فى الخلاص من هذا الامر الذى اسأل الله
ان يبعد خلاصك منه فانظر ايها الجاهل ان كان عندك حيلة فخلص نفسك
بها من القتل قبل ان تبذل التعليم لغيرك ولكنك مثل انسان نابه مرض فاتاه
رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال
له الرجل هل لا بدأت بنفسك بالمداواة فخلاه وانصرف وانت ايها الذئب الجاهل
كذلك فالزم مكانك واصبر على ما اصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم
انه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال له قد كنت فى غفلة من امرى فان
خلصنى الله من هذه الكربة لاتوبن من تجبرى على من هو اضعف منى
ولالبسن الصوف ولاصعدن على الجبل ذاكرا الله تعالى خائفا من عقابه
واعتزل سائر الوحوش ولاطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له
قلب الثعلب وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر
اخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفرة ثم جلس على
رجليه وادلى ذنبه فى الحفرة فقام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه
اليه فصار فى الحفرة معه فقال له الذئب ايها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت
بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى وقد وقعت معى فى الحفرة وتعجلت لك
العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير احد كما اخاه برضاع كلبة لارتضعها وما
احسن قول الشاعر

اِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أُنَاسٍ	كَلَاكِلَهُ أَنَاخَ بِآخَرِينَا

فقل للشامتين بنا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

والموت في جمع احسن الاشيآء فلا تعجلن قتلك قبل ان ترى قتلي فقال الثعلب في نفسه آه آه انى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخداع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وفي المثل ما ادخرتك يا دمعتي الا لشدتي وان لم اتحيل في امر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة وما احسن قول الشاعر

عش بالخداع فانت في	زمن بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى	تستدير رحى المعيشه
واجن الثمار فان تفتك	فرض نفسك بالحشيشه

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل علي بالقتل فليس هذا جزائي فتندم ايها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت وامعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدي الذي قصدته وان عجلت بقتلي فلا يحصل في يدك شيء ونموت جميعا ههنا فقال له الذئب ايها الخادع الماكر وما الذي ترجوه من سلامتي وسلامتك حتى تسألني التمهل عليك فاعلمني واخبرني بقصدك الذي قصدته فقال له الثعلب اما قصدي الذي قصدته فما ينبغي ان تحسن علي مجازاتي لاني لما سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك ان نجوت مما انت فيه من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك اكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم اظفارك وتكسير انيابك ولبس الصوف وتقريبك القربان لله تعالى اخذتني الشفقة عليك فان خير القول اصدقه مع انني كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرته على نفسك ان نجاك الله لزمني لك الخلاص مما انت فيه فادليت اليك ذنبي لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التي انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتني جذبة ظننت منها ان روحي قد خرجت فصرت انا وانت في منزلة الهلاك والموت وما ينجيني وانت الا شيء ان قبلته مني خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب عليك ان تفي بما نذرته واكون رفيقك فقال له الذئب وما الذي اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اعلو انا فوق رأسك حتى اساوي قريب ظهر الارض فاهمز فاصير فوقها واخرج انا وآتيك

بما تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان
الحكماء قالوا من استعمل الثقة في موضع الحقد كان مخطئا ومن وثق بغير ثقة
كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة وذهبت ايامه ضياعا ومن لم
يفرق بين الحالات فيعطي كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة
قل حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ اِلَّا سَيِّئًا ... اِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ اَقْوَى الفِطَنْ
مَا رَمَى الاِنْسَانَ فِي مَهْلَكَةٍ ... مِثْلُ فِعْلِ الخَيْرِ وَالظَّنِّ الحَسَنْ

وقول الآخر

اِلْزَمْ بِقَيْنِكَ سُوءَ الظَّنِّ تَنْجُ بِهِ ... مَنْ عَاشَ مُسْتَيْقِظًا قَلَّتْ مَصَائِبُهُ
وَالْقَ العَدُوَّ بِوَجْهٍ بَاسِمٍ طَلِقٍ ... وَانْصِبْ لَهُ فِي الحَشَى جَيْشًا يُحَارِبُهُ

وقول الآخر

اَعْدَى عَدُوِّكَ اَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ ... فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلِ
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالاَيَّامِ مُعْجِزَةٌ ... فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلِ

فقالت له الثعلب ان سوء الظن ليس بمحمود في كل حال وحسن الظن من شيم
الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغي لك ايها الذئب ان تعمل حيلة على
النجاة مما انت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد
لانك ان احسنت الظن فالامر على وجهين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت
فيه واما ان اغدر بك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فاني لا امن ان ابتلى
بشيء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل في الامثال الوفاء
مليح والغدر قبيح فينبغي ان تثق بي فاني لم اكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر
حيلة خلاصنا فالامر اضيق من ان نطيل فيه الكلام فقال الذئب ان مع قلة
ثقتي بوفائك قد عرفت ما في خاطرك من انك اردت خلاصي لما سمعت
من توبتي فقلت في نفسي ان كان محقا فيما زعم فانه استدرك ما افسد
وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها انا اقبل منك ما اشرت به علي فان غدرت
بي كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما في الحفرة واخذ الثعلب على
اكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فقفز الثعلب عن اكتاف الذئب فصار على وجه الارض فلما
صار خارج الحفرة وقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلي لا تغفل عن امري ولا تؤخر خلاصي فضحك

الثعلب وقهقه وقال ايها المغرور لم يوقعني في يديك الا عقوبة المزح معك والشماتة بك وذلك اني لما سمعت توبتك استخفني الطرب والفرح فتطيبت وطربت ورقصت فتدلى ذنبي في الحفرة فجذبتني فوقعت عندك ثم انقذني الله تعالى منك فمالي لا اكون عونا على هلاكك لانك من حزب الشيطان واني رأيت البارحة في منامي اني ارقص في عرسك فقصصت الرؤيا على معبر فقال لي انك تقع في ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعي في يدك ونجاتي هو تأويل رؤياي وانت تعلم ايها المغرور الجاهل انني عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك في انقاذي اياك مع ما سمعت من غلظ كلامي وكيف اسعى في نجاتك وقد قالت العلماء ان في موت الفاجر راحة للناس وتطهير للارض ولولا مخافة ان احتمل من الالم في الوفاء لك ما هو اعظم من الم الغدر لتدبرت في خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك فلم ينفع عنده شيئا فقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من احلى القوم لسانا والطفهم مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب ايها الجاهل ان للمزاح حدا لا يجاوزه صاحبه فلا تظن ان الله يمكنك مني بعد ان انقذني من يديك فقال له الذئب انك لجدير ان ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتني لا بد ان احسن مكافأتك فقال الثعلب ان الحكماء قالوا لا تواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تواخ الكذاب فانه ان بدا منك خير اخفاه وان بدا منك شر افشاه وقالت الحكماء لكل شيء حيلة الا الموت ويصلح كل شيء الا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء الا القدر واما من جهة المكافأة التي زعمت اني استحقها منك فاني شبهتك في مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوي اذ راها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شانك ايتها الحية فقالت هربت من الحاوي فانه يطلبني ولئن انجيتني منه واخفيتني

عندك لاحسنن مكافأتك واصنع معك كل جميل فاخذها اغتناما للاجر وطمعا في المكافأة فادخلها في جيبه فلما فات الحاوى ومضى الى حال سبيله وزال عن الحية ماكانت تخافه قال لها الرجل اين المكافأة فقد انجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية اخبرني في اى عضو وفى اى موضع انهشك فقد علمت اننا لا نتجاوز هذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل اما سمعت قول الشاعر

لا تأمنن فتى اسكنت مهجته	غيظا وتحسب ان الغيظ قد زالا
ان الافاعي وان لانت ملامسها	تبدى العطاف وتخفي السم قتالا

فقال له الذئب ايها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت اني اهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما امرتك به وقم لي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجبت من حمقك وصلابة وجهك فيما تأمرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأنني عبدك اشتريتني بمالك فسوف ترى ما يحل بك من شدخ رأسك بالحجارة وكسر انيابك الغدارة ثم وقف الثعلب فوق تل يشرف على الكرم فصاح الثعلب على اهل الكرم ولم يزل يصيح حتى نبههم وبصروا به واقبلوا عليه بجمعهم مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفيرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر اصحاب الكرم في الحفيرة فرأوا الذئب فيها فمالوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك رأسه من شدة الفرحات وجعل ينشد هذه الابيات

اودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت	بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت ابا سرحان في تلفي	فاليوم حلت بك الآفات والتصقت
وقعت في حفرة ما حلها احد	الا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا الى ان اتاه الموت وهذا ماكان من حديث الذئب والثعلب

ومما يحكى

ان فأرة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لدهقان وكان ذلك الدهقان فقيرا

وقد مرض بعض اصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فطلب من بعض اصحابه سمسما يقشره لمرض اصابه فاعطاه قدرا من السمسم لذلك الدهقان الفقير ليقشره له فاتى به الى زوجته وامرها باصلاحه فبلته ونشرته وخففته واصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم اتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت اكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا فوقفت تتعجب فجلست ترصد من يأتي اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة واني اخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولا بد لي ان اعمل عملا احسنا اظهر به براءتي واغسل به جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في بيتها وتخرجه وتجمع به وتضعه على السمسم فوافتها المرأة ورأتها وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ما هذه سبب نقصه لانها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضعه على بعضه وقد احسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة وقالت لها يا اختي انه لا خير فيمن لا يراعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت اتى بسمسم فاكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه كثيرا وقد اخذ منه كل ذي روح فلو اخذت انت الاخرى كنت احق به ممن اخذ منه فاعجب الفأرة ذلك ورقصت وزفرت ولعبت اذانها وذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مجففا مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصد فلم تفكر الفأرة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها الى ان دخلت في السمسم وخالطته وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان سبب هلاكها الطمع وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه احدوثة مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة وحفظها عند الشدة في التخلص من الهلكة قالت نعم

بلغني

ان غرابا وسنوراكانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التى كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوان عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما احسن قول الشاعر

اِنَّ صَدِيقَ الْحَقِّ مَنْ كَانَ مَعَكْ	وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ اِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكْ	شَتَّتَ فِيكَ نَفْسَهُ لِيَجْمَعَكْ

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا وتبعته الكلاب وصارت في اثره فرفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر النجاة والخلاص من الكلاب ويطمعها في ان تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التى تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن انه يأكل القط فنجي منه ذلك القط بحيلة صاحبه الغراب فهذه الحكاية ايها الملك تدل على ان مودة اخوان الصفا تخلص وتنجي من الهلكات والوقوع في المعاطب

وحكى

ان ثعلبا سكن في بيت من الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده اكله من الجوع وان لم يأكل ولده وخلاه ويقعد عنده ويحفظه ويحرسه مات من الجوع واضر به ذلك وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه اريد ان اعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مونسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا اقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم يا خليلي بانك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على ان في صدري وديعة من محبتك دعتني الى ملاطفتك وبعثتني على التماس اخوتك فما عندك من الجواب فقال له الغراب للثعلب ان خير القول اصدقه وربما تحدث بلسانك ما ليس في

قلبك واخشى ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك في القلب باطنا لانك آكل وانا مأكول فوجب لنا التباين في المحبة والمواصلة فما الذي دعاك الى طلب ما لا تدرك وارادة ما لا يكون وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تتم ولا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختار منها ربما يصل الى منافع الاخوان وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على اغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندي حكايات في حسن الصداقة ان اردت ان احكيها حكيتها لك فقال الغراب قد اذنت لك في ان تبثها فقل وحدثني بها حتى اسمعها واعيها واعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلي يحكى عن برغوث وفارة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب

زعموا

ان فارة كانت في بيت رجل من التجار عظيم التجارة كثير المال فاوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فوجد له بدنا ناعما وكان البرغوث عطشانا فشرب من دمه فوجد التاجر من البرغوث الما فاستيقظ من النوم فجلس قاعدا ونادى لجواريه وبعض اتباعه فاسرعوا اليه وشمروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث فلما احس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له ما الذي ادخلك علي ولست من جوهري ولا من جنسي ولست بآمن من الغلظة عليك ولا المنازعة اليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث اني هربت في منزلك وفزت بنفسي من القتل واتيتك مستجيرا اليك ولا طمع لي في بيتك ولا يلحقك مني شر يدعوك الى الخروج من منزلك واني ارجوان اكافئك على احسانك الي بكل جميل وسوف تجدين وتحمدين عاقبة ما اقول لك فلما سمعت الفارة كلام البرغوث وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفارة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما وصفت واخبرت فاطمئن هنا وما عليك الا مطر السلامة ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبني وقد بذلت لك مودتي ولا تندم

على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على فوتك منه وارض بما تيسر لك بيلغة من العيش فان ذلك اسلم لك وقد سمعت ايها البرغوث بعض الشعراء من الوعاظ يقول هذه الابيات شعر

سَلَكْتُ الْقَنَاعَةَ وَالْاِنْفِرَادَ	وَقَضَّيْتُ دَهْرِي بِمَا اتَّفَقْ
بِكِسْرَةِ خُبْزٍ وَشَرْبَةِ مَاءٍ	وَمِلْحٍ جَرِيشٍ وَثَوْبٍ خَلَقْ
فَاِنْ يَسَّرَ اللّٰهُ فِي عِيشَتِي	وَاِلَّا قَنِعْتُ بِمَا قَدْ رُزِقْ

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال يا اختى قد سمعت وصيتك وانا منقاد الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى ان ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفارة كفى بصدق المودة صلاح النية فاتصل الود واتفق بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفارة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفارة للبرغوث اما ترى الفرصة الممكنة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا ان يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده وليس لك قوة على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وانا لا طاقة لى على ذلك بل ولا اقدر على حمل دينار واحد منها فانت وشانك بالدنانير فقالت له الفارة انى اعددت فى جحرى هذا سبعين منفذا اخرج منه اذا طلبت الخروج واعددت للذخائر موضعا حريزا وان تحيلت انت واخرجته من البيت فلست اشك فى الظفر ان ساعدنى القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة مفزعة لم يكن تقدم منه للتاجر مثلها وتنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه التاجر يطلبه فلم يجده فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة اشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم

ان الفأرة اقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئاً فلما اصبح الصباح صار
التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم انى لم اقل لك هذا
الكلام ايها الغراب البصير العاقل الخبير الا لاجل ان يصل اليك جزاء احسانك الى
كما وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها وكافأها باحسن
المكافأة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن او لا يحسن وليس الاحسان واجبا
لمن التمس صلة بقطيعة وان احسنتُ اليك مع كونك عدوي اكون قد تسببت
في قطيعة نفسي وانت ايها الثعلب ذو مكر وخداع ومَنْ شيمته المكر والخديعة
لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا امان له وقد بلغني عنك من قريب انك
غدرت بصاحب لك وهو الذئب ومكرت به حتى اهلكته بغدرك وحيلتك و
فعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما ابقيت
عليه فكيف اثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك
فكيف يكون فعلك مع عدوك الذي من غير جنسك وما مثالك معي الا مثال
الصقر مع ضواري الطير فقال الثعلب وكيف ذلك فقال الغراب
زعموا
ان صقرا كان جبارا عنيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبارا عنيدا
في ايام شبيبته وكانت تفزع منه سباع الطير وسباع البر ولا يسلم من شره
احد وله وقائع كثيرة في ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر
الطيور فلما مرت عليه السنون ضعفت قوته وانهد حيله وجاع واشتد جهده
بعد فقد قوته فاجمع رأيه على ان يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك
صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك
ما عدمت خداعك ولست اشكّ في ان ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا
كنت ممن يطرح ويضع يده في يدك لان الله اعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي
وبصرا في عيني واعلم ان من تشبه باقوى منه تعب وربما هلك وانا
اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجري لك ما جرى

للعصفور فقال له الثعلب واى شئ جرى للعصفور فبالله عليك ان تحدثني بحديثه

فقال الغراب

بلغني

ان عصفوراً كان طائراً بمراح غنم فنظر الى هذا المراح ووقف يتأمل فيه واذا بعقاب كبير انقض على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بين مخالبه وطار فلما رآه العصفور رفرف بجناحه وقال انا افعل مثل ما فعل هذا واعجبته نفسه وتشبه بمن هو اكبر منه فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فاراد ان يطير فلم يستطع ان يخلص بنفسه وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ما جرى من العقاب اولا وما جرى للعصفور ثانيا فجاء الراعي الى العصفور غضبا نا فقبضه ونتف ريش اجنحته وربط في رجليه خيطا واتى به الى اولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبه بمن هو اعلى منه فهلك وانت كذلك ايها الثعلب احذرك ان تتشبه بمن هو اقوى منك فتهلك هذا ما عندي من الكلام فاذهب عني بسلام فلما ايس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وانينه ورأى كآبته وحزنه قال له يا ايها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انما قرعت سني لاني رأيتك اخدع مني ثم انه ولى هاربا وورد راجعا لجحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما ايها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما احسن هذه الحكايات واطيبها هل عندك شئ مثلها من الموعظات قالت و

يحكى

ان قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان قد الفها الورشان وزوجته وعششا فيها وسكنا بها في عيش رغيد فقال القنفذ في نفسه ان الورشان وزوجته يأكلان من ثمر النخلة وانا لا اجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة عليهما ثم حفر في اسفل النخلة بيتا واتخذه مسكناله ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه واظهر النسك والعبادة وترك الدنيا فكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال له كم سنة وانت هكذا فقال مدة ثلثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل ان ارشد الضال واعلم الجاهل قال له الورشان كنت اظن انك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال القنفذ انى اخشى ان يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع قصر في

بذره وقال اني اخشى ان لا تبلغني الايام امنيتي فاكون قد بدأت باضاعة المال وسترة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تخلفه ومات اسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربي فقال له القنفذ خذ في الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لي بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه فقال القنفذ يمكنك ان تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل الى ما نثرته من الثمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا لحسن النية حيث ذكرتني بالمعاد وهديتني الى الرشاد ثم تعب الورشان وزوجته في طرح الثمر حتى لم يبق في النخلة شيء فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من الثمر وادخره لقوته وقال في نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها مني وطمعا فيما عندي وركنا الى تزهدي وورعي فاذا سمعا نصيحتي ووعظي دنيا مني فاقتنصهما واكلهما ويخلو لي هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفيني ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها من الثمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان ايها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للثمر اثرا ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذي شق الاشداق لا يتركها بلا ارزاق وما زال يعظهما بتلك المواعظ ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه واقبلا عليه ودخلا باب وكره وامنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لاخته قال له ان الليلة من البارحة اما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال

بلغني

ان تاجرا من مدينة يقال لها سندة كان ذا مال واسع فشد احمالا واوجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة فحملا ما حضرهما من مال ومتاع واظهرا للتاجر انهما من التجار وسارا معه فلما نزلا اول منزل اتفقا على المكر به واخذ ما معه ثم ان كل واحد منهما اضمر المكر لصاحبه والغدر به وقال كل واحد منهما في نفسه لو غدرت بصاحبي لصفى لي الوقت واخذت جميع هذا المال ثم اضمر لبعضهما على نية فاسدة واخذ كل منهما طعاما وجعل فيه سما وفعل الآخر مثله في طعامه وقدم كل واحد منهما طعامه لصاحبه فاكلا من

ذلك فماتا جميعا وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما غاب عنه وابطأ عليه
فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كانا محتالين واراد المكر
به فعاد مكرهما عليهما وسلم التاجر واخذ ما كان معهما فقال الملك لقد نبهتني
يا شهرزاد على كل شيء كنت غافلا عنه فتزيديني من هذه الامثال قالت

بلغني

ايها الملك ان رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لا يدخل الى سوق
من اسواق المدينة التي هو فيها الا وينصرف منه بكسب عظيم فاتفق انه رأى
يوما رجلا يحمل اثوابا مقطعة ليبيعها وصار ينادي عليها في السوق فلا يسومها
احد وكان لا يعرضها على احد الا ويمتنع من شرائها فاتفق ان السارق الذي معه
القرد رأى الشخص الذي معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها في بقجة و
جلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى اشغله بالفرجة عليه
واختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد وذهب الى مكان خال وفتح البقجة
فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها في بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق
آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة
الثمن فرآها رجل واعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط فانصرف بها الى منزله
وظن انه اصاب فلما رأت زوجته ذلك قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته
بدون القيمة لابيعه فآخذ فائدته فقالت له ايها المغبون أيباع هذا المتاع
باقل من قيمته الا اذا كان مسروقا اما تعلم ان من اشترى شيئا ولم يعاينه كان
مخطئا وكان مثله كمثل الحائك فقال لها وما قصة الحائك قالت

بلغني

ان حائكا كان في بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق ان
رجلا من الاغنياء بالقرب من قريته صنع وليمة فدعا الناس اليها وحضر
الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة
وصاحب المنزل يعظمهم لما رأى من حسن زيهم فقال الحائك في نفسه لو بدلت
هذه الصنعة بصناعة اخف مؤنة منها وارفع رتبة واكثر اجرة لجمعت مالا
كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة لارتفع شأني وعظمت في اعين الناس وصرت
مثل هؤلاء القوم ثم انه نظر الى بعض اهل الملاعب الحاضرين في الوليمة قام وصعد

على سور عال مرتفع شاهق ثم رمى بنفسه منه الى الارض وقام قائما فقال الحائك
فى نفسه لابد ان اعمل مثل ما عمل هذا ولا اعجز عنه ثم قام وصعد على السور ورمى
نفسه فلما وصل الى الارض اندقت عنقه فمات من ساعته وانما اخبرتك بذلك
لتحمل اكلك من الوجه الذى تعلم به وتحيط به علما ولئلا يدخلك الشره فترغب
فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب
بجهله وقد رأيت الحاوى الخبير بالحيات العالم بها ربما نهشته الحية فقتلته
وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم انه قد خالف زوجته
واشترى المتاع واخذ فى تلك العادة فصار يشترى من السارقين بدون القيمة
الى ان وقع فى تهمة فهلك فيها وكان فى زمنه عصفور يأتى كل يوم الى ملك من
ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان اول داخل عليه وآخر خارج
من عنده فاتفق ان جماعة من الطيور اجتمعوا فى جبل عال من الجبال فقال بعضهم
لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر فى امورنا فتجتمع
كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فاشار عليهم بتمليك الطاؤس
وهو الملك الذى يتردد اليه فاختاروا الطاؤس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن
اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى
الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاؤس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك
اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذى اخرك وانت اقرب الاتباع الينا واعزهم
علينا فقال العصفور رأيت امرا واشتبه على فتخوفت منه فقال له الطاؤس ما
الذى رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت
اوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست انظر ما يفعل فبينما
انا كذلك واذا بكركى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى
وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد واخذهما فازعجنى ذلك وهذا سبب غيابى
عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن بهذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاؤس
لا ترحل من مكانك فلا ينفعك الحذر من القدر فامتثل امره وقال سأصبر ولا ارحل طاعة
للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه واخذ الطعام الى الطاؤس فاكل حتى اكتفى
وتناول على الطعام الماء وذهب العصفور فبينما هو فى بعض الايام شاخص واذا
بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال فى نفسه كيف اكون وزير الملك وأرى العصافير

تقتتل فى جوارى والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها فقام اليه الصياد واخذه و دفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم ار احسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت اخاف منه وما كان امنى الا الطاوس ولم ينفعنى الحذر من نزول القدر ولا مفر من القضاء للحاذر وما احسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة	ابدا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته	واخ الجهالة دائما مغبون

فقال الملك يا شهرزاد زيدينى من هذا الحديث فقالت فى الليلة القابلة ان ابقانى الملك اعزه الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان فى خلافة الملك هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى ابا الحسن عليا بن طاهر وكان ذلك الرجل كثير المال عزيزا لنوال وكان ولده حسن الصورة محبوب السيرة عند جميع الناس وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد له الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا انه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من اولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كانهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب وهى كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق	رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا	فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة	ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فلما وصلن الى دكان ابى الحسن نزلت تلك الجارية عن البغلة وجلست على

دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها علي بن بكار سلبت عقله واراد القيام
فقالت له اجلس مكانك نحن جئنا عندك وانت تروح هذا ما هو انصاف فقال
والله يا ستي اني هارب مما رأيت ولسان الحال يقول

هي الشمس مسكنها في السما	فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود	ولن تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت لابي الحسن ما اسم هذا الشاب ومن اين هو
فقال لها هذا غريب فقالت من اي البلاد فقال انه ابن ملك العجم واسمه
علي بن بكار والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي تأتي
به عندي فقال ابو الحسن على الرأس والعين ثم قامت وتوجهت الى
حال سبيلها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر علي ابن بكار فانه طار
لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى ابي الحسن وقالت له
ان ستي تطلبك انت ورفيقك فنهض ابو الحسن واخذ معه عليا ابن بكار
وسارا الى دار هارون الرشيد فادخلتهما في مقصورة واجلستهما فتحدثا
ساعة واذا بالموائد وضعت قدامهما فاكلا وغسلا ايديهما ثم احضرت
لهما الشراب فسكرا ثم امرتهما بالقيام فقاما معها فادخلتهما مقصورة اخرى
مركبة على اربعة اعمدة وهي مفروشة بانواع الفرش مزينة بانواع الزينة
كانها من مقاصير الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على
هذه الغرائب واذا بعشر جوار اقبلن كانهن الاقمار يتمايلن عجبا يدهشن
الابصار ويحيرن الافكار واصطففن كانهن من حور الجنان وبعد برهة
واذا بعشر جوار اخرى اقبلن فسلمن عليهما وبايديهن العيدان وآلات اللهو
والطرب فجلسن كلهن واصلحن الاوتار وقمن بين ايديهما يضربن بالعيدان
ويغنين وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد فبينما هما كذلك
واذا بعشر جوار مثلهن كواعب اتراب سود العيون موردات الخد ودمقرونات
الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن
من انواع الحرير الملون والحلل ما يدهش العقل ويحيره فوقفن بالباب وجاء
من بعدهن عشر جوار اخرى احسن منهن وعليهن من الملابس الفاخرة ما لا
يدخل تحت وصف فوقفن ايضا بالباب ثم خرج من الباب عشرون جارية

وبينهن جارية اسمها شمس النهار كانها القمر بين النجوم وهي تتمايل عجبا ودلالا وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها ثوب ازرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب والجواهر وفي وسطها حياصه مرصعة بانواع الجواهر ولم تزل تتبختر وتتمايل حتى جلست على السرير فلما رآها علي بن بكار انشد هذه الاشعار

انّ هذي هي ابتداء سقامي	وتمادي وجدي وطول غرامي
عندها قد رأيت نفسي ذابت	من ولوعي بها وبرى عظامي

فلما فرغ من شعره قال لابي الحسن لو عملت معي خيرا كنت اخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل ان اوطن نفسي واصبرها على ما اصابها ثم بكى وان واشتكى فقال له ابو الحسن يا اخي انا ما اردت لك الا الخير ولكن خشيت ان اعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبينها فطب نفسا وقر عينا فهي بخوك مقبلة وللقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له ابو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي امير المومنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتامل هو ايضا حسنها فاشتغلا بحب بعضهما فامرت الجواري ان تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وامرتهن بالغناء فاخذت واحدة منهن العود وانشدت تقول

اعد الرسالة ثانيه	وخذ الجواب علانيه
واليك يا ملك الملا	ح وقفت اشكو حاليه
مولاي يا قلبي العزيز	ويا حياتي الغاليه
انعم عليّ بقبلة	هبة والا عاريه
وارد ما لك لا عدمت	بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة	خذها ونفسك راضيه
يا ملبسي ثوب الضنى	يهنيك ثوب العافيه

فطرب علي بن بكار وقال لها زيديني من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعار

من كثرة البعد يا حبيبي	علمت طول البكا عيوني
يا حظ عيني ويا مناها	ومنتهى غايتي وديني

اريث لمن طرفه غريق	في عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها اسمعينا شيأ فاطربت بالنغمات وانشدت تقول هذه الابيات

سكرت من لحظه لامن مدامته	ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف سلتني بل سوالفه	وما الشمول شلتني بل شمائله
لوى بعزمي اصداغ لوين له	وغال عقلي بما تحوى غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت مليا واعجبها الشعر ثم امرت جارية اخرى ان تغني فاخذت العود وانشدت تقول

وجه لمصباح السماء مباه	يبدو والشباب عليه رشح مياه
رقم العذار على لتيه باحرف	معنى الهوى في طيها مثناه
نادى عليه الحسن حين لقيته	هذا المنمنم في طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال علي بن بكار لجارية قريبة منه انشدى انت ايتها الجارية واسمعينا شيأ فاخذت العود وانشد تقول

زمن الوصال يضيق عن	هذا التمادي والدلال
كم من صدود متلف	ما هكذا اهل الجمال
فاستغنموا وقت السعو	د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها اتبعها علي بن بكار بدموع غزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وان واشتكى احرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام علي بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما في باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملنهما وادخلنهما باب القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قد اختفى في جانب السرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرني على مكافأتك يا صاحب المعروف ثم اقبلت على علي بن بكار وقالت له يا سيدى ما بلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى ضعفها ولكن لم يكن لنا غير الصبر على ما اصابنا فقال علي بن بكار والله يا سيدتي ليس جمع شملي بك يطيب ولا نظرى اليك يطفئ ما عندى من اللهيب

ولا يذهب ما تمكن من حبك في قلبي الا بذهاب روحي ثم بكى ونزلت دموعه على خده كانها اللؤلؤ المنثور فلما رأته شمس النهار يبكي بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله اني عجبت من امركما واحترت في شانكما فان حالكما عجيب وامركما غريب هذا البكاء وانتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما وتفرقكما ثم قال هذا اليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت اجتماع ومسرة فانشرحا وانبسطا ولا تبكيا ثم ان شمس النهار اشارت الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة من صحون الفضة وفيها من انواع الطعام الفاخرة فوضعن المائدة قدامهما فصارت شمس النهار تأكل وتطعم علي بن بكار ولم يزالوا يأكلون حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بانواع البخور من العود والعنبر والند وجاءتهم القماقم بماء الورد فتطيبوا وتبخروا وقدمت لهم اطباق من الذهب المنقوش فيها من انواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام ثم اختارت شمس النهار عشرة وصائف اوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقي الجواري الى اماكنهن وامرت بعض الحاضرين من الجواري ان يضربن بالعيدان ففعلن ما امرت به وانشدت واحدة منهن تقول

بنفسي من رد التحية ضاحكاً	فجدد بعد اليأس في الوصل مطمعي
لقد ابرزت ايدي الغرام سرائري	واظهرن للعذال ما بين اضلعي
وحالت دموع العين بيني وبينه	كان دموع العين تعشقه معي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته واعطته لعلي بن بكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكأس واعطته لعلي بن بكار ثم امرت جارية ان تغني فانشدت تقول هذه الابيات

تشاكل دمعي اذ جرى ومدامتي	فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
فوالله ما ادري ابالخمر اسبلت	جفوني ام من ادمعي كنت اشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كأسه ورده الى شمس النهار فملأته وناولته لابي الحسن فشربه ثم اخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدت الاوتار وانشدت تقول هذه الاشعار

غرائب الدمع في خديه تضطرب	وللهوى حرق في صدره تقد
يبكي من القرب خوفا من تباعدهم	فالدمع ان قربوا جار وان بعدوا

وقول الآخر

تفداك ساقيا قد كساك * الحسن من فرقك المضيء لساقك
تشرق الشمس من يديك ومن فيك * الثريا والبدر من اطواقك

ان اقداحك التي تركتني	غير صاح تدار من احداقك
اوليس العجيب كونك بدرا	كاملا والمحاق من عشاقك
آاله انت اذ تميت وتحيي	بتلاقيك من تشا وفراقك

خلق الله من خليقتك الحسن * وطيب النسيم من اخلاقك
ما انت من هذه البرية بل انت * مليك ارسلت من خلاقك

فلما سمع على بن بكار وابو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا ان يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية اقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت يا سيدتي خدام امير المؤمنين بالباب وهم عفيف ومسرور ومرجان وغيرهم من الخدام لم اعرفهم فلما سمعوا كلام الجارية كادوا ان يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردي عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان ثم انها امرت بغلق باب القبة وارخت على ابوابها الستائر وهم فيها واغلقت باب القاعة ثم خرجت من باب السر الى البستان وجلست على سرير لها هناك وامرت جارية ان تكبس رجليها وامرت بقية الجواري ان يمضين الى اماكنهن وامرت الجارية ان تدعو من بالباب ليدخل فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبايديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لم جئتم فقالوا ان امير المؤمنين يسلم

عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك انه كان عنده اليوم سرور
وحظ زائد واجب ان يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل
تأتين عنده او يأتي عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر
امير المؤمنين ثم امرت باحضار القهرمانات والجواري فحضرن واظهرت
لهن انها مقبلة على ما امر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع اموره ثم قالت للخدام
امضوا الى امير المؤمنين واخبروه انني في انتظاره بعد قليل الى ان اهيّئ له مكانا
بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى امير المؤمنين واما شمس النهار
فانها خلعت ثيابها ودخلت الى معشوقها علي بن بكار وضمّته الى صدرها
وودعته فبكى بكاء شديدا وقال ياسيدتي ان هذا الوداع سبب لتلف
نفسي وهلاك روحي ولكن اسأل الله ان يرزقني الصبر على ما بلاني
به من محبتي فقالت له شمس النهار والله ما يصير في التلف الا انا فانك
قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا واما انا
فاني اقع في العناء والتعب ولا اجد من يسليني خصوصا وقد وعدت الخليفة
بميعاد فربما يلحقني من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقي اليك وحبي لك وتعشقي
فيك وتأسفي على مفارقتك فبأي لسان اغني وبأي قلب احضر عند الخليفة
وبأي كلام انادم امير المؤمنين وبأي نظر انظر الى مكان ما انت فيه وكيف اكون
في حضرة لم تكن بها وبأي ذوق اشرب مداما ما انت حاضر فقال لها ابو الحسن
لا تتحيري واصبري ولا تغفلي عن منادمة امير المؤمنين هذه الليلة ولا تظهري
له التهاون وتجلّدي فبينما هم كذلك واذا بجارية جاءت وقالت ياسيدتي
جاء غلمان امير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذي ابا الحسن
ورفيقه واقصدي بهما اعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى
ان يدخل الظلام فتحيلي في خروجهما فاخذتهما الجارية واطلعتهما في الروشن
واغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها فجلسا ينظران على البستان واذا بالخليفة
قدم وبين يديه نحو مائة خادم بايديهم السيوف وحواليه عشرون جارية
كانهن الاقمار وعليهن افخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج
مكلل بالجواهر واليواقيت وفي يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشي
بينهن وهن محيطات به من كل ناحية وقدامه مسرور وعفيف ووصيف

وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجواري فلاقينه
من باب البستان وقبّلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه الى ان
جلس على السرير والذين في البستان من الجواري والخدم وقفوا جميعا بين
يديه وجاءت الجواري الحسان والوصائف بايديهن الشموع الموقودة و
الطيب والبخور وآلات الطرب فامر الملك المغنيات ان يجلسن فجلسن
في اماكنهن وجاءت شمس النهار فجلست على كرسي بجانب سرير الخليفة
وصارت تحدّثه كل ذلك وابو الحسن وعلي بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة
لم يرهما ثم ان الخليفة صار يمازح ويلعب مع شمس النهار وهم في هناء
وسرور فامر الملك بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها واوقدوا الشموع حتى
صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب
قال ابو الحسن فرايت آلات المشروب ومن التحائف لم ترعيني مثلها واواني
من الذهب والفضة وسائر اصناف المعادن والجواهر مما يقصر عنه
الوصف حتى خيل لي اني في المنام لكثرة ما دهشت مما رأيت واما علي بن
بكار فمن حين فارقته شمس النهار كان مطروحا في الارض من شدة الوجد
والغرام فلما افاق صار ينظر الى هذه الاشياء التي لا يوجد مثلها فقال
لابي الحسن يا اخي اني اخاف ان ينظرنا الخليفة او يعلم حالنا وما اكثر
خوفي الا عليك واما انا فاني اعلم بنفسي اني هالك لا محالة وما هلاكي
الا بسبب العشق والغرام وفرط الوجد والهيام وفراق الاحباب بعد
الاقتراب وارجو من الله ان يخلصنا من هذه الورطة ولم يزل علي بن بكار
وابو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه من السرور حتى
تكاملت الحضرة بين يديه ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجواري
وقال هاتي ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاخذت العود واصلحته
وانشدت تقول

وما وجد اعرابية بان اهلها	فحنّت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفّل شوقها	بنار قراه والدموع بورده
باعظم من وجدي بحبي وانما	يرى انني اذنبت ذنبا بوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر مالت من على كرسيها الذي هي

جالسة

جالسة عليه وسقطت الى الارض مغشيا عليها وغابت عن الوجود فقام
الجواري واحتملنها فلما نظر اليها على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه
فقال ابو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان
واذا بالجارية التي اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا ابا الحسن انهض
انت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر الامر
او يعلم بكما الخليفة فان لم تنزلا في هذه الساعة متنا فقال ابو الحسن و
كيف ينهض هذا الغلام معي ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية
ترش عليه ماء الورد حتى افاق من غشيته فحمله ابو الحسن واسندته
الجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا
من الحديد واخرجت ابا الحسن وعلى بن بكار فرأيا مصطبة على شاطئ الدجلة
فجلسا عليها فصفقت الجارية بيديها فاتاها رجل في زورق صغير فقالت
له خذ هذين الشابين واطلعهما على البر الثاني فنزلا في الزورق فلما قذف بهما
الرجل وفارقا البستان نظر على بن بكار الى قصر الخلافة والقبة والبستان

وودعهم بهذين البيتين

مددت الى التوديع كفا ضعيفة	واخرى على الرمضاء تحت فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد بيننا	ولا كان هذا الزاد آخر زادي

ثم ان الجارية قالت للملاح اسرع بهما فصار يقذف لاجل السرعة والجارية
معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملاح قذف بهما الى البر والجارية
معهما الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثاني فنزلا الى البر
وطلعا وودعتهما الجارية وقالت لهما كان قصدي لا افارقكما لكنني لا
اقدر ان اسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت واما على
بن بكار فانه وقع مطروحا بين يدي ابي الحسن لا يستطيع النهوض فقال له
ابو الحسن ان هذا المكان غير امين ونخشى على انفسنا من التلف في هذا
المكان بسبب اللصوص والعيارين واولاد الحرام فقام على بن بكار ومشي

قليلا وهو لا يستطيع المشي وكان ابو الحسن له في ذلك الجانب اصدقاء فقصد
من يثق به منهم ومن يأنس اليه فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما
رحب بهما ودخل بهما الى منزله واجلسهما وتحدث معهما وسألهما اين
كانا فقال ابو الحسن قد خرجنا في هذا الوقت واحوجنا الى هذا الامر انسان
عاملته ولي عنده دراهم وبلغني انه يريد السفر بما لي فخرجت في هذه
الليلة وقصدته واستأنست برفيقي هذا علي بن بكار وجئنا لعلنا ننظره
فتوارى منا ولم نره وعدنا صفر اليدين بلا شيء وشق علينا العود في هذا
الوقت من الليل ولم ندر اين نسير فجئنا اليك لما نعلم من صداقتك وعوائدك
الجميلة فقال لهما مرحبا واهلا واجتهد في اكرامهما فاقاما عنده بقية
ليلتهما فلما اصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى
المدينة ودخلاها وجازا على بيت ابي الحسن فحلف على صاحبه علي بن بكار
وادخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا فلما افاقا امر ابو الحسن غلمانه ان
يفرشوا البيت بالفراشات الفاخرة ففعلوا ثم ان ابا الحسن قال في نفسه
لا بد ان اسلي هذا الغلام واسليه عما هو فيه فاني ادرى بحاله من غيري
ثم ان ابا الحسن استدعى بماء لعلي بن بكار فحضروا له بالماء فقام وتوضأ
وصلى ما فاته من الفروض في يومه وليلته وجلس يسلي نفسه
مع ابو الحسن بالكلام فلما رأى منه ابو الحسن ذلك تقدم اليه وقال
له يا سيدي ان الاليق بما انت فيه ان تقيم عندي هذه الليلة لينشرح
صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا لعل ان يسكن
ما بقلبك من الحرق فقال علي بن بكار افعل يا اخي ما بدا لك فاني على كل حال
غير ناج مما اصابني فاصنع ما انت صانع فقام ابو الحسن واستدعى غلمانه
واحضر بعض خواص صحابه وارسل الى ارباب المغاني والآلات فحضروا
وهيأ لهم طعاما وشرابا وجلسوا على اكل وشرب وانشراح باقي يومهم
الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المصاحبة والمنادمة
فطاب لهم الوقت فاخذت المغنية العود وانشدت تقول

رُمِيتُ مِنَ الزَّمَانِ بِسَهْمِ لَحْظٍ	فَأَصْمَانِي وَفَارَقْتُ الحَبَائِبْ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي	وَإِنِّي قَبْلَ هَذَا كُنْتُ حَاسِبْ

فلما سمع علي بن بكار كلام المغنية وقع على الارض مغشيا عليه فلم يزل في غشيته حتى طلع الفجر ويئس ابو الحسن منه فلما طلع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه ابو الحسن خوفا من عاقبة امره فاتاه غلمانه ببغلة واركبوه فركب وسار معه ابو الحسن وبعض الغلمان الى ان ادخله ابو الحسن منزله فلما اطمأن في بيته حمد الله ابو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وجلس معه يسليه وهو لا يملك نفسه من شدة الوجد والغرام فقام ابو الحسن وودعه وانصرف الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودعه فقال له علي بن بكار يا اخي لا تقطع عني الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان ابا الحسن قام من عنده واتى الى دكانه ففتحها وصار يترقب خبرا من عند شمس النهار فلم يأته احد بخبر فبات تلك الليلة في داره فلما اصبح الصباح قام الى ان اتى الى دار علي بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيئا ويجسون يده فلما دخل ابو الحسن ورآه تبسم فسلم ابو الحسن عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ابو الحسن ما هذا الحال فقال علي بن بكار قد شاع خبري اني مريض وتسامع بذلك اصحابي وليس لي قوة استعين بها على القيام والمشي حتى اكذب من جعلني ضعيفا ولم ازل ملقى مكاني كما تراني وقد اتت اصحابي الى زيارتي لكن يا اخي هل رأيت الجارية او سمعت بخبر من عندها فقال لم ارها من يوم فارقتها على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا اخي احذر الفضيحة واترك هذا البكاء فقال علي بن بكار يا اخي لا املك نفسي ثم انشد وجعل يقول

نالت على يدها ما لم تنله يدي	نقشا على معصم اوهت به جلدي
خافت على يدها من نبل مقلتها	فالبست يدها درعا من الزرد
حس الطبيب يدي جهلا فقلت له	ان التألم في قلبي فخل يدي
قالت لطيف خيال زارني ومضى	بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
ما استمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال يا ابا الحسن قد بليت بمصيبة كنت في امن منها وليس لي اعظم راحة من الموت فقال له ابو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وجاء الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل واذا بالجارية اقبلت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب مهمومة يظهر عليها اثر الكآبة فقال لها اهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف اخبرك عن حالها كيف حال علي بن بكار فاخبرها ابو الحسن بجميع ما كان وبما تم من امره فتأسفت وتوجعت وتأوهت وتعجبت من هذا الامر ثم قالت ان سيدتي حالها اعجب من ذلك فانكم لما مضيتم وتوجهتم رجعت وقلبي يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتي مطروحة في القبة لا تتكلم ولا ترد جوابا على احد وامير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولا يعلم ما بها ولم تزل في غشيتها الى نصف الليل ثم افاقت فقال لها امير المؤمنين ما الذي اصابك يا شمس النهار وما الذي اعتراك في هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا امير المؤمنين جعلني الله فداك انه خامرني خلط فاضرم النار في جسدي وغشي علي من شدة ما بي ولا اعلم كيف كان حالي فقال لها الخليفة ما الذي استعملته في نهارك فقالت افطرت على شيء لم آكله قط ثم انها اظهرت القوة واستدعت بشيء من الشراب فشربته ثم سألت الملك ان يعود الى انشراحه فجلس الملك على سريره في القبة والمجلس منتظم فلما جئت اليها سألتني عن حالكما فاخبرتها بما فعلت معكما وانشدتها ما قاله علي بن بكار في الوداع فبكت سرا ثم سكتت ثم ان امير المؤمنين جلس وامر جارية ان تغني فانشدت تقول

لعمري لا يحلو لي العيش بعدكم ... فيا ليت شعري كيف حالكم بعدي
يحق لدمعي ان يكون من الدما ... اذا كنتم تبكون دمعا على بعدي

فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت ٦٧

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لابي الحسن فلما سمعت سيدتي هذا الشعر وقعت على الصفة مغشيا عليها فامسكت يدها ورششت على وجهها ماء الورد فافاقت فقلت لها يا سيدتي لا تهتكي نفسك ومن يحويه قصرك فبحياة محبوبك ان تصبري فقالت هل في الامر اكثر من الموت فانا اطلبه والله ان فيه راحتي فبينما نحن في هذا الكلام اذ غنت جارية بقول الشاعر

وَقَالُوا لَعَلَّ الصَّبْرَ يَعْقُبُ رَاحَةً	فَقُلْتُ وَاَيْنَ الصَّبْرُ بَعْدَ فِرَاقِهِ
وَقَدْ اَكَّدَ الْمِيثَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	بِقَطْعِ حِبَالِ الصَّبْرِ عِنْدَ عِنَاقِهِ

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليها وامر برفع الشراب وان تعود كل جارية الى مقصورتها واقام عندها باقي ليلته الى ان اصبح الصباح فاستدعى امير المؤمنين بالحكماء والاطباء وامرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام واقمت عندها حتى ظننت انه قد اصلح حالها وهذا هو الذي عاقني عن المجئ اليكما وقد تركت عندها جماعة من خواصها مشتغلين القلب عليها لما امرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار واعود اليها فلما سمع ابو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني اخبرتك بجميع خبره فعودي الى سيدتك وسلمي عليها وبالغي لها في الصبر وحثيها عليه وقولي لها اكتمي السر واخبريها اني عرفت امرها وهو امر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية وودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ابي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وغلق دكانه وقفل واتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا ابا الحسن اوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي مرهونة بك باقي عمري فقال له ابو الحسن دع هذا الكلام فلو كان شفاؤك بيدي لجدت به قبل ان تسألني ولو امكن فداك كنت افديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار واخبرتني انه ما عاقها عن المجئ الا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتني

بما كان من امر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتاسف علي بن بكار غاية الاسف وبكى ثم التفت الى ابي الحسن وقال له بالله عليك يا اخي ان تساعدني فيما بليت به وعلمني كيف تكون الحيلة واسألك من فضلك ان تبيت عندي هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل ابو الحسن امره واجابه على المبيت عنده فباتا يتحادثان في تلك الليلة فلما جن الليل تأوه علي بن بكار وبكى واشتكى ثم ارسل العبرات وانشد هذه الابيات

خيالك في عيني وذكرك في فمي	ومثواك في قلبي فكيف تغيب
وما اسفي الا على العمر ينقضي	وليس لنا في الاجتماع نصيب

وقول الآخر

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفري	وفرت برمح القد درع تصبري
وجلت لنا من تحت مسكة خالها	كافور فجر شق ليل العنبر
فزعت فضرست العقيق بلؤلؤ	سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت جزعا فاثر كفها	في صدرها فنظرت ما لم انظر
اقلام مرجان كتبن بعنبر	بصحيفة البلور خمسة اسطر
يا حامل السيف الصقيل اذا رنت	اياك ضربة جفنها المتكسر
وتوق يا رب القناة الطعن ان	حملت عليك من القوام باسمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن ابو الحسن ان روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع ابي الحسن ولم يزل ابو الحسن جالسا عنده الى ضحوة النهار فقام وانصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية قد جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها اومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية الخير لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد انحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال اعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تأتيني الا بجوابها وافعلي ما امرتك به وها هي الورقة معي فهل لك ان تسير

معي اليه ونأخذ منه الجواب فقال لها ابو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل
الدكان واخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذي جاء منه ولم يزالا
سائرين الى ان وصلا الى دار علي بن بكار ثم اوقفها على الباب ودخل
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ذهب بالجارية الى دار علي بن
بكار واوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه علي بن بكار فرح به فقال له
ابو الحسن سبب مجيئي ان فلانا ارسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه
عليك وذكر فيها ان سبب تأخره عنك لعذر حصل له والجارية واقفة
بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال علي ادخلوها فغمزها ابو الحسن الجارية
جارية شمس النهار فعرف بالاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة
كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم اخرجت الورقة ودفعتها
له فاخذها وقبلها وفتحها وقرأها وناولها لابي الحسن فوجد مكتوبا

فيها هذه الابيات

يُنبيكَ هذا الرسولُ عن خبَري	فاستغنِ في ذكرِهِ عن النظرِ
خلّفتَ صبًّا بحبّكم شغفًا	وطرفُهُ لا يزالُ بالسهرِ
أكابدُ الصبرَ في البلاءِ فما	يدفعُ خلقٌ مواقعَ القدرِ
وقرَّ عينًا فلستَ تغفلُ عن	قلبي ولا يومَ غبتَ عن بصري
وانظرْ الى جسمِكَ النحيلِ وما	قد حلّهُ واستدلَّ بالأثرِ

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان * ونطقت لك بغير لسان * وجملة
شرح حالي ان لي عينا لا يفارقها السهر * وقلبا لا تبرح عنه الفكر * فكأنني
قط ما عرفت صحة * ولا فارقت ترحة * ولا رأيت منظرا بهيا * ولا قطعت
عيشا هنيا * وكأنني خلقت من الصبابة * ومن ألم الوجد والكآبة *
فعليّ السقام مترادف * والغرام متضاعف * والشوق متكاثر *
والوجد بقلبي ثائر * وصرت كما قال الشاعر *

القلبُ منقبضٌ والفكرُ منبسطٌ	والعينُ ساهرةٌ والجسمُ متعوبُ

وَالصَّبْرُ مُنْفَصِلٌ وَالْهَجْرُ مُتَّصِلٌ | وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مَسْلُوبُ

واعلم ان الشكوى * لا تطفي نار البلوى * لكنها تعلل من اعلة الاشتياق * واتلفه الفراق * واتسلى بذكر لفظ الوصال * وما احسن قول من قال *

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى | فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتْبِ

قال ابو الحسن فلما قرأتها هيجت الفاظها بلابلي واصابت معانيها مقاتلي ثم دفعتها الى الجارية فلما اخذتها قال لها علي بن بكار ابلغي سيدتك سلامي وعرفيها بوجدي وغرامي وامتزاج المحبة بلحمي وعظامي واخبريها انني محتاج الى من ينقذني من بحر الهلاك وينجيني من هذه الارتباك وقد تعدى علي الزمان بنوائبه فهل من منجد يخلصني من شوائبه ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج ابو الحسن معها وودعها فانصرفت الى حالها وذهب ابو الحسن الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودع الجارية وذهب الى دكانه وفتحها وجلس مثل عادته فلما استقر في مكانه وجد قلبه قد انقبض وضاق صدره وحار في امره ولم يزل في فكر بقية يومه وليلته وفي اليوم الثاني ذهب الى علي بن بكار وجلس عنده حتى ذهب الناس وسأله عن حاله فاخذ في شكوى الغرام وما به من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شَكَى أَلَمَ الْغَرَامِ النَّاسُ قَبْلِي | وَرَوَّعَ بِالنَّوَى حَيٌّ وَمَيْتٌ
وَأَمَّا مِثْلُ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي | فَإِنِّي لَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

وقول الشاعر

وَلَقِيتُ مِنْ حُبِّيكَ مَا لَمْ يَلْقَهُ | فِي حُبِّ لُبْنَى قَيْسُهَا الْمَجْنُونُ
لَكِنَّنِي لَمْ أَتَّبِعْ وَحْشَ الْفَلَا | كَفِعَالِ قَيْسٍ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

فقال له ابو الحسن انا ما رأيت ولا سمعت بمثلك في محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا احببت

حبيبا مخالفا مخادعا فكان امرك ينكشف قال ابو الحسن فاعجب علي ابن بكار
كلامي وركن اليه وشكرني على ذلك وكان لي صاحب يطلع على امري
وامره ويعلم اننا متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتيني
فيسألني عن حال علي ابن بكار وبعد قليل سألني عن الجارية المخادعة فقلت له قد بعثته اليها وكان بينه وبينها
ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكني دبرت لنفسي امرا ورأيا اريد ان اعرضه
عليك فقال له صاحبه ما هو قال ابو الحسن اعلم يا اخي اني رجل معروف
بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء واخشى يا اخي ان ينكشف امرهما
فيكون ذلك سببا لهلاكي واخذ مالي وهتك عرضي وعرض عيالي وقد
اقتضى رأيي ان اجمع مالي واجهز حالي واتوجه الى مدينة البصرة
واقيم بها حتى انظر ما يكون من امرهما بحيث لا يشعر بي احد فقد تمكنت
المحبة منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشي بينهما جارية
وهي كاتمة لاسرارهما واخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد
فيشيع خبرهما ويؤدي ذلك الى هلاكي ويكون سببا لتلفي وليس لي
عذر عند الناس فقال له صاحبه قد اخبرتني بخبر خطير يخاف من مثله
العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخاف وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه
وهذا الرأي هو الصواب فانصرف ابو الحسن الى منزله وصار يقضي مصالحه
ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلثة ايام حتى قضى مصالحه
وخرج مسافرا الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلثة ايام ليزوره فلم يجده
فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه الى البصرة من مدة ثلثة ايام لان له
معاملات عند تجارها فذهب ليطالب ارباب الديون وعن قريب يأتي
فاحتار الرجل في امره وصار لا يدري اين يذهب وقال يا ليتني لم افارق
ابا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى علي بن بكار فقصد داره وقال لبعض
غلمانه استأذن لي سيدك لادخل اسلم عليه فدخل الغلام واخبر سيده
به ثم عاد اليه واذن له في الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة
فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم اعتذر له ذلك الشاب في تخلفه
عنه تلك المدة ثم قال له يا سيدي ان بيني وبين ابي الحسن صداقة
واني كنت اودعه اسراري ولا انقطع عنه ساعة فغبت في بعض المصالح

مع جماعة من رفقائي مدة ثلثة ايام ثم جئت اليه فوجدت دكانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم اعلم له صديقا اوفى منك فبالله عرفني خبره فلما سمع علي بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم اسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لي التعب وانشد يقول

قَدْ كُنْتُ اَبْكِي عَلَى مَافَاتَ مِنْ فَرَحٍ	وَاَهْلُ وُدِّي جَمِيعًا غَيْرُ اَشْتَاتِ
وَالْيَوْمَ فَرَّقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ	دَهْرِي فَاَبْكِي عَلَى اَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

ثم ان عليا بن بكار اطرق رأسه الى الارض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم او مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى اي جهة توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال اني لما سألت عن ابي الحسن اخبرني اهله انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم اعرفها وقالت لي هل انت غلام علي ابن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معي رسالة اليه من عند اعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقال علي ابن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذي عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت عند ابن بكار وسلمت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقدمت عنده وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وهو يقسم في اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته ومضت وكان الرجل صاحب ابي الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلي بن بكار لاشك ولاريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة او بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتي لهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهي عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا

فلما سمع على ابن بكار كلامه اضطرب حتى خشى عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا اخى سألتك بالله من اين تعرفها فقال له الجوهرى دع الالحاح فى السؤال فقال له على ابن بكار لا ارجع عنك الا اذا اخبرتنى بالصحيح فقال له الجوهرى انا اخبرك بحيث لا يدخلك منى وهم ولا يعتريك من كلامه انقباض ولا اخفى عنك سرا وابين لك حقيقة الامر ولكن بشرط ان تخبرنى بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا اخى ما حملنى على كتمان امرى عن غيرك الا مخافة ان الناس تكشف استار بعضها فقال الجوهري لعلى ابن بكار وانا ما اردت اجتماعى بك الا لشدة محبتى لك وغيرتى فى كل حال عليك وشفقتى على قلبك من الم الفراق عسى اكون لك مؤنسا نيابة عن صديقى ابى الحسن فى طول غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره على ابن بكار على ذلك وانشد هذين البيتين

وَلَوْ قُلْتُ اِنِّي صَابِرٌ بَعْدَ بُعْدِهِ	لَكَذَّبَنِي دَمْعِي وَفَرْطُ نَحِيبِي
وَكَيْفَ اُدَارِي مَدْمَعًا جَرَيَانُهُ	عَلَى صَحْنِ خَدِّي مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِي

ثم ان على ابن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهرى اتدرى ما اسرته الى به الجارية فقال له لا والله يا سيدى فقال انها زعمت انى اشرت على ابن الحسن بالمسير الى البصرة وانى دبرت بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقنى ومضت الى سيدتها وهى على ما هى عليه من سوء الظن لانها كانت تميل وتصغى الى ابى الحسن فقال الشاب الجوهرى يا اخى انى فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر واطلعت عليه ولكن ان شاء الله تعالى اكون عونا لك على مرادك فقال له على ابن بكار فمن لى بذلك وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش الفلاة فقال له والله لابد لى ابذل جهدى فى مساعدتك واحتيالى فى التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذنه فى الانصراف فقال له على ابن بكار يا اخى عليك بكتمان السر ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري ودّعه وانصرف وهو لا يدري
كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار ومازال ماشيا وهو متفكر في امره اذ رأى
ورقة مطروحة في الطريق فاخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو
من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها
هذان البيتان

جاء الرسول بوصلٍ منك يطمعني ... وكان اكثر ظني انه وهما
فما فرحت ولكن زاد بي حزنا ... علمي بأنّ رسولي لم يكن فهما

وبعد فاعلم يا سيدي انني لم ادر سبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن
صدر منك الجفاء فانا اقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا احفظ
الودّ على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

تِهْ احتمل واستطل اصبر وعزّ اهن ... ودلّ اقبل وقل اسمع ومر اطع

فلما قرأها واذا بالجارية اقبلت وهي تلتفت يمينا وشمالا فرأت الورقة
في يد الجوهري فقالت له يا سيدي ان هذه الورقة وقعت مني
فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان اقبل على داره
ودخل والجارية خلفه فقالت له يا سيدي اعطني هذه الورقة وردّها لي
فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال يا جارية الخير لا تخافي ولا تحزني
فان الله ستّار يحب الستر فاخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم
للاسرار ولكن احلفك يمينا انك لا تخفي عني شيئا من امر سيدتك
فعسى الله ان يعينني على قضاء اغراضها ويسهل الامور الصعاب على
يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت يا سيدي ما ضاع سرّ انت
حافظه ولا خاب امر انت تسعى في قضائه اعلم ان قلبي مال اليك واكشف
خبري عليك واعطني الورقة ثم اخبرته بجميع الخبر وقالت الله على ما اقول
شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما باصل الخبر ثم حدثها بحديث
علي بن بكار وكيف اخذ ضميره واخبرها بالخبر من اوله الى آخره فلما
سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار

وبجميع ما يجري نرجع اليه وتخبره به فلعطاها الورقة فاخذ لها وختمها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار اعطتها لي مختومة فاذا قرأها ورد لي جوابها اتيتك به ثم ان الجارية ودعته ومضت الى علي ابن بكار فوجدته في الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب واعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهري فاخذ منها وفض ختمها وقرأها فوجد الجوهري فيها مكتوبا هذين البيتين

ان الرسول الذي كانت رسائلنا	مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا
فاستخلصوا لي رسولا منكم ثقة	يستحسن الصدق ولا يستحسن الكذبا

وبعد فاني ما اتيت بخيانة * ولا ضيعت امانة * ولم يصدر مني جفاء * ولا تركت وفاء * ولا نقضت عهدا * ولا قطعت ودا * ولا فارقت اسفا * ولا لقيت بعد الفراق الا تلفا * ولا علمت اصلا بما ذكرتم * ولا احب غير ما احببتم * وحق عالم السر والنجوى * ما قصدي الا ان اجتمع بمن اهوى * وشأني كتمان الغرام * وان امرضني السقام * وهذا شرح حالي والسلام * فلما قرأ الجوهري هذه الرقعة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لا تخرج عن هذا المكان حتى اعود اليك لانه قد اتهمني بامر من الامور وهو معذور وانا اريد ان اجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار باي حيلة كانت فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري مشوش الخاطر فلما اصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها اقبلت وهي فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الرقعة التي كتبها علي ابن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها حارت في فكرها فقلت لها يا سيدتي لا تخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب ابي الحسن اني وجدت من يقوم مقامه وهو احسن منه واعلى مقدارا واهلا لكتمان الاسرار وقد حدثتها بما بينك وبين ابي الحسن وكيف توصلت اليه والى علي ابن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة مني وقد وقعت انت عليها واخبرتها بما استقر عليه الامر بيني وبينك فتعجب الجوهري غاية العجب ثم قالت له ان سيدتي تشتهي ان تسمع كلامك لاجل ان تؤكد عليك

فيما بينك وبينه من العهود فاعزم على المسير معي اليها في هذا الوقت فلما
سمع الجوهري كلام الجارية رآه امرا عظيما وخطرا جسيما لا يمكن الدخول فيه
ولا التهجم عليه فقال الجوهري للجارية يا اختي اني من اولاد العوام ولم اكن
كابي الحسن لان ابا الحسن كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار مترددا
على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته واما انا فان ابا الحسن كان يحدثني
وانا ارتعد من حديثه بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت في حديثي
لها فينبغي ان يكون ذلك في غير دار الخلافة بعيدا عن محل امير المؤمنين
لان عقلي ليس يطاوعني على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها واما
الجارية فانها صارت تتضمن له السلامة وتقول له لا تخف ولا تخش من ضرر
وكررت عليه ذلك فهم ان يقوم معها فانثنت رجلاه وارتعشت يداه
فقال حاش لله ان اذهب معك وليس لي قدرة على ذلك فقالت له
الجارية اطمئن قلبك ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة
ولا يمكنك المسير معي فانا اجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى
ارجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهري
وقالت له احذر من ان يكون عندك احد غيرك من غلام او جارية فقال
لها ما عندي غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمني فقامت الجارية و
اغلقت الباب بين جارية الجوهري وبينه وصرفت غلمانه الى خارج
الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت بها دار
الجوهري فاعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهري نهض قائما
ووضع لها مرتبة ومخدة فجلست عليها وجلس هو بين يديها فمكثت
ساعة لم تتكلم حتى اخذت الراحة ثم كشفت وجهها فخيل للجوهري ان
الشمس اشرقت في منزله ثم قالت لجاريتها اهذا الرجل الذي قلت لي عليه
قالت نعم فالتفتت الى الجوهري وقالت له كيف حالك قال بخير ودعاء في
حياتك وحياة امير المؤمنين فقالت انك حملتنا على المسير عندك وان نطلعك
على ما يكون من سرنا ثم سألته عن اهله وعياله فكشف لها عن جميع احواله
وما هو فيه وقال لها ان لي دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب
والاخوان وليس لي فيها احد الا الجارية التي قلت عليها لجاريتك

ثم سألته

ثم سألته عن كيفية اطلاعه على اصل القصة وقصة ابي الحسن وسبب سفره فاخبرها بما خطر بباله ودعاه على السفر فتاوّهت لفراق ابي الحسن وقالت يا فلان اعلم ان ارواح الناس متلائمة في الشهوات والناس بالناس لا يتم عمل الا بقول ولا يتم غرض الا بسعي ولا تحصل راحة الا بعد تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شمس النهار قالت للجوهري لا تحصل راحة الا بعد تعب ولا يظهر نجاح الا من ذي مروءة وقد اطلعتك الآن على امرنا وصار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة لما انت عليه من المروءة فانت قد علمت ان جاريتي هذه كاتمة لسري وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندي وقد اختصصتها بمهمات اموري فلا يكن عندك اعز منها واطلعها على امرك وطب نفسا فانت آمن مما تخافه من جهتنا فما يسد عليك موضع الا وتفتحه لك وهي تأتيك من عندي باخبار علي بن بكار وتكون انت الواسطة في التبليغ بيننا ثم ان شمس النهار قامت وهي لا تستطيع القيام ومشت فتمشى بين يديها الجوهري الى ان وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد في موضعه بعد ان نظر من حسنها ما بهره وسمع من مقالها ما حير عقله وشاهد من ظرفها وادبها ما ادهشه ثم استمر يتفكر في شمائلها حتى سكنت نفسه وطلب الطعام فاكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى الفتى علي بن بكار فطرق بابه فما توانت غلمانه حتى لاقوه ومشوا امامه الى ان اوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهري قال له ابطأت علي فزدتني هما على همي ثم صرف غلمانه وامر بغلق ابوابه وقال له والله يا اخي ما غمضت عيني من يوم فارقتني فان الجارية جاءتني بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال والله لقد تحيرت في امري

وقل صبري وكان لي ابو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهري كلامه ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامي وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم تاوه وبكى وانشد هذه الابيات

وَضَاحِكٍ مِنْ بُكَائِي حِينَ اَبْصَرَنِي لَوْ كَانَ قَاسَى الَّذِي قَاسَيْتُ اَبْكَاهُ
لَمْ يَرْثِ لِلْمُبْتَلِي مِمَّا يُكَابِدُهُ اِلَّا الشَّجِيُّ مِثْلُهُ قَدْ طَالَ بَلْوَاهُ
وَجْدِي حَنِينِي اَنِينِي فِكْرَتِي وَلَهِي اِلَى حَبِيبٍ زَوَايَا الْقَلْبِ مَأْوَاهُ
حَلَّ الْفُؤَادَ مُقِيمًا لَا يُفَارِقُهُ وَقْتًا وَلٰكِنَّهُ قَدْ عَزَّ لُقْيَاهُ
مَا لِي سِوَاهُ خَلِيلٌ اَرْتَضِي بَدَلًا وَمَا اصْطَفَيْتُ حَبِيبًا قَطُّ اِلَّا هُو

فلما سمع الجوهري منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه واخبره بما جرى له مع الجارية وسيدتها من حين فارقه فصار ابن بكار يصغي الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوى جسمه مرة ويضعف اخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا اخي انا على كل حال هالك فليت اجلي قريبا كنت ارتاح من هذا ولكني اسألك من فضلك ان تكون معاوني وملاطفي في جميع اموري الى ان يريد الله بما يريده واني لا اخالفك قولا فقال له الجوهري لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن يكون في غير هذا المكان الخطير بل يكون ذلك عندي في الموضع الذي جاءتني فيه الجارية وسيدتها وهو الموضع الذي اختارته لنفسها والمقصود من ذلك اجتماعكما ببعضكما وشكواكما ما قاسيتما من الم الحب فقال علي ابن بكار يا سيدي افعل ما تريد واجرك على الله فما ترى فيه الصواب عليك به ولا تطول علي لئلا اموت بهذه الغصة قال الجوهري فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان اصبح الصباح وطلع النهار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال فاقمت عنده تلك

الليلة اسامره الى ان طلع النهار ثم صليت الصبح وخرجت من عنده و
ذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية فسلمت
على فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت
الجارية اعلم ان الخليفة توجه من عندنا وان مجلسنا لا احد فيه وهو
استر لنا واحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلي هذا فانه
اليق بنا واستر لنا فقالت الجارية الرأى كما تراه انت وانا ذاهبة الى سيدتى
لاخبرها بما ذكرت واعرض عليها ما قلت ثم قامت ومضت حتى دخلت
على سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى الامر
صار على ما ذكرته فهيئ لنا المحل وانتظرنا ثم اخرجت من جيبها كيسا فيه
دنانير وقالت لى ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا واقض
منه ما يحتاج اليه الحال فاقسمت انى لا آخذه منه شيئاً فاخذته الجارية
وعادت الى سيدتها فقالت يا سيدتى انه لم يقبل الدراهم بل دفعها الى
فقالت لا باس قال الجوهري ثم انى قمت بعد رواح الجارية وذهبت
الى دارى الثانية وحولت اليها ما يحتاج اليه الحال من الآلات والفرش
الفاخرة ونقلت اليها اوانى الصينى والزجاج والفضة والذهب وهيأت
جميع ما يحتاج اليه من الماء كل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت
ما فعلته اعجبها وامرتنى باحضار على بن بكار فقلت ما يحضر به الا انت
فذهبت اليه واحضرته على اتم حال وقد راقت محاسنه قال الجوهري
فتلقيته وترحبت به ثم اجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه
شيأ من المشموم المنزه فى بعض الاوانى الصينى والبلور من سائر الالوان
ووضعت سفرة فيها من سائر الالوان الملونة مما تنشرح برويته الصدر وجلست
احدثه واسليه ثم ان الجارية مضت وغابت الى المساء وعادت بعد المغرب
ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت على بن بكار ورآها قام
قائما واعتنقها فاعتنقته الاخرى فسقطا على الارض مغشيا عليهما قدر ساعة
زمانية فلما افاقا اقبلا على بعضهما يتشاكيان الم الفراق ثم جلسا يتحدثان
بكلام فصيح عذب رقيق واستعملا شيئا من الطيب ثم انهما صارا يشكران من
صنعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شيء من الطعام فقالا نعم

فاحضرت شيأ من الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم غسلا ايديهما ثم نقلتهما الى مجلس آخر واحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لي يا سيدي كمّل جميلك واحضر لنا عودا او شيأ من الات الطرب لاجل ان يكمل سرورنا في هذه الساعة فقلت على الرأس والعين ثم انى قمت واحضرت عودا فاخذته واصلحته ثم انها وضعته في حجرها وضربت عليه ضربا بليغا هيجت الشجون واطربت المحزون ثم انشدت هذين البيتين

ارِقْتُ حتّى كأنّي اعشقُ الأرقا	وذُبْتُ حتّى كأنّ السُّقْمَ لي خُلِقا
وفاضَ دمعي على خدّي فاحرقَهُ	يا ليتَ شِعْري هل بعدَ الفِراقِ لِقا

ثم انها اخذت في غناء الاشعار حتى حيرت الافكار وهي تغنّي باصوات مختلفة واشعار رائقة حتى كاد المجلس ان يرقص من شدة الطرب بما اتت فيه من مغانيها بالعجب وما بقي لنا عقل ولا فكر ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكؤس اطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وعدَ الحبيبُ بوصلِهِ ووفى لي	في ليلةٍ سأعُدُّها بليالي
يا ليلةً سمحَ الزمانُ لنا بها	في غفلةِ الواشينَ والعُذّالِ
باتَ الحبيبُ يضمُّني بيمينِهِ	من فرحتي فضممتُهُ بشمالي
عانقتُهُ ورشفتُ خمرةَ ريقِهِ	وحظيتُ بالمعسولِ والعسّالِ

قال الجوهري فبينما نحن في بحر السرور غارقون واذا بوصيفة صغيرة دخلت علينا وهي ترتعد وقالت يا سيدتي انظري كيف تذهبين فان القوم لحقوا وادركوكم ولم ندر سبب ذلك فلما سمعت كلامه قمت مرعوبا واذا بجارية تقول جاءكم البلاء فضاقت عليّ الارض بما رحبت ونظرت الى الباب فلم اجد مسلكا فتخطّيت الى دار بعض الجيران وتخبّيت فوجدت الناس قد دخلوا داري وصار لهم ضجة عظيمة فاعتقدت ان خبرنا قد وصل الى الخليفة فارسل صاحب الشرطة ليكبس علينا ويحضرنا اليه فبقيت متحيرا ولم ازل مقيما الى نصف الليل ولم اقدر على الخروج من المكان الذي انا فيه فقام صاحب الدار واحسّ بي ففزع وصار عنده فزع عظيم مني فطلع من بيته وجاء اليّ وبيده سيف مسلول وقال من هذا الذي عندنا فقلت له انا جارك الجوهري فعرفني ورجع عني ثم جاء بضوء وتقدم عندي وقال لي يا اخي ما هان عليّ الذي

جرى لك الليلة فقلت له يا اخي عرفني عن من كان في داري ومن دخلها وكسر بابي فاني هربت عندك ولم اعلم القصة فقال لي ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا واخذوا ماله قد رأوك بالامس وانت تنقل حوائجك وتاتي بها الى هذا المكان فجاؤك واخذوا ما عندك وقتلوا صيوفك قال الجوهري فقمت انا وجاري وجئنا الى الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شئ فتحيرت في امري وقلت اما الامتعة فلا ابالي بضياعها وان كنت استعرت بعض الامتعة من اصحابي وضاعت فلا باس بذلك لانهم عرفوا عذري بذهاب مالي ونهب داري واما علي ابن بكار ومحظية امير المؤمنين فاخشى ان يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحي ثم التفت الى جاري وقلت له انت اخي وجاري وتستر على عوراتي فما الذي تشير به علي من الامور فقال لي الرجل الذي اشير به عليك ان تتربص فان الذين دخلوا دارك واخذوا متاعك قد قتلوا احسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من عند صاحب الشرطة واعوان الدولة يدورون عليهم في جميع الطرق فلعلهم يصادفونهم فيحصل مرادك بغير سعي منك فلما سمع الجوهري هذا الكلام رجع الى داره الثانية التي هو ساكن بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما سمع الكلام رجع الى داره الثانية التي هو ساكن بها وقال في نفسه ان الذي حصل لي هو الذي خاف منه ابو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه انا ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبل اليه الناس من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو عاذر وحامل همه فصار يشكو لهم ولم ياكل طعاما ولم يشرب شرابا من همه فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم اعرفه فخرج الجوهري اليه وسلم عليه ووجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لي حديثا بيني وبينك فادخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال له الرجل

امض معي الى دارك الثانية فقال الجوهري وهل تعرف داري الثانية
فقال ان جميع خبرك عندي وان عندي ايضا ما يفرج الله به همك عنك
فقلت في نفسي انا امضي معه حيث اراد ثم توجهت الى ان اتينا الدار
فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير باب ولا ابواب ولا يمكن القعود فيها
فامض بنا الى غيرها فلم يزل الرجل يدور من مكان الى مكان وانا معه
حتى دخل علينا الليل ولم اسأله عن امر من الامور ثم انه لم يزل يمشي
وانا امشي معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعني وصار يهرول
في مشيه وانا اهرول وراءه واقوي قلبي على المشي حتى اتينا البحر
فطلع بنا في زورق وقذف بنا الملاح حتى عدا بنا الى البر الثاني فنزل
من ذلك الزورق ونزلت خلفه فاخذ الرجل بيدي ونزل بي في
درب لم ادخله طول عمري ولم اعلم هو في اي ناحية ثم ان الرجل وقف
على باب دار وفتحها ودخل وادخلني معه واغلق بابها بقفل من حديد
ثم مشى بي في دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كانهم رجل واحد
وهم اخوان قال الجوهري فسلمنا عليهم فردوا علينا السلام وامرونا
بالجلوس فجلسنا وكنت قد هلكت من شدة التعب فجاؤا الي بماء ورد
ورشوه على وجهي وسقوني شرابا وقدموا الي طعاما واكل بعضهم معي فقلت لو كان في الطعام
شيء مضر لم ياكلوا منه معي فلما غسلنا ايدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت
لا ولا عمري رايتكم بل ولا رايت الذي احضرني اليكم ولا رأيت هذا
الموضع ابدا فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب في شيء فقلت لهم اعلموا
ان حالي عجيب وامري غريب فهل عندكم شيء من خبري قالوا نعم
نحن الذي اخذنا امتعتك في الليلة الماضية واخذنا صديقك والتي
كانت تغني معه فقلت لهم اسبل الله عليكم ستره اين صديقي هو والتي
كانت تغني معه فاشاروا الي بايديهم الى ناحية وقالوا ههنا ولكن والله
يا اخي ما ظهر سرهما على احد منا غيرك ومن حين اتينا بهما لم نرهما
الى هذا الوقت ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار
وهذا هو الذي منعنا عن قتلهما فاخبرنا عن حقيقة امرهما وانت في
امان على نفسك وعليهما قال الجوهري فلما سمعت هذا الكلام

كدت ان اهلك من الخوف والفزع وقلت لهم يا اخواني اعلموا ان المروءة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان عندي سر خاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت ابالغ لهم في هذا المعنى ثم اني وجدت المبادرة لهم بالحديث انفع واحسن من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لي حتى انتهيت الى اخر الحديث فلما سمعوا حكايتي قالوا وهل هذا الفتى علي بن بكار وهذه الجارية شمس النهار قلت نعم فصعب عليهم ذلك وقاموا واعتذروا لهما ثم قالوا لي ان الذي اخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا باقيه ثم ردوا الي اكثر الامتعة والتزموا انهم يعيدونها الى محلها في داري ويردون لي الباقي فاطمأن قلبي ولكنهم انقسموا صنفين فصار قسم منهم معي وقسم منهم علي ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من امري واما ما كان من امر علي بن بكار وشمس النهار فانهما قد اشرفا على الهلاك من شدة الخوف ثم اني تقدمت الى علي بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى كيف جرى بالجارية والوصيفتين واين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المكان الذي فيه السميرية فاطلعونا فيها واذا هي التي عدينا فيها بالامس فقذف بنا الملاح حتى اوصلنا الى البر الثاني فانزلونا على جانب البر فما استقر بنا الجلوس على جانب البر وما استرحنا الا والخيالة قد احاطوا بنا مثل العقبان من كل جانب ومكان فوثب الذين كانوا معنا عاجلا كالعقاب فرجعت لهم السميرية فنزلوا فيها ودفع بهم الملاح فصاروا في وسط البحر وذهبوا وبقينا نحن على البر على شاطئ البحر لا نستطيع الحركة ولا السكون فقال لنا الخيالة من اين انتم فتحيرنا في الجواب قال الجوهري فقلت لهم ان هؤلاء الذين رأيتموهم معنا كانوا عيارين لا نعرفهم واما نحن فمغنون وارادوا اخذنا لنغني لهم فما تخلصنا منهم الا باللطافة ولين الكلام فافرجوا عنا في هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من امرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار وعلي بن بكار وقالوا لي لست صادقا في كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من انتم ومن اين انتم وما موضعكم وفي اي الحارات انتم ساكنون قال الجوهري فلم ادر ما اقول لهم فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم

الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده واركبها عليه واخذ بزمامها وصار يقوده وكذلك فعل آخر بالفتى علي بن بكار وفعل بي ايضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فاقبل له جماعة من البرية معهم سميريتان فطلعنا المقدم في واحدة وهو معنا وطلع اصحابه في الثانية وقذفوا بنا الى ان انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذي نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى ان دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم واما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر ان نتحرك من مكاننا ولا ندري الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى ان اصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط علي بن بكار مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاء لي بعض اهله وايقظوني وقالوا احدثنا بما جرى على ولدنا وما هذا الحال الذي هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال لهم يا قوم اسمعوا كلامي ولا تفعلوا بي مكروها واصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بيني وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلي بن بكار تحرك في فراشه ففرح اهله وانصرف الناس عنه ومنعني اهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما افاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم اشار اليهم ان يطلقوني لاذهب الى منزلي فاطلقوني فخرجت وانا لا اصدق بالخلاص واتيت الى داري وانا بين رجلين حتى وصلت الى اهلي فلما رأوني على تلك الحالة قاموا بالعياط ولطموا على وجوههم فأومأت اليهم بيدي ان اسكتوا فسكتوا

وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشى بقية ليلتى
ولم افق الا وقت الضحى فوجدت اهلى مجتمعين حولى فقالوا ما الذى
دهاك وبشره رماك فقلت ائتونى بشئ من الشراب فجاؤا الى شرابا
فشربت منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا
الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابى وسألتهم عن الذى ذهب
من دارى هل عاد شئ منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان
ورماه فى باب الدار ولم ننظره فسليت نفسى واقمت فى مكانى يومين
وانا لا اقدر على القيام من محلى ثم قويت نفسى ومشيت حتى دخلت الحمام
وانا عندى تعب شديد وقلبى مشغول من جهة على بن بكار وشمس النهار
ولم اسمع لهما خبرا فى تلك المدة ولم استطع الوصول الى دار على بن بكار
ولم يستقر لى قرار فى مكانى خوفا على نفسى ثم تبت الى الله تعالى مما صدر
منى وحمدته على سلامتى وبعد مدة حدثتنى نفسى ان اقصد
تلك الناحية وارجع فى ساعة فلما اردت المسير رأيت امرأة واقفة
فتأملتها واذا هى جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت
فى سيرى فتبعتنى فداخلنى منها الفزع وصرت كلما انظرها يأخذنى
الرعب منها وهى تقول لى قف حتى احدثك بشئ وانا لم التفت اليها
ولم ازل سائرا الى مسجد فى موضع خال من الناس فقالت لى ادخل
فى هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شئ وحلفتنى فدخلت المسجد
ودخلت خلفى فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها وانا اتأوه وقلت لها ما
بالك فسألتنى عن حالى فحدثتها بما وقع لى واخبرتها بما جرى لعلى بن بكار
وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم انى لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا
خفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفة فيأخذونى انا وسيدتى
فنهلك فى وقتنا فهربت من السطوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا
من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم واوصلونا الى قصر الخلافة
ونحن على اقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جن
الليل ففتحت باب البحر واستدعيت الملاح الذى اخرجنا تلك الليلة
وقلت له ان سيدتى لم نعلم لها خبرا فاحملنى فى الزورق حتى اذهب

وافتش عليها في البحر لعلي اقع على خبرها فحملني في الزورق وسار بي ولم ازل سائرة في البحر حتى انتصف الليل فرأيت سميرية اقبلت الى جهة الباب وفيها رجل يقذف ومعه رجل آخر واقف وامرأة مطروحة بينهما ومازال يقذف الى ان وصلت الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هي شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري وقد اندهشت من الفرح بعد ان قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها امرتني ان ادفع الى الرجل الذي جاء بها الف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى ان القيناها على فراشها فاقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما اصبح الصباح منعت انا الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم افاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم ازل الاطفها حتى اطعمتها شيئاً من الطعام واسقيتها شيئاً من الشراب وهي ليس لها قابلية في شيء من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت اليها العافية صرت اعاتبها وقلت لها يا سيدتي انظري وارفقي بنفسك فقد رأيت ماجرى لنا وقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد اشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندي اهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لامحالة لأن اللصوص لما خرجوا بنا من بيت الجوهري سألوني وقالوا لي من تكونين انت فقلت انا جارية من المغنيات فصدقوني ثم سألوا علي بن بكار عن نفسه وقالوا له من تكون انت وما شأنك فقال انا من عوام الناس فاخذونا وسرنا معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع معهم في السير من شدة الخوف فلما استقروا بنا في اماكنهم تأملوني ونظروا ما علي من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا امري وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات فلست انت

وقولي لنا الحق ما قضيتك فلم ارد عليهم جوابا بشئ وقلت في نفسي الآن يقتلونني لاجل ما علي من الحلي والحلل فلم انطق بكلمة فالتفت العيارون الى علي بن بكار وقالوا له وانت من تكون ومن اين انت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم امرنا ونبكي فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من يكون صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهري فقال واحد منهم انا اعرفه حق المعرفة واعرف مكانه انه ساكن في داره الثانية وعلي ان آتيكم به في تلك الساعة واتفقوا على ان يجعلوني في موضع وحدي وعلي بن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا ان ينكشف خبركما وانتما في امان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري واتى به وكشف امرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم احضر لنا سميرية فاطلعونا فيها وعدوا بنا الى الجانب الثاني ورمونا الى البر وذهبوا فاتت خيالة من اصحاب العسس وقالوا لنا من تكونوا فتكلمت مع المقدم على العسس وقلت له انا شمس النهار محظية الخليفة فاني سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني العيارون واخذوني فاوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وانا قادرة على مكافاتك فلما سمع مقدم الخيالة كلامي عرفني ونزل عن مركوبه واركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الآن من اجلهما لهيب النار لاسيما الجوهري رفيق ابن بكار فامض اليه وسلم عليه واستخبر منه على ابن بكار فكلمتها ولمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها يا سيدتي خافي على نفسك فصاحت علي وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت اليك فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار وصرت واقفة ارتقبك حتى اسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك ان تاخذ مني شيئا من المال فانك لابد استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فتحتاج ان تعوض على الناس ما ذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهري فقلت سمعا وطاعة وسرت ومشيت معها الى ان انتهينا الى قرب محلي فقالت لي قف هنا حتى ادعو اليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري لما قالت له الجارية قف هنا حتى اعود اليك ومضت ثم عادت وهي حاملة المال ورفعته الي وقالت لي ياسيدي نجتمع بك في اي محل فقلت لها امضي واتوجه الى داري في هذه الساعة واتحمل الصعوبة لاجل خاطرك واتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه في هذا الوقت قالت فاخبرني بمحل آتيك فيه فقلت لها في داري ثم ودعتني ومضت فحملت المال واتيت به الى منزلي وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فاعطيت اهلي منه شيأ ومن كان له عندي شيء اعطيته عوضا عنه ثم اني قمت واخذت غلماني وذهبت الى الدار التي ضاعت منها الامتعة وجئت بالمعمارين والنجارين والبنائين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتي فيها ونسيت ما جرى لي ثم تمشيت واتيت الى دار علي بن بكار فلما وصلت اليها اقبل غلمانه علي وقالوا لي ان سيدي في طلبك ليلا ونهارا وعدنا ان كل من اتى بك اليه يعتقه فهم يدورون ويفتشون عليك ولا يعرفون لك موضعا وقد رجعت الى سيدنا عافيته فهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد ان تحضروه لي لحظة ويعود الى سكرته قال الجوهري فمضيت مع الغلام اليه فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآني بكى وقال لي اهلا ومرحبا ثم اسندته واجلسته وضممته الى صدري فقال لي اعلم يا اخي اني من حين رقدت ما جلست الا في هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهري فلم ازل اسنده حتى اوقفته على رجليه ومشيته خطوات وغيرت اثوابه وشرب شرابا وكل ذلك لاجل ان يطيب خاطره فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعني احد ثم قلت له شد نفسك وحيلك فانا اعرف ما بك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا ما يسرك ويداويك ثم ان علي بن بكار امر باحضار الطعام فاحضروه واومى الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لي يا اخي هل رأيت ما اصابني واعتذر لي وسألني عن حالي في هذه المدة فاخبرته بجميع ما جرى لي من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم ائتوني بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وبسط وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة اكثر من الذي ضاع لي واعطاني اياه جميعا

فارسلته

فارسلته الى منزلي واقمت عنده ليلتي فلما اسفر الصبح قال لي اعلم ان لكل شيء نهاية ونهاية الهوى الموت او الوصال وانا الى الموت اقرب فياليتني متّ قبل الذي جرى ولولا ان الله لطف بنا لافتضحنا ولا ادري ما الذي يوصلني الى الخلاص مما انا فيه ولولا خوفي من الله لعجلت على نفسي بالهلاك واعلم يا اخي انني كالطير في القفص وان نفسي هالكة لا محالة من الغصص ولكن لها وقت معلوم واجل محتوم ثم بكى واشتكى وانشد يقول شعر

لَقَدْ كَفَى مَا جَرَى لِلصَّبِّ مَدْمَعُهُ	أَمَّا الأَسَى عَنْ جَمِيعِ الصَّبْرِ يَرْدَعُهُ
قَدْ كَانَ يَجْمَعُ لِلأَسْرَارِ كَاتِمُهَا	تَفَرَّقَتْ عَيْنُهُ مَا كَانَ يَجْمَعُهُ

فلما فرغ من شعره قال له الجوهري يا سيدي اعلم اني عولت على الذهاب الى داري فلعل الجارية ترجع الي بخبر فقال علي بن بكار لا باس بذلك ولكن اذهب واسرع بالعود عندي لاجل ان تخبرني فانك ترى حالي فودّعته وانصرفت الى داري فلم استتم الجلوس الا والجارية اقبلت وهي مختنقة بالبكا فقلت لها ما سبب ذلك فقالت يا سيدي اعلم انه حلّ بنا ما حلّ من امر نخافه فاني لما مضيت من عندك بالامس صادفت سيدتي وهي مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة فامرت بضربها فخافت وهربت من سيدتها فخرجت فلاقاها بعض الموكلين بالباب فاخذها واراد ردها الى سيدتها فلوّحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فاخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فامر بنقل سيدتي شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكّل بها عشرين خادما ولم اجتمع بها الى الآن ولم اعلمها بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت انا على نفسي واحترتُ يا سيدي ولم ادر كيف افعل وكيف احتال في امري وامرها فان ما عندها احفظ واقرب لكتمان السر غيري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري ان سيدتي لم يكن عندها اقرب واحفظ لكتمان السر مني فامض وتوجه يا سيدي الى علي بن بكار سريعا واخبره بذلك لاجل ان يكون على اهبة وحذر فاذا

انكشف الامر نتدبر فى امر نفعله لنجاة انفسنا قال الجوهرى فاخذنى من ذلك
هم عظيم وصار الكون فى وجهى ظلاما من كلام الجارية وهمت الجارية
لتمضى فقلت لها وما الرأى وما بقى فى الامر وقت فقالت لى الرأى ان
تبادر الى على بن بكار ان كان صديقك وانت تريد له النجاة وانت عليك
بتبليغ هذا الخبر له بسرعة ولا تطول عليه هذه المدة ولا تبعد المسافة
وانا علىّ ان اتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتنى وخرجت فلما خرجت الجارية
قمت وخرجت فى اثرها ومضيت الى على ابن بكار فوجدته يمنى نفسه
بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآنى وجئت اليه عاجلا قال لى انى اراك رجعت
الىّ وجئت فى الحال فقلت له اصبر واقصر من التعلق المطال ودع ما انت فيه
من الاشتغال فقد حدث حادث وامر فيه اتلاف نفسك ومالك فلما سمع هذا
الكلام تغير حاله وانزعج وقال لى يا اخى اخبرنى بما وقع فقلت له يا سيدى
اعلم انه قد جرى ما هو كذا وكذا وانك تالف لا محالة ان اقمت فى دارك
هذه الى آخر النهار فبهت على بن بكار وكادت روحه ان تفارق جسده
ثم استرجع بعد ذلك وقال لى اى شئ افعل يا اخى وما عندك من الرأى
فقلت له الرأى خذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق
به وامض بنا الى ديار غير هذه قبل ان ينقضى هذا النهار فقال لى سمعا
وطاعة فوثب على بن بكار وهو متخبل ومتحير فى امره فتارة يمشى وتارة
يقع فاخذ لى ما قدر عليه واعتذر الى اهله واوصاهم بمقصوده واخذ
معه ثلثة جمال محملة وركب دابته وقد فعلت انا كما فعل ثم خرجنا خفية
ونحن متنكرون وسرنا ولم نزل مسافرين باقى يومنا وليلتنا فلما كان آخر
الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فحلّ علينا التعب وغفلنا عن انفسنا
واذا باللصوص احاطوا بنا واخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان
لما ارادوا ان يمنعوا عنا ثم تركونا مكاننا ونحن فى اقبح حال بعد ان اخذوا
المال وساقوا الجميع وساروا فلما قمنا مشينا الى ان اصبح الصباح فوصلنا
الى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها فدخلنا اليه ونحن عريانون
فجلسنا فى جانب المسجد باقى يومنا كله فلما جاء الليل بتنا فيه تلك الليلة
ونحن بغير اكل وشرب فلما اصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل

دخل

دخل وسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرّونا ودخلنا هذه البلدة ولم نعرف فيها احداً نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم ان تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه فنجو من امرين الاول اننا نخشى ان يدخل علينا احد الى هذا المسجد فيعرفنا فنفتضح والثاني اننا ناس غرباء وليس لنا محل نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء اطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له السمع والطاعة ثم ان الرجل خلع علينا شيئاً من ثوابه والبسنا واعتذر لنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج اليه خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل امر باحضار بقجة فيها ثياب وشاشات فالبسنا حلتين واعطانا شاشتين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية اقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين ايدينا وقالت كلوا فاكلنا شيئاً يسيراً ورفعت المائدة ثم اقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوّه علي بن بكار وقال للجوهري اعلم يا اخي انني هالك لا محالة واريد ان اوصيك بوصية وهو انك اذا رأيتني مت اذهب الى والدتي واخبرها واوصها ان تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ عزائي وتحضر غسلي واوصها ان تكون صابرة على فراقي ثم خرّ مغشياً عليه فلما افاق سمع جارية تغني من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي شجناً وحزناً مما اصابه فسمع الجارية التي تغني تنشد هذه الابيات

عَجّلَ البَيْنُ بَيْنَنا بِالفِرَاقِ	بَعْدَ إِلْفٍ وَجِيرَةٍ وَاتِّفَاقِ
فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي	لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ التَّلَاقِي
مَا أَمَرَّ الفِرَاقَ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ	لَيْتَهُ مَا أَضَرَّ بِالعُشَّاقِ
غُصَّةُ المَوْتِ سَاعَةٌ ثُمَّ تَقْضِي	وَفِرَاقُ الحَبِيبِ فِي القَلْبِ بَاقِي
لَوْ وَجَدْنَا إِلَى الفِرَاقِ سَبِيلاً	لَأَذَقْنَا الفِرَاقَ طَعْمَ الفِرَاقِ

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة فارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات اوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم انني ذاهب الى بغداد

لاحترامه واقاربه حتى يأتوا ويجهزوه ثم اني اتيت الى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك جئت الى دار علي بن بكار فلما رآني غلمانه اتوا الي وسألوني عنه وسألتهم ان يستأذنوا لي بالدخول على والدته فاذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله مدبر الانفاس بامره واذا قضى امرا لا مفر من قضائه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت ام علي بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرني هل توفي ولدي فلم اقدر ان ارد عليها جوابا من البكاء وكثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة اختنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدي فقلت لها اعظم الله اجرك فيه ثم اني حدثتها بما كان من امره من الابتداء الى الانتهاء فقالت هل اوصاك بشيء فقلت لها نعم وحكيت لها على ما اوصاني به وقلت لها اسرعي في تجهيزه فلما سمعت ام علي بن بكار كلامي سقطت مغشيا عليها فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم اني ذهبت الى داري وصرت في الطريق اتفكر في حسن شبابه فبينما انا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري قال واذا بامرأة قبضت على يدي فتأملتها واذا هي الجارية التي تأتي من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر الفتى علي بن بكار فقالت لا والله فاخبرتها بخبره وما كان من امره ونحن نبكي ثم اني قلت لها وكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل امير المؤمنين فيها قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع امورها على المحامل الحسنة وقال الخليفة لها يا شمس النهار انت عندي عزيزة وانا احملك على رغم اعدائك ثم امر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك في عيش رغيد وقبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جري عادته للشراب وحضرت المحاظي بين يديه

فاجلسهن

فاجلسهن في مراتبهن واجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد امرها فعند ذلك امر جارية من الجوارى ان تغنى فاخذت العود واصلحته وجسّته وضربت به ثم انشدت تقول شعر

وَدَاعٍ دَعَانِي لِلهَوَى فَاجَبْتُهُ	وَدَمعِي يَخُطُّ الوَجدَ خَطًّا عَلَى خَدِّي
كَأَنَّ دُمُوعَ العَينِ تُخبِرُ حَالَنَا	فَتُبدِي الَّذِي أُخفِي وَتُخفِي الَّذِي أُبدِي
فَكَيفَ أَرُومُ السِّرَّ أَو أَكتُمُ الهَوَى	وَفَرطُ غَرَامِي فِيكَ يُظهِرُ مَا عِندِي
وَقَد طَابَ مَوتِي عِندَ فَقدِ أَحِبَّتِي	فَيَا لَيتَ شِعرِي مَا يَطِيبُ لَهُم بَعدِي

فلما سمعت شمس النهار انشاد الشعر من الجارية لم تستطع الجلوس وسقطت مغشيا عليها فزى الخليفة الفلح وجد بها عنده وصلح وضجت الجوارى وقلبها امير المومنين وحركها فاذا هى ميتة فحزن امير المومنين لموتها حزنا شديدا وامر بتكسير كل ما كان فى المجلس من الاوانى والعيدان وآلات الملاهى والطرب وحملها فى حجرة بعد موتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذى كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهرى سألتك بالله الا ما اعلمتنى يوم وصول جنازة على بن بكار لاجل ان احضر دفنه فقال لها اما انا ففى اى محل شئت تجدينى واما انت ففى اى محل اجدك ومن يستطيع الوصول اليك فى المحل الذى انت فيه فقالت له ان امير المومنين لما ماتت شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى فقمت معها واتيت الى قبرها وزرت شمس النهار ومضيت الى حالى ولم ازل انتظر جنازة على بن بكار الى ان جاءت فخرجت له اهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى اشدهن حزنا ولم يبق فى بغداد جنازة اعظم منها ولم نزل فى ازدحام عظيم حتى انتهينا الى المقبرة ودفناه الى رحمة الله تعالى وصرت لا انقطع عن زيارة قبره وقبر شمس النهار فهذا ما كان من حديثهما رحمهما الله تعالى وليس هذا باعجب من حديث الملك شهرمان قال لها الملك وكيف كان ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة المؤفية للسبعين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك يسمى الملك شهرمان وكان صاحب عسكر عظيم وخدم واعوان الا انه كان قد كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر في نفسه وحزن وقلق وشكى ذلك لبعض وزرائه وقال اني اخاف اذا امت ضاع الملك لاني لم اجد من يتولاه بعدي من ولدي فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله ايها الملك وابتهل اليه فقام الملك وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية صادقة ودعا زوجته للفراش وجامعها في ذلك الوقت فعلقت منه بقدرة الله تعالى فلما كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر ليلة تمامه فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح ونادى بالزينة فزينت المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر ورتبت له المراضع والدايات وتربى في العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا في الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولا نهارا فشكى ابوه لبعض وزرائه زيادة حبه له وقال ايها الوزير اني خائف على ولدي قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان واريد ان ازوجه في حياتي فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق والصواب ان تزوج ولدك في حياتك قبل ان تسلطنه فعند ذلك قال الملك شهرمان علي بولدي قمر الزمان فحضر واطرق برأسه الى الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حياتي فقال يا ابي اعلم انه مالي في الزواج رغبة ونفسي لا تميل الى النساء لاني وجدت في مكرهن وغدرهن كتبا وكلاما كثيرا كما قال الشاعر

فان تسألوني بالنساء فانني ... خبير باحوال النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

وقال الآخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه	فلن يفوز فتى يعطي النساء رسنه
يعقنه عن كمال في فضائله	ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

ولما فرغ من شعره قال يا ابي ان الزواج شئ لا افعله ابدا ولو سقيت كاس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتم لذلك غما شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما واغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له فيما اشار عليه به من امر الزواج ومن شدة محبته له لم يرض ان يكرر عليه هذا الكلام ولم يغضبه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان كل يوم يزداد حسنا وجمالا وظرفا ودلالا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة فوجده قد كمل بالفصاحة والملاحة وتهتكت في حسنه الورى وبروى لطفه كل نسيم سرى وصار فتنة في الجمال للعشاق وروضة في الكمال للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كانه غصن بان او قضيب خيزران ينوب خده عن الورد وشقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بدا فقالوا تبارك الله	جل الذي صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة	فكلهم اصبحوا رعاياه
في ريقه شهدة مذوبة	وانعقد الدر في ثناياه
مكملا بالجمال منفردا	كل الورى في جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته	اشهد ان لا مليح الا هوا

فلما كاملت سنة اخرى لقمر الزمان دعاه والده اليه وقال له يا ولدي اما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الارض بين يدي والده هيبة واستحى منه وقال له يا ابت كيف لا اسمع منك وقد امرني الله بطاعتك وان لا اعصيك

فقال له الملك شهرمان يا ولدي اعلم اني اريد ان ازوجك وافرح بك في حيوتي واسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع من ابيه ذلك اطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ابت هذا شئ لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى وانا اعلم يقينا ان الله تعالى فرض علي طاعتك فبالله عليك لا تكلفني في امر الزواج ولا تظن اني اتزوج طول عمري لانني قرأت كتب المتقدمين والمتأخرين واطلعت على ما وقع لهم من النساء من الفتن والآفات ومكرهن غير المتناهي وما يحدث عنهن من الدواهي وما احسن قول الشاعر

مَنْ كَادَهُ الْعَاهِرَاتُ · فَلَا يَرَى مِنْ خَلَاصِ
وَلَوْ بَنَى أَلْفَ حِصْنٍ · مُشَيَّدَةً بِالرَّصَاصِ
فَلَيْسَ يُجْدِي بِنَاهَا · وَلَا تُفِيدُ الصَّيَاصِي
إِنَّ النِّسَاءَ خَائِنَاتٌ · لِكُلِّ دَانٍ وَقَاصِ
مُخَضَّبَاتُ بَنَانٍ · مُضَفَّرَاتُ عِقَاصِ
مُكَحَّلَاتُ جُفُونٍ · مُجَرِّعَاتُ غِصَاصِ

وما احسن قول الآخر

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ دُعِينَ لِعِفَّةٍ · رِمَمٌ تُقَلِّبُهَا النُّسُورُ الْحُوَّمُ
فِي اللَّيْلِ عِنْدَكَ سِرُّهَا وَحَدِيثُهَا · وَغَدًا لِغَيْرِكَ سَاقُهَا وَالْمِعْصَمُ
كَالْخَانِ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ رَاحِلًا · فَيَحِلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض المجلس دعا الملك بوزيره واختلى به وقال له ايها الوزير اخبرني ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك طلب وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير قل لي ما الذي افعله في ولدي قمر الزمان من قضية الزواج فاني استشرتك في زواجه فانت الذي اشرت علي بزواجه قبل ان اسلطنه

فذكرت له الزواج مرارا فما اغنى فاشر علىّ الآن ايها الوزير ما الذى افعل فقال له الوزير ايها الملك اصبر عليه سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها فى هذا الامر فلا تكلمه سرا وانما كلمه فى يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفون فاذا اجتمع هؤلاء فارسل حينئذ خلف ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة واحضره فاذا حضر فقل له على امر الزواج بحضرة الوزراء وارباب الدولة واصحاب الصولة فانه لا بد يستحى منهم ولا يقدر ان يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأيه فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مرت عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين سنة والبسه الله حلة الجمال وتوجه بتاج الكمال فصار طرفه اسحر من هاروت وغنج لحاظه اضل من الطاغوت واشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كأنه الليل العاكر وخصره ارق من خيط هميان وردفه اثقل من الكثبان تفتتن البلابل على العطاف ويشتكى خصره من ثقل اردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء هذه الابيات

قسما بوجنته وباسم ثغره ... وباسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه ... وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ناظرى ... وسطا علىّ بنهيه وبامره
وعقارب قد ارسلت من صدغه ... وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره ... وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبطيب نكهته وسلسال جرى ... فى فيه يزرى بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج فى حركاته ... وسكونه وبرقة فى خصره
وبجود راحته وصدق لسانه ... وبطيب عنصره وعالى قدره
ما المسك الا من فضالة خاله ... والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه ... وارى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وجاء يوم حكومته وتكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة ثم انه ارسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبّل الارض بين يديه ابيه ثلث مرات ووقف مكتّفا يديه وراء ظهره قدام ابيه فقال له ابوه اعلم ياولدي اني ما ارسلت اليك وما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع اهل الدولة حاضرون بين ايدينا الا لاجل ان امرك بامر فلا تخالفني فيه وذلك ان تتزوج لاني اشتهي ان ازوجك بابنة ملك من الملوك وافرح بك قبل موتي فلما سمع قمر الزمان من ابيه ذلك اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى ابيه وقد لحقه في تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له اما انا فلا اتزوج ابدا ولو سقيت كؤس الردى واما انت فرجل كبير السن صغير العقل اليس انك سألتني قبل هذا اليوم مرّتين غير هذه المرة في شان الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فكّ كتاف يديه وشمّر عن ذراعيه قدام ابيه وهو في غيظه وتكلم مع ابيه بكلام كثير وانزعج خاطره فخجل ابوه واستحى لانه حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين في موسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ على المماليك الذين قدامه وقال لهم امسكوه فتسابقت اليه المماليك فمسكوه واحضروه قدامه فامرهم ان يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدي الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل جبينه ووجهه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبّه وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن انت الى الآن ما ادّبك احد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان كيف يكون هذا جوابك لي بين عساكري وجيوشي ولكن انت الى الآن ما ادبك احد اما تعلم ان هذا الامر الذي صدر منك لو صدر من عامي من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك امر المماليك ان يحلوا كتافه ويحبسوه في برج من ابراج القلعة فعند ذلك اخذوه ودخلوا به الى برج عتيق فيه قاعة خربة وفي وسط القاعة بئر خربة عتيقة فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا لقمر الزمان فيها سريرا وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة واتوا له بفانوس كبير وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما في النهار ثم ان المماليك ادخلوا قمر الزمان في ذلك المكان وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ماجرى منه في حق والده حيث لا ينفعه الندم وقال لعن الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتني سمعت من والدي وتزوجت فلو فعلت ذلك كان احسن لي من هذا السجن هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر ابيه فانه اقام على كرسي مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير فقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب في هذا الذي جرى بيني وبين ولدي كله حيث اشرت علي بما اشرت فما الذي تشير به علي ان افعله الآن فقال له الوزير ايها الملك دع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان ودع ولدك في السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأى الوزير في ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه

وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئ له نوم الا اذا وضع ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة متشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانه نائم على جمر الغضاة ولحقه الوسواس ولم ياخذه نوم فى تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وانشد يقول شعر

لَقَدْ طَالَ لَيلِي وَالوُشَاةُ هُجُوعُ	وَنَاهِيكَ قَلْبًا بِالفِرَاقِ مَرُوعُ
أَقُولُ وَلَيلِي زَادَ بِالهَمِّ طُولُهُ	أَمَا لَكَ يَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ رُجُوعُ

وقول الآخر

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاهٍ طَرْفُهُ	وَالقُطْبُ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتُ نَعْشٍ فِي الحِدَادِ سَوَافِرًا	أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما دخل عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيئا من الماكل فاكل قليلا وصار قمر الزمان يعاتب نفسه على الذى اساء الادب فى حق ابيه وقال لنفسه يا نفسى الم تعلمى ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك ثم ذرفت عيناه بالدموع وبكى على ما كان صدر منه من فؤاد موجوع وقلب مصدوع وندم على ما وقع منه فى حق ابيه غاية الندم وانشد يقول

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ	وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ	وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَى عَلَى مَهْلِ

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل له المملوك يديه من الطعام ثم قام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما صلى المغرب والعشاء جلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والاخلاص والمعوذتين وختم بالدعاء وتحصن واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها

وجهان وهي محشوة بالخز العراقي وتحت رأسه مخدة محشوة بريش النعام
وحين اراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام في قميص مشمع رفيع وكان
على رأسه مقنع مروزي ازرق فصار قمر الزمان تلك الساعة في هذه الليلة
كانه البدر اذا بدر ليلة اربعة عشرة ثم تغطى بملاءة من حرير ونام
والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما
الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبئ له في الغيب وما قدره عليه علام
الغيب وكان بالامر المقدر والقضاء المحتم ان هذا البرج وهذه القاعة
كانا عتيقين مهجورين من مدة سنين وكانت في تلك القاعة بئر رومانية معمورة
بجنية ساكنة فيها وهي من ذرية ابليس اللعين واسمها ميمونة ابنة الدمرياط
احد ملوك الجان المشهورين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد
ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت
تلك العفريتة من البئر الروماني وقصدت السماء لاستراق السمع فلما
ان صارت اعلى البئر رأت نورا يشتعل في البرج على خلاف العادة وكانت تلك
العفريتة مقيمة في ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت في
نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك فلما رأت النور تعجبت من هذا الامر
غاية العجب وخطر ببالها انه لابد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك
النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلت اليها فوجدت الخادم نائما على باب
القاعة ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم
وشمعة موقودة عند رأسه وفانوس موقود عند رجليه فتعجبت العفريتة
ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت
على السرير وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان ونظرت اليه فبهتت
في حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة
فصار وجهه يتلألأ انوارا وتغازلت من النوم عيناه واسودت مقلتاه واحمر
خداه وفتر جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قَبَّلْتُهُ فَاسْوَدَّتِ الْمُقَلُ الَّتِي	هِيَ فِتْنَتِي وَاحْمَرَّتِ الْوَجَنَاتُ
يَا قَلْبُ اِنْ زَعَمَ الْعَوَاذِلُ اَنَّهُ	فِي الْحُسْنِ يُوجَدُ مِثْلُهُ قُلْ هَاتُوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله انى لم اضره ولم اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء افديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح عليه ولكن كيف هان على اهله حتى انهم خلوه في هذا المكان الخراب فلو طلع له احد من مردتنا في هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت اجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة ولم تزل طائرة في الهواء وصاعدة في الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فدنت منها فوجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما احس بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه فاستجار بها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم المكرم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له لقد اقسمت علي يا ملعون بقسم عظيم ولكن لا اعتقك حتى تخبرني من اين مجيئك في هذه الساعة فقال لها ايها السيدة اعلمي ان مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك باعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني اروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك وثيقة انى عتيقك حتى لا يعارضني احد من ارهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذى رأيته في هذه الليلة يا كذاب يا ملعون فاخبرني ولا تكذب علي وتريد ان تنفلت مني بكذبك وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن شمهورش الطيار رضيت يا سيدتي بهذا الشرط وادرك شهرزاد الصباح

فسكتت

فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنشا قال لميمونة رضيت ياسيدتي بهذا الشرط ثم قال اعلمي ياسيدتي اني قد خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله في زمانها احسن منها واني لم اقدر اصفها لك فان لساني يعجز عن وصفها كما ينبغي ولكن اذكر لك شيئا من صفاتها على سبيل التقريب اما شعرها فكليالي الهجر والانفصال واما وجهها فكايام الوصال وقد احسن في وصفها من قال

نَشَرَتْ ثَلٰثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا	فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيَالِيَ أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا	فَأَرَتْنِيَ الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خدّ كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفئ مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسوّاه ومتصل به عضدان مدملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وَزَنْدَانِ لَوْلَا أُمْسِكَا بِأَسَاوِرٍ	لَسَالَا مِنَ الْأَكْمَامِ سَيْلَ الْجَدَاوِلِ

ولها نهدان كانهما من العاج حقان يستمد من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطوية كطي القباطي المصرية المدبجة بطيات كالقراطيس المدرجة وينتهي ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا ارادت القيام ويوقظها اذا ارادت المنام كما قال فيها الشاعر واجاد

لَهَا كَفَلٌ تَعَلَّقَ فِي ضَعِيفٍ	وَذَاكَ الرِّدْفُ لِي وَلَهَا ظَلُومُ
فَيُوقِفُنِي إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ	وَيُقْعِدُهَا إِذَا هَمَّتْ تَقُومُ

ويحمل ذلك الكفل فخذان مدملجان وساقان كانهما من الدر عمودان ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان محددان مثل حد السنان صنعة المهيمن الديان فتعجبت لصغرهما كيف يحملان ما فوقهما وقد اختصرت

فى وصفها خوف الاطالة فتركته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العفريت دهنشا بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وقد اختصرت فى وصفها خوف الاطالة فلما سمعت ميمونة وصف تلك الصبية وحسنها وجمالها تعجبت فقال لها دهنش وان ابا تلك الصبية ملك جبار فارس كرار خواض المعامع فى الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر واقاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه الصبية التى وصفتها لك حبا شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلور والثانى من الرخام والثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من المعادن والجواهر والقصر الخامس من الخزف والجزع الملون والفصوص والقصر السادس من الفضة والقصر السابع من الذهب وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر من الحرير واوانى الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليه الملوك وامر ابنته ان تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منه فشاورها وراودها فى امر الزواج فكرهت ذلك وقالت لابيها يا والدى ليس لى غرض فى الزواج ابدا فانى سيدة وحاكمة وملكة احكم على الناس ولا اريد رجلا يحكم على وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها فعند ذلك ارسلت جميع ملوك جزائر الصين الجوانية لابيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى امر زواجها فكرر عليها ابوها المشاورة فى امر الزواج مرارا عديدة فخالفته وسفهت عليه وغضبت منه وقالت له يا ابى ان ذكرت لى الزواج مرة اخرى دخلت البيت واخذت السيف وغرزت قائمه فى الارض وادخلت ذبابته فى بطنى واتكئ عليه حتى يطلع من ظهرى واقتل نفسى فلما سمع ابوها منها هذا الكلام

صار الضياء في وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشي
ان تقتل نفسها وحار في امرها وفي امر الملوك الذين خطبوها فقال لها
ان كان ولا بد من عدم زواجك فامتنعي من الدخول والخروج ثم ان اباها
ادخلها البيت وحجبها فيه ورسم عليها عشرة عجائز قهرمانات ومنعها من
ان تظهر الى السبع قصور واظهر انه غضبان عليها وارسل كاتب الملوك جميعهم
واعلمهم انها اصيبت بجنون في عقلها ولها الآن سنة وهي محجوبة ثم ان
العفريت دهنش قال العفريتة ميمونة وانا اروح اليها يا سيدتي في كل ليلة
فانظرها واتملى بوجهها واقبلها وهي نائمة بين عينيها ومن محبتي فيها
لا اضرها ولا اوذيها ولا اركبها لان شبابها مليح وجمالها بارع كل من رآها
يغار عليها من نفسه واقسمت عليك يا سيدتي ان ترجعي معي وتنظري حسنها
وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبيني او تأسريني
فافعلي فان الامر امرك والنهي نهيك ثم ان العفريت دهنش اطرق برأسه
الى الارض وخفض اجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد
ان ضحكت من كلامه وبصقت في وجهه ايش هذه البنت التي تقول عنها
فما هي الا قوارة بول افوه افوه والله اني حسبت ان معك امرا عجيبا او خبرا غريبا
يا ملعون فكيف لو رأيت معشوقي اني رأيت انسانا في هذه الليلة لو رأيته
ولو في لنام لانفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا
الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى
لمعشوقتك التي ذكرتها وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فابى فلما خالف اباه
غضب عليه وسجنه في البرج الذي انا ساكنة فيه فطلعت في هذه الليلة
فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتي اريني هذا الغلام لانظر هل هو احسن من
معشوقتي الملكة بدور ام لا لاني ما اظن ان يوجد في هذا الزمان مثل معشوقتي
فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا انحس المردة واحقر الشياطين فانا
المحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش
انا الحقق انه لا يوجد لمعشوقي مثيل في هذه الديار فهل انت مجنون حتى
تقيس معشوقتك بمعشوقي فقال لها بالله عليك ياسيدتي امضي معي وانظري
معشوقتي وارجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لا بدّ من ذلك
يا ملعون انك شيطان مكّار ولكن لا اجئ معك ولا تجئ انت معي الّا ان يكون رهن
وشرط وهو انه ان طلعت معشوقتك التي انت تحبها وتتغالى فيها احسن
من معشوقي الذي ذكرته واحبه واتغالى فيه فان ذلك الرهن والشرط
يكون لك عليّ وان طلع معشوقي احسن فان ذلك الرهن يكون لي عليك فقال
لها العفريت دهنش ياسيدتي قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى
معي الى الجزائر فقالت ميمونة لا لانّ موضع معشوقي اقرب من موضع معشوقتك
وها هو تحتنا فانحدر معي لتنظر معشوقي ونروح بعد ذلك الى معشوقتك
فقال لها دهنش السمع والطاعة ثم انحدرا الى اسفل فنزلا في دور القاعة التي
في البروج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدّت يدها وشالت
ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان ابن الملك شهرمان فسطع وجهه ولمع و
اشرق وزهى فنظرت ميمونة اليه والتفتت من وقتها وساعتها الى دهنش
وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات
وعند ذلك نظر اليه دهنش واستمرّ يتأمل فيه ساعة ثم حرّك رأسه
وقال لميمونة والله ياسيدتي انك معذورة ولكن بقي عليك شيء آخر
وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقك هذا اشبه
الخلق بمعشوقتي في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كانهما
قد افرغا في قالب الجمال سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار
الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على راسه لطمة قوية كادت
ان تقضي عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجه جلاله ان تروح يا ملعون
في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتأتي بها سريعا الى هذا المكان
حتى نجمع بين الاثنين وننظر فيهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما سواء فيظهر
لنا ايهما املح واحسن من صاحبه وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعة
يا ملعون احرقتك بناري ورميت عليك شراري ومزقتك قطعا واريك

في البراري واجعلك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش يا سيدتي لك علي ذلك وانا اعرف ان محبوبتي املح واحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته و ساعته وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغاب ساعة زمانية ثم اقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص سندي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات وراس الكمين مكتوب عليه هذه

الابيات شعر

ثَلٰثَةٌ مَنَعَتْهَا عَنْ زِيَارَتِنَا	خَوْفُ الرَّقِيبِ وَخَوْفُ الْحَاسِدِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْحُلِيِّ وَمَا	حَوَتْ مَعَاطِفُهَا مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الْجَبِينَ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتُرُهُ	وَالْحَلْيَ تَنْزِعُهُ مَا حِيلَةُ الْعَرَقِ

ولم يزل دهنش وميمونة حاملين تلك الصبية حتى وضعاها ومدداها بجانب الغلام قمر الزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش والعفريتة ميمونة لم يزالا حاملين الملكة بدور حتى نزلا ومدداها بجانب قمر الزمان على السرير وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكانهما توأمان او اخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يَا قَلْبُ لَا تَعْشَقْ مَلِيحًا وَاحِدًا	تَخْتَارُ فِيهِ تَدَلُّلًا وَتَذَلُّلَا
وَاهْوَ الْمِلَاحَ جَمِيعَهُمْ تَلْقَاهُمُ	إِنْ صَدَّ هٰذَا كَانَ هٰذَا مُقْبِلَا

وقال الآخر

رَأَيْتُ بِعَيْنِي نَائِمَيْنِ عَلَى الثَّرَى	وَدِدْتُهُمَا لَوْ يَرْقُدَانِ عَلَى جَفْنِي

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش والله طيب يا سيدتي ان محبوبتي احسن فقالت له ميمونة بل معشوقي احسن ويلك يا دهنش انت اعمى العين والقلب ما تفرق بين الغث والسمين هل يخفى الحق اما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله ويلك اسمع ما اقوله في محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في معشوقي ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان بين عينيه قبلات عديدة وانشدت تقول هذه القصيدة

مالي وللاحي عليك يعنف … كيف السلو وانت غصن اهيف
لك مقلة كحلاء تفثت سحرها … ما للهوى لعذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشا … ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وانني … بالعجز عن حمل القميص واضعف
وجدي عليك كما علمت ولوعتي … طبع وعشقي في سواك تكلف
لو ان قلبي مثل قلبك لم ابت … والجسم مني مثل خصرك منحف
ويلاه من قمر بكل ملاحة … بين الانام وكل حسن يوصف
قال العواذل في الهوى من ذا الذي … انت الكئيب به فقلت لهم صفوا
يا قلبه القاسي تعلم عطفة … من قده فعسى يرق ويعطف
لك يا اميري في الملاحة ناظر … يسطو علي وحاجب لا ينصف
كذب الذي ظن الملاحة كلها … في يوسف كم في جمالك يوسف
الجن تخشاني اذا قابلتها … وانا اذا القاك قلبي يرجف
اتكلف الاعراض عنك مهابة … واليك اصبو جهد ما اتكلف
والشعر اسود والجبين مشعشع … والطرف احور والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة فى معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العفريت دهنش لما سمع شعر ميمونة اهتز من شدة الطرب وقال انك انشدت فيمن تعشقينه واحسنت فى وصفه وانا الاخر لابد لى ان ابذل الجهد على قدر طاقتى واقول فى محبوبتى شيئا ثم ان دهنش قام الى الصبية بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى ميمونة والى معشوقته بدور وانشد يقول هذه القصيدة وهو بلا شعور

لاموا على حب المليح وعنفوا … ما انصفوا من جهلهم ما انصفوا
جودي بوصلك للمتيم انه … ان ذاق هجرك بالتخلف يتلف
ولقد بليت صبابة بمدامعي … تحكي الدما من جفن عيني تذرف
ليس العجيب بما الاقي في الهوى … وعجبت حيني بعد بعدك يعرف

حُرِمتُ وصلَكِ إن هممتُ بريبةٍ	أو مَلَّ قلبي الحبَّ أو يتكلَّفُ

وقول الآخر

أقوت معاهدهم بشطّ الوادي	فبقيت مقتولاً وشطّ الوادي
وسكرت من خمر الغرام ورقصت	عين الدموع على غناء الحادي
أسعى لأسعد بالوصال وحقّ لي	إن السعادة في بدور سعاد
لم أدرِ من أيّ الثلاثة أشتكي	ولقد عددت فاصغ للأعداد
من لحظها السيّاف أم من قدّها الرمّاح أم من صدغها الزرّاد	
قالت وقد فتّشت عنها كلّ من	لاقيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه	ترني فقلت لها وأين فؤادي

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الشعر قالت له احسنت يا دهنش ولكن اي هذين الاثنين احسن فقال لها محبوبتي بدور احسن من محبوبك فقالت له ميمونة كذبت يا ملعون بل محبوبي احسن من معشوقتك فقال دهنش معشوقتي احسن ثم انهما لم يزالا يعارضان مع بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به فذلّ لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك وقولي فان كلا منا يشهد لمعشوقه انه احسن فنعرض كل واحد منا عن كلامه ونطلب من يفصل الحكم بيننا ونعتمد على ما يقوله فقالت له ميمونة رضيت بذلك ثم دقت بكفها الارض فطلع منها عفريت اعور احدب اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى كعبيه ويداه مثل المداري ورجلاه مثل الصواري وله اظفار مثل اظفار الاسد وحوافر مثل حوافر الحمار الوحشي فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبّل الارض بين يديها ووقف مكتفا وقال لها ما حاجتك ايها السيدة يا بنت الملك فقالت له يا قشقش اني اريد ان تحكم بيني وبين هذا الملعون دهنش ثم انها حكت له على القصة من اولها الى آخرها فعند ذلك نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما في الحسن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر المارد قشقش اليهما وتعجب من حسنهما وجمالهما والتفت الى ميمونة ودهنش بعد ان اطال الى الصبي والصبية الالتفات

وانشد يقول هذه الابيات

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَدَعْ مقَالَةَ حَاسِدٍ ... لَيْسَ الحَسُودُ عَلَى الهَوَى بِمُسَاعِدِ
لَنْ يَخْلُقَ الرَّحْمٰنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا ... مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدِ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا حُلَلُ الرِّضَى ... مُتَوَسِّدَيْنِ بِمِعْصَمٍ وَبِسَاعِدِ
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ ... فَهُوَ المُرَادُ وَعِشْ بِذَاكَ الوَاحِدِ
وَإِذَا تَآلَفَتِ القُلُوبُ عَلَى الهَوَى ... فَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ
يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الهَوَى أَهْلَ الهَوَى ... هَلْ تَسْتَطِيعُ صَلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدِ
يَا رَبِّ يَا رَحْمٰنُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا ... قَبْلَ المَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ

ثم ان العفريت دهنش التفت الى ميمونة ودهنش وقال لهما والله ان اردتما الحق فانى اقول ان الاثنين سواء فى الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما بالتذكير والتانيث وعندى رأى آخر وهو اننا ننبه احدهما من غير علم الثانى فكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال فقالت ميمونة هذا الرأى هو الصواب وقال دهنش رضيت بذلك فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث وقرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوبا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان دهنشا انقلب فى صورة برغوث وقرص قمر الزمان فوثب من منامه مرعوبا وهرش موضع القرصة فى رقبته من شدة ما احرقته فتحرك بجنبه فوجد شيئا نائما بجنبه ونفسه ازكى من المسك الاذفر وجسمه الين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب وقام وجلس على حيله ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية او القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها الشاعر

أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ قَطُّ سِوَى ... عَلَى أَذَى مُهْجَتِي وَسَفْكِ دَمِي
ضَوْءُ جَبِينٍ وَلَيْلُ سَالِفَةٍ ... وَوَرْدُ خَدٍّ وَضَوْءُ مُبْتَسَمِ

وقول الآخر

وفاحت عنبراً ورنت غزالا	بدت قمراً ومالت غصن بانٍ
فساعة هجرها يجد الوصالا	كأنّ الحزن مشغوف بقلبي

فلما رأى قمر الزمان الست بدور بنت الملك الغيور ورأى حسنها وجمالها وهي نائمة بجانبه ورأى عليها قميصاً بندقياً وهي بلا سروال وفوق رأسها كوفية مطرزة بالذهب مرصعة بالجواهر وفي اذنيها زوج حلق يضيء مثل الكوكب وفي عنقها عقد من الدر اليتيم لا يقدر عليه احد من الملوك فنظر اليها بعينه فصار مدهوش العقل فتحركت فيه الحرارة الغريزية والقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم انه مدّ يده اليها وقلبها وفتح طوق قميصها فبان له صدرها ورأى نهودها مثل حقين من العاج فازداد فيها محبة ورغب فيها رغبة عظيمة فصار ينبّهها وهي لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزّها ويحرّكها ويقول يا حبيبتي استيقظي وانظري من انا فانا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر في امرها ساعة زمانية وقال في نفسه ان صدق حذري فهذه الصبية هي التي يريد والدي زواجي بها ومضى لي ثلث سنين وانا امتنع من ذلك فانا ان شاء الله اذا جاء الصبح اقول لابي زوّجني بها لاتملّى بها والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال في نفسه والله اني اصبح واقول لابي زوّجني بها لاتملّى بها ولا اترك نصف النهار يفوت حتى افوز بوصالها واتملّى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبّلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت واما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما اراد ان يقبلها في فمها استحى من الله تعالى ودار برأسه والتفت بوجهه وقال لقلبه اصبر فتفكر في نفسه وقال انا اصبر لئلا يكون والدي لما غضب عليّ وحبسني في هذا الموضع جاء لي بهذه الصبيّة وامرها بالنيام بجانبي ليمتحنني بها واوصاها انه اذا نبهتها لا تستيقظ سريعاً وقال لها اي شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به او يكون والدي واقفاً مستخفياً في مكان بحيث يطلع عليّ وانا لا انظره

وهو ينظر جميع ما افعله بهذه الصبية فيصبح يوبخني ويقول لي كيف تقول مالي ارب في الزواج وانت قبلت تلك الصبية وعانقتها فانا اكف نفسي عنها لئلا ينكشف امري مع والدي والصواب اني لا المس هذه الصبية في تلك الساعة ولا انظر اليها غير اني اخذ لي منها شيئا يكون امارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية واخذ من خنصرها خاتما يساوي جملة من المال لان فصه كان من نفيس الجواهر ومنقوش في دائرته هذه

الابيات

لا تحسبوا اني نسيت عهودكم مهما اطلتم في الزمان صدودكم
يا سادتي جودوا علي واعطفوا فعسى اقبل ثغركم وخدودكم
والله اني لست ابرح عنكم ولو اعتديتم في الغرام حدودكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وادار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يقبلها ولا مد يده اليها بل ادار ظهره اليها ونام فقالا لها نعم قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار اربعة قراريط وقرصتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة على حيلها فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغط في نومه وهو من احسن خلق الله تعالى وله لواحظ تخجل الحور الحسان وريقة حلو المذاق وانفع من الترياق وفم كانه خاتم سليمان وشفتان مثل لون المرجان وخدود كشقائق النعمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات

سلى خاطري عن زينب ونوار بوردة خد فوق آس عذار
واصبحت بالظبي المقرطق مغرما ولا رأي لي في عشق ذات سوار
انيسي في النادي وفي خلوتي معا خلاف انيسي في قرارة داري
فيا لائمي في هجر هند وزينب وقد لاح عذري كالصباح لساري
اترضى بان امسي اسير اسيرة محصنة او من وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وادركها

سنر

شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام
والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا اعرفه
ما باله راقدا بجنبي في فراش واحد ثم نظرت اليه ثانی مرة وتاملت حسنه
وجماله فقالت والله انه شاب مليح الا ان كبدي تكاد ان تتمزق وجدا
عليه فيا فضيحتي منه والله لو علمت ان هذا الشاب هو الذي خطبني من ابي
ما رددته بل كنت اتزوجه واتملى بجماله ثم نظرت الى وجهه وقالت يا سيدي
ونور عيني انتبه من النوم وتمتع بحسني وجمالي ثم حركته بيدها فارخت عليه
ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزت
الملكة بدور قمر الزمان بيدها وتقول له بحياتي عليك ان تطيعني فانتبه من منامك
وانظر الى النرجس والخضرة وتمتع ببطني والسرة وهارشني وناغشني من هذا
الوقت الى بكرة بالله عليك قم يا سيدي واتكئ على المخدة ولا تنم فلم يرد عليها
قمر الزمان جوابا بل غط في النوم فقالت يوه يوه انت تغتر بحسنك وجمالك وظرفك
ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى ايضا مليحة فما هذا الذي تفعله هل هم علموك
الصد عني او ابي الشيخ النحس علمك ومنعك وحلفك انك لا تكلمني هذه الليلة
ثم فتح قمر الزمان فمه ولا انتبه فازدادت فيه محبة والقى الله محبته في قلبها
ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت احشاؤها واضطربت
جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدي كلمني يا حبيبي حدثني يا معشوقي رد
علي الجواب وقل لي ما اسمك فانك قد سلبت عقلي كل ذلك وقمر الزمان
مستغرق في النوم ولم يرد عليها بكلمة فتاوهت الملكة بدور وقالت له يوه يوه
ما لك معجبا بنفسك ثم هزته وقلبت يده فرأت خاتمها في اصبعه الخنصر فشهقت
شهقة واتبعتها بغنجة وقالت اواه اواه والله انت حبيبي وتحبني ولكن كانك تعرض
عني دلالا مع انك يا حبيبي جئتني وانا نائمة وما اعرف ما فعلت معي واخذت
خاتمي ولكن ما انا قالعة خاتمي من اصبعك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه فقبلته
ومدت يدها اليه تفتش لاجل ان ترى معه شيئا تأخذه فلم تجد شيئا

فنزلت بيدها الى صدرها فزلقت يدها من نعومة جسمه الى بطنه فنزلت الى سرته فسقطت يدها على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها وهاجت عليها الشهوة لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال فخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته فى اصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته فى ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا الا قبلته ثم بعد ذلك تقدمت اليه واخذته فى حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه واعتنقته ونامت بجانبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى قالت ميمونة لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعل معشوقى من التيه والدلال وكيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى ولاشك ان معشوقى احسن من معشوقتك ولكنى عفوت عنك ثم كتبت له وثيقة انه اعتقه والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل مع دهنش واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها لان الليل قد مضى ولم يبق منه الا قليل فقال سمعا وطاعة ثم تقدم قشقش ودهنش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها واوصلاها الى مكانها وارقداها فى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه فالتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ما هذا الامر كأن ابى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم اخذها سرا لاجل ان تزداد رغبتى فى الزواج ثم انه صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم على حيلك فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم وقدم الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله تعالى ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ الصبية من جنبى وانا نائم فقال له الخادم يا سيدى اى شىء الصبية فقال قمر الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانزعج

الخادم من كلامه وقال له والله ما كان عندك صبية ولا غيرها ومن اين دخلت الصبية وانا نائم على الباب وهو مقفول والله يا سيدى ما دخل عليك ذكر ولا انثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعنى ولا تخبرنى اين ذهبت الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى اخذها من عندى فقال الطواشى وقد انزعج منه والله يا سيدى ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له يا ملعون ان ابى علمك المكر فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فمسك قمر الزمان باطواقه وضرب به الارض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشى عليه وشاله بعد ذلك وربطه فى سلبة البئر وادلاه الى ان وصل الى الماء وارخاه وكانت تلك الايام ايام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وارخاه ثانيا ولا زال يغطس فى ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى تعلمنى وتخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها ومن الذى اخذها وانا نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال للخادم والله ما اطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية ومن الذى اخذها وانا نائم فقال له بعد ما عاين الموت يا سيدى اطلقنى وانا احكى لك على الصحيح واخبرك بالخبر فعند ذلك جذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من البرد والعذاب والغطاس والخوف من الغرق والضرب وصار يرتعد مثل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت اسنانه فى بعضها وابتلت ثيابه وتلوث بدنه وتسطب من حيطان البئر وصار فى حالة شنيعة فعند ذلك صعب على قمر الزمان لما رآه فى تلك الحالة فلما رأى الخادم نفسه على وجه الارض قال له يا سيدى دعنى اروح واقلع ثيابى واعصرها وانشرها فى الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك بالخبر الصحيح فقال له قمر الزمان يا عبد السوء لولا انك عاينت

الموت ما اقررت بالحق وما قلت ذلك فاخرج لقضاء اغراضك وعد الي سريعا
واخبرني على الصحيح فعند ذلك خرج العبد وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل
يجري ويقع ويقوم الى ان دخل على الملك شهرمان ابي قمر الزمان فرآه
جالسا والوزير بجانبه وهما يتحدثان في امر قمر الزمان والملك يقول للوزير
اني لم انم هذه الليلة من اشتغال قلبي على ولدي قمر الزمان واني اخاف
ان يحصل له ضرر في هذا البرج العتيق واي شيء كان في سجنه من المصلحة
فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شيء ابدا فاتركه مسجونا شهر زمان
حتى تلين عريكته وتنكسر نفسه ويهدى خلقه فبينما هما في الكلام
واذا بالخادم دخل عليهما وهو في تلك الحالة فانزعج الملك منه فقال له الخادم
يا مولانا السلطان ان ولدك طار عقله وصار مجنونا وقد فعل بي كذا وكذا
حتى صرت كما تراني وهو يقول لي ان صبية باتت عندي في هذه الليلة
وذهبت بخفية فاين هي ويكلفني اني اخبره لها وبمن اخذها وانا لا رأيت صبية
ولا صبيا والباب طول الليل مغلوق وانا نائم على بابه والمفتاح تحت رأسي
وفتحت له في الصبح بيدي فلما سمع الملك شهرمان هذا الكلام عن ولده
قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب على الوزير الذي كان سببا في هذه
الامور غضبا شديدا وقال له قم اكشف لي خبر ولدي وانظر ما جرى في عقله
فقام الوزير وخرج وهو يتعثر في اذياله من خوفه من سطوة الملك وراح
مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان
فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس الى جانبه
وقال له يا سيدي ان هذا الخادم السوء اخبرنا بخبر شوش علينا وازعجنا
فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان وما الذي قال لكم عني
حتى شوش على ابي وفي الحقيقة هو ما شوش الا علي فقال له الوزير انه جاء
الينا بحالة منكرة وقال لوالدك قولا حاشاك منه وكذب علينا هذا العبد
بما لا ينبغي ان يذكر في شانك فسلامة شبابك وسلامة عقلك الرجيح و
لسانك الفصيح وحاشا ان يظهر منك قبيح فقال له قمر الزمان ايها الوزير
فاي شيء قاله هذا العبد النحس عني فقال له الوزير انه اخبرنا ان عقلك ذهب
وقلت له انه كان عندك صبية في الليلة الماضية وكلفته انه يخبرك اين ذهبت

وعذبته على ذلك فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال للوزير تبين لي انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سمع كلام الوزير اغتاظ غيظا شديدا ثم قال للوزير تبين لي انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه ومنعتموه من ان يخبرني بامر الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة وانت ايها الوزير اعقل من الخادم فاخبرني فى هذه الساعة اين ذهبت الصبية التى كانت نائمة فى حضنى تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندى وامرتموها ان تنام فى حضنى ونمت واياها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هى الآن فقال له الوزير ياسيدى قمر الزمان اسم الله حواليك والله ما ارسلنا لك فى هذه الليلة احدا وقد نمت وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبية ولا غيرها فثبت عقلك وارجع اليه ياسيدى ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه ايها الوزير ان تلك الصبية معشوقتى وهى المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التى عانقتها فى هذه الليلة بطولها فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل انت رأيت تلك الصبية فى هذه الليلة بعينك فى اليقظة ام فى المنام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس أتظن انى رأيتها باذنى انما رأيتها بعيونى فى اليقظة وقلبتها بيدى وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا اتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وانما انتم قد علمتموها واوصيتموها انها لا تكلمنى فجعلت روحها نائمة فنمت بجانبها الى الصباح فتنبهت من منامى فلم اجدها فقال له الوزير ياسيدى قمر الزمان ربما تكون انت رأيت هذا الامر فى المنام فيكون اضغاث احلام او تخيلات من اكل مختلف الطعام او وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأ بى انت الآخر وتقول لي لعل هذا اضغاث احلام مع ان هذا الخادم كان قد

اقرّ لي بتلك الصبيّة وقال لي في هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصّتها ثم ان قمر الزمان قام من وقته وساعته وتقدّم الى الوزير وقبض لحيته في يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفّها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض فحسّ الوزير ان روحه طلعت من شدة نتف لحيته ولازال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويلكمه في صدره وعلى اضلاعه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه فقال الوزير في نفسه اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبي المجنون بكذبه فانا اولى بذلك منه واخلص نفسي انا الآخر بكذبة والا يهلكني فها انا اكذب واخلص نفسي منه فانه مجنون لاشكّ في جنونه ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان وقال له يا سيدي لا تؤاخذني فان والدك قد اوصاني ان اكتم عنك خبر هذه الصبيّة وانا الآن عجزت وكليت وتألّمت من الضرب لاني رجل كبير وليس لي جلد ولا قوة على تحمل الضرب فتمهّل عليّ قليلاً حتى احدثك واخبرك بقصة الصبية فعند ما سمع منه ذلك بطل عنه الضرب وقال له لايّ شيء لم تخبرني بخبر تلك الصبيّة الا بعد الاهانة والضرب فقم يا ايها الشيخ النحس واحكِ لي عن خبرها فقال له الوزير هل انت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم اخبرني ايها الوزير من الذي اتى بها اليّ وانامها بجانبي ومن الذي اخذها من جانبي في الليل واين ذهبت هي في هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسي فان كان ابي الملك شهرمان فعل معي هذه الفعال وامتحنني بتلك الصبية المليحة من اجل زواجها فانا رضيت ان اتزوج بها واريح نفسي من هذا فانه ما فعل معي هذا الامر كلّه الا من اجل امتناعي من الزواج فها انا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج فاعلم والدي بذلك ايها الوزير واشر اليه ان يزوجني بتلك الصبيّة فاني لا اريد سواها وقلبي لا يحبّ الا اياها فقم واسرع الى ابي واشر اليه بتعجيل زواجي ثم عد اليّ بالجواب في هذه الساعة فقال له الوزير نعم وما صدق انه يخلص من يديه ثم قام من عنده وخرج من البرج هو يمشي ويعثر من شدة الخوف والفزع ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير خرج من البرج ولم يزل يجري الى ان دخل على الملك شهرمان فلما وصل اليه قال له الملك ايها الوزير ما الذي دهاك ومن الذي بشره رماك ومالي اراك في رتباك حتى جئت مرعوبا فقال له ايها الملك اني قد جئتك ببشارة فقال له الملك وما هي قال له اعلم ان ولدك قمر الزمان ذهب عقله وحصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاما وقال له ايها الوزير اوضح لي صفة جنونه قال له ياسيدي سمعا وطاعة ثم اعلمه انه قد جرى منه كذا وكذا واخبره بما تم له معه فقال الملك ابشر ايها الوزير فاني اعطيك في نظير بشارتك اياي بجنون ولدي ضرب رقبتك وزوال النعمة عنك يا اخس الوزراء وانجس الامراء لاني اعلم انك سبب جنون ولدي بمشورتك ورأيك الفاسد النحس الذي اشرت به عليّ في الاول والآخر والله ان كان ياتي على ولدي شيء من الضرر او الجنون لاسمرنك على القبة واذيقك النكبة ثم ان الملك نهض قائما على اقدامه واتى به الى البرج ودخل فيه على قمر الزمان فلما وصلا اليه وثب قمر الزمان على الاقدام ونزل سريعا من فوق السرير الذي هو جالس عليه وقبل يدى والده وتأخر وراءه واطرق برأسه الى الارض وهو مكتف اليدين الى ورائه قدام ابيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه الى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خديه وانشد يقول

ان كنت قد اذنبت ذنبا سالفا	في حقكم واتيت شيئا منكرا
انا تائب عما جنيت وعفوكم	يسع المسيئ اذا اتى مستغفرا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير والتفت الى الوزير ونظر اليه بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدي قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبي عليه ثم التفت الملك الى ولده وقال له يا ولدي ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدي هذا يوم السبت وغدا يوم الاحد وبعده

يوم الاثنين وبعده الثلثاء وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدى يا قمر الزمان الحمد لله على سلامة عقلك ما اسم هذا الشهر الذى علينا بالعربى فقال اسمه ذو القعدة ويليه ذو الحجة وبعده المحرم وبعده صفره وبعده شهر ربيع الاول وبعده شهر ربيع الاخر وبعده جمادى الاولى وبعده جمادى الاخرى وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحا شديدا وبصق فى وجه الوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدى قد جن والحال انه ما جن الا انت فعند ذلك حرك الوزير برأسه واراد ان يتكلم ثم خطر بباله ان يتمهل قليلا لينظر ماذا يكون ثم ان الملك قال لولده يا ولدى اى شئ هذا الكلام الذى تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما انى كنت نائما مع صبية مليحة فى هذه الليلة فما شان هذه الصبية التى ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام ابيه وقال له يا ابى اعلم انه ما بقى لى قوة تحمل السخرية فلا تزيدوا على شيئا ولا بكلمة واحدة فقد ضاق خلقى مما تفعلونه معى واعلم يا ابى علما يقينا انى قد رضيت بالزواج ولكن بشرط ان تزوجنى تلك الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانى اتحقق انك انت الذى ارسلته الى وشوقتنى اليها وبعد ذلك ارسلت اليها قبل الصبح واخذتها من عندى فقال الملك اسم الله حواليك يا ولدى سلامة عقلك من الجنون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان اسم الله حواليك يا ولدى سلامة عقلك من الجنون فاى شئ هذه الصبية التى تزعم انى ارسلتها اليك فى هذه الليلة ثم ارسلت آخذها من عندك قبل الصباح فوالله يا ولدى ليس لى علم بهذا الامر فبالله عليك ان تخبرنى هل ذلك اضغاث احلام وتخيلات طعام فانك بت فى هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره فلعن الله الزواج وساعته ولعن من اشار به ولا شك ولا ريب انك متكدر المزاج من جهة الزواج فرايت فى المنام ان صبية مليحة تعانقك وانت تعتقد فى نفسك انك رأيتها

فى اليقظة وهذا كله يا ولدي اضغاث احلام فقال له قمر الزمان دع
عنك هذا الكلام واحلف لي بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد
الاكاسرة انه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال له الملك وحق
الله العظيم اله موسى وابراهيم انه لم يكن لي علم بذلك ولا عندي منه خبر
وانما ذلك اضغاث احلام رأيتها انت فى المنام فقال قمر الزمان لوالده انا
اضرب لك مثلا يبين لك ان هذا كان فى اليقظة وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال لوالده انا اضرب
لك مثلا يبين لك ان هذا كان فى اليقظة وهو انى اسألك هل اتفق
لاحد انه رأى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا وبعد ذلك
استيقظ من منامه فوجد فى يده سيفا ملوثا بالدم فقال له والده لا والله
يا ولدي لم يتفق هذا فقال قمر الزمان لوالده انا اخبرك بما حصل لي
وهو انى رأيت فى هذه الليلة كاني استيقظت من منامي نصف الليل
فوجدت بنتا نائمة بجانبي قدها كقدي وشكلها كشكلي فعانقتها
وقلبتها بيدي واخذت خاتمها ولبسته فى اصبعي وقلعت خاتمي والبسته
فى اصبعها ونمت بجنبها وامتنعت عنها حياء منك وخوفا ان تكون انت
ارسلتها تمتحنني بها وظننت انك مختفى فى مكان لتنظر ما افعل بها واستحييت
من اجل ذلك ان اقبلها فى فمها حياء منك وظننت انك ترغبني فى الزواج
وبعد ذلك انتبهت من منامي فى وجه الصبح فلم اجد للصبية اثرا ولا وقفت
لها على خبر وجرى لي مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الامر
مناما وكذبا وامر الخاتم صحيح ولولا الخاتم كنت اظن انه منام وهذا
خاتمها فى خنصري فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوي ثم ان قمر الزمان
ناول الخاتم لابيه فاخذه وتأمله وقلبه ثم التفت الى ولده وقال له
ان لهذا الخاتم نبأ عظيما وخبرا جسيما وان الذي اتفق لك فى هذه الليلة
مع تلك الصبية امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخول وما

سبب هذه الفتنة كلها الا الوزير فبالله عليك يا ولدي اصبر حتى يفرج الله عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم فان بعض الشعراء قال

عسى ولعل الدهر يلوي عنانه ... ويأتي بخير فالزمان غيور
ويسعد آمالي وتقضى حوائجي ... وتحدث من بعد الامور امور

فيا ولدي اني تحققت في هذه الساعة ان ما بك جنون ولكن قصتك غريبة لا يجليها عنك الا الله تعالى فقال له قمر الزمان بالله يا والدي انك تفعل معي جميلا وتفحص لي عن هذه الصبية وتعجل بقدومها والا مت كمدا لم يدر بموتي احد ثم ان قمر الزمان اظهر الوجد والتفت الى ابيه وانشد هذين البيتين

ان كان وعدكم بالوصل تزويرا ... ففي الكرى واصلوا المشتاق او زوروا
قالوا وكيف يزور الطيف جفن فتى ... منامه عنه ممنوع ومهجور

ثم ان قمر الزمان بعد انشاد هذه الاشعار التفت الى ابيه بخضوع وانكسار وافاض العبرات وانشد هذه الابيات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما انشد لابيه هذه الابيات بكى واشتكى وتأوه من كبد مجروح وانشد ايضا هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر ... وليس بناج من رمته المحاجر
ولا تخدعوا من رقة في كلامها ... فان الحميا للعقول تخامر
منعمة لو لامس الورد خدها ... بكت وجرت من مقلتيه المواطر
فلو في الكرى مر النسيم بارضها ... سرى ابدا من ارضها وهو عاطر
قلائدها تشكو رنين وشاحها ... وقد خرست من معصميها الاساور
اذا ما اشتهى الخلخال تقبيل قرطها ... بدت لعيون الوصل منها الضمائر
ولي عاذل في حبها غير عاذر ... وما تنفع الابصار لولا البصائر
عذولي لحاك الله ما انت منصف ... فعن حسن هذا الظبي تثنى النواظر

فلما فرغ من شعره قال الوزير للملك يا ملك العصر والاوان الى متى انت

تقعد عند ولدك وانت محجوب عن العساكر فربما يفسد عليك نظام مملكتك بسبب بعدك عن ارباب دولتك والعاقل اذا كان بجسمه جراحات مختلفات فليداوى الاخطر منها والرأى عندي ان تنقل ولدك من هذا المكان الى القصر الذي فى السراية المطل على البحر وينقطع عند ولدك فيه وتجعل للديوان والموكب فى كل جمعة يومين يوم الخميس ويوم الاثنين فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وخواص المملكة وبقية العسكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فتقضى لهم حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانه بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولم تزل على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه ولا تأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فان العاقل دائما محاذر وما احسن قول الشاعر

حَسَّنْتَ ظَنَّكَ بِالأَيَّامِ اِذْ حَسُنَتْ	وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ القَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا	وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الكَدَرُ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مَنْ كَانَ الزَّمَانُ لَهُ	مُسَاعِدًا فَلْيَكُنْ مِنْ رَأْيِهِ الحَذَرُ

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابا ونصيحة له فى مصلحته فاثر عنده وخاف ان يفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وامر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذى فى السراية المطل على البحر وهذا القصر كان فى وسط البحر يمشون اليه على ممشاة عرضها عشرون ذراعا وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر وارضه مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بانواع الدهانات وافخرها ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه الفراش الحرير الفاخر والبسط المطرز والبسوا حيطانه الديباج وارخوا عليه الستارات المكللة بالجواهر واجلسوا فيه قمر الزمان على سرير من العرعر مكلل بالدر والجوهر فجلس قمر الزمان عليه الا انه من شدة اشتغاله بالصبية وعشقه لها تغير لونه ونحل جسمه وصار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وصار كالمريض الذى له عشرون سنة مريضا فجلس والده عند رأسه وحزن عليه حزنا عظيما وصار الملك فى كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن بدخول الامراء والحجاب والنواب وارباب الدولة والعساكر والرعية فى ذلك القصر فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة

ويقيمون عنده الى اخر النهار ثم ينصرفون الى حال سبيلهم ثم يدخل الملك عند ولده فى ذلك المكان ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليالى من الزمان هذا ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فان الجن لما حملوها ووضعوها فى فراشها لم تزل نائمة الى ان طلع الفجر فانتبهت من منامها وجلست على حيلها والتفتت يمينا وشمالا فلم تر الشاب الذي كان فى حضنها فرجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت اليها كبيرتهن وقالت لها ياسيدتى ما الذى اصابك فقالت لها ايتها العجوز النحس اين معشوقى الشاب المليح الذى كان نائما هذه الليلة فى حضنى فاخبرينى اين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما وخافت من باسها خوفا عظيما وقالت يا ستى بدور اي شيء هذا الكلام القبيح فقالت الست بدور ويلك يا عجوز النحس اين معشوقى الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح والقد الرجيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذي كان بائتا عندى فى هذه الليلة من العشاء الى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شابا ولا غيره فبالله ياسيدتى لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا وربما يبلغ اباك هذا المزاح فمن كان يخلصنا من يده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القهرمانة قالت للسيدة بدور بالله عليك ياسيدتى لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد فانه ربما يبلغ اباك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور انه كان غلام بائتا عندي فى هذه الليلة وهو من احسن الناس وجها فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان احد بائتا عندك فى هذه الليلة فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان فى اصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك يا ملعونة يا خائنة انكن بين على وتقولين ما كان احد بائتا عندى وتحلفين لى بالله باطلا فقالت القهرمانة والله ما كذبت عليك ولا حلفت

باطلا فقالت القهرمانة والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلا فاغتاظت منها الست بدور وسحبت سيفا كان عندها وضربت به القهرمانة فقتلها فعند ذلك صاح الخادم والجواري والسراري عليها وراحوا الى ابيها واعلموه بحالها فاتى الملك الى ابنته الست بدور من وقته وساعته وقال لها يا بنتي ما خبرك فقلت يا ابي ابن الشاب الذي كان نائما بجانبي في هذه الليلة وطار عقلها من دماغها وصارت تلتفت بعينها يمينا وشمالا ثم شقت ثوبها الى ذيلها فلما رأى ابوها ذلك امر الغلمان والجواري ان يمسكوها فمسكوها وقيدوها وجعلوا في رقبتها سلسلة من حديد وربطوها في الشباك الذي في القصر وتركوها هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر ابيها الملك الغيور فانه لما رأى ما جرى على ابنته الست بدور ضاقت عليه الدنيا لانه كان يحبها وما هان عليه امرها فعند ذلك احضر الحكماء والمنجمين واصحاب الاقلام وقال لهم كل من ابرأ ابنتي مما هي فيه زوجته بها واعطيته نصف مملكتي ومن تقدم اليها ولم يبرئها اضرب عنقه واعلق رأسه على باب قصرها فصار كل من دخل عليها ولم يبرئها يضرب عنقه ويعلق رأسه على باب القصر الى ان قطع من اجلها اربعين راس رجل من الحكماء وصلب اربعين رجلا من المنجمين فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميع الحكماء عن دوائها واشكلت حكايتها على اهل العلوم وارباب الاقلام ثم ان الست بدور لما زاد بها الوجد والغرام واضر بها العشق والهيام اجرت العبرات وانشدت هذه الابيات

غرامي فيك يا قمري غريمي	وذكرك في دجى ليلي نديمي
ابيت واضلعي فيها لهيب	يحاكي حره نار الجحيم
بليت بفرط وجد واحتراق	عذابي منهما اضحى اليمي

ثم انها تاوهت وانشدت ايضا تقول

سلامي على الاحباب في كل منزل	فاني الى نحو الحبيب اريد
سلامي عليكم لا سلام مودع	سلام كثير لا يزال يزيد
واني لاهواكم واهوى دياركم	ولكنني عما اريد بعيد

فلما فرغت الست بدور من انشاد هذه الاشعار بكت حتى مرضت عيناها وتغيرت وجناتها ثم انها استمرت على هذا الحال ثلث سنين وكان لها

اخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك
المدة بطولها وكان يحبها محبة زيادة على محبة الاخوة فلما حضر دخل على
والدته وسألها عن اخته الست بدور فقالت له يا ولدي ان اختك حصل
لها جنون ومضى لها ثلث سنين وفي رقبتها سلسلة من حديد وعجزت
جميع اهل الطب واهل الحكمة عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال
لابد من دخولي عليها لعلي اعرف ما بها واقدر على دوائها فلما سمعت امه كلامه
قالت لابد من دخولك عليها ولكن تمهّل الى غد حتى احتيّل في امرك ثم ان امه تحيلت
الى قصر الست بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب واهدت له هدية
وقالت له ان لي بنتا وقد تربت مع الست بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك
ما جرى صار خاطرها متعلقا بها وانا اقصد من فضلك في ان بنتي تأتي
عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها احد فقال الخادم
لا يمكن ذلك الا في الليل فبعد ان يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج فادخلي
انت وابنتك فقبّلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتها فصبرت الى ثاني يوم
العشاء فلما جاء وقته قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان
والبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها ودخلت القصر ولا زالت
تمشي به حتى اوصلته الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما
رآها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلت العجوز بولدها
رأى مرزوان الست بدور في تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنه امه ثياب
النساء فاخرج مرزوان الكتب التي معه واوقد شمعته وقرأ بعض اقسام فنظرت
اليه الست بدور فعرفته وقالت له يا اخي انت كنت سافرت وانقطعت
اخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردّني الله بالسلامة واردت السفر ثانيا فما
ردّني عنه الا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق قلبي عليك وجئت
اليك لعلي ان اخلصك مما انت فيه فقالت له يا اخي هل انت تظن ان الذي
اعتراني جنون قال نعم قالت لا والله وانما هو كما قال الشاعر

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ	مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ	وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ
نَعَمْ جُنِنْتُ فَهَاتُوا مَنْ جُنِنْتُ بِهِ	إِنْ كَانَ يَشْفِي جُنُونِي لَا تَلُومُونِي

فعلم

فعند ذلك علم مرزوان انها عاشقة فقال لها احكي لي على قصتك وما اصابك لعل ان يكون بيدي شيء افعله ويكون فيه خلاصك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور واخبريني بقصتك وما اتفق لك لعل الله ان يطلعني على ما فيه خلاصك فقالت له الست بدور يا اخي اسمع قصتي وذلك اني استيقظت من منامي ليلة في الثلث الاخير من الليل وجلست على جيلي فنظرت الى جانبي شابا احسن ما يكون من الشباب يكل عن وصفه اللسان كانه غصن بان او قضيب خيزران فظننت ان ابي هو الذي امره بهذا الامر ليمتحنني به لانه راودني عن الزواج لما خطبني منه الملوك فابيت فهذا الظن هو الذي منعني من ان انبهه وخشيت اني اذا عملت شيئا او عانقته ربما يخبر لابي بذلك فلما اصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي الذي اخذه مني فهذه حكايتي وسبب جنوني وانا يا اخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم اذق طعم المنام وما لي شغل غير الدموع والبكاء وانشاد الاشعار بالليل والنهار ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

ابعد الحب لذاتي تطيب ... وذاك الظبي مرتعه القلوب
دم العشاق اهون ما عليه ... وفيه مهجة المضنى تذوب
اغار عليه من نظري وفكري ... فمن بعضي على بعضي رقيب
واجفان له ترمي سهاما ... فواتك في القلوب لنا تصيب
فهل لي ان اراه قبيل موتي ... اذا ما كان في الدنيا نصيب
واكتم سره فينم دمعي ... بما عندي ويعلمه الرقيب
قريب وصله مني بعيد ... بعيد ذكره مني قريب

ثم ان الست بدور قالت لمرزوان انظر يا اخي ما الذي تعمل معي في الذي اعتراني فاطرق مرزوان رأسه الى الارض ساعة وهو يتعجب وما يدري ما يفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ما جرى لك صحيح وان حكاية هذا الشاب اعيت فكري ولكني

الى ادور في جميع البلاد وافتش على دوائك لعل الله يجعله على يدي ولكن اصبري ولا تجزعي ثم ان مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها وهي تنشد هذه الابيات

ويخطو لي خيالك في ضميري	على بعد المكان خطى مزور
وتدنيك الاماني من فؤادي	وأين البرق من لمح البصير
فلا تبعد لانك نور عيني	اذا ما غبت لم تكحل بنور

ثم ان مرزوان تمشى الى بيت والدته فنام تلك الليلة فلما اصبح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافرا من مدينة الى مدينة ومن جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل فدخل مدينة يقال لها الطيرب ومشى يستنشق الاخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل مدينة او يمر بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون الى ان وصل الى مدينة الطيرب فسمع خبر قمر الزمان ابن الملك شهرمان بانه مريض وانه اعتراه وسواس وجنون فسأل مرزوان عن اسم مدينته فقالوا له انه في جزائر خالدان وهي من مدينتنا هذه مسيرة شهر كامل في البحر واما في البر فستة اشهر فنزل مرزوان في مركب كانت متوجهة الى جزائر خالدان فطاب لها الريح مدة شهر فاشرفوا على جزائر خالدان ولما اشرفوا عليها ولم يبق لهم الا الوصول الى الساحل واذا بريح عاصف خرج عليهم ورمى الصواري ومزق القماش ووقعت القلوع في البحر وانقلبت المركب بجميع ما فيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المركب لما انقلبت بجميع ما فيها اشتغل كل واحد بنفسه واما مرزوان فان الموج قذفه حتى اوصله الى تحت قصر الملك الذي فيه قمر الزمان وكان بالامر المقدور كان هذا اليوم الذي يجتمع فيه على الملك شهرمان اهل دولته وارباب مملكته للخدمة والملك شهرمان جالس وراس ولده قمر الزمان في حجره وخادم ينش عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان ما تكلم ولا اكل ولا شرب وصار انحف من المغزل والوزير واقف عند

رجليه قريب الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيار وبقي على آخر نفس فرق عليه قلب الوزير فتقرب الى الملك ومد رأسه اليه وقال له استأذنك ايها الملك في ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لانقذ انسانا قد اشرف على الغرق في البحر واطلعه من الضيق الى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال له الملك ايها الوزير يكفي ما جرى على ولدي منك وبسببك وربما انك اذا اطلعت هذا الغريق يطلع على احوالنا وينظر الى ولدي وهو في هذه الحالة فيشمت بي ولكن اقسم بالله ان طلع هذا الغريق ونظر الى ولدي وخرج يحدث مع احد باسرارنا لاضربن رقبتك قبله لانك ايها الوزير سبب ما جرى لنا اولا وآخرا فافعل ما بدا لك فنهض الوزير وفتح باب سر القصر النافذ الى البحر ونزل في المشاة عشرين خطوة ثم خرج الى البحر فرأى مرزوان مشرفا على الموت فمد الوزير يده اليه ومسكه من شعر رأسه وجذبه منه فخرج من البحر وهو في حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه فصبر الوزير عليه حتى ردت روحه اليه ثم نزع عنه ثيابه والبسه ثيابا غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه وقال له اعلم انى كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي وموتك

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له اعلم انى كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن انت سببا لموتي وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لانك في هذه الساعة تطلع وتشق بين امراء ووزراء والكل ساكتون لا يتكلمون لاجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه في البلاد واتى في طلبه ولكنه تجاهل وقال للوزير ومن قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش ليس له قرار ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام لا بالليل ولا بالنهار

النظر اليه او تنظر الى غير الموضع الذى تحط فيه رجلك والّا فتروح روحك
وروحى فقال له بالله عليك ايها الوزير ارجو من تفضلاتك ان تخبرنى عن هذا
الشاب الذى وصفته لى ما سبب هذا الامر الذى هو فيه فقال له الوزير
لا اعلم له سببا الا ان والده من منذ ثلث سنين ساله ان يتزوج فابى فغضب
عليه وسجنه فاصبح وهو يزعم انه كان نائما فرأى بجنبه صبية بارعة
الجمال يعجز عن وصف حسنها اللسان وذكر لنا انه نزع خاتمها من اصبعها ولبسه
والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدى اذا طلعت
معى الى القصر لا تنظر الى ابن الملك ورح الى حال سبيلك فان السلطان قلبه
ملآن على غيظا فقال مرزوان فى نفسه والله ان هذا هو المطلوب ثم طلع
مرزوان خلف الوزير الى ان وصل الى القصر فجلس الوزير تحت رجلى قمر
الزمان واما مرزوان فانه لم يكن له دأب الا انه مشى حتى وقف قدام
قمر الزمان ونظر اليه فمات الوزير فى جلده من الخوف وصار ينظر الى مرزوان
ويغمزه ليروح الى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان فتحقق
وعلم انه هو المطلوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مرزوان لما نظر الى قمر الزمان وعلم
انه هو المطلوب قال سبحان الله الذى جعل قده مثل قدها وخده كخدها
ولونه كلونها ففتح قمر الزمان عينيه وصغى باذنيه الى كلامه فلما رآه مرزوان
صاغيا الى ما يلقيه من الكلمات انشد يقول هذه الابيات

أَرَاكَ طَرُوبًا ذَا شَجِي وَتَرَنُّمِ ... تَمِيلُ إِلَى ذِكْرِ المَحَاسِنِ بِالفَمِ
أَصَابَكَ عِشْقٌ أَمْ رُمِيتَ بِأَسْهُمِ ... فَمَا هٰذِهِ إِلَّا سَجِيَّةُ مَنْ رُمِي
أَلَا فَاسْقِنِي كَاسَاتِ خَمْرٍ وَغَنِّ لِي ... بِذِكْرِ سُلَيْمَى وَالرَّبَابِ وَتَنْعَمِ
وَشَمْسَةُ كَرْمٍ بُرْجُهَا قَاعُ دَنِّهَا ... وَمَشْرِقُهَا السَّاقِي وَمَغْرِبُهَا فَمِي
أَغَارُ عَلَى أَعْطَافِهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... إِذَا لَبِسَتْهَا فَوْقَ جِسْمٍ مُنَعَّمِ
وَأَحْسُدُ كَاسَاتٍ تُقَبِّلُ ثَغْرَهَا ... إِذَا وَضَعَتْهَا مَوْضِعَ اللَّثْمِ فِي الفَمِ

فلا تحسبوا اني قتلت بصارم … ولكن لحاظ قد رمتني باسهم
ولما تلاقينا وجدت بنانها … مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي هكذا … يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت واوقدت في الحشا لاعج الجوى … مقالة من للحب لم يتكتم
وعيشك ما هذا خضاب خضبته … فلا تك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيتك راحلا … وقد كنت لي زندي وكفي ومعصمي
بكيت دما يوم النوى فمسحته … بكفي فاحمرت بناني من دمي
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة … لكنت شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيجني البكا … بكاها فقلت الفضل للمتقدم
فلا تعذلوني في هواها لانني … وحق الهوى فيها كثير التالم
بكيت على من زين الحسن وجهها … وليس لها مثل بعرب واعجم
لها علم لقمان وصورة يوسف … ونغمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب وحسرة يونس … وبلوة ايوب وقصة آدم
فلا تقتلوها ان قتلت بها جوى … بلى فاسألوها كيف حل لها دمي

فلما انشد مرزوان هذه القصيدة نزل على قلب قمر الزمان بردا وسلاما وتنهد ودار لسانه في فمه وقال لوالده يا ابي دع هذا الشاب يأتي ويجلس الى جانبي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال لوالده يا ابي خل هذا الشاب يأتي ويجلس في جانبي فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان ذلك فرح فرحا شديدا بعد ان كان قلبه تغير من جهة مرزوان واضمر في نفسه انه لابد ان يرمي رقبته فلما سمع ولده تكلم زال ما به ونهض قائما وجذب الغلام مرزوان واجلسه بجانب قمر الزمان واقبل الملك على مرزوان وقال له الحمد لله على سلامتك فقال له سلمك الله لك ولدك ودعا للملك فقال له الملك من اي البلاد انت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى

ان يكون قدومك مباركا على ولدى وينجيه الله مما هو فيه فقال ان شاء الله تعالى ما يكون الا الخير ثم ان مرزوان اقبل على قمر الزمان وقال له فى اذنه فى غفلة الملك واهل الدولة يا سيدى شد روحك وقو قلبك وقر عينك فان التى صرت من اجلها هكذا الان لا تسال عما هى فيه من اجلك ولكنك كتمت امرك فضعفت واما هى فانها اظهرت امرها فقالوا انها جنت وهى الآن مسجونة وفى رقبتها سلسلة من الحديد وهى فى اسوء حال وان شاء الله تعالى يكون دواؤكما على يدى فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه اليه واشتد قلبه وحصل عنده نشاط واشار الى ابيه ان يجلسه فكاد الملك ان يطير من الفرح ونهض الى ولده واجلسه فجلس قمر الزمان فنفض الملك المنديل من خوفه على ولده فانصرفت جميع الامراء والوزراء ووضع له مخدتين فجلس متكئا وامر الملك ان يطيب القصر بالزعفران ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولدي ان طلعتك سعيدة مباركة ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب الملك الطعام فقدموه له فتقدم مرزوان وقال لقمر الزمان تقدم كل معى فطاوعه وتقدم واكل معه كل هذا والملك يدعو لمرزوان ويقول ما احسن قدومك يا ولدى فلما رأى والده اكل ولده زاد به الفرح والسرور وخرج من وقته واخبر امه واهل القصر فضربت البشائر فى القصر بسلامة قمر الزمان ونادى الملك بالزينة فتزينت المدينة وفرحت الناس وكان يوما عظيما ثم ان مرزوان بات تلك الليلة عند قمر الزمان وبات الملك عندهما من فرحته وهو مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده فلما اصبح الصباح وانصرف الملك شهرمان وخلا مرزوان بقمر الزمان حدثه بالقصة من اولها الى آخرها وقال له اعلم انني اعرف التى اجتمعت بها واسمها

الست بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الاول الى الآخر واخبره بفرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع ابيك جرى لها مع ابيها وانت من غير شك حبيبها وهي حبيبتك فشد عزمك وقو قلبك فها انا اوصلك اليها واجمع بينك وبينها قريبا واعمل معكما كما قال الشاعر

اذا صديق صد عن الفه	ولم يزل في فرط اعراض
الفت وصلا بين شخصيهما	كأنني مسمار مقراض

ولم يزل مرزوان يقوي قمر الزمان ويشجعه ويسليه ويحثه على الاكل والشرب حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وعادت اليه قوته ونجا مما كان فيه كل ذلك ومرزوان يسليه بالاشعار والحكايات حتى ان قمر الزمان وقف على حيله وطلب ان يروح الى الحمام فاخذ مرزوان بيده ودخلا الى الحمام فغسلا ابدانهما وتنظفا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان لما ذهب الى الحمام امر والده باطلاق المحابيس فرحا بذلك وخلع الخلع السنية على ارباب دولته وتصدق على الفقراء وامر بزينة البلد فزينت المدينة سبعة ايام ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان اعلم ياسيدي اني ماجئت من عند الست بدور الا لهذا الامر وهو سبب سفري لاجل ان اخلصها مما هي فيه وما بقي لنا الا اننا ندبر حيلة في ذهابنا اليها لان والدك لا يقدر على فراقك والراي عندي انك في غد تستاذن والدك في انك تخرج الى الصيد في البرية وخذ معك خرجا ملآنا من المال واركب الجواد وخذ معك جنيبا وانا الآخر مثلك اركب معك وقل لوالدك اني اريد ان اتفرج في البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك ليلة واحدة فاذا خرجنا ذهبنا الى حالنا ولا تخل احدا يتبعنا من الخدم فقال قمر الزمان نعم هذا الراي وفرح بذلك فرحا شديدا واشتد ظهره ودخل على والده فاخبره بذلك فاذن له والده في الخروج الى الصيد وقال له يا ولدي الف يوم مبارك الذي قواك وانا لا اكره ذلك ولكن لا تبت

الا ليلة واحدة وفي غد تأتي وتحضر عندي فانك تعلم انه ما يطيب لي عيش الا بك واني ما صدقت انك شفيت مما كنت فيه وانت عندي كما قال فيه الشاعر

وَلَوْ اَنَّ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ	بِسَاطُ سُلَيْمَانٍ وَمُلْكُ الأَكَاسِرَةِ
لَمَا سَوِيَا عِنْدِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	اِذَا لَمْ تَكُنْ عَيْنِي لِشَخْصِكَ نَاظِرَةْ

ثم ان الملك جهز ولده قمر الزمان وجهز معه مرزوان وامر ان يهيئ لهما اربعة من الخيل وهجينا برسم المال وجملا يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد في خدمته فودعه ابوه وضمه الى صدره وقبله وقال له سألتك بالله لا تغب عني غير ليلة واحدة وحرام علي المنام فيها فاني كما قال الشاعر

وِصَالُكَ عِنْدِي غَايَةٌ بِنَعِيمِ	وَصَبْرِي عَنْكَ اَلِيمٌ اَلِيمِ
فَدَيْتُكَ اِنْ كَانَ ذَنْبِي الْهَوَى	اِلَيْكَ فَذَنْبِي عَظِيمٌ عَظِيمِ
اَعِنْدَكَ مِثْلِي نَارُ الْجَوَى	فَاَصْلَى بِذَاكَ عَذَابُ الْجَحِيمِ

فقال يا ابي ان شاء الله لا ابيت غير ليلة ثم ودعه وانصرف وخرج قمر الزمان ومرزوان وركبا الخيل ومعهما الهجين عليه المال والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ومرزوان سارا واستقبلا البر وسافرا من اول النهار الى المساء ونزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ولم يزالا سائرين الى ثلاثة ايام وفي رابع يوم بان لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه فاخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا وكسر عظمهما واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوثهما بدم الفرس واخذ جبة قمر الزمان ومزقها ولوثها بالدم ورماها في مفرق الطريق ثم اكلا وشربا وركبا وسافرا فسأله قمر الزمان عما فعله فقال له ما هذا يا اخي الذي فعلته وما ذا يفيد ذلك فقال له اعلم ان والدك الملك شهرمان اذا غبنا عنه ليلة بعد الليلة التي اخذنا بها منه الاذن ولم نحضر له فيها يركب ويسافر في اثرنا فاذا وصل الى هذا الدم

الذي

الذى فعلته ورأى قميصك ولباسك مقطعا وعليه الدم فيظن فى نفسه
انه جرى لك امر من قطاع الطريق او وحوش البر فينقطع رجاؤه منك و
يرجع الى المدينة ونبلغ بهذه الحيلة ما نريد فقال قمر الزمان والله ان
هذه حيلة مليحة نعم ما فعلت ثم انهما سارا ايا ما وليالى كل ذلك وقمر
الزمان يشتكى اذا انفرد بنفسه ويبكى الى ان استبشر بقرب الديار فانشد

يقول هذه الاشعار

اتجفو محبا ما سلا عنك ساعة	وتزهد فيه بعد ما كنت راغبا
حرمت الرضى ان كنت خنتك فى الهوى	وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا
وما كان لى ذنب فاستوجب الجفا	وان كان لى ذنب فقد جئت تائبا
ومن عجب الايام انك هاجرى	وما زالت الايام تبدى العجائبا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال له مرزوان انظر هذه جزائر الملك
الغيور قد لاحت ففرح قمر الزمان فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله
وقبله بين عينيه وضمه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال له مرزوان انظر
هذه جزائر الملك الغيور فرح وشكر على فعله وقبله وضمه الى صدره
فلما وصلا الى الجزائر دخلا المدينة وانزله مرزوان فى خان واستراحا
ثلاثة ايام من السفر وبعد ذلك اخذ مرزوان قمر الزمان ودخل به
الحمام والبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل من ذهب وعمل له عدة وعمل له
اسطرلابا من فضة مطلى بالذهب وقال له قم يا مولاى وقف تحت قصر
الملك وناد انا الحاسب انا الكاتب انا الذى اعرف المطلوب والطالب انا الحكيم
الماهر انا المنجم الباهر فاين الطالب فان الملك اذا سمعك يرسل خلفك و
يدخلك على ابنته الملكة بدور محبوبتك فاذا دخلت عليها قل له اعطنى
مهلة ثلاثة ايام فان طابت زوجنى بها وان لم تطب افعل بى كما فعلت
بالذين قبلى فانه يقبل منك ذلك فاذا صرت عندها عرفها بنفسك فانها
تشتد لما تراك ويزول ما بها من الجنون وهى تطيب فى ليلة فاطعمها

واسقها ويفرح ابوها بسلامتها ويزوجك بها ويقاسمك فى ملكه لانه شرط على نفسه هذا الشرط والسلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام قال له لاعدمت فضلك وآخذ منه العدّة وخرج من الخان وهو لابس البدلة واخذ معه العدة التى ذكرناها وسار الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى انا الكاتب الحاسب انا الذى اعرف المطلوب والطالب انا الذى افتح الكتاب واحسب الحساب وافسر الاحلام واخط باقلام المطالب فاين الطالب فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام جاؤا اليه لان لهم مدة ما رأوا كاتبا ولا منجما فوقفوا حوله وصاروا يتأملونه فرأوه على غاية من الجمال واللطف والظرف والكمال فوقفوا يتعجبون من حسنه وجماله وقده واعتداله فتقدم اليه واحد وقال له بالله عليك ايها الشاب المليح صاحب اللسان الفصيح لا تخاطر بنفسك وترمى روحك فى الهلاك طمعا فى زواج الملكة بدور بنت الملك الغيور وانظر بعينك الى هذه الرؤس المعلقة فان اصحابها كلهم قتلوا بسبب ذلك فلم يلتفت قمر الزمان الى كلامهم ونادى باعلى صوته انا الحكيم الكاتب انا المنجم الحاسب فصار كل من اهل البلد ينهاه عن هذا الفعل فلم يلتفت اليهم ابدا وقال فى نفسه ما يعلم الشوق الا من يكابده وصار ينادى باعلى صوته انا الحكيم انا المنجم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لم يلتفت الى كلام اهل المدينة وصار ينادى انا الكاتب انا الحاسب انا المنجم فاغتاظ جميع اهل المدينة منه وقالوا له ما انت الا شاب بليد مكابر احمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال انا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما قمر الزمان ينادى والناس ينهونه اذ سمع صوته الملك الغيور وسمع ضجة الناس فقال الملك للوزير انزل ائتنا بهذا المنجم فنزل الوزير سريعا واخذ قمر الزمان من وسط الناس واطلعه الى الملك فلما صار بين يدى الملك الغيور قبّل الارض وانشد يقول

ثمانية في المجد حزت جميعها	فلا زال خدّاماً لهن لك الدهر
يقينك والتقوى ونجدك والندى	ولفظك والمعنى وعزك والنصر

فلما نظر الملك الغيور اليه اجلسه الى جانبه واقبل عليه وقال له بالله يا ولد ان لم تكن منجماً فلا تخاطر بنفسك ولا تدخل على شرطى فانى شرطت على نفسى ان كل من دخل على بنتى ولم يبرئها مما اصابها ضربت عنقه وكل من ابرأها زوجته بها فلا يغرنك حسنك وجمالك والله والله ان لم تبرئها لاضربن عنقك فقال قمر الزمان لك ذلك وانا راض وعندى علم بهذا قبل ان آتيك فاشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلمه الى الخادم وقال له اوصل هذا الى الست بدور فمسكه الخادم من يده ومشى به فى الدهليز فسابقه قمر الزمان فصار الخادم يجرى ويقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فانى ما رأيت منجماً يستعجل على هلاك نفسه غيرك ولكنك لم تعرف اى شئ قدامك من الدواهى فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان اصبر ولا تستعجل فاعرض بوجهه عنه وانشد يقول هذه الابيات

انا عارف بصفات حسنك جاهل	متحير لم ادر ما انا قائل
لو قلت شمساً كان حسنك لم يغب	عن ناظري ان الشموس اوافل
كملت محاسنك التي في وصفها	عجز البليغ وحار فيها القائل

ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التى على الباب فقال له قمر الزمان اى الحالتين احب اليك اكون اداوى سيدتك وابرئها من هنا وادخل اليها فابرئها من داخل الستارة فتعجب الخادم من كلامه وقال له ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة فى فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واخرج الدواة والقلم واخذ ورقة وكتب فيها هذه الكلمات هذا كتاب من برح به الجوى × واتلفه الهوى × واهلكه الاسى × والبلاء لمن يئس من الحياة × وايقن بحلول الوفاة × وما للقلب الحزين × من مسعف ولا معين

وما الطرف الساهر على الهم ناصر فنهاره في لهيب وليله في تعذيب وقد انبرى جسمه من كثرة النحول ولم يأته من حبيبه رسول ثم كتب هذه الابيات

كتبت ولي قلب بذكرك مولع	وجفن قريح من دمائي يدمع
وجسم كساه لاعج الشوق والاسى	قميص نحول فهو فيه مضعضع
شكوت الهوى لما اضر بي الهوى	ولم يبق عندي للتصبر موضع
اليك فجودي وارحمي وتعطفي	فان فؤادي بالهوى يتقطع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات شفاء القلوب لقاء المحبوب ومن جفا حبيبه فالله طبيبه ومن خان منكم ومنا لا نال ما يتمنى ولا اظرف من المحب الوافي الى الحبيب الجافي ثم كتب في الامضاء من الهائم الولهان العاشق الحيران من اقلقه الشوق والغرام اسير الوجد والهيام قمر الزمان ابن شهرمان الى فريدة الزمان ونخبة الحور الحسان السيدة بدور بنت الملك الغيور اعلمي انني في ليلي سهران وفي نهاري حيران زائد النحول والاسقام والعشق والغرام كثير الزفرات غزير العبرات اسير الهوى قتيل الجوى والهجر لقلبه كوى غريم الغرام نديم السقام فانا السهران الذي لا تهجع مقلته والمتيم الذي لا ترقا عبرته فنار قلبي لا تنطفي ولهيب شوقي لا يخفى ثم ان قمر الزمان كتب في حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب شعر

سلام من خزائن لطف ربي	على من عندها روحي وقلبي

وكتب ايضا

هبوا لي حديثا من حديثكم عسى	به ترحموني او يفترجنا ني
ومن شغفي فيكم ووجدي اسيقي	اهون ما القاه وهو هوا ني
رعى الله قوما شط عني مزارهم	كتمت هواهم في اعز مكان
وها انا قد جاد الزمان بفضله	وفي ترب اعتاب الحبيب رماني
رايت بدورا في الفراش بجانبي	زها قمري من شمسها بزماني

ثم ان قمر الزمان بعد ان ختم الكتاب كتب في عنوانه هذه الابيات

سلي كتابي عما خطه قلمي	فالرسم يخبر عن وجدي وعن المي
يدي تخط ودمع العين منهمل	وقد شكى الشوق للقرطاس من قلمي

ما زال دمعي على القرطاس منسكبا	ان تقضت دمعي اثنعها بدمي

ثم كتب ايضا في اخر الكتاب

ارسلت خاتمك الذي استبدلته	يوم التواصل فارسلي لي خاتمي

ثم ان قمر الزمان جعل خاتم الست بدور في طي الورقة وناولها للخادم فاخذها منه وادخل بها على سيدته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخاتم في الورقة وناولها للخادم فاخذها ودخل بها الى الست بدور فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها فيها بعينه فقرأت الورقة فلما عرفت المقصود علمت انه معشوقها وانه هو الواقف خلف الستارة فطار عقلها من الفرح وانشرح صدرها وانشع ومن فرط المسرات انشدت هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا	ندما وفاض الدمع من اجفاني
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا	ما عدت اذكر فرقة بلساني
هجم السرور علي حتى انه	من عظم ما قد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع منك سجية	تبكين من فرح ومن احزاني

فلما فرغت الست بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت نفسها على قمر الزمان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة ما بها من الوجد والغرام وقالت له يا سيدي هل هذا يقظة ام منام وهل قد من الله علينا بالقرب بعد البعاد فالحمد لله على جمع شملنا بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور فقبل الارض بين يديه وقال له يا مولاي اعلم ان هذا المنجم شيخ المنجمين واعلمهم كلهم فانه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال له الملك

انظر جيدا اصحيح هذا الخبر فقال له الخادم ياسيدى قم انظر اليها كيف وجدت فيها قوة حتى قطعت السلاسل من الحديد وخرجت الى المنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على بنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وانشدت هذين البيتين

لَا أُحِبُّ السِّوَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنِّي	اِنْ ذَكَرْتُ السِّوَاكَ قُلْتُ سِوَاكَا
وَاُحِبُّ الْاَرَاكَ مِنْ اَجْلِ اَنِّي	اِنْ ذَكَرْتُ الْاَرَاكَ قُلْتُ اَرَاكَا

فعند ذلك فرح ابوها بسلامتها حتى كاد ان يطير وقبلها بين عينيها لانه كان يحبها محبة عظيمة واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من اى البلاد انت فاخبره قمر الزمان بنسبه وشانه واعلمه ان والده الملك شهرمان ثم ان قمر الزمان قص عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما اتفق له مع الست بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال له ان حكايتكما ينبغى ان تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعد كما جيلا بعد جيل ثم ان الملك الغيور احضر من وقته القضاة والشهود وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام ثم مدوا السماط والاطعمة وعملت الافراح وتزينت المدينة وجميع العساكر بافخر الثياب واقبلت البشائر ودقت الطبول ودخل قمر الزمان على الست بدور وفرح ابوها بعافيتها وزواجها وحمد الله الذى رماها فى حب شاب مليح من ابناء الملوك فجلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما فى الحسن والجمال والظرف والدلال فنام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ اربه منها وهى بلغت شوقها منه وتمتعت بحسنه وجماله وتعانقا الى الصباح وفى اليوم الثانى عمل الملك وليمة وجمع فيها جميع اهل الجزائر الجوانية والبرانية وقدم لهم الاسمطة والطعام الفاخر وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ان استهدى سر قمر الزمان وبلغ اربه ومكث فى هذا الحال مع الست بدور مدة تفكر والده الملك شهرمان فرآه فى المنام وهو يقول له ياولدي اهكذا تفعل معى هذه الفعال وانشده فى النوم هذين البيتين

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ	وَوَكَّلَ اَجْفَانِي بِرَعْيِ كَوَاكِبِهِ
فَيَا كَبِدِي مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي	وَيَا مُهْجَتِي صَبْرًا عَلَى مَا كَوَاكِبِهِ

ثم ان قمر الزمان لما رأى والده في المنام وهو يعاتبه اصبح مغموما حزينا فسألته الست بدور فاخبرها بما رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما اخبر الست بدور بما رآه في النوم دخلت هي وإياه على والدها واعلماه بذلك واستأذناه في السفر فاذن له بالسفر فقالت له الست بدور يا والدي انا لا اصبر على فراقه فقال لها والدها سافري معه واذن لها بالاقامة معه سنة كاملة وبعد تأتي لتزور والدها في كل عام مرة فقبلت يد ابيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور في تجهيز ابنته وزوجها وهيأ لهما المؤنة وادوات السفر واخرج لهما الخيول المسومة والهجن العشارى واخرج لابنته محفة وحمل لهما البغال والهجن واستخدم لهما العبيد والرجال واخرج لهما كلما يحتاجان اليه في السفر وفي يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه عشر خلع سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له عشرة خيول وعشر نياق وخزنة مال واوصاه على ابنته الست بدور وخرج معهما الى اقصى الجزائر ثم ودع قمر الزمان ودخل على ابنته الست بدور وهي في المحفة وضمها وقبلها وصار يبكي ويقول

يا طالبًا للفراق مهلًا	فمتعة العاشق العناقُ
مهلًا فطبع الزمان غدرٌ	وآخر العشرة الفراقُ

ثم خرج من عند ابنته واتى الى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما ورجع الى مملكته بعسكره بعد ان امرهما بالرحيل فسار قمر الزمان وزوجته الست بدور ومن معهم من الاتباع اول يوم والثاني والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر كامل فنزلوا في مرج واسع الفلا كثير الكلأ وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا ونامت الست بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشي من الحرير يبين منه كل شيء وفوق

رأسها كوفية من الذهب مرصعة بالدر والجواهر وقد رفع الهواء قميص
فطلع فوق سرتها وبانت نهودها وظهر لها بطن ابيض من الثلج وكل
عكنة من عكن طياته تسع اوقية من دهن البان فزاد محبة وهيـ
وانشد يقول

لو قيل لي وزفير الحر متقد	والنار في القلب والاحشاء تضطرم
اهم تريد وتهوى ان تشاهدهم	او شربة من زلال الماء قلت هم

فحط قمر الزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطر
فرأى فيها فصا احمر مثل العندم مربوطا على دكتها فحله ونظر فيه فرأى عليه
اسماء منقوشة سطرين بكتابة لا تقرأ فتعجب قمر الزمان وقال في نفسه لو لا
ان هذا الفص امر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على دكة لباسها
وما خبأته في اعز مكان عندها حتى لا تفارقه فيا ترى ماذا تصنع بهذ
وما السر الذي هو فيه ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره في النور وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اخذ الفص ليبصره في النور صار يتأمل
فيه وهو في يده واذا بطائر انقض على قمر الزمان وخطف الفص من
يده وطار به وحط به على الارض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى
خلف الطائر فصار الطائر يجري على قدر جري قمر الزمان فلم يزل قمر
الزمان يتبعه من محل الى محل ومن تل الى تل الى ان دخل الليل واظلم الجو فنام
الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار متحيرا وقد ساخت
روحه من الجوع والتعب وحسب انه هالك واراد ان يرجع فما عرف الموضع
الذي جاء منه وهجم عليه الظلام فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم نام تحت الشجرة التي فوقها الطائر الى الصباح وانتبه قمر الزمان
من نومه فرأى الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان
خلفه وصار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشي قمر الزمان فتبسم قمر الزمان
وقال يا لله العجب ان هذا الطائر كان بالامس يطير بقدر جريي وفي

هذا اليوم علم اني اصبحت تعبانا لا اقدر اجري فصار يطير على قدر مشيتي والله ان هذا عجيب ولكن لا بد ان اتبع هذا الطائر فاما ان يكون هذا الطائر يقودني لحياتي او لمماتي فانا اتبعه اينما يتوجه لانه على كل حال لا يقيم الا في البلاد العمار ثم ان قمر الزمان جعل يمشي تحت الطائر والطائر يبيت في كل ليلة على شجرة ولم يزل تابعه مدة عشرة ايام وقمر الزمان يتقوت من نبات الارض ويشرب من انهارها وبعد عشرة ايام اشرف على مدينة عامرة فمرق الطائر مثل لمح البصر ودخل تلك المدينة وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف خبره ولا يعلم اين ذهب فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذي سلمني حتى وصلت الى هذه المدينة ثم جلس على نهر وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة فتذكر ما كان فيه من الراحة والهنا واجتماع الشمل ونظر الى ما هو فيه من التعب والهم والغربة والجوع والفرقة ففاضت دموعه وانشد يقول

اخفيت ما القاه منك وقد ظهر	والنوم من عيني تبدل بالسهر
ناديت لما اوهنت قلبي الفكر	يا دهر لا تبقي علي ولا تذر

ها مهجتي بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفي	ما كان نومي من عيوني قد نفي
يا سادتي رفقا بصب مدنف	وتعطفوا العزيز قوم ذل في

شرع الهوى وغني قوم افتقر

لج العواذل فيك ما طاوعتهم	وسددت كل مسامعي وصممتهم
قالوا عشقت مهفهفا فاجبتهم	اخترته من بينهم وتركتهم

كفوا اذا وقع القضا عمي البصر

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجه فشق المدينة من اولها الى آخرها وكان قد دخل من باب البر ولم يزل يمشي حتى خرج من باب البحر فلم

يقابله احد من اهلها وكانت مدينة على شاطئ البحر ثم انه بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيا حتى وصل الى بساتين المدينة واشجارها فدخل بين الاشجار ومشى فاتى الى بستان فوقف على بابه فخرج اليه الخولي فسلم عليه فرد عليه السلام فرحب به الخولي وقال له الحمد لله الذي اتيت سالما من اهل هذه المدينة فادخل الى هذا البستان سريعا قبل ان يراك احد من اهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان الى ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية اهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك اخبرني كيف اتيت الى هذا المكان وما سبب مجيئك الى بلادنا فاخبر قمر الزمان الخولي بجميع ما جرى من اوله الى آخره فتعجب الخولي غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي ان بلاد الاسلام بعيدة من هنا وبينها وبيننا اربعة اشهر في البحر واما في البر فسنة كاملة وان عندنا مركبا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الابنوس ومنها الى جزائر خالدان التي ملكها الملك شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة وعلم انه لا اوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعا فقال للخولي هل تقبلني عندك لاجل المرابع في هذا البستان فقال له سمعا وطاعة فعلمه الخولي تحويل الماء على بيوت الاشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفاس والبسه الخولي بشتا قصيرا ازرق الى ركبتيه وصار عنده يسقي الاشجار ويبكي بدموع غزار ولا يقر له قرار بالليل ولا بالنهار من اجل غربته وفي محبوبته ينشد الاشعار فمن جملة ذلك هذه الابيات

لنا عندكم وعد فهلا وفيتم ... وقلتم لنا قولا فهلا فعلتم
سهرنا على حكم الغرام ونمتم ... وليس سواء ساهرون ونوم
وكنا عهدنا ان نكتم الهوى ... فاغراكم الواشي وقال وقلتم
فيا ايها الاحباب في السخط والرضا ... على كل حال انتم القصد انتم
ولي عند بعض الناس قلب معذب ... فيا ليته يرثي لحالي ويرحم
وما كل عين مثل عيني قريحة ... ولا كل قلب مثل قلبي متيم

ظلمتم وقلتم انما الحب ظالم … صدقتم ولكن اكان الحديث صدقتم
سلوا مغرما لا ينقض الدهر عهده … ولو كان في احشائه النار تضرم
اذا كان خصمي في الصبابة حاكمي … لمن اشتكي حالي لمن اتظلم
ولولا افتقاري في الهوى وصبابتي … لما كان لي في العشق قلب متيم

هذا ما كان وما جرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان واما ما كان من امر زوجته الست بدور بنت الملك الغيور فانها لما انتبهت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولا فافتقدت العقدة التي عليها الفص فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت في نفسها بالله العجب اين زوجي كأنه اخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذي هو فيه فيا ترى اين ذهب ولكن لا بد له من امر عجيب اقتضى رواحه والا ما كان يقدر ان يفارقني ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم ان الست بدور تفكرت وقالت في نفسها ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجي يطمعوا في ولكن لا بد من الحيلة فقامت ولبست ثيابا من ثياب زوجها قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته ولبست الخف وضربت لها لثاما وحطت في محفتها جارية وخرجت من خيمتها ونادت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وامرت بشد الاحمال فشدت وامرت بالرحيل فسافروا واخفت امرها فلم يشك احد انها قمر الزمان لانها كانت تشبهه في قوامه ووجهه ومازالت مسافرة هي واتباعها اياما وليالي حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها في ذلك المكان لاجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها هذه مدينة الآبنوس وملكها الملك ارمانوس وله بنت اسمها حيوة النفوس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الست بدور لما نزلت على ظاهر مدينة الآبنوس لاجل الاستراحة ارسل الملك ارمانوس رسولا

من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل على ظاهر مدينته فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه انه ابن ملك تايه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان الملك شهرمان فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل فى خواص دولته الى مقابلته فلما قدم على الخيام ترجلت الست بدور وترجل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره وامر بمد السماطات وموائد الاطعمة والمآكل وامر بنقل جيش الست بدور الى دار الضيافة فمكثوا هناك ثلثة ايام وبعد ذلك اقبل الملك على الست بدور وكانت دخلت فى ذلك اليوم الحمام واسفرت وجه كانه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الناس عند رؤيتها فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهى لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها يا ولدى اعلم انى صرت شيخا كبيرا هرما وعمرى ما رزقت ولدا غير بنت وهى تشبهك فى الحسن والجمال وانا الآن عجزت عن تدبير المملكة فهى لك يا ولدي فان كانت ارضى هذه تعجبك وتقيم بها وتسكن بلادى فانا ازوجك بها واعطيك مملكتى واستريح انا فاطرقت الست بدور برأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت فى نفسها كيف يكون العمل وانا امرأة وان لم ارض وسرت من عنده لم آمن فربما يرسل خلفى جيشا يقتلنى وان اطعته ربما افتضح وايضا فقدت محبوبي قمر الزمان ولم اعرف له خبرا وما لى خلاص الا ان اسكت وارضى واقيم عنده حتى يقضى الله امرا كان مفعولا ثم ان الست بدور رفعت رأسها واذعنت للملك ارمانوس بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وامر المنادى ان ينادى فى جزائر الآبنوس بالفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والامراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن الست بدور والبسها بدلة الملك ودخلت الامراء جميعا على الست بدور وهم لا يشكون فى انها شاب ذكر وصار كل من نظر اليها منهم جميعا يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملك بدور ودقت لها البشائر بالسرور وجلست على كرسيها شرع الملك ارمانوس فى تجهيز ابنته حيوة النفوس وبعد ايام قلائل ادخلوا الست بدور على حيوة النفوس فكانتا كانهما قمران فى

وقت طلعا او شمسان قد اجتمعا فردوا عليهما الابواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حيوة النفوس فتذكرت محبوبها قمر الزمان واشتدت بها الاحزان فبكت على فراقه وغيابه وانشدت تقول

يا غائبين وقلبي زائد القلق	لم يبق من بينكم في الجسم من رمق
وكان لي مقلة تشكو السهاد وقد	اذلها الدمع يا ليت السهاد بقي
لما رحلتم اقام الصب بعدكم	لكن سلوا عنه ماذا في البعاد لقي
لولا جفوني وقد فاضت مدامعها	تُوقدن عرصات الارض من حرقي
اشكو الى الله احبابا عدمتهم	لم يرحموا اصبوتي فيهم ولا تلقي
لا ذنب لي عندهم الا الغرام بهم	والناس بين سعيد في الهوى وشقي

ثم ان الست بدور لما فرغت من انشادها جلست الى جانب السيدة حياة النفوس وقبلتها في فمها ونهضت من وقتها وساعتها توضأت ولم تزل تصلي حتى نامت الست حياة النفوس فدخلت الست بدور معها في الفراش وادارت ظهرها لها الى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك وزوجته الى ابنتهما وسألاها عن حالها فاخبرتهما بما رأت وما سمعته من الشعر هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسي المملكة وطلعت اليها الامراء وجميع الرؤساء وارباب الدولة وهنوها بالملك وقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها فتبسمت واقبلت عليهم وخلعت عليهم وزادت في اكرام الامراء وارباب الدولة واقطاعهم والجيوش فاحبوها ودعوا لها جميع الخلق بدوام الملك وهم يعتقدون انها ذكر فامرت ونهت وحكمت واطلقت من في الحبوس وابطلت المكوس ولم تزل قاعدة في مجلس الحكومة الى ان دخل الليل فدخلت الى المكان الذي اعد لها فوجدت الست حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبلتها بين عينيها وانشدت تقول هذه الابيات شعر

قد صار سري بالدموع علانيه	ونحول جسمي في الغرام علانيه
اخفي الهوى وبينه يوم النوى	حالي على الواشين ليست خافيه
يا راحلين عن الحمى خلفتم	جسمي بكم مضنى ونفسي باليه

وسكنتم غور الحشى فنواظري | تجري مدامعها وعيني دامية
وانا فداء الغائبين بمهجتي | ابدا واشواقي اليهم باديه
لي مقلة انسانها في حبهم | رفض الكرى ودموعها متواليه
ظن العدى مني عليه تجلدا | هيهات ما اذني اليهم واعيه
خابت ظنونهم علي وانما | قمر الزمان به انال امانيه
جمع الفضائل ما حواها قبله | احد سواه من الملوك الخاليه
انسى الانام بجوده وبعفوه | كرم ابن زائدة وحلم معاويه
لولا الاطالة والقريض مقصر | عن وصف حسنك لم ادع من قافيه

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم تزل تصلي الى ان غلبها النوم على الست حياة النفوس فنامت فجاءت الست بدور ورقدت بجانبها الى الصباح ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسي المملكة وامرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الملك ارمانوس فانه دخل على ابنته وسألها عن حالها فاخبرته بجميع ما جرى لها وانشدت له الشعر الذى قالته الملكة بدور ثم قالت يا ابي ما رأيت احدا اكثر عقلا وحياء من زوجي غير انه يبكي ويتنهد فقال لها ابوها يا بنتي اصبري عليه فما بقي غير هذه الليلة الثالثة فان لم يدخل بك ويزيل بكارتك يكن لنا معه راي وتدبير واخلعه من الملك وانفيه عن بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس لما اتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأي واقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذى هو معد لها فرأت الشمع موقودا والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى لهما من الفرقة بينهما في تلك المدة اليسيرة فبكت وتنهدت ووالت الزفرات وانشدت تقول هذه الابيات

قسما لقد ملأت احاديثي الفضا | كالشمس مشرقة على ذات الغضا
نطقت اشارته فاشكل فهمها | فلذا التشوق في المزيد وما انقضى

أبغضت حسن الصبر مذ أحببته ... أرأيت صبا في الصبابة مبغضا
ومريض اللحظات صال بفتكها ... واللحظ اقتل ما يكون ممرضا
ألقى ذوائبه وحط لثامه ... فرأيت منه الحسن أسود أبيضا
سقمي وبؤسي في يديه وإنما ... يشفي سقام الحب من قد أمرضا
هام الوشاح برقة في خصره ... والردف من حسد أبى أن ينهضا
وكأن طرته وضوء جبينه ... ليل دجى فاعتاقه صبح أضا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلوة واذ بحياة النفوس مسكتها من ذيلها وتعلقت وقالت لها يا سيدى اما تستحى من والدى وما فعل معك من الجميل وانت تتركنى الى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست على حيلها فى مكانها وقالت يا حبيبتى ما الذى تقولينه قالت الذى اقوله انى ما رأيت احدا معجبا بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحا يعجب بنفسه هكذا ولكن انا ما قلت هذا الكلام لاجل ان ترغب فىّ وانما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فانه اضمر ان لم تدخل علىّ فى هذه الليلة وتزيل بكارتى فانه يصبح ينزعك من المملكة ويسفرك من بلاده وربما يزداد به الغيظ فيقتلك وانا يا سيدى رحمتك ونصحتك والرأى رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت برأسها الى الارض وحارت فى امرها ثم قالت فى نفسها ان خالفته هلكت وان اطعته افتضحت ولكن انا فى هذه الساعة ملكة على جزائر الآبنوس كلها وهى تحت حكمى وما اجتمع انا وقمر الزمان الا فى هذا الموضع لانه ليس له طريق الى بلاده الا من جزائر الآبنوس ولا ادرى ما جرت فى امرى وفوضت امرى الى الله فهو نعم المدبّر وما انا ذكر حتى اقوم افتض هذه البنت البكر ثم ان الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتى ان تركك وامتناعى عنك كله بالرغم عنى وحكت لها على ما جرى لها من الابتداء الى الانتهاء واورت لها نفسها وقالت لها سألتك بالله الا ما سترت علىّ واخفيت امرى حتى يجمعنى الله بمحبوبى قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت حياة النفوس بقصتها

وامرتها بالكتمان فسمعت حياة النفوس كلامها وتعجبت من قصتها غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا اختي لا تخافي ولا تفزعي واصبري الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا ثم ان حياة النفوس انشدت تقول

السِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ	قَدْ ضَاعَ مِفْتَاحُهُ وَالْبَيْتُ مَخْتُومُ
مَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا كُلُّ ذِي ثِقَةٍ	وَالسِّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومُ

فلما فرغت من شعرها قالت لها يا اختي ان صدور الاحرار قبور الاسرار وانا لا افشي لك سراً ثم لعبتا وتعانقتا ونامتا الى قريب الاذان ثم قامت حياة النفوس واخذت فرخ حمام وذبحته على قميصها وتلطخت بدمه وقلعت سروالها وصرخت فدخل لها اهلها وزغرتت الجواري ودخلت عليها امها وسألتها عن حالها ودارت حواليها واقامت عندها الى المساء واما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وذهبت الى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت الى دار الحكومة وجلست على كرسي المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك ارمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فاخبروه بافتضاض بنته ففرح بذلك وانسع صدره وانشرح واولم وليمة عظيمة ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر الملك شهرمان فانه بعد خروج ولده للصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل الليل عليه بعد خروجهما فلم يجئ ولده فلم ينم تلك الليلة وطال عليه الليل وقلق غاية القلق وزاد وجده وما صدق ان الفجر يطلع فلما اصبح انتظر ولده الى نصف النهار فلم يجئ فحس قلبه بالفراق والتهب على ولده بالاشفاق وقال واولداه ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع وانشد من قلب مصدوع × × × × × × × × × × × × × × × ×

مَا زِلْتُ مُعْتَرِضًا عَلَى أَهْلِ الْهَوَى	حَتَّى بُلِيتُ بِحُلْوِهِ وَبِمُرِّهِ
وَشَرِبْتُ كَأْسَ صُدُودِهِ مُتَجَرِّعًا	وَذَلَلْتُ فِيهِ لِعَبْدِهِ وَلِحُرِّهِ
نَذَرَ الزَّمَانُ بِأَنْ يُفَرِّقَ شَمْلَنَا	وَالْآنَ قَدْ أَوْفَى الزَّمَانُ بِنَذْرِهِ

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى في عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن وجد وافي سيرهم وفرق الملك جيشه يميناً وشمالاً واماماً وخلفاً ست فرق وقال لهم الاجتماع غداً عند مفرق الطريق فعند ذلك تفرقت الجيوش والعساكر وسافروا ولم يزالوا مسافرين بقية النهار الى ان جن الليل فساروا واجمع الليل

الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق فلم يعرفوا اى طريق سلكها ثم رأوا اثر القمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعا ونظروا اثر الدم باقيا وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم فى ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال واولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق اثوابه وايقن بموت ولده وزاد فى البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤسهم التراب ودخل عليهم الليل وهم فى بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وانشد هذه الابيات

لَا تَعْذُلُوا الْمَحْزُونَ فِي أَحْزَانِهِ ... فَلَقَدْ كَفَاهُ الْوَجْدُ مِنْ أَشْجَانِهِ
يَبْكِي لِفَرْطِ تَأَسُّفٍ وَتَوَجُّعٍ ... وَغَرَامُهُ يُنْبِيكَ عَنْ نِيرَانِهِ
يَا سَعْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ حِلْفِ الضَّنَى ... أَنْ لَا يُزِيلَ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانِهِ
يُبْدِي الْغَرَامَ لِفَقْدِ بَدْرٍ زَاهِرٍ ... بِضِيَائِهِ يَزْهُو عَلَى أَقْرَانِهِ
وَلَقَدْ سَقَاهُ الْمَوْتُ كَأْسًا مُتْرَعًا ... يَوْمَ الرَّحِيلِ فَشَطَّ عَنْ أَوْطَانِهِ
تَرَكَ الدِّيَارَ وَسَارَ عَنَّا لِلْبِلَا ... لَمْ يَحْظَ بِالتَّوْدِيعِ مِنْ إِخْوَانِهِ
وَلَقَدْ رَمَانِي بِالْبِعَادِ وَبِالْجَفَا ... وَالصَّدِّ وَالتَّبْرِيحِ مِنْ هِجْرَانِهِ
وَلَقَدْ مَضَى عَنَّا وَسَارَ مُوَدِّعًا ... لَمَّا حَبَاهُ رَبُّهُ بِجِنَانِهِ

فلما فرغ الملك شهرمان من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شهرمان لما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انه عدى عليه وافترسه اما وحش واما قاطع طريق ثم نادى فى جزائر خالدان ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمر الزمان وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان وصار كل يوم خميس واثنين يحكم فى مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل الى بيت الحزن وينعى على ولده ويرثيه بالاشعار فمن ذلك قوله

فَيَوْمُ الْأَمَانِي يَوْمُ قُرْبِكُمُ مِنِّي ... وَيَوْمُ الْمَنَايَا يَوْمُ إِعْرَاضِكُمْ عَنِّي

اذا بت مرعوبا اهدد بالردى	فوصلكم عندي الذ من الامن

ومن ذلك قوله

نفسي الفداء لظاعنين رحيلهم	الى وافسد في القلوب وعاثا
فليقض عدته السرور فانني	طلقت بعدهم النعيم ثلاثا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة في بلاد الابنوس وصار الناس يشيرون اليها بالبنان ويقولون هذا اصهر الملك ارمانوس وكل ليلة تنام مع الست حيوة النفوس وتشتكي وحشة زوجها قمر الزمان وهي تبكي وتصف لحيوة النفوس حسنه وجماله وتتمنى ولو في المنام وصاله وتنشد وتقول

الله اعلم انني بعد فرقتكم	بكيت حتى استلفت الدمع بالدين
وقال لي عاذلي اصبر تنالهم	فقلت يا عاذلي الصبر من اين

هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر قمر الزمان فانه اقام عند الخولي في البستان مدة من الزمان وهو يبكي بالليل والنهار وينشد الاشعار ويتحسر على اوقات الهنا ولياني المنا والخولي يقول له في آخر السنة تسير المركب الى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولي وقال له يا ولدي بطل الشغل في هذا اليوم ولا تحول الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا فاسترح واجعل بالك الى الغيط فاني اريد ان ابصر لك مركبا فما بقي الا القليل وارسلك الى بلاد المسلمين ثم ان الخولي خرج من البستان وبقي قمر الزمان وحده وتفكر في حاله فانكسر خاطره وجرت دموعه ثم ان قمر الزمان بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما افاق قام يتمشى في البستان وهو متفكر فيما فعل فيه الزمان وطول البعد والهجران غائب العقل ولهان فعثر فوقع على وجهه فجاءت جبهته على جدر شجرة فطبحته وجرى منه الدم واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى في ذلك البستان وهو في فكر زاهل العقل فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقام احدهما الى الآخر ونقره في رقبته فخلصها من جثته واخذ رأسه وطار به ووقع المقتول في الارض قدام قمر الزمان فبينما هو كذلك واذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف

احدهما

احدهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وارخيا اجنحتهما ومنا قبرهما عليه ومدّا اعناقهما اليه وبكيا فبكى قمر الزمان على فراق زوجته وتذكّر والده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بكى على فراق زوجته ووالده حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم ان قمر الزمان نظر الى الطائرين فرأهما قد حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطارا الى الجوّ وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه وشقّا جوفه واخرجا امعاءه واراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نثرا لحمه ومزّقا جلده واخرجا ما فى جوفه وفرقاه الى اماكن متفرقة هذا كله جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجّب فلاحت منه التفاتة الى الموضع الذى قتلا فيه الطائر فوجد شيئا يلمع فدنى منه فوجده حوصلة الطائر فاخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذى كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليه من فرحته فلما افاق قال الحمد لله هذه علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتى ثم تأمّله ومرّبه على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشّى ينتظر الخولى الى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان فى موضعه الى الصباح ثم قام الى شغله وشدّ وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفة وشقّ فى البستان فاتى الى شجرة خروب وضرب الفاس فى جدرها فطنّت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا وسلّما فنزل فيه فوجد قاعة قديمة من عهد عاد وثمود وهذه القاعة منقورة من الحجر ولها دوائر سماويات ووجدها مملوءة من الذهب الاحمر الوهاج فقال فى نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور ثم

ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان و
رجع الى البستان وحول الماء على الاشجار الى آخر النهار فجاء الخولي
وقال له يا ولدي ابشر برجوعك الى الاوطان فان التجار تجهزوا للسفر
والمركب بعد ثلثة ايام مسافرة الى مدينة الآبنوس وهي اول مدينة من
مدائن المسلمين فاذا وصلت اليها تسافر في البر ستة اشهر حتى تصل الى جزائر
خالدات التي فيها الملك شهرمان ففرح بذلك وانشد يقول

لا تهجروا من لا تعوّد هجركم	وتعذّبوا بصدودكم من لا جنا
غيري اذا طال البعاد سلاكم	وتغيرت احواله الا انا

ثم ان قمر الزمان قبل يد الخولي وقال له يا والدي كما انك بشرتني فانا
الآخر ابشرك ببشارة عظيمة ثم انه اخبره بخبر القاعة التي رآها ففرح الخولي
وقال له يا ولدي اني في هذا البستان من ثمانين عاما ما وقعت على
شيء وانت لك عندي دون السنة وقد رأيت هذا الامر فهو رزقك
وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك وجمع شملك
بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بيني وبينك ثم اخذ الخولي و
دخل به الى ذلك المكان واراه الذهب وكان في عشرين خابية فاخذ
عشرة والخولي عشرة فقال له الخولي يا ولدي عبّ لك امطارا من الزيتون
العصافيري الذي في هذا البستان فانه معدوم في غير بلادنا وتجلبه
التجار الى جميع البلدان واخلطه مع الذهب ولتسم واجعل الذهب في الامطار
والزيت فوق الذهب ثم سدها وخذها معك في المركب فقام قمر الزمان
من وقته وساعته وعبّى خمسين مطرا ووضع الذهب فيها وسدّ عليه وبش
عليهم بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحطّ الفص معه في مطر وجلس
هو والخولي يتحدثان وايقن بجمع شمله وقربه من اهله وقال في نفسه اذا
وصلت الى جزيرة الآبنوس اسافر منها الى بلاد ابي واسأل عن محبوبتي
بدور فيا ترى هل رجعت الى بلادها او سافرت الى بلاد ابي او حدث
لها حادث في الطريق ثم انشد يقول

اقاموا الوجد في قلبي وساروا	وقد شطت بمن اهوى الديار
نأت عني الربوع وساكنيها	وقد بعد المزار فلا مزار

وَبَانَ تَجَلُّدِي مِنْ حَيْثُ بَانُوا	وَفَارَقَنِي هُجُوعٌ وَاصْطِبَارُ
وَمُذْ سَارُوا سَرَى عَنِّي سُرُورِي	وَقَدْ عَدِمَ الْقَرَارُ فَلَا قَرَارُ
وَاجْرَوْا بِالْفِرَاقِ دُمُوعَ عَيْنِي	فَادْمُعُهَا بِبَيْنِهِمُ غِزَارُ
إِذَا مَا اشْتَقْتُ يَوْمًا اَنْ اَرَاهُمْ	وَزَادَ بِيَ حَنِينِي وَانْتِظَارُ
اُمَثِّلُ شَخْصَهُمْ فِي وَسْطِ قَلْبِي	غَرَامٌ وَاشْتِيَاقٌ وَادِّكَارُ

ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولى حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجب الخولى من ذلك ثم ناما الى الصباح فاصبح الخولى ضعيفا واستمر على ضعفه يومين وفى ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حيوته فحزن عليه قمر الزمان حزنا كثيرا فبينما هو كذلك واذا بالرئيس والبحرية معه قد اقبلوا وسألوا عن الخولى فاخبرهم انه ضعيف فقالوا اين الشاب الذي يريد السفر معنا الى جزيرة الابنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذى بين ايديكم ثم امرهم بتحويل الامطار الى المركب فنقلوها الى المركب وقالوا لقمر الزمان اسرع فان الريح قد طاب فقال لهم سمعا وطاعة ثم نقل زوادته الى المركب ورجع الى الخولى يودعه فوجده فى النزع فجلس عند رأسه وغمضه ففارقت روحه جسده فجهزه وواراه فى التراب الى رحمة الله تعالى ثم توجه وجاء الى المركب فوجدها ارخت القلوع وسارت ولم تزل تشق البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشا حيرانا لا يرد جوابا ولا يبدى خطابا ثم رجع الى البستان فجلس مهموما مغموما يحثو التراب على رأسه ويلطم على وجهه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سافرت المركب رجع الى ذلك البستان وجلس مهموما مغموما واستاجره من صاحبه واقام تحت يده رجلا يعاونه على سقى الشجر وتوجه الى الطابق ونزل الى القاعة وعبى الذهب الباقى فى خمسين مطرا وجعل فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا له انها لا تسافر الا فى كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لا سيما فقد الفص الذى هو للست بدور فصار يبكى بالليل والنهار وينشد الاشعار هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر المركب فانها طاب لها الريح ووصلت الى جزيرة الابنوس

وكان بالامر المقدر ان الملكة بدور كانت جالسة فى الشباك المطل على البحر فنظرت الى
المركب وقد ارست فى الساحل فخفق فؤادها وركبت هى والامراء والحجاب والنواب و
وجاءت الى الساحل ووقفت على المركب وقد دار الشيل والنقل فى البضائع الى المخازن فاحضرت
الرئيس وسألته عما معه فقال ايها الملك معى فى هذه المركب من العقاقير والاكحال
والسفوفات والادهان والمراهم والاموال والبضائع النفيسة والاقمشة الفاخرة والانطاع
اليمانية ما يعجز عن حمله الجمال والبغال ومن اصناف العطر والبهار ومن العواد القاقلى
والتمر الهندى والزيتون العصافيرى ما يندر وجوده فى هذه البلاد فلما سمعت
الملكة بدور بذكر الزيتون العصافيرى اشتهى قلبها ذلك وقالت لصاحب المركب
كم معك من الزيتون قال معى خمسون مطرا ملآنة ولكن صاحبها ما حضر معنا والملك
يأخذ ما اشتهاه منها فقالت اطلعوها فى البر لانظر اليها فصاح الرئيس على البحرية
فطلعوا بالخمسين مطرا ففتحت واحدا ونظرت الزيتون وقالت أنا آخذ هذه الخمسين
مطرا واعطيكم حقها مهما كان فقال الرئيس هذا ماله فى بلادنا قيمة والذى عبأها
تأخر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها هنا فقال الف درهم قالت انا آخذها
بالف درهم وامرت بنقلها الى القصر فلما جاء الليل امرت باحضار مطر واحد فكشفته
وما فى البيت غيرها وحياة النفوس ثم حطت بين يديها طبقا وقلبت المطر فيه
فنزل فى الطبق كوم ذهب احمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا الا ذهبا ثم انها احضرت
الجميع واختبرتها فوجدتها كلها ذهبا والزيتون كله لم يملأ مطرا واحدا وفتشت فى
الذهب فوجدت الفص فيه فاخذته وتأملته واذا هو الفص الذى كان مربوطا
على دكة لباسها واخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرت مغشيا
عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .....

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها
وخرت مغشيا عليها فلما افاقت قالت فى نفسها ان هذا الفص كان سبب فراقى من
محبوبى قمر الزمان ولكن هذا ابشير الخير ثم اعلمت الست حيوة النفوس بان
وجوده بشارة الاجتماع فلما اصبح الصباح جلست على كرسى المملكة واحضرت
رئيس المركب فلما حضر قبل الارض بين يديها فقالت اين تركت صاحب هذا

الزيتون قال يا ملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له ان لم تأت به فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضرر ثم امرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وان لم تأتوا به لاقتلنكم جميعا واهب تجارتكم فاقبلوا على الرئيس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا له خلصنا من هذا الظالم الغاشم فنزل الرئيس في المركب وحل قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع الى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته وجلس يبكي على ما جرى له و افتكر محبوبته وانشد يقول *

وَلَيْلٍ كَوَاكِبُهُ لَا تَسِيرُ	وَلَا هُوَ مِمَّنْ يُطِيقُ بَرَاحَا
كَيَوْمِ الْقِيٰمَةِ فِي طُولِهِ	عَلَى مَنْ يُرَاقِبُ فِيهِ الصَّبَاحَا

ثم ان الرئيس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج اليه فحمله البحرية ونزلوا به الى المركب وحلوا القلوع وساروا ولم يزالوا سائرين ايام وليالي وقمر الزمان لا يعلم ما سبب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له انت غريم الملك صاحب جزائر الآبنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت ماله يا منحوس فقال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها فساروا به حتى اشرفوا على جزائر الآبنوس وطلعوا به على الست بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمام وافرجت عن التجار وخلعت على الرئيس خلعة تساوي عشرة آلاف دينار ودخلت تلك الليلة في القصر واعلمت حيوة النفوس بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى ابلغ مرادي واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين امرت ان يدخلوا بقمر الزمان الحمام فدخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كانه غصن بان او كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه اليه ثم توجه اليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتم مرادها وانعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال واعطته خزانة مال ولم تزل ترقي قمر الزمان من درجة الى درجة حتى جعلته خازندار وسلمت اليه الاموال واقبلت عليه وقربته منها واعلمت الامراء بمنزلته فاحبوه جميعهم وصارت الملكة بدور كل يوم تزيد له في المرتبات وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الاموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبه وكذلك احبته الامراء والخواص

والعوام وصاروا يحلفون بحيوته كل ذلك قمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة بدور له ويقول فى نفسه والله ان هذه المحبة لابدّ لها من سبب وربما يكون هذا الملك انما يكرمنى هذا الاكرام الزائد لاجل غرض فاسد فلابد ان استأذنه واسافر من بلاده ثم انه توجّه الى الملكة بدور وقال لها ايها الملك انك اكرمتنى اكراما زائدا ومن تمام الاكرام ان تأذن لى فى السفر وتأخذ منى جميع ما انعمت به علىّ فتبسمت الملكة بدور وقالت له ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار وانت فى غاية الاكرام وتزايد الانعام فقال لها قمر الزمان ايها الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن له سبب فانه من اعجب العجب خصوصا وقد اوليتنى من المراتب ما حقه ان يكون للاختيار مع اننى من الاطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك انى احبك لفرط جمالك الفائق وبديع حسنك الرائق وان مكنتنى مما اريده منك ازدك اكراما وعطاء وانعاما واجعلك وزيرا على صغر سنك كما جعلنى الناس سلطانا عليهم وانا فى هذا السن ولا عجب اليوم فى رآسة الاطفال ولله در من قال

كَأَنَّ زَمَانَنَا مِنْ قَوْمِ لُوطٍ	لَهُ شَغَفٌ بِتَقْدِيمِ الصِّغَارِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل واحمرّت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لى بهذا الاكرام المؤدي الى ارتكاب الحرام بل اعيش فقيرا من المال غنيا بالمروة والكمال فقالت له الملكة بدور انا لا اغترّ بورعك الناشئ عن التيه والدلال ولله در من قال

ذَاكَرْتُهُ عَهْدَ الوِصَالِ فَقَالَ لِي	كَمْ ذَا تُطِيلُ مِنَ الكَلَامِ المُؤْلِمِ
فَأَرَيْتُهُ الدِّينَارَ أَنْشَدَ قَائِلًا	أَيْنَ المَفَرُّ مِنَ القَضَاءِ المُبْرَمِ

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال ايها الملك انه لا عادة لى بهذه الفعال ولا طاقة لى على حمل هذه الاثقال التى يعجز عن حملها اكبر منى فكيف بى على صغر سنى فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسمت وقالت ان هذا لشئ عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب اذا كنت صغيرا فكيف تخشى من الحرام وارتكاب الآثام وانت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة فى ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحقت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعا ولا نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا فانا احق منك بخشية الوقوع فى الضلال وقد اجاد من قال

أيري كبير والصغير يقول لي ... اطعن به الأحشا وكن صنديدا
فأجبته ذا لا يجوز فقال لي ... عندي يجوز فنكته تقليدا

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام وقال أيها الملك انه يوجد عندك من النساء والجواري الحسان ما لا يوجد له نظير في هذا الزمان فهلا استغنيت بذلك عني فمل الى ما شئت منهن ودعني فقالت ان كلامك صحيح ولكن لا يشتفي بهن من عشقك الم ولا تبريح واذا فسدت الامزجة والطبيعة فهي لغير النصح سميعة مطيعة فاترك الجدال واسمع قول من قال

اما ترى السوق قد صفت فواكهه ... للتين قوم وللجميز اقوام

وقول الآخر

وصامتة الخلخال رن وشاحها ... فهذا استغنى وذا يشتكي الفقرا
تريد سلوي عنك جهلا بحسنها ... وما كنت أرضى بعد إيماني الكفرا
وحق عذار يزدري بعقاصها ... لما خدعتني عنك غانية عذرا

وقول الآخر

يا فريد الجمال حبك ديني ... واختياري على جميع المذاهب
قد تركت النسا لأجلك حتى ... زعم الناس انني اليوم راهب

وقول الآخر

لا تقس مردا بأنثى ولا تصغ ... لواش يقول ذلك فسق
بين انثى يقبل الوجه رجلاها ... وغزال يقبل الأرض فرق

وقول الآخر

فديتك انما اخترناك عمدا ... لأنك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وصل الغواني ... لضاق بنسلنا البلد العريض

وقول الآخر

تقول لي وهي غضبى من تدللها ... وقد دعتني الى الشيء فما كانا
ان لم تنكني نيك المرء زوجته ... فلا تلمني اذا اصبحت قرنانا
كأن أيرك من شمع رخاوته ... فكلما عركته راحتي لانا

وقول الآخر

قالت وقد أعرضت عن غشيانها ... يا أحمقا في جهله يتناها

لم ترض من قبلي لوجهك قبلة	لو لبيتك قبلة ترضاها

وقول الآخر

جادت بكس ناعم	فقلت اني لم اَنك
فانصرفت قائلة	يؤفك عنه من افك
اتيتك من قدام في	هذا الزمان قد ترك
ودورت لي فقحة	مثل اللجين المنسبك
احسنت يا سيدي	احسنت لا عجبت بك
احسنت يا اوسع من	فتوح مولانا الملك

وقول الآخر

يستغفر الناس بايديهم	وهن يستغفرن بالارجل
يا له من عمل صالح	يرفعه الله الى اسفل

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الاشعار وتحقق انه ليس له مما ارادته فرار قال يا ملك الزمان ان كان ولا بد فعاهدني على انك لا تفعل بي هذا الامر غير مرة واحدة وان كان ذلك لا يجدي في اصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الابد لعل الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجيا ان الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنا عظيم الذنوب فان نطاق افلاك المغفرة لا يضيق عن ان يحيط بنا ويكفر عنا ما عظم من سيئاتنا ويخرجنا الى نور الهدى من ظلام الضلال وقد اجاد واحسن من قال

توهم فينا الناس شيئا وصممت	عليه نفوس منهم وقلوب
تعالي نحقق ظنهم لنريحهم	من الاثم فينا مرة ونتوب

ثم اعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود انه لا يقع بينها وبينه هذا الفعل الا مرة في الزمان وان الجاها غرامه الى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط الى محل خلوتها لتطفي نيران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حل سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت واطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مد يدك بين فخذي الى المعهود

لعله ينتصب الى القيام من السجود فبكى وقال انا لا احسن شيئا من ذلك فقالت
بحياتي ان تفعل ما امرتك به مما هنالك فمد يده وفؤاده في زفير فوجد فخذها
الين من الزبد وانعم من الحرير فاستلذ بلمسها وجال بيده في الجهات حتى
وصلت الى قبة كثيرة البركات والحركات فقال في نفسه لعل هذا الملك
خنثى وليس بذكر ولا انثى ثم قال ايها الملك اني لم اجد لك آلة مثل آلات الرجال
فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت
له يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليالياً بتناها وعرفته بنفسها فعرف انها زوجته الملكة
بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلها وقبلته ثم
اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قال

لَمَّا دَعَتْهُ إِلَى وِصَالِي عَطْفَةٌ ... مِنْ مَعْطِفٍ بِتَعَطُّفٍ مُتَوَاصِ
وَسَقَتْ قَسَاوَةَ قَلْبِهِ مِنْ لِينِهَا ... فَأَجَابَ بَعْدَ تَمَنُّعٍ وَتَعَاصِ
خَشِيَ الْعَوَاذِلَ أَنْ تَرَاهُ إِذَا بَدَا ... فَأَتَى بِعُدَّةِ آمِنِ الْإِرْهَاصِ
شَكَتِ الْخُصُورُ رَوَادِفٌ فَأَثْقَلَتْ ... أَقْدَامَهُ فِي الْمَشْيِ حِمْلَ قِلَاصِ
مُتَقَلِّدُ الصَّمْصَامِ مِنْ أَلْحَاظِهِ ... وَمِنَ الدُّجَى مُتَدَرِّعًا بِدِلَاصِ
وَشَذَاهُ بَشَّرَنِي بِسَعْدِ قُدُومِهِ ... فَفَرَرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ مِنْ أَقْفَاصِ
وَفَرَشْتُ خَدِّي فِي الطَّرِيقِ لِنَعْلِهِ ... فَشَفَى بِإِثْمِدِ تُرْبِهَا أَرْمَاصِي
وَعَقَدْتُ أَلْوِيَةَ الْوِصَالِ مُعَانِقًا ... وَفَكَكْتُ عُقْدَةَ حَظِّيَ الْمُتَعَاصِي
وَأَقَمْتُ أَفْرَاحًا أَجَابَ نِدَاءَهَا ... طَرَبٌ صَفَا عَنْ شَائِبِ الْأَنْغَاصِ
وَالْبَدْرُ نَقَّطَ بِالنُّجُومِ الثَّغْرَ مِنْ ... حَبَبٍ عَلَى وَجْهِ الطِّلَا رَقَّاصِ
وَعَكَفْتُ فِي مِحْرَابِ لَذَّتِهَا عَلَى ... مَا مِنْ تَعَاطِيهِ يَتُوبُ الْعَاصِي
قَسَمًا بِآيَاتِ الضُّحَى مِنْ وَجْهِهِ ... لَا أَنْسَ فِيهِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ

ثم ان الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الآخر وكذلك هو
اخبرها بجميع ما جرى له وبعد ذلك انتقل معها الى العتاب وقال لها ما حملك على ما فعلته
بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فاني قصدت بذلك المزاح ومزيد البسط والانشراح
فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والد الملكة
حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرته بقصتهما و
بسبب افتراقهما من بعضهما واعلمته ان ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك

ارمانوس صاحب جزائر الآبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور وتعجب منها غاية العجب وامران يكتبوها بماء الذهب ثم التفت الى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى اشاور الملكة بدور فان لها علي فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم هذا الرأى فتزوجها واكون انا لها جارية لان لها علي معروفا واحسانا وخيرا وامتنانا وخصوصا نحن في محلها وقد غمرنا احسان ابيها فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتفق معها على هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور من انها تحب ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ثم خرج وجلس على كرسي مملكته واحضر جميع الوزراء والامراء والحجاب وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الاول الى الآخر وانه يريد ان يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانا عليهم عوضا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعا حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطانا علينا قبله ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلنا نرضاه سلطانا علينا ونكون له خدما ولا نخرج عن طاعته ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا شديدا ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم انه اقام الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الامراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين واطلق جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والاقبال والسعادة والاجلال ثم ان قمر الزمان لما صار سلطانا عليهم ازال المكوس واطلق من بقي في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته على هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد انجلت عنه الهموم والاحزان ونسي اباه الملك شهرمان وما كان له عنده من عز

وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين اكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الامجد واصغرهما من الملكة حياة النفوس اسمه الملك الاسعد وكان الاسعد اجمل من اخيه الامجد ثم انهما تربيا في العز والدلال والادب والكمال وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان فيأكلان سواء ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الاوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبلغ الرجال واتصفا بالكمال صار ابوهما اذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس واتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم ان محبة الاسعد الذى هو ابن حياة النفوس وقعت فى قلب الملكة بدور زوجة ابيه وان محبة الامجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت فى قلب حياة النفوس زوجة ابيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه الى صدرها واذا رأت ذلك امه تظن انه من الشفقة ومحبة الامهات لاولادها وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين فصارت كل واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرتها تضمه الى صدرها وتود انه لايفارقها ولما طال عليهما المطال ولم تجدا سبيلا الى الوصال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم ان الملك توجه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك توجه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما فجلس للحكم فى اليوم الاول الامجد ابن الملكة بدور فامر ونهى وولى وعزل واعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس ام الاسعد مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له انها متعلقة ومتعشقة فيه وتكشف له الغطا وتعلمه انها تريد وصاله فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات

من المسكينة العاشقة * الحزينة المفارقة * التى ضاع بحبك شبابها * وطال فيك عذابها * ولو وصفت لك طول الاسف * وما اقاسيه من اللهف * وما بقلبي من الشغف

وما انا فيه من البكاء والانين × وتقطع القلب الحزين × وتوالى الغموم × وتتابع الهموم وما اجده من الفراق × والكآبة والاحتراق × لطال شرحه في الكتاب × وعجزت عن حصره الحساب × وقد ضاقت على الارض والسماء × ومالي في غيرك امل ولا رجاء × فقد اشرفت على الموت × وكابدت اهوال الفوت × وزاد بي الاحتراق × والم الهجر والفراق × ولو وصفت ما عندي من الاشواق × ما وسعتها الاوراق × ومن كثرة البلوى والنحول ها انا انشد واقول ×

لَوْ كُنْتُ أَشْرَحُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ حُرَقٍ	وَمِنْ سَقَامٍ وَمِنْ وَجْدٍ وَمِنْ قَلَقِ
لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ قِرْطَاسٌ وَلَا قَلَمٌ	وَلَا مِدَادٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْوَرَقِ

ثم ان الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة في رفعة من غالي الحرير مضمخة بالمسك والعبير ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الاموال بسعرها ثم لفتها بمنديل واعطتها الخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها اعطت ورقة المراسلة للخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفي له في الغيب وعلام الغيوب يدبر الامور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبل الارض بين يديها وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه في عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قمر الزمان في نفسها فغضب غضبا شديدا وذم النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينا ثم انه جرد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء اتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله انه لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف في عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على امه واعلمها بما جرى وسبها وشتمها وقال كلكن اخس من بعضكن والله العظيم لولا اني اخاف اساءة الادب في حق والدي قمر الزمان واخي الملك الاسعد لادخلن عليها واضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم انه خرج من عند امه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة ابيه ما فعل بخادمها سبته ودعت عليه واضمرت له المكر فبات الملك الامجد في تلك

الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذ له اكل ولا شرب ولا منام فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس في مجلس ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد اصبحت امه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الامجد من قتله للخادم ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم في ذلك اليوم حكم وعدل وولى وعزل وامر ونهى واعطى ووهب ولم يزل جالسا في مجلس الحكم الى قرب العصر ثم ان الملكة بدور ام الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على ما في قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد ابن زوجها وتشكو اليه كثرة محبتها له ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقا * الى احسن الناس خلقا وخُلقا * المعجب بجماله * التائه بدلاله * المعرض عن طالب وصاله * الزاهد في القرب ممن خضع * وذل * الى من جفا وملّ * من العاشق المكمد * الى الملك الاسعد * صاحب الحسن الفائق * والجمال الرائق * والوجه الاقمر * والجبين الازهر * والضياء الابهر * هذا كتابي الى من حبه اذاب جسمي * وفرّق جلدي وعظمي * اعلم انني قد عيل صبري * وتحيرت في امري * واقلقني الشوق والسهاد * وجفاني الصبر والرقاد * ولازمني الحزن والسهاد * وبرح بي الوجد والغرام * وحلول الضنى والسقام * فالروح تفديك * وان كان قتل الصب يرضيك * والله يبقيك * ومن كل سوء يقيك * ثم بعد تلك السجعات كتبت هذه الابيات

حَكَمَ الزَّمَانُ بِأَنَّنِي لَكَ عَاشِقُ ... يَا مَنْ مَحَاسِنُهُ كَبَدْرٍ يُشْرِقُ
حُزْتَ المَلَاحَةَ وَالفَصَاحَةَ كُلَّهَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ دُونِ البَرِيَّةِ رَوْنَقُ
وَلَقَدْ رَضِيتُ بِأَنْ تَكُونَ مُعَذِّبِي ... فَعَسَى عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ تَتَصَدَّقُ
مَنْ مَاتَ فِيكَ صَبَابَةً فَلَهُ الهَنَا ... لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

ثم كتبت ايضا هذه الابيات

اِلَيْكَ اَسْعَدُ اَشْكُو مِنْ لَهِيبِ جَوًى ... فَارْحَمْ مُتَيَّمَةً بِالشَّوْقِ تَلْتَهِبُ
اِلَى مَتَى وَاَيَادِي الوَجْدِ تَلْعَبُ بِي ... وَالهَمُّ وَالفِكْرُ وَالتَّسْهِيدُ وَالنَّصَبُ
طَوْرًا اُبَحِّرُ وَطَوْرًا اَشْتَكِي لَهَبًا ... فِي مُهْجَتِي اِنَّ ذَا يَا مُنْيَتِي عَجَبُ
يَا لَائِمِي خَلِّ لَوْمِي وَالْتَمِسْ هَرَبًا ... مِنَ الهَوَى فَدُمُوعُ العَيْنِ تَنْسَكِبُ
كَمْ صِحْتُ وَجْدًا مِنَ الهِجْرَانِ وَاحَرَبَا ... فَلَمْ يُفِدْ فِي نِدَائِي الوَيْلُ وَالحَرَبُ
اَمْرَضْتَنِي بِصُدُودٍ لَسْتُ اَحْمِلُهُ ... اَنْتَ الطَّبِيبُ فَاَسْعِفْنِي بِمَا يَجِبُ
يَا عَاذِلِي كُفَّ عَنْ عَذْلِي مُحَاذَرَةً ... كَيْلَا يُصِيبُكَ مِنْ دَاءِ الهَوَى عَطَبُ

ثم ان الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفتها فى جدائل شعرها وهى
من الحرير العراقى واشرابيها من قضبان الزمرد الاخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم
سلمتها الى العجوز وامرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان ×
فراحت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان فى
خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد
الجواب فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة
فى الجدائل ووضعها فى جيبه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النسا
الخائنات ثم انه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن
جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امه حياة النفوس فوجدها راقدة
فى الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد ولعنها
ثم خرج من عندها فاجتمع باخيه الملك الامجد وحكى له جميع ما جرى له مع امه الملكة
بدور واخبره بانه قتل العجوز التى جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا اخى لولا حيائى
منك لكنت دخلت فى هذه الساعة اليها وقطعت رأسها من بين كتفيها فقال له
اخوه الملك الامجد والله يا اخى انه قد جرى لى بالامس لما جلست على كرسى
المملكة مثل ما جرى لك فى هذا اليوم فان امك ارسلت الى رسالة بمثل مضمون
هذا الكلام ثم اخبره بجميع ما جرى له مع امه الملكة حياة النفوس وقال له والله
يا اخى لولا حيائى منك لدخلت اليها وفعلت بها مثل ما فعلتُ بالخادم ثم انهما باتا
يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا
الامر لئلا يسمع به ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا فى هم تلك
الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه من الصيد وجلس ساعة على كرسى المملكة
ثم طلع الى قصره وصرف الامراء الى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد
زوجتيه راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد عملتا للولدين مكيدة
واتفقتا على تضييع ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشيتا
ان يصيرا تحت ذلتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما ما لكما فقامتا اليه
وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم ايها الملك ان ولديك اللذين
قد تربيا فى نعمتك قد خاناك فى زوجتيك واركباك العار فلما سمع قمر الزمان
من نسائه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتاظ غيظا شديدا حتى

طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه اوضحا لى هذه القيضة فقالت له الملكة بدور واعلم يا ملك الزمان ان ولدك الاسعد بن حياة النفوس له مدة من الايام وهو يراسلنى ويكاتبنى ويراودنى على الزنا وانا انهاه عن ذلك ولم ينته فلما سافرت انت هجم علىّ وهو سكران والسيف فى يده مسلول فضرب به خادمى فقتله وركب على صدرى والسيف فى يده فخفت ان يقتلنى اذا مانعته كما قتل خادمى فقضى اربه منى غصبا وان لم تخلص حقى منه ايها الملك قتلت نفسى بيدى وليس لى حاجة بالحيوة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح واخبرته حياة النفوس وهى مفجوعة بالبكاء ايضا بمثل ما اخبرته به ضرتها بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وبقية حكاية الامجد والاسعد فى الربع الثانى

الطبع تمة

الحمد لله والمنة قد تم من كتاب الف ليلة وليلة المجلد الاول فى شهر رجب المرجب سنة ۱۳۰۰ الهجرية على صاحبها صلوة وتحية نقل مطابق الاصل بتصحيح الفقير الحقير خادم الصحة نور محمد بن عبد الصمد بمقابلة محمد حسين احسن الله حالهما وانه قد بالغنا فى صحته بالجهد والامكان ومع هذا لا ندعى انه لم يبق فيه شئ من الغلط فان نظرتم واطلعتم عليه فاصلحوا بقلم الانصاف ولا تمعنوا بعين الاعتساف وهذا باهتمام القاضى فتح محمد وجناب ملا نور الدين بن جيوا خان حفظهما الله فى يوم الدين وقد انطبع فى المطبع الحيدرى الكائن فى بندر المحروسة المنبئ فالمرجو من اخلاقكم ان تسبلوا ذيل الستر والاحسان ولا تطعنوا على المصححين كما هو داب ابناء العوام فى هذا الزمان